

كتاب الذين على

طَبِيبَاتُ الْجَنَابِلِ

لابن رجب

الشيخ الإمام العالم الحافظ الحجة الفقيه زين الدين أبي الفرج

عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد

البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي

٧٣٦ - ٧٩٥ هـ

رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمؤمنين

الجزء الأول

وقف على طبعه و صححه

محمد حامد الفقي

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م

مطبعة السنة المحمدية

• شارع غيظ النور

ت ٧٩٠١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات ، أمهات المؤمنين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .
قال الشيخ الإمام ، العالم المقرئ ، العامل الزاهد ، الحافظ المحدث ،
زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الزاهد ، الإمام العالم المقرئ ،
شهاب الدين ، أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب - رحمهم الله تعالى
برحمته - :

هذا كتاب جمعه ، وجعلته ذيلًا على كتاب « طبقات فقهاء أصحاب الإمام
أحمد » للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى . رحمهم الله تعالى .
وابتدأت فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى . وجعلت ترتيبه على الوفيات
والله المستول أن ينفع به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

وفيات المائة الخامسة

من سنة ٤٦٠ هـ - إلى سنة ٥٠٠ هـ

١ - علي بن أبي طالب بن زبيبة البغدادي ، أبو الغنائم .

من قدماء أصحاب القاضي أبي يعلى ، تفقه عليه .

قال القاضي أبو الحسين : كان يدرس في الحرم بالمسجد المقابل لباب بدر ، وله أيضاً حلقة بجامع المهدي . وقرأ عليه أبو تراب بن البقال ، وأبو الحسين ابن الفاعوس وغيرهما . ونسخ بخطه كثيراً من تصانيف القاضي ، كالخلاف الكبير ، نسخه مرتين ، والعدة ، وأحكام القرآن ، والجامع الصغير . وغير ذلك . وهو أول من توفي من أصحاب القاضي أبي يعلى بعده بنحو سنة . ودفن قريباً منه . رحمه الله .

ذكره ابن النجاد قال : كان من أعيان أصحاب القاضي أبي يعلى ، وله حلقة بجامع المهدي للمناظرة . روى عن أبي الحسين بن بشران ، ونصر بن محمد بن علي الأمدى . روى عنه القاضي عزيزي بن عبد الملك الجيلي . ثم أرخ وفاته يوم الخميس ثاني عشرين شهر ربيع الآخر سنة ستين وأربعمائة . وصلى عليه من القدر بجامع القصر . وكان له جمع كثير .

و« زبيبة » قيده ابن نقطة : بكسر الزاي ، وكسر الباء المعجمة بواحدة بعدها باء أخرى مثلها ساكنة ، وياء مفتوحة معجمة من تحتها بائنتين .

وقال ابن عقيل : كان من أصحاب القاضي أبي يعلى أرباب الخلق : ابن الباز كردي ، وابن زبيبة ، فقيهان مفتيان ، ولهما حلقتان بجامع الرصافة ، يقصان الفقه شرحاً للمذهب على وجه ينتفع به العوام .

٢ - علي بن الحسن القرميسي أبو منصور . ذكره أبو الحسين ، وقال :

أحد من علق عن الوالد من الخلاف والمذهب . وسمع منه الحديث ، وزوج ابنته لأبي علي بن البناء ، وأولدها أبا نصر .

وتوفى في رجب سنة ستين وأربعمائة عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

٣ - عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن توبة العكبرى ، الخياط الأديب الكاتب ، أبو محمد .

روى عن الأحنف العكبرى من شعره . روى عنه الخطيب .

وتوفى يوم الثلاثاء سابع عشر محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة . ذكره ابن البناء في تاريخه ، وقال : هو صاحب الخط والأدب .

٤ - عبد الله البرداني ، أبو محمد الزاهد .

كان منقطعاً في بيت بجامع المنصور ، يتعبد خمسين سنة .

قال ابن البناء : كان من خيار المسلمين ، لا يقبل من أحد شيئاً ، مع الزهادة والعبادة . روى عنه أبو بكر المزرفي القرضي أنه قال : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : يا عبد الله ، مَنْ تَمَسَّكَ بمذهب أحمد في الأصول ساحتُهُ فيما اجترح - أو فيما فرَّط - في الفروع .

وذكر ابن البناء ، عن يثق به : أنه رأى في منامه ، في حياة البرداني - هذا - مَلَكَينِ قد نزلا من السماء ، فقال أحدهما لصاحبه : فيم جئتَ ؟ قال : جئتُ أخسف بأهل بغداد ، فإنه قد عمَّ فيها الفساد ! فقال له الملك الآخر : كيف تفعل هذا ، وفيها عبد الله البرداني ؟

قال ابن البناء : توفى عبد الله البرداني الزاهد الحنبلي يوم السبت سادس ربيع الأول ، سنة إحدى وستين وأربعمائة . وصلى عليه بجامع المنصور . وكان خلقاً عظيماً . ودفن في مقبرة الإمام أحمد ، وتولى غسله والصلاة عليه الشريف أبو جعفر . رحمه الله تعالى .

٥ - علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي ، أبو الحسن المعروف بالأمدي

ويعرف قديماً بالبغدادى . نزل نجر آمد . وهو أحد أكابر أصحاب القاضى أبى يعلى .
قال ابن عقيل فيه : بلغ من النظر الغاية ، وكانت له مروءة . يحضر عنده
الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وأبو الحسن الدامغانى - وكانا فقيهين - فيضيفهما
بالأطعمة الحسنة ، وكان يتكلم معهما إلى أن يمضى من الليل أكثره .
وذكر أنه كان هو المتقدم على جميع أصحاب القاضى أبى يعلى .

قال ابن عقيل : وسمعت المتولى لما قدم : يذكر أنه لم يشهد فى سفره أحسن
نظراً من الشيخ أبى الحسن البغدادى بآمد .

قال القاضى أبو الحسين ، وتبعه ابن السمعانى : أحد الفقهاء الفضلاء ،
والمناظرين الأذكياء . وسمع الحديث من أبى القاسم بن بشران ، وأبى إسحاق
البرمكى ، وأبى الحسن بن الحرائى ، وابن المذهب وغيرهم . وسمع من القاضى أبى
يعلى ، ودرس عليه الفقه ، وأجلس فى حلقة النظر والفتوى بجامع المنصور فى موضع
ابن حامد . ولم يزل يدرس ويفتى وينظر إلى أن خرج من بغداد ، ولم يحدث
ببغداد بشيء ، لأنه خرج منها فى فتنة البساسيرى ، فى سنة خمسين وأربعمائة
إلى آمد ، وسكنها واستوطن بها ، ودرس بها الفقه إلى أن مات فى سنة سبع
- أو ثمان - وستين وأربعمائة . وقبره هناك مقصوداً بالزيارة . وكان يدرس فى
مقصورة بجامع آمد .

وله هناك أصحاب يتفقهون عليه . وبرز منهم طائفة .

وله كتاب : «عمدة الحاضر وكفاية المسافر» فى الفقه ، فى نحو أربع مجلدات ،
وهو كتاب جليل يشتمل على فوائد كثيرة نفيسة . ويقول فيه : ذكر شيخنا ابن
أبى موسى فى الإرشاد ، فالظاهر : أنه تفقه عليه أيضاً . وسمع منه بآمد : أبو الحسن
ابن الغازى الشنّة للخلال عن أبى إسحاق البرمكى ، وعبد العزيز الأزجى .

٦ - محمد بن عمر بن الوليد الباسرائى ، الفقيه ، أبو عبد الله

قال أبو الحسين : كانت له حلقة بجامع المنصور ، تردد إلى مجلس الوالد
السعيد الزمان الطويل ، وسمع منه الحديث والدرس .
ومات سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان قد بلغ من السنّ خمسا وتسعين
سنة . رحمه الله تعالى .

٧ - محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر، أبو بكر الخياط ، المقرئ

البغدادى .

ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، وقرأ على أبي أحمد الفرضي ، وأبي الحسين
السَّوسَنَجِرْدِي ، وبكر بن شاذان ، وأبي الحسن الهامِي ، وغيرهم . وسمع الحديث
من ابن الصَّلْتِ الْمُجَبَّرِ ، وأبي عمر بن مهدي ، وخلقٍ مِنْ طبقتها . ورأى
أبا عبد الله بن حامد . وكان يتردّدُ إلى القاضي أبي يعلى ، وَيَسْمَعُ درسه ، ويحضر
أماليه ، واشتغل بإقراء القرآن ، ورواية الحديث في بيته ومسجده وجامع المنصور .
وكان يحضره خلق كثير .

وقرأ عليه خلق ، منهم : القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى ، وأبو عبد الله
البارع ، وأبو بكر المزرفي ، وهبة الله بن الطبري .

وَخَدَّثَ عنه جماعةٌ كثيرون ، منهم : أبو بكر الخطيب في تاريخه ، وأبو منصور
القرزاز ، ويحيى بن الطراح ، وغيرهم . وانتهى إليه إسناد القراءة في وقته .
قال ابن الجوزي : ما يوجد في عصره في القراءات مثله . وكان ثقة صالحاً .
وقال المؤتمن الساجي : كان شيخاً ثقةً في الحديث والقراءة ، صالحاً ، صبوراً
على الفقر .

وقال أبو ياسر البرداني : كان من البكائين عند الذكر ، أثرت الدموع
في خديّه .

وقال ابن النجار : كان شيخ القراء في وقته ، تفرد بروايات ، وكان عالماً ،
ورعاً متديناً .

وذكره الذهبي في طبقات القراء، فقال: كان كبير القدر، عديم النظير، بصيراً بالقراءات، صالحاً عابداً، ورعاً ناسكاً، بكاء قانتاً، خشن العيش، فقيراً متعففاً، ثقةً فقيهاً على مذهب أحمد. وآخر من روى عنه بالإجازة: أبو الكرم الشهرزوري.

قال ابن الجوزي: توفي ليلة الخميس ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة، ودفن في مقبرة جامع المدينة — يعنى مدينة المنصور — وقال غيره: صلى عليه أبو محمد التيمي في الجامع.

٨ - علي بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن جدّاء، أبو الحسن العكبرى.

ذكره ابن شافع في تاريخه، فقال: هو الشيخ الصالح، الزاهد، الفقيه، الأمار بالمعروف، والنهء عن المنكر.

سمع: أبا علي بن شاذان، والبرقاني، وأبا القاسم الخرقى، وأبا القاسم بن بشاران. وكان فاضلاً، خيراً ثقة، مستوراً صيناً، شديداً في السنة على مذهب أحمد. رضى الله عنه.

وقال القاضي أبو الحسين، وابن السمعاني: كان شيخاً صالحاً، ديناً كثير الصلاة، حسن التلاوة للقرآن، ذا لسان وفصاحة، في المجالس والمحافل، وله في ذلك كلام منثور، وتصنيف مذکور مشهور.

وذكره أبو الحسين وابن الجوزي وقالوا: سمع من أبي علي بن شهاب، وأبي علي بن شاذان، وكان فقيهاً صالحاً فصيحاً.

قال أبو الحسين: قرأ الفقه على الوالد السعيد، وله مصنف في الأصول. وتوفي فجأة في الصلاة في رمضان سنة ثمان وستين وأربعمائة، ودفن في مقبرة أحمد. وذكر ابن شافع وغيره: أنه توفي يوم الأحد سابع عشر رمضان المذكور. وقال ابن شافع: جدّاء — بفتح الجيم — كذا سمعته من أشياخنا، ورأيت مضمبوطة بخط أسلافنا.

وروى عنه القاضي أبو بكر ، وأبو منصور القزاز ، وسمع منه مكى الرَّمِيْلِي
الحافظ وجماعة .

وقال ابن خيرون : حدث بشيء يسير ، كان مستوراً صينياً ثقة .

وروى عنه الخطيب فقال : حدثني علي بن الحسين بن جَدَا العكبرى قال :
رأيتُ هبة الله الطبري في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . قلت :
بماذا ؟ قال : كلمة خفيفة : بالسنة .

قال الحافظ عبد القادر الرهاوي : أنبأنا أبو موسى المدني الحافظ قال :
رأيتُ بخط ابن البناء - وقرأته علي ابن ناصر بإجازته من ابن البناء - قال : حكى
أبو الحسن علي بن الحسين بن جَدَا العكبرى قال : سمعت أبا مسعود أحمد بن محمد
البجلي الحافظ قال : دخل ابن فورك على السلطان محمود ، فتناظرا .

قال ابن فورك لمحمود : لا يجوز أن تصف الله بالفوقية ، لأنه يلزمك أن
تصفه بالتحتية . لأنه من جاز أن يكون له فوق جاز أن يكون له تحت .

فقال محمود : ليس أنا وصفته بالفوقية ، فتلزمي أن أصفه بالتحتية ، وإنما
هو وَصَفَ نفسه بذلك . قال : فهبت .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الصوفي - بالقاهرة - أخبرنا عبد العزيز بن عبد المنعم
الحراني أخبرنا أبو علي بن الحريف أخبرنا القاضي أبو بكر بن عبد الباقي أخبرنا
أبو الحسن بن جَدَا أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الحافظ قال : ذكر
أن فتى من أصحاب الحديث أنشد في مجلس أبي زرعة الرازي هذه الأبيات ،
فاستحسنت منه :

دين النبي « محمد » أختارُ نعم المطيعة للفتى الآثار
لا تفلقنَّ عن الحديث وأهله فالرأى ليلٌ ، والحديثُ نهارُ
ولرَبِّما غلط الفتى إثرَ الهدى والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ

٩ - عبيد الله بن محمد بن الحسين الفراء ، أبو القاسم بن القاضي أبي يعلى .

ذكره أخوه في الطبقات ، وأنه ولد يوم السبت سابع شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وقرأ بالروايات على أبي بكر الخياط ، وابن البناء ، وأبي الخطاب الصوفي ، وأحمد بن الحسن اللحياني ، وغيرهم . وسمع الحديث من والده ، وجده لأمه جابر بن ياسين ، وأبي محمد الجوهري ، وغيرهم ، وابن المهدي وابن النُّقُور ، وابن الآبنوسى ، وابن المسلمة ، وابن المأمون ، والَصْرِيْفِينِي ، وغيرهم .

ورحل في طلب الحديث والعلم إلى : واسط ، والبصرة ، والكوفة ، وعكبرا ، والموصل ، والجزيرة ، وآمد ، وغير ذلك .

وقرأ بآمد من الفقه على أبي الحسن البغدادي قطعة سالحة من الخلاف والمذهب . وكان قد علق قبل سفره على الشريف أبي جعفر ، وكان قد حضر قبل ذلك درس والده وعلق عنه .

وكان يحضر مجالس النظر في الجَمْع وغيرها ، ويتكلم في المسائل مع شيوخ عصره . وكان والده يَأْتُم به في صلاة التراويح إلى أن تُوْفِي . وكان أكبر ولد القاضي أبي يعلى ، وهو الذي تولى الصلاة عليه بجامع المنصور . وكان ذا عفة ، وديانة وصيانة ، حَسَن التلاوة للقرآن ، كثير الدرس له ، مع معرفته بعلومه . وله معرفة بالجرح والتعديل ، وأسماء الرجال والسكنى ، وغير ذلك من علوم الحديث ، حسن القراءة ، وله خط حسن .

ولما وقعت فتنة ابن القشيري : خرج إلى مكة ، فتوفي في مضيه إليها بموضع يُعرف بمعدن النقرة ، وأواخر ذي القعدة سنة تسع وستين وأربعمائة ، وله ست وعشرون سنة وثلاثة أشهر ونيف وعشرون يوماً تقريباً . رحمه الله وعوضه الجنة .

١٠ - محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسين بن هارون ، أبو الحسن

البرداني الفرضي الأمين . والد الحافظ أبي علي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .
وُلِدَ بالبردان سنة ثمان وثمانين - وقيل : سنة ثمان وسبعين - وثلاثمائة . ونشأ به

ثم انتقل إلى بغداد سنة ست وأربعين وأربعمائة واستوطنها . وسمع الكثير من أبي الحسن بن رزقويه ، وأبي الحسين بن بشران ، وأخيه أبي القاسم ، وأبي الفضل التيمي ، وأخيه أبي الفرج ، وأبي الحسن بن مخلد ، وأبي علي بن شاذان ، البرقاني ، وخلق .

وروى عنه ولداه : أبو علي ، وأبو ياسر ، والقاضي أبو بكر بن عبد الباقي وغيرهم . قال القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى : صحب الوالد ، وتردد إلى مجالسه في الفقه وسماع الحديث ، وكان رجلاً صالحاً .

قال ابن النجار : وكان رجلاً صالحاً صدوقاً ، حافظاً لكتاب الله تعالى ، عالماً بالفرائض وقسمة التركات . كتب بخطه الكثير ، وخرَّج تخاريج ، وجمع فنوناً من الأحاديث وغيرها . وخطه ردىء كثير السقم . وكان أمين القاضي أبي الحسين بن المهتدي . ثم ذكر عن ابنه أبي ياسر عبد الله : أن أباه أبا الحسن سرد الصوم ثلاثين سنة .

وذكر عن السلفي : أنه جرى ذكر ابنه أبي علي ، فقال الحافظ أبو محمد السمرقندي : لو رأيت أباه وصلاحه لرأيت العجب . روى لنا عن ابن رزقويه وطبقته . وكان فقيهاً ، وضيئاً محدثاً ، مرضياً .

وذكر عن ابن خيرون : أن البرداني كان رجلاً صالحاً ثقة .

وقال ابن الجوزي : كان له علم بالقراءات والفرائض . وكان ثقة ، عالماً صالحاً أميناً .

توفي يوم الخميس ثامن عشرين ذي القعدة سنة تسع وستين وأربعمائة . ودفن يوم الجمعة بباب حرب . كذا ذكره ابن النجار .

وذكر ابن شافع : أنه توفي ليلة الجمعة تاسع عشرين ذي القعدة ؛ ثم قال : قرأت بخط ابنه أبي علي : أن أباه توفي يوم الخميس مستهل ذي الحجة من السنة . قال : وصلت عليه يوم الجمعة في المقصورة . وتبعه خلق عظيم . رحمه الله تعالى

قلتُ : له كتاب « فضيلة الذكر والدعاء » رواه عنه ابنه أبو علي .

أخبرنا محمد بن إسماعيل الأيوبي الصوفي - بالقاهرة - أخبرنا عبد العزيز ابن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو علي الحريف أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي أخبرنا أبو الحسن البرداني أخبرنا أبو الحسن بن مخلد أخبرنا إسماعيل الصفار حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا المعتمر بن سليمان : سمعتُ عاصمًا الأحول يقول : حدثني شرحبيل أنه سمعَ أبا سعيد ، وأبا هريرة ، وابن عمر يُحدثون أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزَنًا بوزنٍ ، مِثْلًا بِمِثْلٍ . مَنْ زَادَ أَوْ أَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى » .

وأبناءنا عاليًا أبو الفتح الميذومي أخبرنا عبد اللطيف بن عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني أخبرنا أبو الفرج بن كليب أخبرنا أبو القاسم بن بيان أخبرنا ابن مخلد - فذكره .

١١ - عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن

موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي العباسي .

و « أبو موسى » هو كنية جده الأعلى : عيسى بن أحمد بن موسى .

هذا هو الصحيحُ في نسبه . وهو الذي ذكره أصحابه القاضيان : أبو بكر الأنصاري ، وأبو الحسين بن القاضي ، وابن الجوزي ، وابن السمعاني ، وغيرهم . فإن الشريف أبا جعفر هو ابن أخ الشريف أبي علي محمد بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن أحمد بن موسى صاحب « الإرشاد » .

ووقع في تاريخ ابن شافع وغيره : عبد الخالق بن أحمد بن عيسى بن أبي موسى عيسى بن أحمد ، وهو وهم .

ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة .

قال ابن الجوزي : كان عالماً فقيهاً ، ورعاً عابداً ، زاهداً ، قولاً بالحق ، لا يجابى ، ولا تأخذه في الله لومة لأثم .
سمع أبا القاسم بن بشران ، وأبا محمد الخلال ، وأبا إسحاق البرمكي ، وأبا طالب العشاري ، وغيرهم .

وتفقه على القاضي أبي يعلى ، وشهد عند أبي عبد الله الدامغانى ، ثم ترك الشهادة قبل وفاته . ولم يزل يدرس بمسجده بسكة الخرقى من باب البصرة وبجامع المنصور . ثم انتقل إلى الجانب الشرقى ، فدرس في مسجدٍ مقابلٍ لدار الخلافة ، ثم انتقل - لأجل ما لحق نهر الملقى من العرق - إلى باب الطاق ، وسكن درب الديوان من الرصافة ، ودرس بمسجد على باب الدرب ، وبجامع المهدي .
وذكر القاضي أبو الحسين نحو ذلك ، وقال : بدأ يدرس الفقه على الوالد من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسين ، يقصد إلى مجلسه ويعلق ، ويعيد الدرس في الفروع وأصول الفقه . وبرع في المذهب ، ودرّس ، وأفتى في حياة الوالد .

وكان مختصر الكلام ، مليح التدريس ، جيد الكلام في المناظرة ، عالماً بالفرائض ، وأحكام القرآن والأصول . وكان له مجلسٌ للنظر في كل يوم اثنين ويقصده جماعة من فقهاء المخالفين . وكان شديد القول واللسان على أهل البدع ولم تزل كلمته عالية عليهم ، ولا يردُّ يده عنهم أحد . وانتهى إليه في وقته الرحلة لطلب مذهب الإمام أحمد .

وذكره ابن السمعاني فقال : إمام الحنابلة في عصره بلا مدافعة . مليح التدريس ، حسن الكلام في المناظرة ، ورع زاهد ، متقن عالم بأحكام القرآن والفرائض ، مرضى الطريقة . ثم ذكر بعض شيوخه ، وقال : روى لنا عنه أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار ، ولم يحدثنا عنه غيره .

وقال ابن خيرون : مُقدم أهل زمانه شرقاً ، وعلماً وزهداً :

وقال ابن عَقِيل : كان يفوق الجماعة من أهل مذهبه وغيرهم في علم الفرائض .
وكان عند الإمام - يعني الخليفة - معظماً حتى إنه وصَّى عند موته بأن يغسله ،
تبركاً به . وكان حول الخليفة ما لو كان غيره لأخذه . وكان ذلك كفايةً عُمره
جِوَالله ما التفتَ إلى شيء منه ، بل خرج ونَسِيَ مَنزَره حتى سُحِل إليه . قال :
ولم يُشَهد منه أنه شرب ماء في حلقة على شدة الحر ، ولا غَسَّ يده في طعام أحدٍ
من أبناء الدنيا .

قلتُ : وللشريف أبي جعفر تصانيفٌ عِدَّة ، منها « رؤوس المسائل » وهي
مشهورة ، ومنها « شرح المذهب » وصل فيه إلى أثناء الصلاة ، وسلك فيه مسلك
القاضي في الجامع الكبير . وله جزء في أدب الفقه ، وبعض فضائل أحمد ،
وترجيح مذهبه . وقد تفقه عليه طائفةٌ من أكابر المذهب ، كالحلواني ، وابن
المُخَرَّمِي ، والقاضي أبي الحسين .

وكان معظماً عند الخاصة والعامة ، زاهداً في الدنيا إلى الغاية ، قائماً في
إنكار المنكرات بيده ولسانه ، مجتهداً في ذلك .

قال أبو الحسين ، وابن الجوزي : لما احتضِر القاضي أبو يعلى أوصى أن
يُغسله الشريف أبو جعفر ، فلما احتضِر القائم بأمر الله قال : يغسلني
عبد الخالق ، ففعل ، ولم يأخذ مما هُنَاكَ شيئاً . فقيل له : قد وصى لك أمير المؤمنين
بأشياء كثيرة ، فأبى أن يأخذ . فقيل له : فقميص أمير المؤمنين تبرك به ! فأخذ
خوطة نفسه ، فنشفه بها ، وقال : قد لَحِقَ هذه الخوطة بركة أمير المؤمنين . ثم
استدعاه في مكانه المقتدى ، فبايعه منفرداً . قال : وكان أول من بايع ، وقال
الشريف : لما بايعته أنشدته :

« إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى قَامَ سَيِّدٌ »

ثم أرتج عليّ تمامه ، فقال هو :

قَوْلٌ لِمَا قَالَ الْكَرَامُ فَعُولٌ

قال : وأنبأنا ابن عبد الله عن أبي محمد التميمي قال : ما حصدتُ أحدًا إلا الشريف أبا جعفر ، في ذلك اليوم ، وقد نلتُ مرتبة التدريس والتذكير والسفارة بين الملوك ، ورواية الأحاديث ، والمنزلة اللطيفة عند الخاص والعام . فلما كان ذلك اليوم خرج الشريفُ علينا ، وقد غسل القائم عن وصيته بذلك . ثم لم يقبل شيئاً من الدنيا ، ثم انسل طالباً لمسجده ، ونحنُ كلُّنا منا جالسٌ على الأرض متحفّين ، متغيّرون ، مخرقٌ لثوبه ، يهوله ما يحدث به بعد موت هذا الرجل على قدر ما له تعلق بهم ، فعرفت أن الرجل هو ذلك .

قال القاضي أبو الحسين — أي ابن أبي يعلى — : قلتُ له — أي قلتُ لعبد الخالق — بعد اجتماعه معه : أين سهمنا مما كان هناك ؟ فقال : أخيّتُ جمال شيخنا والدك الإمام أبي يعلى . يُقال : هذا غلامه ، تنزه عن هذا القدر الكثير ، فكيف لو كان هو ؟

وفي سنة أربع وستين وأربعمئة : اجتمع الشريف أبو جعفر ومعه الخنابلة في جامع القصر ، وأدخلوا معهم أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه . وطلبوا من الدولة قلع المواخير ، وتتبع المفسدين والمفسدات ، ومن يبيعُ النبيذ ، وضربَ دراهم تقع بها المعاملة عوض القراضة . فتقدم الخلفية بذلك . فهرب المفسدات ، وكُيّست الدور ، وأريقَت الأنبذة . ووعدوا بقلع المواخير ، ومكاتبة عضد الدولة برفضها ، والتقدم بضرب الدراهم التي يتعامل بها . فلم يقنع الشريف ولا أبو إسحاق بهذا الوعد . وبقى الشريف مدة طويلة متعتباً مهاجرًا لهم .

وحكى أبو المعالي صالح بن شافع عن حدثه : أن الشريف رأى محمداً وكيل الخليفة حين غرقت بغداد سنة ست وستين ، وجرى على دار الخلافة العجائب ، وهم في غاية التخبط . فقال الشريف أبو جعفر : يا محمد ، يا محمد ، فقال له : لبيك يا سيدنا ، فقال له : قل له : كتبنا وكتبتم ، وجاء جوابنا قبل جوابكم ، يشير إلى قول الخليفة : سنكتب في رفع المواخير ، ويريد بجوابه : الغرق وما جرى فيه

وفي سنة ستين وأربعمائة كان أبو علي بن الوليد - شيخ المعتزلة - قد عزم على إظهار مذهبه لأجل موت الشيخ الأجل أبي منصور بن يوسف ، فقام الشريف أبو جعفر ، وعبر إلى جامع المنصور ، هو وأهل مذهبه ، وسائر الفقهاء وأعيان أهل الحديث ، وبلغوا ذلك . ففرح أهل السنة بذلك ، وقرأوا كتاب التوحيد لابن خزيمة . ثم حضروا الديوان ، وسألوا لإخراج الاعتقاد الذي جمعه الخليفة القادر . فأجيبوا إلى ذلك . وقرئ هناك بمحضر من الجميع ، واتفقوا على لعن من خالفه ، وتكفيره . وبالغ ابن فورك في ذلك .

ثم سأل الشريف أبو جعفر ، والزاهد الصحراوي : أن يسلم إليهم الاعتقاد ، فقال لهم الوزير : ليس ههنا نسخة غير هذه . ونحن نكتب لكم به نسخة لتقرأ في المجالس . فقالوا : هكذا فعلنا في أيام القادر ، قرئ في المساجد والجوامع . فقال : هكذا تفعلون ، فليس اعتقاد غير هذا ، وانصرفوا . ثم قرئ بعد ذلك الاعتقاد بباب البصرة ، وحضره الخاص والعام .

وكذلك أنكر الشريف أبو جعفر على ابن عقيل ترده إلى ابن الوليد وغيره ، فاخفى مدة ثم تاب وأظهر توبته . وسنذكر مضمون ذلك في ترجمة ابن عقيل ، إن شاء الله تعالى .

وآخر ذلك كله : فتنة ابن القشيري ، قام فيها الشريف قياماً كلياً ، ومات في عقبها .

ومضمون ذلك : أن أبا نصر بن القشيري ورد بغداد ، سنة تسع وستين وأربعمائة ، وجلس في النظامية . وأخذ يذم الخنابلة ، وينسبهم إلى التجسيم . وكان المتعصب له أبو سعد الصوفي ، ومال إلى نصره أبو إسحاق الشيرازي ، وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الخنابلة ، ويسأله المعونة . فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده ، والإيقاع به ، فرتب الشريف جماعة أعدم رد خصومه إن وقعت . فلما وصل أولئك إلى باب المسجد

رمام هؤلاء بالآجر . فوقمت الفتنة ، وقتل من أولئك رجل من العامة ، وجرح آخرون ، وأخذت ثياب .

وأغلق أتباع ابن القشيري أبواب سوق مدرسة النظام ، وصاحوا : المستنصر بالله ، يامنصور - يعنون العبيدي صاحب مصر - وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسي ، وأنه ممالي للحنابلة ، لاسيا والشريف أبو جعفر ابن عمه . وغضب أبو إسحاق ، وأظهر التأهب للسفر . وكاتب فقهاء الشافعية نظام الملك بما جرى ، فورد كتابه بالامتعاض من ذلك ، والغضب لتسلط الحنابلة على الطائفة الأخرى . وكان الخليفة يخاف من السلطان ووزيره نظام الملك ويدرهما .

وحكى أبو المعالي صالح بن شافع ، عن شيخه أبي الفتح الحلواني وغيره ، ممن شاهد الحال : أن الخليفة لما خاف من تشنيع الشافعية عليه عند النظام أمر الوزير أن يجيل الفكر فيما تنحسم به الفتنة . فاستدعى الشريف أبا جعفر بجماعة من الرؤساء منهم ابن جرادة ، فتلطفوا به حتى حضر في الليل ، وحضر أبو إسحاق ، وأبو سعد الصوفي ، وأبو نصر بن القشيري . فلما حضر الشريف عظمه الوزير ورفع ، وقال : إن أمير المؤمنين ساءه ماجرى من اختلاف المسلمين في عقائدهم ، وهؤلاء يصالحونك على ما تريد ، وأمرهم بالدنو من الشريف . فقام إليه أبو إسحاق ، وكان يتردد في أيام المناظرة إلى مسجده بدرب المطبخ ، فقال : أنا ذاك الذي تعرف ، وهذه كتبي في أصول الفقه ، أقول فيها : خلافاً للأشعرية ، ثم قبل رأسه .

فقال له الشريف : قد كان ماتقول ، إلا أنك لما كنت فقيراً لم تُظهر لنا مافي نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجا بُزُوك^(١) - يعني النظام - أبديت ما كان مخفياً .

(١) معناه : العظيم . وكان لقب الوزير نظام الملك

ثم قام أبو سعد الصوفي ، فقبل يد الشريف ، وتلطف به ، فالتفت مغضباً وقال : أيها الشيخ ، إن الفقهاء إذا تكلموا في مسائل الأصول فلهم فيها مدخل ، وأما أنت : فصاحبُ لهو وسَماع وتعبيرِ مَمَن ، زاحمك على ذلك حتى داخلت المتكلمين والفقهاء ، فأقمت سوق التعصب ؟

ثم قام ابن القشيري - وكان أقدّمهم احتراماً للشريف - فقال الشريف : من هذا ؟ فقيل : أبو نصر بن القشيري ، فقال لو جاز : أن يشكر أحد على بدعته لكان هذا الشاب ؛ لأنه باد هنا بما في نفسه ، ولم يناقنا كما فعل هذان . ثم التفت إلى الوزير فقال : أي صلح يكون بيننا ؟ إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية ، أو دنيا ، أو تنازع في ملك . فأما هؤلاء القوم : فإنهم يزعمون أننا كفار ، ونحن نزعم أن من لا يعتقد ما نعتقده كان كافراً ، فأى صلح بيننا ؟ وهذا الإمام يصدع المسلمين ، وقد كان جدّاه - القائم والقادر - أخرجنا اعتقادهما للناس ، وقرىء عليهم في دواوينهم ، وحمله عنهم الخراسانيون والحجيج إلى أطراف الأرض ، ونحن على اعتقادها .

وأنهى الوزير إلى الخليفة ماجرى ، فخرج في الجواب : عرف ما أنهيته من حضور ابن العم - كثر الله في الأولياء مثله - وحضور من حضر من أهل العالم . والحمد لله الذي جمع الكلمة ، وضم الألفة ، فليؤذن للجماعة في الانصراف ، وليقل لابن أبي موسى : إنه قد أفرد له موضع قريب من الخدمة ليراجع في كثير من الأمور المهمة ، وليتبرك بمكانه .

فلما سمع الشريف هذا قال : فعملتموها .

فحمل إلى موضع أفرد له بدار الخلافة . وكان الناس يدخلون عليه مدة مديدة . ثم قيل له : قد كثر استطراق الناس دار الخلافة ، فاقصر على من تُعين دخوله ، فقال : مالي غرض في دخول أحد عليّ . فامتنع الناس .

ثم إن الشريف مرض مرضاً أثّر في رجليه فانتفختا . فيقال : إن بعض المتفكّهة من الأعداء ترك له في مداسه سما . والله تعالى أعلم .

ثم إن أبا نصر بن القشيري أخرج من بغداد ، وأمر بملازمة بلده لقطع الفتنة .
وذلك نفى في الحقيقة . .

قال ابن النجار : كوتب نظام الملك الوزير بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه ،
وقطع هذه الثائرة ، فبعث واستحضره ، وأمره بلزوم وطنه ، فأقام به إلى حين وفاته
قال القاضي أبو الحسين : أخذ الشريف أبو جعفر في فتنة أبي نصر بن
القشيري ، وحبس أياماً ، فسرد الصوم وما أكل لأحد شيئاً .

قال : ودخلت عليه في تلك الأيام ورأيتُه يقرأ في المصحف ، فقال لي :
قال الله تعالى : (٢ : ٤٥) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) تدرى ما الصبر؟ قلت :
لا ، قال : هو الصوم . ولم يفطر إلى أن بلغ منه المرض ، وضج الناس من حبسه .
وأخرج إلى الحرم الطاهري بالجانب الغربي^(١) فمات هناك .

وذكر ابن الجوزي : أنه لما اشتد مرضه ، تحامل بين اثنين ، ومضى إلى باب
الحجرة ، فقال : جاء الموت ، ودنا الوقت ، وما أحبُّ أن أموتَ إلا في بيتي بين
أهلي . فأذن له . فمضى إلى بيت أخته بالحريم .

قال : وقرأت بخط أبي علي بن البناء قال : جاءت رقعة بخط الشريف
أبي جعفر ، ووصيته إلى أبي عبد الله بن جرادة فكتبها . وهذه نسختها :

« مالي — يشهد الله — سوى الحبل والدلو ، وشيء يخفى عليّ لا قدر له .
والشيخ أبو عبد الله ، إن راعاكم بعدى ، وإلاً فالله لكم . قال الله عز وجل :
(٤ : ٩) وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ)
ومذهبي : الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، وما عليه أحمد ، ومالك والشافعي ،
وغيرهم ممن يكثر ذكرهم ، والصلاة : بجامع المنصور إن سهل الله تعالى ذلك عليهم .

(١) نسبة إلى طاهر بن الحسين . وبه كانت منازلهم . وسمى «الحريم» لأن من

ولا يعقد لي عزاء ، ولا يشق عليّ جيب ، ولا يُلطم خد . فمن فعل ذلك
فأله جسيبه .

وتُوفى رحمه الله تعالى ليلة الخميس سحراً ، خامس عشر صفر سنة سبعين
وأربعمائة ، وغسله أبو سعيد البرداني ، وابن الفتي بوصية منه ، وكانا قد خدماه
طول مرضه .

وصُلي عليه يوم الجمعة ضحى بجامع المنصور ، وأمّ الناس أخوه الشريف
أبو الفضل محمد . ولم يَسع الجامع الخلق وانضغطوا ، ولم يتهياً لسكثير منهم
الصلاة ، ولم يبقَ رئيس ولا مرؤوس من أرباب الدولة وغيرهم إلا حضره ، إلا
من شاء الله ، وازدحم الناسُ على حَمَله . وكان يوماً مشهوداً بكثرة الخلق . وعظم
البكاء والحزن . وكانت العامة تقول : ترحموا على الشريف الشهيد ، القليل
المسموم ؛ لما ذكر من أن بعض المبتدعة : ألقى في مدهسه سمّاً . ودفن إلى جانب
الإمام أحمد .

قال ابن السمعاني : سمعت أبا يعلى بن أبي حازم بن أبي يعلى بن الفراء
الفقيه الحنبلي - يوم خرجنا إلى الصلاة على شيخنا أبي بكر بن عبد الباقي ، ورأى
ازدحام العوام ، وتزاحمهم لحمل الجنازة - فقال أبو يعلى : العوام فيهم جهل عظيم .
سمعتُ أنه في اليوم الذي مات فيه الشريف أبو جعفر حمّوه ودفنوه في قبر الإمام
أحمد ، وما قدر أحد أن يقول لهم : لاتنبشوا قبر الإمام أحمد ، وادفنوه بجنبه .
فقال أبو محمد التيمي - من بين الجماعة - كيف تدفنونه في قبر الإمام أحمد بن حنبل
وبنت أحمد مدفونة معه في القبر؟ فإن جاز دفنه مع الإمام لا يجوز دفنه مع ابنته .
فقال بعض العوام : اسكت ، فقد زوجنا بنت أحمد من الشريف ، فسكت
التيمي ، وقال : ليس هذا يوم كلام .

ولزم الناس قبره ، فكانوا يبیتون عنده كل ليلة أربعاء ، ويختمون الختمات ،
ويخرج المتعشون ، فيبيعون الفواكه والمأكولات ، فصار ذلك فرجة للناس . ولم

يزالوا على ذلك مدة شهر ، حتى دخل الشتاء ومنعهم البرد . فيقال إنه : قرىء على قبره فى تلك المدة عشرة آلاف ختمة .

ورآه بعضهم فى المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : لما وضعتُ فى قبرى رأيتُ قبة من درة بيضاء لها ثلاثة أبواب ، وقائل يقول : هذه لك ، أدخل من أى أبوابها شئت .

ورآه آخر فى المنام ، فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : التقيتُ بأحمد بن حنبل فقال لى : يا أبا جعفر ، لقد جاهدت فى الله حق جهاده ، وقد أعطاك الله الرضى رضى الله عنه .

وقع لى جملة من حديث الشريف أبى جعفر بالسمع ، فمنها : ما أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عبد العزيز الصوفى - بالقاهرة - أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى أخبرنا أبو على بن أبى القاسم ابن الحريف أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار أخبرنا أستاذى أبو جعفر عبد الخالق ابن عيسى الهاشمى - بقراتى عليه - قلت له : حدثكم أبو القاسم عبد الملك بن محمد ابن بشران أخبرنا أبو على محمد بن أحمد بن الصواف حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبى ، حدثنا يزيد بن هرون وأبو عبد الرحمن قالوا : أخبرنا المسعود عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبى طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يلج النار أحدٌ بكى من خشية الله ، حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع غبارٌ فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى امرئ أبداً » .

وقرأت بخط ابن عقيل فى الفنون قال : مما استحسنته من فقه الشريف الإمام الزاهد أبى جعفر عبد الخالق بن عيسى بن أبى موسى الهاشمى رضى الله عنه وتدقيقه - وإن كان أكثر من أن يُحصى - : ما قاله فى أوائل قدوم الغزالي بغداد ، وجعلوا يأخذون من أموال الناس فى الطرقات ، وتقصر أيدى العوام عنهم ، فقال : الذى نسه من مذهب أبى حنيفة : أن تجرى عليهم أحكام

قطاع الطريق ، وإن كان ذلك في الحضر . لأنهم عللوا بأن في الحضر يلحق
الغوث ، فلا يكون لهم حكم قطاع الطريق في الصحارى والبرارى . وهذا التعليل
موجود في الحضر ؛ لأنه لا مغيث يغيث منهم ، لقوتهم واستطالتهم على العوام .
قلتُ : هذا قريب من قول القاضى أبى يعلى : إن أصحابنا اختلفوا في
المحاربين في الحضر : هل تجرى عليهم أحكام المحاربين ؟ فظاهر كلام الخرقى :
أنها لا تجرى عليهم . وقال أبو بكر : بل أحكام المحاربين جارية عليهم . وفصل
القاضى بين أن يفعلوا ذلك في حضر يلحق فيه الغوث عادة أو لا . فإن كان يلحق
فيه الغوث عادة : فليسوا بمحاربين ، وإلا فهم محاربون . ومعلوم أن السلطان إذا
امتنع من دفعهم - إما لضعفه وعجزه ، وإما لكونه ظالماً يسلط أعوانه على الظلم -
تعذر لحوق الغوث مع ذلك عادة . فيثبت لهم - على قوله - أحكام المحاربين
والله أعلم .

ونقلت من بعض تعاليق الإمام أبى العباس أحمد بن تيمية رحمه الله . مما
نقله من الفنون لابن عقيل : حادثة رجل حلف على زوجته بالطلاق الثلاث :
لا فعلت كذا ، فمضى على ذلك مدة ، ثم قالت : قد كنتُ فعلته . هل تصدق
مع تكذيب الزوج لها ؟ أجاب الشريف الإمام أبو جعفر بن أبى موسى : تُصدَّق
ولا ينفعه تكذيبه . وأجاب الشيخ الإمام أبو محمد : لا تصدق عليه ، والنكاح
بحاله .

قلتُ : أبو محمد : أظنه التيمى .

ومن الفنون أيضاً : مسألة ، إذا وجد على ثوبه ماء واشتبه عليه : أمذئ
أم منى ؟ إن قلتُم : يجب حمله على أقل الأحوال ، من كونه مذيّاً ، لأن الأصل
سقوط غسل البدن : أو جبتُم غسل الثوب . لأن المذى نجس ، والأصل سقوط
غسل الثوب متقابلاً . فقال الشريف أبو جعفر بن أبى موسى رضى الله عنه :
لا يجب غسل الثوب ولا البدن جميعاً ، لتردد الأمر فيهما . وأوجب غسل أربعة
الأعضاء . لأن الخارج - أى خارج كان - يوجب غسل الأعضاء .

وقد ذكر هذه المسألة ابن تميم في كتابه ، من الفنون ، وعزاها إلى ابن أبي موسى ،
فربما توهم السامع أنه ابن أبي موسى صاحب الإرشاد ، وليس كذلك .
وهذه المسألة تشبه مسألة الرجلين إذا وجدا على فراشهما منياً ولم يعلما مَنْ
خرج منه ، أو سَمعا صوتاً ولم يعلما صاحبه . وفي وجوب الغسل والوضوء عليهما
روايتان ؛ لكن أرجحهما لا يجب . وعلى القول بانتفاء الوجوب ، فقالوا : لا يَأْتَمُّ
أحدهما بصاحبه ، ولا يُصَافُّ وحده ، لأنه يظهر حكم الحدث المتيقن باجتماعهما ،
ويعلم أن صلاة أحدهما باطلة . فتبطل الجماعة والمصافَّة .

ونظير هذا : ما قلنا في المختلفين في جهة القبلة : إنه لا يَأْتَمُّ أحدهما بصاحبه
فإنه يتيقن باجتماعهما في الصلاة خطأ أحدهما في القبلة ، فتبطل جماعتهما .
وكذلك ما ذكره أكثر الأصحاب : في رجلين علق كل منهما عتق عبده
على شرط ، ووُجد أحد الشرطين يقيناً ، ولا يعلم عينه أنه لا يحكم بعتق عبد
واحدٍ منهما ، ويستصحب أصل ملكه . فإن اشترى أحدهما عبد الآخر : أخرج
المعتق منهما بالقرعة على الصحيح أيضاً .

فكذلك يقال ههنا : يستصحب أصل طهارة الثوب والبدن من النجاسة
والجنابة ، ولكن ليس له أن يصلى بحاله في الثوب ؛ كأننا نتيقن بذلك حصول
المفسد لصلاحيته ، وهو إما الجنابة وإما النجاسة .

ومن غرائب الشريف : ما نقله عنه ابن تميم في كتابه : أن المتوضىء إذا نوى
غسل النجاسة مع الحدث : لم يجزه ، وأن طهارة المستحاضة لا ترفع الحدث .
وذكر الشريف في رءوس مسائله : أنَّ القدر الجزِيء مسحه من الخفين :
ثلاثة أصابع ، وأن أحمد رجع إلى ذلك في مسح الخف ومسح الرأس . قال :
وكان شيخنا ينصر أولاً مسح الأكثر ، ثم رأيته ماثلاً إلى هذا . وهذا غريب جداً .

١٢ - عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم

ابن الوليد بن منده بن بطّة بن أسْتَنْدَار - واسمه الفيرزان - بن جهّاز بخت ،

العبدى الأصبهاني الإمام الحافظ ، أبو القاسم ابن الحافظ الكبير أبي عبد الله بن منده . ومنده لقب إبراهيم جده الأعلى .

ذكره أبو الحسين ، وابن الجوزي في طبقات الأصحاب في آخر المناقب . وترجمه ابن الجوزي في تاريخه ، فقال : وُلد سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . وسمع أباه وأبا بكر بن مردويه ، وخلقا كثيرا . وكان كثير السماع ، كبير الشأن ، سافر في البلاد ، وصنف التصانيف ، وخرّج التخاريج . وكان ذا وقار وسمت ، وأتباع فيهم كثرة . وكان متمسكا بالسنة ، مُعرضاً عن أهل البدع ، أمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم .

وكان سعد بن محمد الزنجاني يقول : حفظ الله الإسلام برجلين ، أحدهما بأصبهان ، والآخر بهرّاة : عبد الرحمن بن منده ، وعبد الله الأنصاري .

وقال ابن السمعاني : كان كبير الشأن ، جليل القدر ، كثير السماع ، واسع الرواية . سافر إلى الحجاز وبغداد وهمدان ، وخراسان ، وصنف التصانيف .

وقال القاضي أبو الحسين : لم يكن في عصره وبلده مثله في ورعه وزهده وصيانتة ، وحاله أظهر من ذلك . وكانت بينه وبين الوالد سعيد مكاتبات .

وقال غيره : سمع أبو القاسم من أبيه ، وإبراهيم بن خرشيد قوله ، وإبراهيم ابن محمد الجلاب ، وأبي جعفر بن المرزبان ، وأبي ذر بن الطبراني ، وخلق بأصبهان ، ومن أبي عمر بن مهدي ، وهلال الحفار ، وغيرها ببغداد . ومن ابن خزيمّة الواسطي بها ، ومن ابن جهضم بمكة ، ومن أبي بكر الحيري ، وأبي سعيد الصيرفي بنيسابور ، ولكنه لم يرو عن الحيري كما فعل الأنصاري ، وأجازله زاهر السرخسي ، وتفرد بذلك ، ومحمد بن عبد الله الجوزقي ، وعبد الرحمن ابن أبي شريح .

وقال أبو عبد الله الدقاق الحافظ : فضائل ابن منده ومناقبه أكثر من أن تعد - إلى أن قال : ومن أنا لنشر فضله ؟ كان صاحب خلق وفتوة ، وسخاء

وبهاء ، والإجازة كانت عنده قوية ، وله تصانيف كثيرة ، ورُدُّودٌ جَمَّةٌ على
المبتدعين والمنحرفين في الصفات وغيرها .

قال : وكان جذعاً في أعين المخالفين ، لا يخاف في الله لومة لائم - إلى أن

قال : ووصفه أكثر من أن يُحصى .

وقال يحيى بن منده : كان عمى سيفاً على أهل البدع ، وهو أكبر من أن

يثنى عليه مثلى ، كان والله أمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، وفي الغدو والآصال

ذاكراً ، ولنفسه في المصالح قاهراً ، أعقب الله من ذكره بالشر الندامة . وكان

عظيم الحلم كثير العلم ، قرأت عليه قول شعبة « من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد »

فقال « من كتب عني حديثاً فأنا له عبد »

قلتُ : قد ذكر عن شيخ الإسلام الأنصارى أنه قال : كانت مضرتَه في

الإسلام أكثر من منفعتَه . وعن إسماعيل التيمي أنه قال : خالف أباه في مسائل ،

وأعرض عنه مشايخ الوقت ، وما تركني أبي أسمع منه . وكان أخوه خيراً منه .

وهذا ليس بقادحٍ - إن صح - فإن الأنصارى والتيمي وأمثالهما يقدرحون

بأذنى شيء ينسكرونه من مواضع النزاع ، كما هجر التيمي عبد الجليل الحافظ

كوباه على قوله « ينزل بالذات » وهو في الحقيقة يُوافقُه على اعتقاده ، لكن

أنكر إطلاق اللفظ لعدم الأثر به .

قال ابن السمعاني : سمعتُ الحسين بن عبد الملك يقول : سمعتُ عبد الرحمن

ابن منده يقول : قد تعجبتُ من حالي مع الأقربين والأبعدين ، فإنني وجدتُ

بالآفاق التي قصدتها أكثر من لقيته بها - موافقاً كان أو مخالفاً - دعاني إلى

مساعدته على ما يقوله ، وتصديق قوله ، والشهادة له في فعله على قبول ورضى .

فإن كنت صدقته : سماني موافقاً ، وإن وقفت في حرفٍ من قوله ، أو في شيء

من فعله : سماني مخالفاً . وإن ذكرتُ في واحدٍ منها أن الكتاب والسنة بخلاف

ذلك : سماني خارجياً . وإن رويتُ حديثاً في التوحيد : سماني مشبهاً . وإن كان

فى الرؤفة : سمانى سالىآ . وأنا متمسك بالكتاب والسنة ، مَتَّبِرِيُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ التَّشْبِيهِ ، وَالْمَثَلِ وَالضَّدَّ وَالنَّدَّ ، وَالْجِسْمِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْآلَاتِ ، وَمِنْ كُلِّ مَا يَنْسَبُ إِلَىَّ وَيُدَّعَى عَلَىَّ ، مِنْ أَنْ أَقُولَ فِى اللَّهِ تَعَالَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ قُلْتُهُ ، أَوْ أَرَاهُ ، أَوْ أَتَوْهُمُ ، أَوْ أَتَخَذُهُ ، أَوْ أَتَحَلَّهُ .

قال ابن السمعانى : وسمعتُ الحسن بن محمد بن الرضى العلوى يقول : سمعتُ خالى أبا طالب بن طباطبا يقول : كنتُ أشتمُ أبدأً عبد الرحمن بن منده ، فرأيتُ عمر رضى الله عنه فى المنام ، ويده فى يد رجل عليه جبة زرقاء ، وفى عينيه نكتة ، فسأمتُ عليه ، فلم يردَّ على ، وقال لى : لم تشتم هذا إذا سمعت اسمه ؟ فقيل لى : هذا أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وهذا عبد الرحمن بن منده . فانتبهتُ ، فأتيتُ أصبهان ، وقصدتُ الشيخ عبد الرحمن ، فلما دخلتُ عليه صادفته على النعت الذى رأيتُ فى المنام ، وعليه جبة زرقاء . فلما سأمتُ عليه قال : وعليك السلام يا أبا طالب ، وقبلها ما رآنى ولا رأيتُهُ ، فقال قبل أن أنطق : شىء حرمه الله وزسوله يجوز لنا أن نُحِلَّهُ ؟ فقلت : اجعلنى فى حلٍّ ، وناشدته الله وَقَبَّلْتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ . فقال : جعلتك فى حلٍّ مما يرجع إلى .

حدَّث عن الحافظ أبى القاسم خلق كثير من الحفاظ ، والأئمة ، وغيرهم ، مثل : ابن أخيه يحيى بن عبد الوهاب ، وأبى نصر الغازى ، وأبى سعد البغدادى ، والحسين الخلال ، وأبى عبد الله الدقاق ، وأبى بكر الباغيان ، وروى عنه بالإجازة مسعود الثقفى .

وله تصانيف كثيرة ، منها : كتاب « حُرْمَةُ الدِّينِ » وكتاب « الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ » بين فيه بطلان ما روى عن الإمام أحمد فى تفسير حديث « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » بكلام حسن . وله كتاب « صِيَامُ يَوْمِ الشُّكِّ » .
و بأصبهان طائفة من أهل البدع ينتسبون إلى ابن منده هذا ، وينسبون إليه أقوالاً فى الأصول والفروع ، هو منها برىء .

منها : أن التيمم بالتراب يجوز مع القدرة على الماء .
ومنها : أن صلاة التروايح بدعة ، وقد ردّ عليهم علماء أصبهان من أهل الفقه
والحديث ، وبيّنوا أن ابن منده برىء مما نسبوه إليه من ذلك .
توفى في شوال سنة سبعين وأربعمائة بأصبهان ، وشيّعته خلق كثيرٌ
لا يحصيهم إلاّ الله تعالى .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم بمصر ، أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف
ابن عبد المنعم الحراني ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ أخبرنا أبو سعد
أحمد بن محمد البغدادي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ،
أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان حدثنا محمد بن إبراهيم الحراني ، حدثنا
محمد بن سليمان لوّين ، حدثنا عبد الحميد بن سليمان عن محمد بن عجلان عن سعيد
ابن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من امرئ
يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلاّ طيباً - حتى ولو بتمرة ،
إلاّ أخذها الله بيمينه ، ثم ربّأها له كما يُربّي أحدكم فلؤّه أو فصيله ، حتى يوافيه
يوم القيامة مثل الجبل العظيم » .

قرأت بخط الإمام أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله : أن أبا القاسم بن
منده كان من الأصحاب ، وكان يذهب إلى الجهر بالبسملة في الصلاة .

وذكر أيضاً في مسائله الماردانيات : أن طائفة من الأصحاب لم يذهبوا إلى
صيام يوم النعيم ، منهم أبو القاسم بن منده .

وذكر أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده قال : قال عمي الإمام - يعني
أبا القاسم رحمه الله - علامة الرضا : إجابة الله تبارك وتعالى من حيث دعا بالكتاب
والسنة . وعلامة الورع : الخروج من الشبهات بالأخبار والآيات . وعلامة القناعة
النكوت على الكتاب والسنة في الوقوف عند الشبهة . وعلامة الإخلاص :

زيادة السرّ على الإعلان في إيثار قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم على الأقاويل كلها بالإيمان والاحتساب . وعلامة الصبر : حبس النفس في استحكام الدرس بالكتاب والسنة . وعلامة التسليم : الثقة بالله الحكيم في قوله ، والسكون إلى الله العليم بقول رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأشياء .

وقال أبو القاسم بن منده في كتاب « الرد على الجهمية » : التأويل عند أصحاب الحديث : نوع من التكذيب .

١٣ - أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب الرزاز ، المقرئ الزاهد ، أبو بكر

المعروف بابن حمدوه . ذكره ابن الجوزي في الطبقات والتاريخ .

وُلد يوم الأربعاء لثماني عشرة خلت من صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة . وحدث عن خلق كثير . منهم : أبو الحسين بن بشران ، وابن القواس ، وهو آخر من حدث عن أبي الحسين بن سمعون . وتفقه على القاضي أبي يعلى ، وكان ثقة ، زاهداً ، متعبداً ، حسن الطريقة .

وقال القاضي أبو الحسين : تفقه على الوالد مع الشريف أبي جعفر ، وكان يصطحبان إلى المجلس . وكان كثير القراءة للقرآن والإقراء له ، ختم خلقاً كثيراً . وحدث عنه الخطيب في تاريخه . وقال : وكان صدوقاً . وأبو الحسن بن مرزوق في مشيخته ، وأبو القاسم بن السمرقندي ، والقاضي أبو الحسين في طبقات الأصحاب ، وغيرهم .

توفي ليلة السبت رابع عشرين ذي الحجة سنة سبعين وأربعمائة . ودفن من الغد بياب حرب .

قال السلفي : سألت أبا علي البرداني عن ابن حمدويه صاحب ابن سمعون فقال : هو بضم الحاء وتشديد الميم وضمه أيضاً ، يعني وبالياء .

ذكره ابن نقطة . قال : وغيره يقول بخلاف قوله . منهم من يقول : حمدوه بضم الحاء ، وتشديد الميم وفتحها ، بغير ياء بعد الواو .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم - بمصر - أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني ، أخبرنا عبد الوهاب بن علي الأمين ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حمدويه الرزاز ، حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون ، حدثنا أحمد بن سليمان بن ريان ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين الأوزاعي ، حدثنا الزهري ، حدثني سالم عن ابن عمر أنه حدثه « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصدق على رجل بفرس له ، ثم وجدها تباع في السوق ، فأراد عمر أن يشتريها ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترد في صدقتك »

قال الزهري : فكان ابن عمر يصنع في صدقته إن ردّها عليه الميراث يوماً لا يجبسها عنده .

١٤ - الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي ، الإمام ، أبو علي

المقري ، المحدث الفقيه الواعظ ، صاحب التصانيف .

ولد سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

وقرأ القراءات السبع على أبي الحسن الحمصي وغيره . وسمع الحديث من هلال الحفار ، وأبي محمد السكري ، وأبي الحسن بن رزقويه ، وأبي الفتح بن أبي الفوارس ، وابن رزقويه ، وأبي الحسين بن بشران ، وأخيه أبي القاسم ، وأبي علي بن شهاب ، وأبي الفضل التميمي ، وخلق كثير .

وتفقه أولاً على أبي طاهر بن الغباري ، ثم على القاضي أبي يعلى ، وهو من قدماء أصحابه . وحضر عند أبي علي بن أبي موسى وناظر في مجلسه . وتفقه أيضاً على أبي الفضل التميمي ، وأخيه أبي الفرج .

وقرأ عليه القرآن جماعة ، مثل أبي عبدالله البارعي ، وأبي العز القلانسي ، وأبي

بكر المزري .

وسمع منه الحديث خلق كثير . وقرأ عليه الحافظ الحميدى كثيراً .
حدث عنه ولداه أبو غالب أحمد ويحيى ، وأبو الحسين بن الفراء ، وأبو بكر
ابن عبد الباقي ، وابن الحصين ، وأبو القاسم بن السمرقندى وغيرهم .
ودرس الفقه كثيراً وأفتى زماناً طويلاً .

قال القاضى أبو الحسين : تفقه على الوالد ، وعلق عنه المذهب والخلاف ،
ودرس بدار الخلافة فى حياة الوالد وبعد وفاته . وصنف كتباً فى الفقه والحديث
والفرائض ، وأصول الدين ، وفى علوم مختلفات . وكان متفناً فى العلوم . وكان
أديباً شديداً على أهل الأهواء .

وقال ابن عقيل : هو شيخ إمام فى علوم شتى : فى الحديث ، والقراءات ،
والعربية ، وطبقة فى الأدب والشعر والرسائل ، حسن الهيئة ، حسن العبادة . كان
يؤدب بنى جرادة .

وقال ابن شافع : كان له حلقتان ، إحداهما : بجامع المنصور ، وسط الرواق .
والأخرى : بجامع القصر ، حيال المقصورة ، للفتوى والوعظ وقراءة الحديث . وكان
يفتى الفتوى الواسعة ، ويفيد المسلمين بالأحاديث والمجموعات وما يقرئه من السنن .
وكان نقى الذهن ، جيد القريحة ، تدل مجموعاته على تحصيله لفنون من العلوم ،
وقد صنف قديماً فى زمن شيخه الإمام أبى يعلى فى المعتقدات وغيرها ، وكتب له
خطه عليها بالإصابة والاستحسان .

ولقد رأيت له فى مجموعاته من المعتقدات ما يوافق بين المذهبين : الشافعى ،
وأحمد . ويقصد به تأليف القلوب ، واجتماع الكلمة ، مما قد استقر له وجود
فى استنباطه ، مما أرجو له به عند الله الزلفى فى العقبى . فلقد كان من شيوخ
الإسلام النصحاء ، الفقهاء الألباء . ويبعد غالباً أن يجتمع فى شخص من التفنن
فى العلوم ما اجتمع فيه .

وقد جمع من المصنفات فى فنون العلم فقها وحديثاً ، وفى علم القراءات والسير ،

والتواريخ والسنن ، والشروح للفقهاء ، والكتب النحوية إلى غير ذلك مجموعاً حسنة ، تزيد على ثلاثمائة مجموع . كذا قرأته محققاً بخط بعض العلماء .
وقال ابن الجوزي : ذكر عنه أنه قال : صنفتُ خمسمائة مصنف .
وقال أبو نصر بن المُجَلِّي ، مما ذكره ابن شافع عنه : له مجموعات ومؤلفات في المذهب ، وفيما سواه من المذاهب ، وفي الحديث وغيره . وتراجم كتبه مسجوعة على طريقة أبي الحسين بن المنادي .
قال : وكتبت الحديث عن نحو من ثلاثمائة شيخ لم أر فيهم من كتب بخطه أكثر من ابن البناء .

قال : وقال لي هو رحمه الله : ما رأيت بعيني من كتب أكثر مني .
قال : وكان طاهر الأخلاق ، حسن الوجه والشيبة ، محباً لأهل العلم مكرماً لهم .
توفي رحمه الله ليلة السبت خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .
وصلى عليه في الجامعين : جامع القصر ، وجامع المنصور . وكان الجمع فيهما متوفراً جداً . أمّ الناس في الصلاة عليه : أبو محمد التيمي ، وتبعه خلق كثير ، وعالم عظيم .
ودفن بباب حرب .

وقد غمزه ابن السمعاني ، فقال : سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول : كان واحد من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري . وكان قد سمع الكثير . وكان ابن البناء يكشط من التسميع بوزي ، ويؤمّد السنين ، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد الله البناء ، كذا قيل إنه يفعل هذا .

قال أبو الفرج بن الجوزي : وهذا القول بعيد الصحة ؛ لثلاثة أوجه . أحدها : أنه قال « كذا قيل » ولم يحك عن علمه بذلك . فلا يثبت هذا . والثاني : أن الرجل مكثر ، لا يحتاج إلى استزادة لما يسمع . والثالث : أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبي علي بن البناء . فأين ذكر هذا الرجل ، الذي يقال له : الحسن بن أحمد ابن عبد الله النيسابوري ؟ ومن ذكره ؟ ومن يعرفه ؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لا يخفى ، فمن هذا الرجل ؟ فنعوذ بالله من القدر بغير حجة . اهـ .

وذكر السلفى عن شجاع الذهلى ، والمؤتمن الساجى : أنهما غمزاها أيضاً . ولم يفسرا . وفسره السلفى بأنه كان يتصرف فى أصوله بالتغيير والحك .

وذكر ابن النجار : أن تصانيفه تدل على قلة علمه ، وسوء تصرفه ، وقلة معرفته بالنحو واللغة . كذا قال . وابن النجار أجنبى من هذه العلوم فما باله يتكلم فيها ؟ وقد وقع لنا الكثير من حديثه عالياً .

فمن ذلك : ما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم - بفسطاط مصر - قال : أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى ، أخبرنا أبو المعالى أحمد بن محمد بن الحسين المدارى ، أخبرنا أبو على الحسين بن أحمد بن البناء ، أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو على بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد القرشى حدثنى الوليد ابن سفيان ، حدثنا ابن أبى عدي عن شعبة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر » .

ذكر ما وقفت عليه من أسماء مصنفات ابن البناء :

شرح الخرقى فى الفقه ، الكامل فى الفقه ، الكافى المحدد فى شرح المجرى .
الخصال والأقسام ، نزهة الطالب فى تجريد المذاهب ، آداب العالم والمتعلم ، شرح كتاب الكرماني فى التعبير ، شرح قصيدة ابن أبى داود فى السنة ، المنامات المرئية للإمام أحمد : جزء ، أخبار الأولياء ، والعباد بمكة : جزء ، صفة العباد فى التهجد والأوراد : جزء ، المعاملات والصبر على المنازلات : أجزاء كثيرة . الرسالة فى السكوت ولزوم البيوت : جزء ، سلوة الحزين عند شدة الأنين : جزء ، طبقات الفقهاء ، أصحاب الأئمة الخمسة ، التاريخ ، مشيخة شيوخه ، فضائل شعبان ، كتاب اللباس ، مناقب الإمام أحمد ، أخبار القاضى أبى يعلى : جزء ، شرف أصحاب الحديث ، ثناء أحمد على الشافعى ، وثناء الشافعى على أحمد ، وفضائل الشافعى ،

كتاب الزكاة وعقاب من فرط فيها : جزء ، المفصول في كتاب الله : جزء ، شرح الإيضاح في النحو الفارسي ، مختصر غريب الحديث لأبي عبيد ، مرتب على حروف المعجم .

ومن فوائده ابن البناء القرطبي : أنه حكى في شرح الخرق عن بعض الأصحاب أنه يعنى عن يسير يغير رائحة الماء بالنجاسة ، كقول الخرق في التغير بالطاهرات . وذكر في شرح المجرى : أن من أخر الصلاة عمداً في السفر وقضاها في الحضر له القصر كالناسي .

قال : ولم يفرق الأصحاب بينهما . وإنما يختلفان في المأثم وعدمه . وهذا النقل غريب جداً .

وقد ذكر نحوه القاضى أبو يعلى الصغير في شرح المذهب ، ولا يعرف في هذه المسألة كلام صريح للأصحاب ، إلا أن بعض الأئمة المتأخرين ذكر : أنه لا يجوز القصر للعامد ، واستشهد على ذلك بكلام جماعة من الأصحاب في مسائل ، وليس له فيما ذكره حجة . والله تعالى أعلم .

وذكر في هذا الكتاب : أن حكم اقتداء بعض المسبوقين ببعض فيما يقضونه من صلاتهم : لا فرق فيه بين الجمعة وغيرها . وأن الخلاف جارٍ في الجميع . وهذا خلاف ما ذكره القاضى وأصحابه موافقة للشافعية : أن الجمعة لا يجوز ذلك فيها وجهاً واحداً ؛ لأنها لا تقام في موضع واحد في جماعتين .

قال ابن البناء : وفي هذا عندنا نظر ؛ لأنه يجوز إقامتها مرتين ، يعنى للحاجة . وما أنشده السلفى عن ابن أبي الحسين الطيورى : أن ابن البناء أنشده لنفسه على البديهة :

إذا غُيِّبَتْ أشباحنا كان بيننا رسائل صدقٍ في الضمير ترسلُ
وأرواحنا في كل شرق ومغرب تلاقى بإخلاص الوداد تواصل
وتمَّ أمورٌ لو تحققت بعضها لكنت لنا بالعذر فيها تُقابل

وكم غائب والقلب منه مسلم وكم زائر في القلب منه بلا بل
فلا تجز عن يوماً إذا غاب صاحب أمين ، فما غاب الصديق الجمال

١٥ - صمزة بن الكيال البغدادى ، أبو يعلى الفقيه الزاهد .

ذكره أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه وعلق عنه ، وسمع منه .

وقال في ترجمته : كان رجلاً صالحاً ، تردد إلى الوالد زماناً مواصلاً ، وسمع منه

علماً واسعاً ، وكان عبداً صالحاً . وقيل : إنه كان يحفظ الاسم الأعظم .

وقال ابن خيرون : كان صالحاً زاهداً ، ملازماً لبيته ومسجده ، معتزلاً

الخصومات والمرء .

وقال ابن شافع في تاريخه : كان رجلاً صالحاً ، ملازماً لبيته ومسجده ،

حافظاً للسانه ، معتزلاً عن الفتن .

توفي يوم الأربعاء سابع عشر من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

ودفن بمقبرة باب الدير .

١٦ - أبو بكر بن عمر الطحان

قال أبو الحسين : حضر درس الوالد ، وعلق عنه . ومات في شهر ربيع الأول

سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

١٧ - عبد الباقي بن جعفر بن شهلي ، الفقيه الحنبلي ، أبو البركات .

قال ابن السمعاني : أحد المقلّين . حدّث بشيء يسير عن أبي إسحاق البرمكي ،

وروى عنه هبة الله السقّطى في معجمه . وذكر القاضي أبو الحسين ، في أسماء من

تفقه على أبيه وعلق وسمع الحديث : أبا البركات بن شهلي ، وهو هذا . رأيت ذلك

في طبقة سماعه .

قال القاضي أبو يعلى : وهو ابن شهلي بالياء .

١٨ - علي بن محمد بن الفرّج بن إبراهيم البزاز ، المعروف بابن أخي نصر

العكبرى . ذكره ابن الجوزى فى الطبقات ، وقال : سمع من أبى على بن شاذان والحسن بن شهاب العكبرى . وكان له تقدم فى القرآن والحديث ، والفقه والقرائن ، وجمع إلى ذلك النسك والورع .

وذكر ابن السمعانى نحو ذلك ، وقال : كان فقيه الحنابلة بعكبرا ، والمفتى بها . وكان خيراً ، ورعاً متزهداً ، ناسكاً كثير العبادة . وكان له ذكر شائع فى الخير ، ومحل رفيع عند أهل بلده .

وتوفى فى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

وذكر ابن شافع وغيره : أنه حدث بشيء يسير ، وأن وفاته كانت يوم الإثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة بعكبرا .

روى عنه إسماعيل بن السمرقندى ، وأخوه عبد الله وغيرهما . وسمع منه مكى الرَّمبلى وجماعة . ومما أنشده لنفسه :

اعجبَ لمحتكر الدنيا وبانيها وعن قليل على كرهٍ يُخلِّبها
دارٌ عواقب مفروحاتها حزنٌ إذا أعارت أساءت فى تقاضياها
يا من يسرُّ بأيامٍ تسيرُ بهِ إلى الفناء وأيامٍ يُقَضِّبها
قف فى منازل أهل العز معتبراً وانظرْ إلى أى شىء صار أهلها
صاروا إلى جدث قفرٍ ، محاسنهم على الثرى ودوىِّ الدودِ يعلوها

١٩ - ظاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن القواس البغدادى ، الفقيه

الزاهدُ الورعُ ، أبو الوفاء .

وُلِدَ سنة تسعين وثلاثمائة . وقرأ القرآن على أبى الحسن الحمادى ، وسمع الحديث من هلال الحفار ، وأبى الحسين بن بشران ، وأبى نصر بن الزينبى ، وأبى الحسين ابن الفضل القطان ، وأبى سهل العكبرى وغيرهم .

وتفقه أولاً على القاضى أبى الطيب الطبرى الشافعى ، ثم تركه وتفقه على

القاضي أبي يعلى، ولازمه حتى برع في الفقه، وأفنى ودرس. وكانت له حلقة بجامع المنصور للفتوى والمناظرة. وكان يلقي المختصرات من تصانيف شيخه القاضي أبي يعلى درساً، ويلقي مسائل الخلاف درساً. وكان إليه المنتهى في العبادة والزهد والورع.

ذكر ابن ناصر: أنه كان زاهد وقته في الطبقة الثانية عشرة.

وذكره ابن السمعاني في تاريخه، فقال: من أعيان فقهاء الخنابلة وزهادهم. كان قد أجهد نفسه في الطاعة والعبادة، واعتكف في بيت الله خمسين سنة، وكان يواصل الطاعة ليله بنهاره، وكان قارئاً للقرآن، فقيهاً ورعاً، خشن العيش انتهى كلامه.

وكانت له كرامات ظاهرة.

ذكر ابن شافع في ترجمة صاحبه أبي الفضل بن العالمة الإسكافي المقرئ: أنه كان يحكى من كرامات الشيخ أبي الوفاء أشياء عجيبة.

منها: أنه قال: كنت أحمل معي رغيفين كل يوم، فأعبر— يعني في السفينة— برغيف، وأمشى إلى مسجد الشيخ فأقرأ، ثم أعود ماشياً إلى ذلك الموضع، فأنزل بالرغيف الآخر. فلما كان يوم من الأيام، أعطيتُ الملاح الرغيف، فرمى به واستقله، فألقيتُ إليه الرغيف الآخر، وتشوش قلبي لما جرى، وجئتُ الشيخ، فقراءتُ عليه عادتى، وقتُ على العادة، فقال لى: — قف— ولم تجر عادته قط بذلك— ثم أخرج من تحت وطائه قرصاً، فقال: اعبرُ بهذا. فلحقني من ذلك أمرٌ بانَ علىَّ، ومضيتُ فعبرتُ به. وكان ابن العالمة— هذا— قد قرأ على الشيخ أبي الوفاء القرآن بالروايات.

وقال أبو الحسين، وابن الجوزي في الطبقات: كانت له حلقة بجامع المنصور يفتى ويمعظ، وكان يدرس الفقه، ويقرىء القرآن. وكان زاهداً أماراً بالمعروف، نهياً عن المنكر، أقام في مسجده محواً من خمسين سنة، وأجهد نفسه في العبادة وخشونة العيش.

قال ابن السمعاني : سمعتُ عبد الوهاب بن المبارك الحافظ يقول : سألتُ واحدًا أبا الوفاء بن القواس عن مسألة في حلقة بجامع المنصور ، وكان الشيخ ممن قد رأى السائل في الحمام بلا منزر ، مكشوف العورة ، فقال له : لا أجيبك عن مسألتك حتى تقوم ههنا في وسط الحلقة ، وتحلع قميصك وسراويلك ، وتقف عريانا ، فقال السائل : ياسيدنا ، أنا أستحي ، وهذا مما لا يمكن ، فقال له : يافلان ، فهؤلاء الحضور ، أو جماعة منهم الذين كانوا في الحمام ، ودخلت مكشفا بلا منزر ، إيش الفرق بين جامع المنصور والحمام ؟ فاستحي الرجل من ذلك . ثم ذكر فصلاً طويلاً في النهي عن كشف العورة ، وأجاب عن سؤاله .

وقال ابن عقيل : كان حسن الفتوى ، متوسطاً في المناظرة في مسائل الخلاف إماماً في الإقراء ، زاهداً شجاعاً مقداماً ، ملازماً لمسجده ، يهابه المخالفون ، حتى إنه لما توفي ابن الزوزني ، وحضره أصحاب الشافعي - على طبقاتهم وجموعهم - في فورة أيام القشيري وقوتهم بنظام الملك حضر ، فلما بلغ الأمر إلى تلقين الحفار قال له : تنح حتى ألقنه أنا ، فهذا كان على مذهبنا ، ثم قال : يا عبد الله وابن أمته ، إذا نزل عليك ملكان فظان غليظان ، فلا تجزع ولا ترع ، فإذا سألاك فقل : رضيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، لا أشعري ولا معتزلي ، بل حنبلي سني . فلم يتجاسر أحد أن يتكلم بكلمة ، ولو تكلم أحد لفضخ رأسه أهل باب البصرة ، فإنهم كانوا حوله قد لقن أولادهم القرآن والفقهِ ، وكان في شوكة ومنعة ، غير معتمد عليهم ، لأنه أمة في نفسه .

حدثت عن الشيخ أبي الوفاء جماعة ، منهم : عبد الوهاب الأنماطي ، وأبو القاسم ابن السمرقندي ، وعلي بن طراد الزيني ، والقاضي أبو بكر الأنصاري ، وغيرهم . وتوفي يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة . ودفن إلى جانب الشريف أبي جعفر بدكة الإمام أحمد رضي الله عنه ، ليس بينه وبينه غير قبر الشريف رحمه الله تعالى .

قرىء على أبى عبد الله محمد بن إسماعيل الأيوبى - بالقاهرة وأنا أسمع - :
أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو على بن أبى القاسم
ابن الحرىف ، أخبرنا القاضى أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو الوفاء
ابن القواس ، أخبرنا أبو سهل العكبى ، حدثنا إبراهيم بن أحمد الخرقى ، حدثنا
أحمد بن عبد الله بن سابور ، حدثنا إسحاق بن إسرائيل ، حدثنا الفضل بن حرب
الجبلى ، حدثنا عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لكل شىء حلية ، وإنَّ حليَّة القرآن : الصوتُ الحسن » .
ذكر أبو الحسن بن البناء فى كتاب « أدب العالم والمتعلم » : أنه حدث فى زمانه
مسألة ، وهى : هل يجوز أن يقرأ على المحدث الثقة كتاب ، ذكر أنه سماعه ، وليس
هناك خط يشهد به من شيخ ولا غيره ؟ وأن فقهاء عصرهم اتفقوا على جواز ذلك
وكتبوا به خطوطهم ، وذكر خلقاً ممن أفتى بذلك . أولهم : أبو محمد التميمى من
أصحابنا . وقال : الخط عادة محدثة ، استظهرها المحدثون من غير إيجاب لها .
وكتب أبو إسحاق الشيرازى تحت خطه : جوابى مثله .

قال ابن البناء : وكتبتُ أنا : المحدث الثقة : القول قوله فى ذلك ، ولورأوا
سماعه فى كتاب ، حتى يقول المحدث : « ماسمته » لم يجوز أن يقرأ عليه والسلف
رضى الله عنهم ، على هذا كانوا يحدثون بالأحاديث ، وأكثرهم يذكرها من
حفظه ، ويسمعونها منهم ، وإن لم يظروا خط من حدثهم به .
قال : وبلغنى أن الشريف الأجل أبا جعفر بن أبى موسى كذلك أفتى .
وذكر أجوبة كثيرة ، منها : جواب ابن القواس . ولفظه : الظاهر العدالة ،
يقنع بمجرد قوله ، ولا يطالب بخط من أسند عنه من شيوخه ، وكتبه ابن
القواس الحنبلى .

وذكر مثل ذلك عن قاضى القضاة أبى عبد الله بن الدامغانى ، وأبى نصر
ابن الصباغ ، وأبى بكر الشامى وغيرهم .

وذكر أن مثل هذه المسألة وقع مرتين فيما تقدم ، وأن الفقهاء والمحدثين اتفقوا على السماع بذلك ، منهم : الحافظ أبو عبد الله الصوري قال : وامتنع من السماع بذلك نفر ، لا يعتد بخلافهم . قال : ولا أعلم أحداً يخالف في هذه المسألة من فقهاء العصر والمتقدمين قبلهم ، من أئمة أصحاب الحديث : المتقدمين العلماء ، والمتأخرين للبلغاء .

قلتُ : وقد وقع في المائة السابعة مثل هذه المسألة في صحيح مسلم لما قالُ القاسم الإربلي : سمعته من المؤيد الطوسي ، فقُبِل ذلك منه . وسمِع عليه الكتاب غير مرة ، وسمعه منه الحفاظ والفقهاء . وأفتى بالسماع عليه جماعة ، منهم : قاضي القضاة شمس الدين بن أبي عمر المقدسي .

٢٠ - عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن جلبة ، البغدادي ثم الحراني

الجزار ، أبو الفتح قاضي حرّان .

اشتغل ببغداد ، وتفقه بها على القاضي أبي يعلى ، وسمع الحديث من البرقاني ، وأبي طالب العشاري ، وأبي علي بن شاذان ، وأبي علي بن شهاب العكبري ، والقاضي أبي يعلى ، وغيرهم . ثم استوطن حران ، وصحب بها الشريف أبا القاسم الزيدي ، وأخذ عنه ، وتولى بها القضاء .

قال ابن السمعاني : بغدادى سكن حران ، وولي بها القضاء ، وعمل المظالم ، وكان فقيهاً واعظاً فصيحاً .

وذكره أبو الحسين فى الطبقات ، ونسبه إلى حران .

ورأيت بخط نفسه فى نسبه « الحراني » .

قال أبو الحسين : وقدم بغداد من نجر حران قاصداً لمجلس الوالد ، وطالباً لدرس الفقه عليه ، فتفقه عليه ، وكتب كثيراً من مصنفاته . وكان يلى قضاء حرّان من

من قبل الوالد ، كتب له عهداً بولاية القضاء بحران ، وكان ناشراً للذهب ، داعياً إليه . وكان مفتي حران ، وواعظها وخطيبها ومُدَرِّسها .

قلتُ : وله تصانيف كثيرة ، قال أبو عبد الله بن حمدان : اختصر المجرد ، وله : « رءوس مسائل » و « أصول فقه » و « أصول دين » . وله أيضاً - مما لم يذكره ابن حمدان - : « كتاب النظام بخصال الأقسام » .

وسمع منه الحديث جماعة ، منهم : هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي ، ومكي الرَّمَيْلي ، وغيرها . وفي زمانه كانت حران لمسلم بن قریش صاحب الموصلي ، وكان رافضياً ، فعزم القاضي أبو الفتح على تسليم حران إلى « جبقي » أمير التركان لكونه سنياً ، فأسرع ابن قریش إلى حران وحصرها ، ورمأها بالمنجنيق ، وهدم سورها وأخذها ، ثم قتل القاضي أبا الفتح وولديه ، وجماعة من أصحابه ، وصلبهم على السور سنة ست وسبعين وأربعمائة . وقبورهم ظاهرة بحران تُزار رحمة الله عليهم .

أنبأتني زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسي عن عبد الرحمن بن مكى الحاسب ، أخبرنا جدي أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي قال : أخبرنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن حامد الأسدي الحراني - بما كسبنا ، وكان قد ولي قضاءها - قال : كتب إلى أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري من بغداد . وحدثنا عنه أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد بن جلبة القاضي - بحران إملاء - حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الدقاق ، حدثنا الحسين بن صفوان البرذعي حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ، حدثنا محمد بن بشير ، حدثنا عبد الرحمن بن جرير حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتقى الله تعالى كَلَّ لسانه ولم يشف غيظه »

ذكر أبو العباس أحمد بن تيمية في أول « شرح العمدة » : أن أبا الفتح بن جَلْبَة كان يختار استحباب مسح الأذنين بماء جديد ، بعد مسحهما بماء الرأس . وهو غريب جداً .

وذكر ابن حمدان عنه أنه قال : الحق أن الحروف كلها قديمة ، وتركيبها في غير القرآن محدث ، إن قلنا : اللغة اصطلاح ، وإن قلنا : توقيف ، قديمة .
قال يحيى بن منده في مناقب الإمام : وَجَدْتُ بِحِطِّ الْمُؤْتَمِنِ الْبَغْدَادِيِّ الشَّيْخِ الصَّالِحِ الثَّقَةِ الْمُتَدِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : قَالَ أَبُو يَعْلَى الْخَنْبَلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ : أَخْرَجَ إِلَيَّ أَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ الْخِرَازِيَّ صَاحِبَنَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، قَالَ : وَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو مَنْصُورٍ الْفَقِيهَ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ياطالبَ العلم ، صارمٌ كلَّ بطل	وكل غادٍ إلى الأهواء مَيَّالٍ
واعملْ بعلمك سرّاً أو علانية	ينفعك يوماً على حال من الحال
ولا تميلنَّ - يا هذا - إلى بدع	تضل أصحابها بالقييل والقال
خذ ما أتاك به ماجاء من أثر	شبهاً بشبهٍ وأمثالا بأمثال
ألا فكنْ أثرياً خالصاً فهماً	تعش حميداً ودع آراء ضلال

« جَلْبَةٌ » بفتح الجيم واللام والباء الموحدة - قيده ابن نقطة وغيره .

وقد روى هذه الحكاية ابن النجار من طريق أبي منصور الخياط ، عن القاضي أبي يعلى ، قال : أَخْرَجَ إِلَيَّ أَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ أَحْمَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ قَالَ : وَجَدْتُهَا فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ .

قال : أَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحْمَدَ . وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ .

٢١ - عبد الله بن عطاء بن عبد الله بن أبي منصور بن الحسن بن إبراهيم

الإبراهيمي ، الهروي ، المحدث الحافظ ، أبو محمد .

أحد الحفاظ المشهورين الرحالين ، سمع بهراة من عبد الواحد المليحي وشيخ الإسلام الأنصاري ، وبيوشنج من أبي الحسن الداودي ، وبنيسابور من أبي القاسم القشيري ، وأبي عثمان النيرى وجماعة ، وبيغداد من أبي الحسين ابن النقور

وطبقته ، وبأصبهان من عبد الرحمن وعبد الوهاب ابني منده ، وجماعة
وكتب بخطه الكثير ، وخرج التخاريج للشيخ ، وحدث .
وروى عنه أبو محمد سبط الخياط ، وأبو بكر ابن الزعفراني . وآخر من روى
عنه : أبو المعالي ابن النحاس ، ووثقه طائفة من حفاظ وقته في الحديث ، منهم :
المؤمن الساجي .

وقال شهر دار الديلمي عنه : كان صدوقاً حافظاً ، متقناً واعظاً ، حسن التذكير .
وقال يحيى بن منده : كان أحد من يفهم الحديث ويحفظ ، صحيح النقل ،
كثير الكتابة ، حسن الفهم ، وكان واعظاً حسن التذكير .
وقال خميس الجوزي : رأيت ببيغداد ملتحقاً بأصحابنا ، ومتخصصاً بالحنبلة ،
يُخرج لهم الأحاديث المتعلقة بالصفات ، ويرويها لهم . وأضداده من الأشعرية
يقولون : هو يضعها . وما علمت فيه ذلك . وكان يعرفه . انتهى .
وقد تكلم فيه هبة الله السقطي ، والسقطي مجروح ، لا يقبل قوله فيه مقابلة
هؤلاء الحفاظ . وقد رد كلامه فيه ابن السمعاني وابن الجوزي وغيرها
وخرج الإبراهيمي شيخ الإمام أحمد وتراجمهم .
وتوفي في طريق مكة بعد عوده منها ، على يومين من البصرة ، سنة ست
وسبعين وأربعمائة . رحمه الله تعالى .

٢٢ - أحمد بن علي بن عبد الله المقرئ ، الصوفي المؤدب ، أبو الخطاب

البغدادي .

وُلد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . قرأ على أبي الحسن الحمصي وغيره . تلا
على الحمصي المذكور بالسبع . وقرأ عليه خلق كثير ، منهم : أبو الفضل بن المهدي ،
وهبة الله بن الأجللي ، وغيرها .

وروى عنه الحديث أبو بكر بن عبد الباقي وغيره . وله مصنف في السبعة ،
وقصيدة في السنة ، رواها عنه عبد الوهاب الأماطي وغيره ، وقصيدة في عدد

الآى . وكان من شيوخ الإقراء ببغداد المشهورين بتجويد القراءة وتحسينها .
توفى يوم الثلاثاء سادس عشرين رمضان سنة ست وسبعين وأربعمائة . ودفن
بباب حرب .

أُنْبِثْتُ عَنْ الْقَاضِي أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرِو الْقَدْسِيِّ ، أَنبَأَنَا عَمْرُ
ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَبْرَزْدَ ، أَنبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ الْقُرَيْءِ . قَالَ : أَنبَأَنَا
أَبُو الْخَطَّابِ الصُّوفِيُّ قَالَ : كُنْتُ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَكَانَ عَادَتِي : أَنْ
لَا أَرْجِعَ فِي الْأَذَانِ ، وَلَا أَقْنَتُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ، غَيْرَ أَنْتَى أَجْهَرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ . وَكَانَ عَادَتِي أَيْضًا لَيْلَةَ الْغَيْمِ : أَنْوِي مِنْ رَمَضَانَ كَمَا جَرَتْ عَادَةُ أَصْحَابِ
أَحْمَدَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي : رَأَيْتُ كَأَنَّتِي فِي دَارِ حَسَنَةِ جَمِيلَةٍ ، وَفِيهَا مِنْ
الْعُلَمَاءِ وَالْخُدَمِ وَالْجُنْدِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَهُمْ صَغَارٌ وَكِبَارٌ ، وَالِدُخْلٌ وَالْخُرْجُ ، وَالْأَمْرُ
وَالنَّهْيُ . فإِذَا رَجُلٌ بِهِ شَيْخٌ عَلَى سُرِيرٍ ، وَالنُّورُ عَلَى وَجْهِهِ ظَاهِرٌ ، وَعَلَى رَأْسِهِ
تَاجٌ مِنْ ذَهَبٍ مَرصُوعٌ بِالْجَوْهَرِ ، وَثِيَابٌ خَضْرَاءُ تَلْمَعُ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِي رَجُلٌ مَمْنُوقٌ
يُشْبِهُ الْجُنْدَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا اللَّهِ هَذَا الْمَنْزِلُ لِمَنْ ؟ قَالَ لَنْ ضَرْبٌ بِالسُّوْطِ حَتَّى يَقُولَ :
الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ . قُلْتُ أَنَا فِي الْحَالِ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ؟ قَالَ : هُوَ ذَا . فَقُلْتُ : يَا اللَّهِ
إِنْ فِي نَفْسِي أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ ، أَشْتَهِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا ، وَكَانَ عَلَى سُرِيرٍ ، وَحَوْلَ
السُّرِيرِ خَلْقٌ قِيَامٌ . فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ ، وَسَلَّ عَمَّا تَرِيدُ . فَمَنْعَنِي الْحَيَاءُ مِنَ
الْجُلُوسِ . فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ، عَادَتِي لَا أَرْجِعُ فِي الْأَذَانِ ، وَلَا أَقْنَتُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ ،
غَيْرَ أَنْتَى أَجْهَرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَأَخْشَعُ . فَقَالَ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ عَالٍ : أَصْحَابُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَقِي مِنْكَ وَأَخْشَعُ ، وَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يَجْهَرُوا بِقِرَاءَتِهَا .
فَقُلْتُ : عَادَتِي لَيْلَةَ الْغَيْمِ أَصُومُ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ . فَقَالَ اعْتَقَدَ مَا شِئْتُ
مِنْ أَى مَذْهَبٍ تَدِينُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَا تَكُنْ مَعْمَعِيًّا . وَأَنَا أَرْعَدُ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أُعْلِمْتُ
مَنْ يُصَلِّي وَرَأَى بِمَا رَأَيْتُ ، وَلَمْ أَجْهَرْ بَعْدُ ، وَدَعَانِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ قُلْتُ هَذِهِ
الْقَصِيدَةُ وَهِيَ :

حَقِيقَةُ إِيمَانِي : أَقُولُ لَتَسْمَعُوا لَعْلَى بِهِ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ أَرْجَمُ

تعالى ، بلا مثل ، له الخلق خضع
يرى ما عليه الخلق طرا ، ويسمع

على ألسن تتلو ، وفي الصدر يجمع
كذلك إن أبصرت ، أو كنت تسمع
تدكدك خوفاً كالشظى يتقطع
على الطور تكليماً ، فما زال يخضع

به أقتدى مادمت حياً أمتع
يروح ويغدو في الجنان ويرتع
لبنيان ذى الدنيا وفي العين أوسع
وحور وولدان بهم يتمتع
زرايئها مبنوثة فيه تلع
عليه ثياب مسكها يتضوع
أراه لمن ؟ قل لي ، فإني مروع
بعلم إليه ، أنت أهدى وأسرع
ليرجع في الأخرى ، وما فيه مطمع
وليس بمخلوق ، فما شتم اصنعوا
إمام ، تقى ، زاهد ، متورع
ففي النفس حاجات إليه تسرع
على سدة من وجهه النور يسطع
على رأسه تاج بدر مرصع
تواصل بالكاسات قوماً وتقطع

بأن لا إله غير ذى الطول وحده
وليس بمولود ، وليس بوالد
وذكر آياتاً إلى أن قال :

وإن كتاب الله ليس بمحدث
وما كتب الحفاظ في كل مصحف
وللجبل الرحمن لما بدا له
وكلم موسى ربه فوق عرشه
وذكر بقية الاعتقاد إلى أن قال :

وعن مذهبي - إن تسألوا - فابن حنبل
وذاك لأنى في المنام رأيت
وفي منزل بنيانه غير مشبه
وفيه من الأصحاب مالا أعدم
وفيه بيوت ما استدارت منيرة
وكان إلى جنبي نقيب ممنطق
فقلت له : بالله ذا المنزل الذى
فقال : ولا تدري ؟ فقلت : وكيف لي
فقال : لمن بالسوط يضرب تارة
يقول : كلام الله ليس بمحدث
فقلت له في الحال : ذاك ابن حنبل
وإني لمشتاق إليه ، فدلتني
فأوما إليه ، فالتفت إذا به
ومن سندس أثوابه في اخضرارها
ومن حوله ولد صباح وغلمة

أشار بأطراف البنان تعطفاً :
وأوما : أن اجلس ، فامتنتُ مهابة
فقلت له : يا أزهّد الناس كلهم ،
طُبعتُ على أشياء هُنَّ ثلاثةٌ
فنها : إذا غَمَّ المِلالُ لليلةِ
أصومُ ، كما قال الإمام ابنُ حنبلٍ
وعند صلاة الصبح لستُ بقانتُ
ولكن إذا ما قتُ اللهُ طائعاً
فقال بصوت جهوري ، سمعته :
وأكثرهم لم يجهرُوا بقراءتها
وأن تعتقد ما شئتَ من أيّ مذهبٍ
ولا تكُ فيه معصياً كلاعِبٍ
فقلتُ له : في النفس شيءٌ أقولهُ
فقال تعالى اللهُ (ليس كمثلهِ
فما كان فيه من صفاتٍ مليكنا
وما جاء في الأخبار عن سيد الوري
فليس لترك الحق عندى رخصة
فكن حنبلياً تنجُ من كل بدعةٍ
وذكر باقي القصيدة .

٢٣ - أحمد بن مرزوق بن عبد الله بن عبد الرزاق الزعفراني ، المحدث

أبو المعالي .

سمع الكثير ، وطلب بنفسه . وكتب بخطه .

قال أبو علي البرداني : كان همه جمع الحديث وطلبه . حدثت باليسير عن أحمد بن محمد بن عمر بن الأخصر ، وأبي الحسين أحمد بن محمد بن الحسن العكبري ، وأبي الفضل هبة الله بن محمد الأزدي .

روى عنه أبو علي البرداني ، وقال : إنه مات ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . ودفن من الغد بباب حرب . وكان شاباً . انتهى . وهو أخو أبي الحسن محمد الشافعي الذي هو من أصحاب الخطيب أبي بكر .
٢٤ - سافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجيلي ، أبو محمد .

قدم بغداد بعد الثلاثين وأربعمائة . وسمع من أبي علي بن المذهب ، والعشاري ، وابن غيلان ، والقاضي أبي يعلى ، وعليه تفقه . وكتب معظم تصانيفه في الأصول والفروع . ودرس الفقه بمسجد الشريف أبي جعفر بدرب المطبخ شرق بغداد ، وكان يؤم به أيضاً . وخلفه أولاده من بعده في ذلك ، حتى عرف المسجد بهم .

قال أبو الحسين ، وابن الجوزي : كان متعقفاً متعشفاً ذا صلاح . قال ابن السمعاني : كان ذا دين وصلاح ، وتعفف وتكشف ، حسن الطريقة ، صحيح الأصول . كتب التصانيف في مذهب الإمام أحمد كلها . ودرس الفقه ، وروى لنا عنه عبد الوهاب الأنماطي .

وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشرين صفر سنة ثمانين وأربعمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب رحمه الله تعالى .

٢٥ - عبد الله بن نصر الحجازي ، أبو محمد الزاهد .

قال ابن الجوزي : سمع الحديث ، وصحب الزهاد ، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . وكان خشن العيش متعبداً . وحج على قدميه بضع عشر حجة . وتوفي في ربيع الأول سنة ثمانين وأربعمائة . ودفن بباب حرب .

٢٦ - محمد بن علي بن الحسين بن القيم الخزاز الخريمي أبو بكر الحنبلي .

طلب الحديث . وسمع من أبي الغنائم بن المأمون ، والجوهري ، والعشاري ، وغيرهم . وكتب بخطه الحديث والفقہ . وأظنه جالس القاضي أبا يعلى .
وحدث باليسير . سمع منه أبو طاهر بن الرحبي القطان ، وأبو المسكارم الظاهري .

توفي يوم الأحد سلخ ذي الحجة آخر يوم من سنة ثمانين وأربعمائة . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

٢٧ - عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور

بن مَتَّ الأنصاري ، الهروي ، الفقيه المفسر الحافظ ، الصوفي الواعظ ، شيخ الإسلام أبو إسماعيل .

وهو من ولد أبي أيوب زيد بن خالد الأنصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولد في شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

ذكره عبد القادر الرهاوي في كتاب « المادح والمدوح » وهو مجلد ضخمة يتضمن مناقب شيخ الإسلام الأنصاري وما يتعلق بها ، قال : رأيت في تاريخ أبي عبد الله الحسين بن محمد الهروي السكتي ، الذي ذيل به على تاريخ إسحاق القرَّاب الحافظ ، وذكر : أنه سأل أبا إسماعيل عن سنه ؟ فأخبره بذلك . وكذا ذكر ابن نقطة .

وهذا أصح مما ذكره ابن الجوزي : أنه وُلِدَ في ذي الحجة سنة خمس وتسعين .

وذكر عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في ذيل تاريخ نيسابور : أنه ولد سنة

ست وتسعين .

وسمع الحديث بهراة من يحيى بن عمار السجزي ، وأخذ منه علم التفسير ،

وأبي منصور الأزدي ، وأبي الفضل الجارودي الحافظ ، وأخذ منه علم الحديث ،
وشعيب البوشنجي وغيرهم . وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي ، وأبي نصر المفسر
المقري ، وأبي الحسن الطرازي ، وجماعة من أصحاب الأصب . ورأى القاضي
أبا بكر الحيري ، وحضر مجلسه ، ولم يسمع منه . وكان يقول : تركته لله . وكان
قد سمع منه في مجلسه ما ينكره عليه من مخالفة السنة . ذكره الرهاوي عن
السلفي ، عن المؤتمن الساجي ، عنه .

وسمع بطوس و بسطام ، من خلق يطول ذكركم . وصحب الشيوخ ، وتأدب
بهم . وخرج الأملی والفوائد الكثيرة لنفسه ولغيره من شيوخ الرواة . وأملی
الحديث سنين .

وصنف التصانيف الكثيرة ، منها : كتاب « ذم الكلام » وكتاب « الفاروق »
وكتاب « مناقب الإمام أحمد » وكتاب « منازل السائرين » وكتاب « علل
المقامات » وله كتاب في « تفسير القرآن » بالفارسية جامع ، و « مجالس التذكير »
بالفارسية حسنة ، وغير ذلك .

وكان سيداً عظيماً ، وإماماً عالماً عارفاً ، وعابداً زاهداً ، ذا أحوال ومقامات
وكرامات ومجاهدات ، كثير السهر بالليل ، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها
والقمع لمن خالفها . وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة . وكان شديد الانتصار
والتعظيم لمذهب الإمام أحمد .

قال ابن السمعاني : سمعت أبا طاهر أحمد بن أبي غانم الثقفي ، سمعت صاعد
ابن سيار الحافظ ، سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الإمام يقول :
« مذهبُ أحمد . أحمدُ مذهبٌ » .

وقال محمد بن طاهر الحافظ في كتابه « المنثور من الحكايات والسؤالات » :
سمعت عبد الله بن محمد الأنصاري يقول : لما قصدت الشيخ أبا الحسن الجركاني

الصوفي ، وعزمت على الرجوع وقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالري ، وألتقي به . وكان مقدم أهل السنة بالري .

وذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل الرى قتل بها الباطنية ومنع سائر الفرق الكلام على المنابر غير أبي حاتم . وكان من دخل الرى من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه ، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه ، فلما قربت من الري كان معي في الطريق رجل من أهلها ، فسألني عن مذهبي ؟ فقلت : أنا حنبلي ، فقال : مذهب ما سمعتُ به ، وهذه بدعة . وأخذ بثوبي ، وقال : لا أفارقك حتى أذهب بك إلى الشيخ أبي حاتم . فقلت : خيرة ؛ فإني كنت أتعب إلى أن ألتقي به ، فذهب بي إلى داره .

وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم ، فقال : أيها الشيخ ، هذا الرجل الغريب سألتُه عن مذهبه ، فذكر مذهباً لم أسمع به قط . قال : ما قال ؟ قال : أنا حنبلي . فقال : دعهُ ، فكلُّ من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم ، فقلت : الرجل كما وُصفَ لي . ولزمته أياماً ، وانصرفت . وإنما عني أبو حاتم في الأصول .

وذكر عبد القادر الرهاوي : أخبرنا أبو سعد الصايغ : سمعت عبد الجبار ابن أبي الفضل الصيرفي ، سمعت جماعة من أصحاب شيخ الإسلام الأنصاري يقولون : سمعنا شيخنا شيخ الإسلام أبا إسماعيل يقول : فذكر آياتاً بالفارسية تفسرها بالعربية :

إِلَهُنَا مَرَّبُّنِي عَلَى الْعَرْشِ مُسْتَوِي
كَلَامُهُ أَزَلِّي رَسُولُهُ عَرَبِي
كُلُّ مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا أَشْعَرِي
مَذْهَبُنَا مَذْهَبُ حَنْبَلِي

قال عبد القادر : سمعت أبا عروبة عبد الهادي بن محمد الزاهد بسجستان

يقول : سمعت شيخ الإسلام أبا نصر هبة الله بن عبد الجبار بن فاخر يقول :
قال لى شيخ الإسلام - يعنى الأنصارى - كيف تفعلون فى القنوت ؟ قلت :
أوصانى أبى أن أقنت فى الوتر . قال : وما قال لك : لا تقنت فى الصبح ؟ قلت :
لا . قال : فما أنصفك .

وذكر ابن طاهر الحافظ فى كتابه المذكور قال : سمعت الإمام عبد الله بن محمد
الأنصارى يُنشد على المنبر فى يوم مجلسه بهراة :

أنا حنبليُّ ما حييتُ وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحننوا
ولشيخ الإسلام قصيدة نونية طويلة مشهورة ذكر فيها أصول السنة ومدح
أحمد وأصحابه . وقد أنبأتنى بها زينب بنت أحمد ، عن عجيبة بنت أبى بكر ،
عن أبى جعفر محمد بن الحسين بن الحسن الصيدلانى . قال : أنشدنا شيخ الإسلام
فذكر القصيدة إلى أن قال :

وإمامي القوام لله الذي دفنوا حميدَ الشأن فى بغداد
جمع التقى والزهد فى دُنيام والعلم بعد طهارة الأردن
خطمُ النبي ، وصيرفُ حديثه ومُفلقُ أعرافها بمعان
حبرُ العراق ، ومحنةُ لذوى الهوى يدري بيغضته ذؤو الأضغان
عرفَ الهدى فاختر ثوبى نصرَة وشجى بمُهجته عرَى عرفان
عُرِضَتْ له الدنيا فأعرض سالماً عنها كفعل الراهب الخُمصان
هانت عليه نفسه فى دينه فقدى الامامَ الدينَ بالجثمان
لله ما لقي ابن حنبلَ صابراً عزماً وينصره بلا أعوان
أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي ذاكم إلى إخواني
إذ دينه دينى ودينى دينه ما كنت إمعة له دينان

وقال ابن طاهر : سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصارى بهراة يقول : عرضت

على السيف خمس مرات ، لا يقال لى : ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لى : اسكت عن خالفك ، فأقول : لا أسكت .

قال : وحكى لنا أصحابنا أن السلطان « ألب أرسلان » حضر هراة ، وحضر معه وزيره أبو على الحسن بن على بن إسحاق ، فاجتمع أئمة الفريقين من أصحاب الشافعى ، وأصحاب أبي حنيفة ، للشكاية من الأنصارى ، ومطالبته بالمناظرة . فاستدعاه الوزير . فلما حضر قال : إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك : فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك ، وإن يكن الحق معهم : إما أن ترجع ، وإما أن تسكت عنهم . فقام الأنصارى وقال : أنا أناظر على ما فى كمي . فقال له : وما فى كميك ؟ فقال : كتاب الله ، وأشار إلى كفه اليمين ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار إلى كفه اليسار ، وكان فيه الصحيحان . فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم ، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذه الطريق .

قال : وسمعت أحمد بن اميرجه القلانسى خادماً الأنصارى يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير أبي على الطوسى ، وكان أصحابه كلفوه بالخروج إليه ، وذلك بعد المحنة ، ورجوعه من بلخ ، فلما دخل عليه أكرمه وبجَّله ، وكان فى العسكر أئمة من الفريقين فى ذلك اليوم ، وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقوا جميعاً على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير : فإن أجاب بما يجيب به بهراة سقط من عين الوزير ، وإن لم يجب سقط من عيون أصحابه وأهل مذهبه . فلما دخل واستقر به المجلس انتدب له رجل من أصحاب الشافعى ، يعرف بالعلوى الدبوسى ، فقال : يا أذن الشيخ الإمام فى أن أسأل مسألة ؟ فقال : سل ، فقال : لم تَلَعْنُ أبا الحسن الأشعري ؟ فسكت ، وأطرق الوزير لِمَا عَلِمَ من جوابه . فلما كان بعد ساعة ، قال له الوزير : أجبه ، فقال : لا أعرف الأشعري . وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله عز وجل فى السماء ، وأن القرآن فى المصحف ، وأن النبي اليوم نبي . ثم قام وانصرف ، فلم يمكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيئته وصلابته وصولته .

فقال الوزير للسائل ومن معه : هذا أردتم ؟ كنا نسمع أنه يذكر هذا بهراة فاجتهدتم حتى سمعناه بأذاننا : وما عسى أن أفعل به ؟ ثم بعث خلفه خلعاً وصله فلم يقبلها . وخرج من فوره إلى هراة ولم يلبث .

قال ابن طاهر : وسمعت أصحابنا بهراة يقولون : لما قدم السلطان « ألب أرسلان » هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ، ودخلوا على الشيخ أبي إسماعيل الأنصارى ، وسلموا عليه ، وقالوا : قد ورد السلطان ، ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أن نبدأ بالسلام على الشيخ الإمام ، ثم نخرج إلى هناك . وكانوا قد تواطأوا على أن حملوا معهم صنماً من الصُّفْر صغيراً ، وجعلوه في الحراب تحت سجادة الشيخ . وخرجوا وخرج الشيخ من ذلك الموضع إلى خلوته .

ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصارى ، وقالوا له : إنه مجسم . فإنه يترك في محرابه صنماً ، ويقول : إن الله عز وجل على صورته . وإن يبعث السلطان الآن يجد الصنم في قبلة مسجده . فعظم ذلك على السلطان ، وبعث غلاماً ومعه جماعة . ودخلوا الدار ، وقصدوا الحراب ، وأخذوا الصنم من تحت السجادة ، ورجع الغلام بالصنم ، فوضعه بين يدي السلطان . فبعث السلطان بغلمان ، وأحضر الأنصارى : فلما دخل رأى مشايخ البلد جلوساً ، ورأى ذلك الصنم بين يدي السلطان مطروحاً ، والسلطان قد اشتد غضبه . فقال له : ما هذا ؟ قال : هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة . فقال : لست عن هذا أسألك ، فقال : فمن ماذا يسأل السلطان ؟ قال : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا الصنم ، وأنت تقول : إن الله عز وجل على صورته ، فقال الأنصارى : سبحانك ! هذا بهتان عظيم . بصوتٍ جهورى وصوله . فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به فأخرج إلى داره مُكْرَمًا . وقال لهم : اصدقوني القصة ، أو أفعل بكم وأفعل ، وذكر تهديداً عظيماً ، فقالوا : نحن

في يد هذا الرجل في بليةٍ من استيلائه علينا بالعامّة ، وأردنا أن نقطع شرّه عنا . فأمر بهم ، ووكل بكل واحدٍ منهم ، ولم يرجع إلى منزله حتى كتب خطه بمبلغ عظيم من المال يؤديه إلى خزانة السلطان جنّايةً ، وسلّوا بأرواحهم بعد الهوان العظيم .

وقد جرى لشيخ الإسلام محن في عمره ، وشرّد عن وطنه مدّة

فن ذلك : أن قومًا من المتصوفة بهراة عاثوا وأفسدوا بأيديهم على وجه الإنكار ، فنسب ذلك إلى الشيخ ، ولم يكن بأمره ولا رضاه . فاتفق أكابر أهل البلد على إخراج الشيخ وأولاده وخدمه ، فأخرجوه يوم الجمعة عشرين رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة قبل الصلاة ، ولم يمهّل للصلاة . فأقام بقرب البلد ، فلم يرضوا منه بذلك فخرج إلى بوشنج ، وكتب أهل هراة محضراً بما جرى ، وأرسلوه إلى السلطان ، فجاء جواب السلطان ووزيره « نظام الملك » بإبعاد الشيخ وأهله ، وخدمه إلى ماوراء النهر . وقرىء الكتاب الوارد بذلك في الجامع على منبر يحيى بن عمار ، وفيه حطٌّ على الشيخ ، فأخرج الشيخ ومن كان يعقد المجلس من أقاربه خاصّة إلى مَرَوَ ، ثم ورد الأمرُ برده إلى بلخ ، ثم إلى مرو الرُّوذ . ثم أذن له في الرجوع إلى هراة ، فدخّلها يوم الأربعاء رابع عشر المحرم سنة ثمانين وأربعمائة . وكان يوماً مشهوداً .

قال الرهاوى : سمعت شيخنا أبا طاهر السلفي بالاسكندرية يقول : لما خرج شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلد : لا يحمل على الدواب إلا على رقاب الناس . فجعل في محفة . وكان يتناوب حملها أربعة رجال ، حتى وصل بلخ . فخرج أهلها وهمّوا برجمه . فردّهم ابن نظام الملك ، وقال : تريدون أن تكونوا مسبة الدهر ؛ ترجمون رجلاً من أهل العلم ؟ ! ثم سأله أن يعظ ، فقراً : (٣٩ : ٢٣) اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ، (الآية) ثم قال : كلُّ المسلمين يقولون هذا ، إلا أهل غورجّه وخرجستان وفلانة وطاقان . لعنهم الله لعنة عادٍ وثمود ، والنصارى واليهود . قولوا : آمين ، فقالوا : آمين .

قال الرهاوى : وإنما هم أهل بلخ بما هموا به ؛ لأنهم معتزلة شديدة الاعتزال .
وكان شيخ الإسلام مشهوراً في الآفاق بالحنبلية والشدة في السنة .

قال : وسمعتُ السلفي يقول : لما أمر نظام الملك بإخراج الشيخ من هراة سمع بذلك الشيخ معمر الأنباني^(١) ، ففضى إلى نظام الملك في أمره ، فقال له نظام الملك :
قد صار لذلك الشيخ عليّ منة عظيمة ؛ حيث بسببه دخلت عليّ . ثم كتب في الحال برده إلى بلده .

وذكر الرهاوى : أن الحسين بن محمد الكتبي ذكر في تاريخه : أن مسعود ابن محمود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة ، فاستحضر شيخ الإسلام ، وقال له : أتقول : إن الله عز وجل يضع قدمه في النار ؟ فقال - أطال الله بقاء السلطان المعظم - إن الله عز وجل لا يتضرر بالنار ، والنار لا تضره ، والرسول لا يكذب عليه ، وعلماء هذه الأمة لا يتريدون فيما يرؤون عنه ويسفدون إليه . فاستحسن جوابه ، وردّه مكرماً .

قال : وعقد أهل هراة للشيخ مجلساً آخر ، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ، وعملوا فيه محضراً ، وأخرجوه من البلد إلى بعض نواحي بوشنج ، فحبس بها وقيد ثم أعيد إلى هراة سنة تسع وثلاثين ، وجلس في مجلسه للتذكير . ثم سعوا في منعه من مجلس التذكير عند السلطان « ألب أرسلان » سنة خمسين .

قال : وفي شهور سنة اثنتين وستين ، خلع على الشيخ من جهة الإمام القائم بأمر الله خلعة شريفة ، وفي شهور سنة أربع وسبعين خلعة أخرى فاخرة من جهة الإمام المقتدى مع الخطاب واللقب بشيخ الإسلام ، شيخ الشيوخ زين العلماء أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري ، وخلعة أخرى لابنه عبد الهادي .

قال : وكان السبب في هذه الخلع الوزير « نظام الملك » شفقةً منه على أصحاب الحديث ، وصيانةً عن حقوق شين بهم .

(١) نسبة إلى « لبنان » وهي قرية كبيرة بأصبهان .

وكان الشيخ رحمه الله آيةً في التفسير ، وحفظ الحديث . ومعرفته ، ومعرفة اللغة والأدب . وكان يُفسرُ القرآن في مجلس التذكير .

فذكر الكتبي في تاريخه : أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتداءً في تفسير القرآن ، ففسره في مجالس التذكير ، سنة ست وثلاثين . وفي سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير .

قال : وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع ، إلى أن بلغ إلى قوله عزَّ وَجَلَّ (٢ : ١٦٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِّلَّهِ) فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة ، وبني عليها مجالس كثيرة . وكذلك قوله تعالى : (٢١ : ١٠١) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) بني عليها ثلاثمائة وستين مجلساً . فلما بلغ قوله تعالى (٢٤ : ٤٣) يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) كَفَّ بَصَرُهُ سنة ثلاث وسبعين ، ولما بلغ إلى قوله عز وجل : (٣٢ : ١٧) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) قال : في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي . وأخذ يُفسرُ خفايا الأسماء حتى بلغ المميت ، فأخرج من البلد في الفتنة الأخيرة . فلما عاد سنة ثمانين ، عقد المجلس على أمر جديد ، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى . وأخذ يستعجل في التفسير ، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، يريد أن يحتم في حياته ، فلم يقدر له على ذلك وتوفى ، وقد انتهى إلى قوله عزَّ وجل : (٣٨ : ٦٧ ، ٦٨) قُلْ : هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) وقال ابن طاهر الحافظ . سمعتُ شيخنا الأنصاري يقول : إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكره من مائة وسبعة تفاسير قال : وجرى يوماً - وأنا بين يديه - كلامٌ ، فقال : أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سرداً ، قال : وقطّ ما ذكر في مجلسه حديثاً إلا بإسناده . وكان يشير إلى صحته وسقمه .

وقال الرهاوى : سمعتُ أبا بشر محمد بن محمد بن هبة الله الهمداني بهمدان يقول : سمعتُ بعض الأدباء يقول : سئل شيخ الإسلام الأنصاري عن تفسير آية ؟

فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية ، في كل بيت منها لفة تلك الآية .

قال ابن الجوزي : أخبرنا ابن ناصر عن المؤمن بن أحمد الحافظ ، قال : كان عبدالله الأنصاري لا يشذ على المذهب شيئاً ، ويتركه كما يكون ، ويذهب إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا تُؤْكِرُ فَيُؤَكِّرُكَ عَلَيْكَ» وكان لا يصوم شهر رجب ، وينهى عن ذلك ، ويقول : ماصح في فضل رجب وفي صيامه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يملى في شعبان وفي رمضان ، ولا يملى في رجب .

وقال ابن طاهر الحافظ : سمعتُ أبا إسماعيل الأنصاري يقول : كتابُ أبي عيسى الترمذي عندي أفيدُ من كتاب البخاري ومسلم ، فقلتُ : لِمَ ؟ قال : لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة . وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبينها ، فيصِلُ إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم . قال : وسمعتُه يقول : المحدث يجب أن يكون سريع المشي ، سريع الكتابة ، سريع القراءة .

قال الرُّهاوي : سمعتُ السلفي يقول : سمعتُ أبا الخير عبد الله بن مرزوق الهروي يقول : سمعتُ أبا إسماعيل الأنصاري الحافظ بهراة يقول : ينبغي لمن يكون من أهل الفقه أن يكون له أبداً ثلاثة أشياء جديدة : سراويله ، ومداسه ، وخرقةٌ يُصلى عليها .

قال الرُّهاوي : وسمعتُ بعض الناس بهراة يحكى : أن شيخ الإسلام دخل يوماً على القاضي أبي العلاء صاعد بن سيار ، وعلى يمينه رجل من البوسعدية ، فجلس شيخ الإسلام على يسار القاضي ، فغضب البوسعدى ، وقال : أجلس عن يمينك ويجلس عن يسارك ؟ فوثب شيخ الإسلام ، وجلس ناحية ، وقال : الحدة ينبغي أن تكون في أكل البصل ، والشدة في تشقيق الخطب . وأما الجلوس في المجالس فإنما يكون بالعلم . وغضب القاضي من كلام الرجل ، وقال : إيش تنكر من حاله ؟ حيث لم يكن له مركوب ولا ثياب ، وأمر له بثياب ومركوب ، وجعل له في الجامع موضعاً يعظُ فيه .

قال الرُّهاوى : وقد رأيتُ كرسى شيخ الإسلام قليل المراقى فى زاوية من جامع هراة ، والناس يتبركون به .

وقال ابن طاهر : سألت الأنصارى عن الحاكم أبى عبد الله ؟ فقال : ثقة فى الحديث ، رافضى خبيث .

وذكر ابن السمعانى عن يحيى بن منده عن عبد الله بن عطاء الإبراهيمى قال : سمعتُ شيخ الإسلام الأنصارى قال : سألتُ أبا يعقوب الحافظ عن قول البخارى فى الصحيح : قال لى فلان ؟ قال : هو راوية بالإجازة ، ثم قال شيخ الإسلام : عندى أن ذاك الرجل ذاك البخارى فى المذاكرة : أنه سمع من فلان حديث كذا ، وكتاب كذا ، أو مسند كذا ، أو حديث فلان ، فيرويه بين المسموعات وهو طريق حسن ، طريق مليح . ولا أحد أفضل من البخارى .

وقال المؤمن الساجى : كان يدخل عليه الجبارة والأمراء ، فما كان يبالى بهم . ويرى بعض أصحاب الحديث من الغرباء فيكرمه إكراماً يعجب منه الخاصُّ والعامُّ رحمه الله .

قال صاعد بن سيار الهروى فى أماليه : سمعتُ شيخ الإسلام الأنصارى يقول : إلهى عصمة أو مغفرة ، فقد ضاقت بنا طريق المعذرة .

وقد أثنى على الشيخ الإمام أبى إسماعيل شيوخه وأقرانه . ومن دونه من الفقهاء ، والمحدثين ، والصوفية ، والأدباء وغيرهم . وقد سبق فى ترجمة عبد الرحمن ابن منده قول سعد الزنجانى فيه : إن الله حفظ به الإسلام ، وبابن منده .

. وقال الرُّهاوى : سمعتُ بهراة : أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة ، ووصل إلى مرو ، وأذن له فى الرجوع إلى هراة ، رجع ووصل إلى مرو الروذ ، قصدته الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الفراء صاحب التصانيف . فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام : إن الله قد جمع لك الفضائل ، وكانت قد بقيت فضيلة

واحدة ، فأراد أن يكملها لك ، وهي الإخراج من الوطن ، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الرُّهاوى : وسمعتُ أبا عبد الله سفيان بن أبي الفضل الخرقى السفياني وكان من أهل الحديث والفضل والدين ، وكان سفياني المذهب يقول : سمعتُ الحافظَ أبا مسعود كوتاه يقول : سمعتُ أبا الوقت عبد الأول بن عيسى يقول : دخلتُ على الجويني - يعني أبا محمد عبد الله بن يوسف الفقيه - فسألني عن شيخ الإسلام ؟ قلت : أنا خادمه . فقال : رضى اللهُ عنه .

قال الرُّهاوى : وذكر الحسين بن محمد الكتبي الهروي في تاريخه : أنَّ شيخ الإسلام الأنصاري سافر إلى نيسابور سنة سبع عشر وأربعمائة ، طالباً للحديث والفقه ، ورؤية المشايخ ، والاستفادة منهم ، والتبرك بصحبتهم . ورجع في تلك السنة . ثم سافر ثانياً للحج مع الفقيه الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد الواعظ ، ومعهما خلقٌ كثير سنة ثلاث وعشرين . فلما وردوا نيسابور أخرج الإمام أبو عثمان الصابوني لخاله الإمام أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد مجلساً في الحديث ليمليه بنيسابور ، فنظر فيه الأنصاري ونبّه على خلل في رجال الحديث وقع فيه . فقبل الصابوني قوله ، وعاد إلى مقال ، وأحسن الثناء عليه ، وأظهر السرور به ، وهناً أهل العصر بمكانه ، وقال : لنا جمال ، ولأهل السنة مكانة ، وانتفاع المساهين بعلمه ووعظه . وكان ذلك بمشهد من مشايخ فيهم كثرة ، وشهرة وبصيرة .

قال صاحب التاريخ : وكنتُ حاضراً يومئذٍ . قال : وسمعتُ الإمام عبد الله الأنصاري بنيسابور يقول : دخلتُ على الإمام ناصر المروزي بنيسابور ، وكان مجلسه غاصاً بتلامذته ، واحتفَّ به الفقهاء ، وكان يدرّس ويقول : روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه : أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (٢٠ : ١١٤ ربِّ زدني علماً) قلت - أيد الله الشيخ الإمام - : أحديثُ عهد أنت

بهذا الحديث وهو على ذكرك؟ فقال: لا، فقلت: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: (٣: ٨ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) فقال: صدقت ورجع إلى قولي، وحث القوم على إثباته وتعليقه. ثم بكرت إليه من غد هذا اليوم، فرحب بي، وأعلى محلي، وأجلسني فوق جماعة زهاء سبعين، كنت بالأمس جالساً دونهم، ومدحته بقصيدة، وواظبت على الاختلاف إليه وأخذ الفقه عنه مدة.

قال صاحب التاريخ: ورجع الشيخ من حرقات، والري عن زيارة الشيخ أبي الحسن الحرقاني، وكان الحرقاني أحسن الثناء عليه، ولأطفه في المخاطبة سنة أربع وعشرين.

قال: ولقي الشيخ بنيسابور الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الشيرازي، وتكلم بين يديه. فرضى ابن باكويه قوله، واستحسن في الحقيقة كلامه، وبشر بأيامه، فلما عزم على الخروج من عنده قال: إلى أين؟ قال: نويتُ سفرأ. قال: لست من بابة السفر، بل بابتك أن تعقد حلقة تكلمهم على الحق.

قال صاحب التاريخ: وكان إسحاق القرآب الحافظ يتأمل ما كان يخرج به الأنصاري، وكذلك إسماعيل الصابوني. قال: وكلهم تعجبوا من تخريجه، وأعجبوا به، وأثنوا على الشيخ عبد الله الأنصاري، واغتبطوا بمكانه، ودعوا له بالخير. وكان من عادة إسحاق القرآب الحافظ الحث على الاختلاف إلى الأنصاري، والبعث على القراءة عليه، واستماع الأحاديث بقراءته، والاستفادة منه، والمواظبة على مجلسه، والاختيار له على غيره. وكان يقول: لا يمكن أن يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كاذب من الناس، وهذا الرجل في الإحياء. قال: وكل من لقيت من أهل هراة وفي سائر البلدان، حين خرجت مسافراً، ومن سمعت يخبر منهم في الآفاق من القضاة والأئمة والأفاضل، والمذكورين، كانوا يحسنون الثناء عليه، ولا ينكرون فضله.

وقال الرُّهاوى : سمعتُ أبا بشر محمد بن محمد الهمداني يقول : سمعتُ شيخى عبد الهادى الذى أخذت عنه العلم يقول : عبدُ الله الأنصارى يُعدُّ فى العبادة . قال الرُّهاوى : عبد الهادى هذا من أئمة همدان .

وقد ذكر أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار القامى^(١) فى تاريخ هراة شيخ الإسلام الأنصارى ، فقال : كان بكر الزمان ، وزناد الفلك ، وواسطة عقد المعانى والمعالى ، وصورة الإقبال فى فنون الفضائل ، وأنواع المحاسن .

منها : نصره الدين والسنة ، والصلابة فى قهر أعداء الملة ، والمتحلين بالبدعة . حى على ذلك عمره ، من غير مداهنة ومراقبة لسلطانٍ ولا وزيرٍ ، ولا ملاينةٍ مع كبير ولا صغير . وقد قاسى بذلك السبب قصد الحساد فى كل وقتٍ وزمان ، ومُنَى بكيد الأعداء فى كل حين وأوان ، وسعوا فى روجه مراراً ، وعمدوا إلى هلاكه أطواراً ، مقدرين بذلك الخلاص من يده ولسانه ، وإظهار ما أضمرُوا فى زمانه . فوقاه الله شرم ، وأحاط بهم مكرهم ، وجعل قصدهم لارتفاع أمره ، وعلو شأنه ، أقوى سبب . وليس ذلك من فضل الله تعالى ببدع ولا عجب (٧:٤٧) **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** .

وأما قبوله عند الخاص والعام ، واستحسان كلامه ، وانتشاره فى جميع بلاد الإسلام ، فأظهر من أن يقام عليه حجة وبرهان ، أو يختلف فى سببه وتقدمه فيها من الأئمة اثنان . ولقد هذب أحوال هذه الناحية عن البدع بأسرها ، ونقح أمورهم عما اعتادوه منها فى أمرها ، وحملهم على الاعتقاد الذى لامطعن لمسلمٍ بشيء عليه ، ولا سبيل لمبتدع إلى القدح إليه .

ومنها : تصانيفه التى حاز فيها قصب السبق بين الأضراب ، وذكرها فى باب المصنفين من الكتاب .

وذكره أيضاً الإمام أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى ، خطيب نيسابور فى تاريخ نيسابور ، فذكر اسمه ونسبه ، وقال : أبو إسماعيل الإمام شيخ

(١) نسبة إلى « فامية » قرية من قرى واسط بناحية فم الصلح .

الإسلام بهراة ، صاحب القبول في عصره ، والمشهور بالفضل وحسن الوعظ والتذكير في دهره . لم ير أحد من الأئمة في فنه حلاً ما رآه عياناً من الحشمة الوافرة القاهرة ، والرونق الدائم ، والاستيلاء على الخاص والعام ، في تلك الناحية واتساق أمور المريدين والأتباع ، والغالين في حقه ، والتثام المدارس والأصحاب والخانقاه ، ونواب المجالس ، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح . وكان على حظ تام من العربية ومعرفة الأحاديث والأنساب والتواريخ ، إماماً كاملاً في التفسير والتذكير ، حسن السيرة والطريقة في التصوف ومباشرة التصوف ومعاشرة الأصحاب الصوفية . مظهر السنة ، داعياً إليها ، محرصاً عليها . غير مشغول بكسب الأسباب والضياع والعقار ، والتوغل في الدنيا . مكتفياً بما يباسط به المريدين والأتباع من أهل مجلسه في السنة مرة أو مرتين . حاكماً عليها حكماً نافذاً بما كان يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملائم . فيحصل على ألوف من الدنانير بها ، وأعداد جمة من الثياب والحلى وغير ذلك . فيجمعها ويفرقها على الخباز ، والبقال ، والقصاب ، وينفق منها موسعاً فيها من السنة إلى السنة ، ولا يأخذ من السلاطين والظلمة والأعوان وأركان الدولة شيئاً . وقلماً يراعيهم . ولا يدخل عليهم ولا يبالي بهم . فبقي عزيزاً مقبولاً ، مقبولاً أتم من الملك على الحقيقة ، مطاع الأمر قريباً من ستين سنة ، من غير مزاحمة ولا فتور في الحال .

ومن خصائصه : أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة ، وركب الدواب الثمينة ، والمراكب المعروفة ، وتكلف غاية التكلف ، ويقول : إنما أفعلُ هذا إعزازاً للدين ، ورغماً لأعدائه ، حتى ينظروا إلى عزّي وتجملي ، فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عزّه . ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقمة والنعود مع الصوفية في الخانقاه ، يأكل معهم ما يأكلون ، ويلبس ما يلبسون ، ولا يتميز في المطعم والملبوس عن آحادهم . على هذا كان يزجي أيامه . وكل ما نقل عنه من سيرته محمود .

ومن جملة ما أخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته : التبكيرُ بصلاة الصبح ، وأداء الفرائض في أوائل أوقاتها ، واستعمالُ السنن والأدب فيها .
ومن ذلك : تسميةُ الأولاد في الأغلب بالعبد ، المضاف إلى اسم من أسماء الله تعالى : كعبد الخالق ، وعبد الخلاق ، وعبد الهادي ، وعبد الرشيد ، وعبد المجيد ، وعبد المعز ، وعبد السلام . وإلى غير ذلك مما كان يحثهم ، ويدعوهم إلى ذلك ، فتعمدوا الجريَ على تلك السنة ، وغير ذلك من آثاره .

ثم ذكر بعضَ شيوخه ، ثم قال : أنشدني أبو القاسم أسعد بن علي البارع الزوزني لنفسه في الإمام ، وقد حضر مجلسه :

وقالوا : رأيتَ كعبد الإلهِ إماماً إذا عَقَدَ الجَلِيبَا ؟
فقلتُ : أما إنني ما رأيتُ تُلْمَ ولم يلق قبلي ممن عسى
فقالوا : يجيء نظيرُ له فقلت : كستقبلِ مِنْ عَسَى
قال عبد الغافر : وقرأتُ في « دمية القصر لأبي الحسن الباخري » فصلاً
في الإمام عبد الله الأنصاري ، وذلك أنه قال :

هو في التذكير في الدرجة العليا ، وفي علم التفسير أوحده الدنيا . يعظ فيصطاد
القلوب بحسن لفظه ، ويمحص الذنوب بيمين وعظه . ولو سمع قسٌ بن ساعدة
تملك الألفاظ ، لما خطب بسوق عُسْكَاظ .

ثم ذكر بيتين للإمام عبد الله في نظام الملك ، وهما :

يُجَاهِك أَذْرَكَ المَظْلُومُ ثَارَهُ وَمَنَّكَ شَادَ بَآئِي العَدْلِ دَارَهُ
وَقَبْلَكَ هُنَىءَ الوُزَرَاءِ حَتَّى نَهَضَتْ بِهَا فَهَنَّتِ الوُزَارَةَ

ثم قال : وحضرتُ يوماً مجلسه بهراة ، مع أبي عاصم الحسين بن محمد
ابن الفضلي المروى شيخ الأفاضل بهراة . فلما طاب فؤاده ، وعرق جواده
وطنت نقراتُ العازفين في جو السماء ، ودنت الملائكة فتدلَّت للإصغاء .
م . . . طبقات

قال أبو العاصم :
عيونُ النَّاسِ لم تَلقَ ولا تلتقى كعبد الله
ولا يُنكر هذا غيَّر من مالَ عن الله
قال الباخرزي : فقلتُ أنا :

مجلسُ | الأستاذِ عبد الله روضُ العارفينَا
الحقُ الفخرُ بنا بعد حكم العارفينَا

قال عبد الغافر : وفي المنقولات من أخباره وآثاره ، وما قيل فيه من الأشعار ،
وما نقل عنه من العبارات كثير . وفي هذا القدر دليل على أمثالها .

وقال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية في كتاب « الأجوبة المصرية » :
شيخ الإسلام مشهور ، معظم عند الناس . هو إمام في الحديث ، والتصوف ،
والتفسير . وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث ، يعظم الشافعي ، وأحمد .
ويقرن بينهما في أجوبته في الفقه ما يوافق قول الشافعي تارة وقول أحمد أخرى .
والغالبُ عليه اتباعُ الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه .

قال : وقال الشيخ أبو الحسن الكرخي ، شيخ الشافعية في بلاده ، في
كتابه « الفصول في الأصول » : أنشدني غير واحدٍ من الفضلاء للإمام عبد الله
ابن محمد الأنصاري ، أنه أنشد في معرض النصحية لأهل السنة :

كُنْ إذا ما حَدَّ عَنْ حَدِّ الْهَدَى أشعريّ الرأي شيطان البَشْرِ
شافعيّ الشرع ، سنيّ الحلي حنبليّ العقْد ، صوفيّ السَّيْرِ
ومن شعر شيخ الإسلام مما أنشده الرهاوي بإسناده عنه :

سُبْحان من أجمَلَ الحسنيّ لطالباها حتى إذا ظهرت في عبده مُدِحَا
ليس الكريمُ الذي يُعطى لتمدحه إنَّ الكريمَ الَّذي يُثنى بما منحا
وأنشده له :

نهواك نحن ونحن منك نهابُ أهوى وخوفاً إنَّ ذاك عُجابُ !
شخص العقول إليك ثم استحسرتُ وتحيرتُ في كنهك الألبابُ

قلتُ : ولشيخ الإسلام شعر كثير حسنٌ جداً . ولأجل هذا ذكره
الساخرزى الأديب في كتابه « دمية القصر في شعراء العصر » وله كلام في
التصوف والسلوك دقيق .

وقد اعتنى بشرح كتابه « منازل السائرين » جماعةً . وهو كثير الإشارة
إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية ، واضمحلال ما سوى الله تعالى في الشهود
لا في الوجود . فيتوهم فيه أنه يشير إلى الاتحاد حتى انتحله قوم من الاتحادية ،
وعظموه لذلك . وذمه قومٌ من أهل السنة ، وقدحوا فيه بذلك . وقد برأه الله من
الاتحاد . وقد انتصر له شيخنا أبو عبد الله بن القيم في كتابه الذي شرح فيه
« المنازل » ويّين أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة بعد العصر ثانی عشرین ذی الحجة سنة
إحدى وثمانين وأربعمائة . ودُفن يوم السبت بِكَازِيَا رِگَاه - مقبرة بقرب هراة -
وكان يوماً كثير المطر ، شديد الوحل . وقد كان الشيخ يقول في حياته :
إن استأثر الله بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر ، فصدق الله ظنه في ذلك
حدّث عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم ، كالمؤتمن الساجي ، ومحمد بن طاهر ،
وأبي نصر الغازي ، وأبي الوقت السجزي ، وأبي الفتح الكروخي .

قرأتُ على أبي حفص عمر بن علي القزويني ببغداد : أخبركم أبو عبد الله محمد
ابن أبي القاسم المقرئ ع وأخبرنا الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي
بها قراءة عليه ، وأنا في الخامسة ، أخبرنا والدي أبو أحمد عبد الصمد قالا :
أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوْزْبَه ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول
ابن عيسى السجزي ، أخبرنا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي ، أخبرنا
أبو الحسين أحمد بن محمد بن العالی البوشنجي ، أخبرنا أبو أحمد الفطريني ،
ومنصور بن العباس الفقيه قالا : أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو صالح
الحكم بن موسى ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان

— وليس بالنهدى — عن معقل بن يسار : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« اقرأوها على موتاكم » يعني : يس .

وبالإسناد الأول إلى شيخ الإسلام ، أنشدنا يحيى بن عمار أنشدني أبو المنذر
محمد بن أحمد بن جعفر الأديب ، أنشدني الصولي لأبي العباس ثعلب :

رُبَّ رِيحٍ لَانَسٍ عَصَفَتْ ثُمَّ مَا إِنَّ لَبِثَ أَنْ رَكَدَتْ
وكذاك الدهرُ في أفعاله قَدَمٌ زَلَّتْ وَأُخْرَى ثَبِتَتْ
بالغٌ ما كان يرجو دونه وَيَدٌ عَمَّا اسْتَقَلَّتْ قُصِرَتْ
وكذا الأيامُ من عاداتها أَنَّهُا مُفْسِدَةٌ مَا أَصْلَحَتْ
ثُمَّ تَأْتِيكَ مَقَادِيرُهَا فَتَرَى مُصْلِحَةً مَا أَفْسَدَتْ

٢٨ - عبد الواهر بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي ثم المقدسي ، ثم

الدمشقي ، الفقيه الزاهد ، أبو الفرج الأنصاري ، السعدي العبادي الخزرجي .
شيخ الشام في وقته .

قرأتُ بخط بعض طلبة الحديث في زماننا قال : أخرج إلى شيخنا يوسف
ابن يحيى بن عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج نسب
جده : وهو أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن يعيش
ابن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة . كذا رأيتُه . ويوسف هذا أدركته .
وسمعتُ منه جزءاً عن أبيه عن الخشوعي .

ولكن قرأتُ بخط جده ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم قال : كتبتُ إلى
الشريف النسابة ابن الجواني كتاباً إلى مصر أسأله : هل نحن من ولد قيس بن
سعد أو من أخيه ؟ فجاءني خطه في جزء يقول : قيسُ بن سعد انقرض عقبه .
وحكاه عن جماعة من النسابين ، مثل ابن شجرة وابن طباطبا وغيرها . وقال :
إنما أنتم من ولد أخيه عبد العزيز بن سعد بن عبادة . ورفع نسب سعد بن عبادة
إلى آدم عليه السلام .

وهذا يدل على أن « الناصح » لم يكن يعرف نسبهم إلى سعد ، ولا ذكر أن النسابة كتب له ذلك ، وإنما كتب له نسب سعد إلى آدم ، وأيضاً فقد قال له : أتم من ولد عبد العزيز بن سعد بن عبادة . وفي هذا النسب المذكور : عبد العزيز ابن سعيد بن سعد بن عبادة . وهذا مخالف لما قال ابن الجوانى .

لكن ذكر « الناصح » أن أباه وجماعة من العلماء اجتمعوا ليلة عند السلطان صلاح الدين فى خيمة ، مع الشريف الجوانى هذا ، فقال السلطان : هذا الفقيه - يشير إلى والد « الناصح » - ليس فى آبائه وأجداده صاحب صنعة إلا أميراً أو عالم إلى سعد بن عبادة . وهذا يدل على أنه كان يعرف نسبهم إلى سعد بن عبادة . والله أعلم .

ثم رأيت الشريف عز الدين أحمد بن محمد الحسينى الحافظ صاحب « صلة التكملة فى وفيات النقلة » ذكر نسب الشيخ أبى الفرج إلى سعد مثل ما أخرجه شيخنا يوسف سواء ، إلا أنه قال عبد العزيز بن سعد بن عبادة ، بلا واسطة بينهما ولقب أباه محمداً بالصافى .

تفقه الشيخ أبو الفرج ببغداد على القاضى أبى يعلى مدة ، وقدم الشام فسكن بيت المقدس ، فنشر مذهب الإمام أحمد فيما حوله . ثم أقام بدمشق فنشر المذهب وتخرج به الأصحاب ، وسمع بها من أبى الحسن السمسار ، وأبى عثمان الصابونى ووعظ ، واشتهر أمره ، وحصل له القبول التام .

وكان إماماً عارفاً بالفقه والأصول ، شديداً فى السنة ، زاهداً عارفاً ، عابداً متألهاً ، ذا أحوال وكرامات . وكان « تنش » صاحب دمشق يعظّمه .

قال أبو الحسين فى الطبقات : صحب الوالد من سنة نيف وأربعين وأربعمائة وتردد إلى مجلسه سنين عدة ، وعلق عنه أشياء فى الأصول والفروع ، ونسخ واستنسخ من مصنّفاته . وسافر إلى الرحبة والشام وحصل له الأصحاب والأتباع والتلامذة والفلان . وكانت له كرامات ظاهرة ، ووقعات مع الأشاعرة ، وظهر

عليهم بالحجة في مجالس السلاطين ببلاد الشام . ويقال : إنه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفتين .

وكان يتكلم في عدة أوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزويني الزاهد . فبلغني : أن « تنشا » لما عزم على الحجى ، إلى بغداد في الدفعة الأولى لما وصلها السلطان سأله الدعاء ؟ فدعاه بالسلامة ، فعاد سالماً . فلما كان في الدفعة الثانية استدعى السلطان وهو ببغداد لأخيه « تنش » فرُعب وسأل أبا الفرج الدعاء له . فقال له : لا تراه ولا تجتمع به . فقال له « تنش » : وهو مقيم ببغداد ، وقد برزت إلى عنده ، ولا بد من المصير إليه . فقال له : لا تراه ، فعجب من ذلك ، وبلغ « هيت » فجاء الخبر بوفاة السلطان ببغداد ، فعاد إلى دمشق وزادت حشمة أبي الفرج عنده ومنزلته لديه .

و بلغني أن بعض السلاطين من المخالفين كان أبو الفرج يدعو عليه ، ويقول : كم أرميه ولا تقع الرمية به ؟ فلما كان في الليلة التي هلك ذلك المخالف فيها ، قال أبو الفرج لبعض أصحابه : قد أصبت فلاناً وقد هلك ، فورّخت الليلة ، فلما كان بعد بضعة عشر يوماً ورد الخبر بوفاة ذلك الرجل في تلك الليلة التي أخبر أبو الفرج بهلاكه فيها .

قال : وكان أبو الفرج ناصراً لاعتقادنا ، متجرداً في نشره ، مبطلا لتأويل أخبار الصفات . وله تصنيف في الفقه والوعظ والأصول .

وقرأت بخط الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج قال : حدثنا الشريف الجواني النسابة عن أبيه قال : تكلم الشيخ أبو الفرج - أي الشيرازي الخزرجي - في مجلس وعظه ، فصاح رجل متواجداً ، فأت في المجلس . وكان يوماً مشهوداً . فقال المخالفون في المذهب : كيف نعمل إن لم يمت في مجلسنا أحد ، وإلا كان وهناً . فعمدوا إلى رجل غريب ، دفعوا له عشرة دنانير ، فقالوا : احضر مجلسنا ، فإذا طاب المجلس فصح صيحة عظيمة ،

ثم لا تتكلم حتى نحملك ونقول : مات . ونجعلك في بيت ، فاذهب في الليل ، وسافر عن البلد . ففعل ، وصاح صيحة عظيمة ، فقالوا : مات ، وحل . فجاء رجل من الحنابلة ، وزاحم حتى حصل تحتَه ، وعَصَرَ على خُصاه ، فصاح الرجل فقالوا : عاش ، عاش . وأخذ الناس في الضحك ، وقالوا المحال ينكشف .

قال الناصح : وكان الشيخ موفق الدين المقدسي يقول : كلُّنا في بركات الشيخ أبي الفرج . قال : وحدثني ونحن ببغداد قال : لما قدم الشيخ أبو الفرج إلى بلادهم من أرض بيت المقدس تسامع الناس به ، فزاروه من أقطار تلك البلاد قال : فقال جدِّي قدامة لأخيه : تعال نمشي إلى زيارة هذا الشيخ لعله يدعو لنا . قال : فزاروه ، فتقدم إليه قدامة فقال له : يا سيدي ، ادع لي أن يرزقني الله حفظَ القرآن . قال : فدعا له بذلك ، وأخوه لم يسأله شيئاً ، فبقي على حاله . وحفظَ قدامة القرآن . وانتشر الخير منهم ببركات دعوة الشيخ أبي الفرج . وللشيخ أبي الفرج تصانيف عدة في الفقه والأصول .

منها : « المبهج » و « الإيضاح » و « التبصرة في أصول الدين » و « مختصر في الحدود ، وفي أصول الفقه ، ومسائل الامتحان » .

وقرأت بخط الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ قال : سمعت والدي يقول : للشيخ أبي الفرج « كتاب الجواهر » وهو ثلاثون مجلدة يعني : في التفسير . قال : وكانت بنت الشيخ تحفظه ، وهي أم زين الدين علي بن نجما الواعظ ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

قال أبو يعلى بن القلانسي في تاريخه في حق الشيخ أبي الفرج : كان وافر العلم ، متين الدين ، حسن الوعظ ، محمود السمات .

توفي يوم الأحد ثامن عشر من ذي الحجة ، سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق . ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وقبره مشهور يزار .

وللشيخ رحمه الله ذرية . فيهم كثير من العلماء ، نذكرهم إن شاء الله تعالى في مواضعهم من هذا الكتاب ، يعرفون ببنت ابن الحنبلي .

وقد ذكر الشيخ موفق الدين في المغنى ، والشيخ مجد الدين بن تيمية في شرح الهداية ، عن أبي الفرج المقدسى : أن الوضوء في أواني النحاس مكروه وهو هذا .

وذكر عنه أيضاً : أن التسمية على الوضوء يصح الإتيان بها بعد غسل بعض الأعضاء ، ولا يشترط تقدمها على غسلها . وقد نسب أبو المعالى بن المنجا هذا في كتابه « النهاية » إلى أبي الفرج بن الجوزى . وهو وهم . وله غرائب كثيرة .

فمنها : أنه نقل في الإيضاح رواية عن أحمد : أن مس الأمد لشهوة ينقض ومنها : أن المسافر إذا مسح في السفر أكثر من يوم وليلة ، ثم أقام ، أو قدم : أتم مسح مسافر .

ومنها : أن الجنب يكره له أن يأخذ من شعره وأظفاره . ذكره في الإيضاح وهو غريب . يخالف لمنصوص أحمد في رواية جماعة .

ومنها : حكى في وجوب الزكاة في الغزلان روايتين . ومنها : أنه خرّج وجهاً : أنه يعتبر لوجوب الزكاة في جميع الأموال : إمكان الأداء ، من رواية اعتبار إمكان الأداء لوجوب الحج .

ومنها : ما قاله في الإيضاح : إذا وقف أرضاً على الفقراء والمساكين : لم يجب في الخارج منها العشر ، وإن كان على غيرهم : وجب فيها العشر . وللإمام أحمد نصوص تدل على مثل ذلك . وهو خلاف المعروف عند الأصحاب .

ومنها : ما قاله في الإيضاح أيضاً ، قال : والصدّاق يجب بالعقد ويستقر جميعه بالدخول ، ولو أسقطت حقها من الصدّاق قبل الدخول : لم يسقط ؛ لأنه إسقاط حق قبل استقراره ، فلم يسقط كالشفيع إذا أسقط حقه قبل الشراء . هذا لفظه وهو غريب جداً .

ومنها : أنه ذكر في المبهج في آخر الوصايا : إذا قال لعبده : إن أدّيتَ

إلى ألفاً فانت حرّ ، ثم أبرأه السيّد من الألف . عتق فجعل التعليق كالمعاوضة
ولأحمد في رواية أبي الصقر ما يدلّ عليه .

وذكر في كتاب الزكاة من المبهج أيضاً : أنه يجوز دفع الزكاة إلى من علق
عتقه بأداء مال ، وهو يرجع إلى هذا الأصل ، وأنّ التعليق معاوضة تثبت في الذمة .
وذكر أيضاً في المبهج : إذا باع أرضاً فيها زرع قائم قد بدا صلاحه : لم يتبع
قولاً واحداً ، وإن لم يبد صلاحه : فهل يتبع أم لا ؟ على وجهين ، فإن قلنا :
لا يتبع : أخذ البائع بقطعه ، إلا أن يستأجر الأرض من المشتري إلى حين إدراكه
وأما إذا بدا صلاحه : فإنه يبقى في الأرض من غير أجره إلى حين حصاده .
وذكر فيه أيضاً : أنه إذا اشترى شيئاً فبان معيباً ونما عنده نماء متصلاً ،
ثم ردّه : أخذ قيمة الزيادة من البائع ، وقد وافقه على ذلك ابن عقيل في كتاب
الصدّاق من فصوله .

وقد نقل ابن منصور عن أحمد ، فيمن اشترى سلعةً فنمت عنده ، وبان بها
داء : فإن شاء المشتري حبسها ورجع بقدر الداء ، وإن شاء ردّها ورجع عليه
بقدر النماء . وهذا ظاهر في الرجوع بقيمة النماء المتصل ، لأن النماء المنفصل مع بقائه
إما أن يستحقه المشتري أو البائع . وأما قيمته فلا يستحقها أحد منهما مع بقائه
ولا تلفه .

٢٩ - يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن سطور ، العكبري البرزبيني ،

القاضي أبو علي ، قاضي باب الأزج .

قدم بغداد بعد الثلاثين والأربعمئة . وسمع الحديث من أبي إسحاق البرمكي
وتفقه على القاضي أبي يعلى ، حتى برع في الفقه ، ودرس في حياته ، وشهد عند
ابن الدماغي ، هو والشريف أبو جعفر في يوم واحد ، سنة ثلاث وخمسين .
وزكّاهما شيخهما القاضي .

وتولى يعقوب القضاء بباب الأزج مدة ، ورأيت في تاريخ القضاة لابن

المنذرى^(١) : أن القاضى يعقوب عزل نفسه عن قضاء باب الأزج والشهادة ، سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وقال أبو الحسين : ولى القضاء بباب الأزج من جهة الوالد ، ثم عزل نفسه عن القضاء والشهادة سنة اثنتين وسبعين ، ثم عاد إليهما سنة ثمان وسبعين ، واستمر إلى موته . قال : وكان ذا معرفة تامة بأحكام القضاء ، وإنفاذ السجلات متعقفاً فى القضاء ، متشديداً فى السنة .

وقال ابن عقيل : كان أعرف قضاء الوقت بأحكام القضاء والشروط . سمعتُ ذلك من غير واحدٍ . ولم يكن أحد من الوكلاء يهاب قاضيا مثل هيئته له . وله المقامات المشهورة « بالديوان » حتى يُقال : إنه كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة من الصحابة ، فى قوة الرأى .

وذكره ابن السمعانى ، فقال : كانت له يدٌ قوية فى القرآن والحديث ، والفقه والمحاضرة . وقرأ عليه عامة الحنابلة ببغداد ، وانتفعوا به . وكان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، جرت أموره فى أحكامه على سدادٍ واستقامة .

وحدّث بشيء يسير عن أحمد عمر بن ميخائيل العكبرى ، وغيره . قال : وذكر لى شيخنا الجنيد بن يعقوب الجبلى الفقيه بباب الأزج : أنه سمع الحديث من القاضى أبى على يعقوب ، ولم يكن له أصل حاضر بما سمع منه . وقال : علّقتُ عنه الفقه ، وكان لجماعة من شيوخنا الأصهبانيين منه إجازة ، مثل أبى عبد الله الخلال ، وغانم بن خالد ، وأبى نصر الغازى ، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ ، وغيرهم .

وقال ابن الجوزى : حدّث وروى عنه أشياخنا . قلتُ : قال أبو الحسين : صنف كتباً فى الأصول والفروع . وكان له غلمان كثيرون - يعنى تلامذة - قال : وكان مبارك التعليم ، لم يدرس عليه أحد إلا أفلح وصار فقيها . وكانت حلقة بمجامع القصر .

(١) فى خطية إدارة الثقافة « لابن المندائى »

وعليه تفقه القاضى أبو حازم ، وأبو الحسين بن الزاغونى ، وأبوسعد المخرمى ،
وطلحة العاقولى ، وغيرهم .

وله تصانيف فى المذهب . منها : «التعليقة فى الفقه» فى عدة مجلدات ، وهى
مُلخصة من تعليقة شيخه القاضى .

ومن روى عنه القاضى أبو طاهر بن الكرخى ، وأخوه أبو الحسن .
وتوفى يوم الثلاثاء ثمانى عشرين شوال سنة ست وثمانين وأربعمائة . كذا
نقله ابن السمعانى من خط شجاع الدهلى . وذكره أيضا ابن المندائى - وذكر
الشهر والسنة - وأبو الحسين ، وابن الجوزى فى تاريخه .

وقال ابن الجوزى فى الطبقات : توفى فى شوال سنة ثمان - وقيل : سنة
ست وثمانين - وكان عمره سبعا وسبعين سنة . ودفن من الغد بباب الأرج ،
بمقبرة الفيل إلى جانب أبى بكر عبد العزيز غلام الخلال . رحمهم الله تعالى .

قال أبو الحسين : وصلى عليه أكابر أولاده بجامع القصر ، وحضر جنازته
خلق كثير من أرباب الدين والدنيا ، وأصحاب المناصب : نقيب العباسيين ،
ونقيب العلويين ، وحجاب السلطان ، وجماعة الشهود . وغيرهم .

و « بَرَزَيْن » بفتح الباء وسكون الراء وفتح الزاى وكسر الباء الثانية ، ثم
بياء ساكنة ونون - قرية كبيرة على خمسة فراسخ من بغداد . بينها وبين أوانا .
وذكر القاضى يعقوب فى تعليقه ، قال : إذا نذر عتق عبده ولا مال له غيره :
يحتمل أن يعود فيه ، كما لو نذر الصدقة بماله كله فعتق ثلثه . وإن سلمنا فالعتاق
أكد . ولهذا يفترقان فى نذر اللجاج والغضب . وهذا الاحتمال الأول مخالف
لما ذكره القاضى وابن عقيل وغيرهما من أهل المذهب .

لكن منهم من يعمل بأن العتق لا يتبعض فى ملك واحد ، كالقاضى فى
خلافه . وهذا موافقة على أن الواجب بالنذر عتق ثلثه لا غير . وإنما الباقى يعتق
بالسرابة .

ومنهم من يعلل بقوة العتق وتأكيده، كما ذكره القاضى يعقوب هنا . وعلى هذا فالواجب عتق العبد كله بالنذر .

وذكر القاضى يعقوب أيضا : فيما إذا حلف ليقضيته دراهمه التى عنده فأحاله بها ، وقال : يحتمل أن يبرأ ؛ لأن ذمته قد برئت بالحوالة . وهذا مخالف لقول القاضى والأصحاب ؛ فإن الحوالة نقلت الحق من ذمة إلى ذمة ، ولم يحصل بها الاستيفاء .

ورأيت بخط أبى زكريا بن الصيرفى الفقيه : أن القاضى أباعلى يعقوب اختار جواز أخذ الزكاة لبني هاشم ، إذا منعوا حقهم من الخمس .

وقرأت بخط الجنيد بن يعقوب الجلبى الفقيه « فرع : تملك الأم الرجوع فى الهبة » وهو اختيار القاضى يعقوب بن إبراهيم . وفيه رواية أخرى : لا تملك . اختارها بقية الأصحاب . وذكر القاضى يعقوب الخلاف بين أصحابنا فى أن الحروف : هل هى حرف واحد قديم ، أو حرفان : قديم ومحدث ؟ وقال : كلام أحمد يحتمل القولين . ولكنه اختار أنها حرف واحد . وحكاه عن شيخه القاضى وذكر أنه سمع ابن جلبة الحرانى يحكيه عن الشريف الزبدي ، وجماعة من أهل حران .

والتزم القاضى يعقوب : أن كل ما كان موافقا لكتاب الله من الكلام فى لفظه ونظمه وحروفه ، فهو من كتاب الله ، وإن قصد به خطاب آدمى ، حتى إنه لا يبطل الصلاة .

قال أبو العباس بن تيمية : وهذا مخالف للاجماع . وهو كما قال . فإنه إذا جرّد قصده للخطاب ، فهو يتكلم بكلام الأدميين . وأما إن قصد التنبيه بالقرآن ، فمن الأصحاب من قال : لا يحنث ، ومنهم من بناه على الخلاف فى بطلان الصلاة بذلك .

٣٠ - عبد الوهاب بن طالب بن أحمد بن يوسف بن عبد الله بن عنبة
بن عبد الله بن كعب بن زيد بن بهم ، أبو القاسم التميمي الأزجي البغدادي ،
المقرئ الفقيه .

نزىل دمشق . أقام بها مدة يؤم بمسجد درب الريحان . حدث بها بالإجازة
من الطناجيري . سمع منه ابن صابر الدمشقي المحدث وأخوه .
وتوفى ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأربعمائة .
وودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير . رحمه الله تعالى .

٣١ - رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن
الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم بن عبد الله
التميمي ، البغدادي المقرئ ، المحدث الفقيه الواعظ ، شيخ أهل العراق في زمانه ،
أبو محمد بن أبي الفرج بن أبي الحسن .
ولد سنة أربعمائة - وقيل : سنة إحدى وأربعمائة - وفي الطبقات لابن الجوزي :
سنة أربع .

وقال السلفي : سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن سلامة الروحاني بمصر يقول :
سمعت رزق الله التميمي ببغداد يقول : مولدى سنة ست وتسعين وثلاثمائة .
وقرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن الحمصي . وسمع الحديث من
أبي الحسين بن التميم ، وأبي عمر بن مهدي ، وأبى بشران ، وأبى علي بن شاذان ،
وغيرهم .

وأجاز له أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي ، وتفقه على أبيه أبي الفرج ، وعمه
أبى الفضل عبد الواحد ، وأبى علي بن أبى موسى صاحب الإرشاد .
قال أبو الحسين : وقرأ على الوالد السعيد قطعة من المذهب .
وأدرك من أصحاب ابن مجاهد رجلاً يقال له : أبو القاسم عبد الله بن محمد

الخفاف ، وقرأ عليه سورة البقرة . وقرأها على ابن مجاهد ، وأدرك من أصحاب أبي بكر الشبلي رجلاً ، وهو عمر بن تعويد . وحكى عنه حكاية عن الشبلي قال ابن الجوزي : وشهد عند أبي الحسين بن ماكولا قاضي القضاة . فلما توفي وولى ابن الدامغانى ترك الشهادة ؛ ترفعاً عن أن يشهد عنده . فجاء قاضي القضاة إليه مستدعياً لمودته وشهادته عنده ، فلم يخرج له عن موضعه ، ولم يصحبه مقصوده .

قال : وكان قد اجتمع للتميى القرآن ، والفقہ والحديث ، والأدب والوعظ . وكان جميل الصورة ، فوقع له القبول من الخواص والعوام . وأخرجه الخليفة رسولاً إلى السلطان فى مهام الدولة . وكان له الحلقة فى الفقہ ، والفتوى والوعظ بجامع المنصور . فلما انتقل إلى باب المراتب كانت له حلقة بجامع القصر يروى فيها الحديث ، ويفتى . وكان يمضى فى السنة أربع دفعات : فى رجب ، وشعبان ، ويوم عرفة ، وعاشوراء ، إلى مقبرة أحمد ، ويعقد هناك مجلساً للوعظ . وقال فى الطبقات : كانت له المعرفة الحسنة بالقرآن والحديث ، والفقہ والأصول ، والتفسير ، واللغة والعربية ، والفرائض . وكان حسن الأخلاق . وحكى عن ابن عقيل قال : كان سيد الجماعة من أصحاب أحمد بيتاً ورئاسة وحشمة أبا محمد التميمى . وكان أحلى الناس عبارة فى النظر ، وأجرام قلباً فى الفتيا ، وأحسنهم وعظاً .

وقال ابن عقيل فى فنونه - والكلام أظنه فى تاريخ بغداد - : ومن كبار مشايخى : أبو محمد التميمى شيخ زمانه . كان حسنة العالم ، ومامشة بغداد . وذكر عن التميمى أنه كان يقول : كل الطوائف تدعبنى .

وقال شجاع الذهلى - فيما حكاه عن السلفى - كان له لسان وعارضة ، وحلاوة منطق . وهو أحد الوعاظ المذكورين ، والشيوخ المتقدمين . وقد سمعت منه .

وقال السلفي : سألت المؤتمن الساجي عن أبي محمد التميمي ؟ فقال : هو الإمام
علماً ونفساً وأبوة ، وما يذكر عنه فتحامل من أعدائه .

وقال شيرويه الديلمي الحافظ : هو شيخ الحنابلة ، ومقدمهم . سمعتُ منه .
وكان ثقةً صدوقاً ، فاضلاً ذا حشمة .

وقال أبو عامر العبدري : رزق الله التميمي كان شيخاً بهياً ، ظريفاً لطيفاً ،
كثير الحكايات والملح ، ما أعلمُ منه إلا خيراً .

وقال أبو علي بن سكرة في مشيخته : ما لقيتُ في بغداد مثله - يعني
التميمي - قرأتُ عليه كثيراً . وإنما لم أطل ذكره لعجزى عن وصفه لكماله وقضيه
وقال ابن ناصر ما رأيتُ شيخاً ابن سبع وثمانين سنة أحسن سمناً وهدياً ،
واستقامة منه ، ولا أحسن كلاماً ، وأظرف وعظماً ، وأسرع جواباً منه ؛ فلقد
كان جمالاً للإسلام كما لقب ، وفخراً لأهل العراق خاصة ، ولجميع بلاد الإسلام
عامة ، وما رأينا مثله . وكان مقدماً على الشيوخ والفقهاء وشهود الحضرة ،
وهو شاب ابن عشرين سنة ، فكيف به وقد ناهز التسعين سنة ؟ وكان مكرماً
وذا قدر رفيع عند الخلفاء ، منذ زمن القادر ومن بعده من الخلفاء إلى خلافة
المستظهر .

وله تصانيف . منها « شرح الإرشاد » لشيخه ابن أبي موسى في الفقه والحاصل
والأقسام .

قرأ عليه بالروايات جماعة ، منهم : أبو الكرم الشهرزوري ، وغيره . وأملى
الحديث . وسمع منه خلق كثير ببغداد وأصبهان ، لما قدمها رسولا من جهة
المقتدى .

ومن سمع منه الحفاظ : إسماعيل التميمي ، وأبو سعد بن البغدادي ،
وأبو عبد الله الحميدي ، وابن الخاضبة ، وأبو مسعود سليمان بن إبراهيم ، وأبو نعيم
ابن الحداد ، وأبو علي البرداني ، وأبو نصر الغازي ، وإسماعيل بن السمرقندي ،
وابن ناصر ، ومحمد بن طاهر ، وعبد الوهاب الأنماطي .

وسمع منه أيضاً : نصر الله المصيبي ، وهبة الله بن طاوس ، وعلي بن طراد ، والقاضي أبو بكر ، والقاضي أبو الحسين ، وأخوه أبو حازم ، وابن البطي ، وخلق كثير .

وقد روى ابن السمعاني : حديث « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا » عن أربعة وسبعين ، سماعاً له ، سمعوه من التميمي .
وروى عنه من أهل أصبهان أزيد من مائة راوٍ . وآخر من روى عنه : السلفي بالإجازة .

وذكر ابن النجار في أول تاريخه بإسناده عن خميس الجوزي الحافظ : سمعتُ طلحة بن علي الرازي ، قال : رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ببغداد ، كأنه في مسجد عتاب ، جالس في القبلة ، وعليه برد كجِل^(١) ، وهو منقلد بسيف ، والمسجد غاص بأهله . وفي الجماعة أبو محمد التميمي وهو يقول له : يا رسول الله ، ادعُ الله لنا فرفع يديه ، فقال - وأنا أقول معه - : اللهم إنا نسألك حسن الاختيار في جميع الأقدار ، ونعوذُ بك من سوء الاختيار في جميع الأقدار . قال أحمد بن طارق الكركي : سمعتُ أبا الكرم الشهرزوري يقول : سمعتُ التميمي يقول : لما دخلتُ سمرقند برسالة المقتدى إلى «ملكشاه» رأيتهم يروون الناسخ والنسخ لهبة الله عن خمسة رجال إليه ، فقلت لهم : الكتابُ معي ، والمصنّفُ جدى لأمي ، ومنه سمعتهُ ، ولكن ما أسمع كل واحد منكم إلا بمائة دينار . فما كان الظهر حتى جاءني كيس فيه خمسمائة دينار والجماعة فسمعوا عليّ ، وسلموا إليّ الذهب . قال : ولما عدنا من سمرقند ودخلنا أصبهان ، وأمليتُ الحديث يوم الجمعة ، فقام الجماعة ومدحوني ، وقالوا : ما سمعنا أحسن من هذا .

ولأبي محمد التميمي شعرٌ حسن . قال ابن السمعاني : أنشدنا هبة الله ابن طاوس بدمشق ، أنشدنا التميمي لنفسه :

وما شأنُ الشيب من أجل لونه ولكنه حادٍ إلى البين مسرعٌ

(١) في خطية إدارة الثقافة «كحلي»

إذا ما بدت منه الطليعة آذنت
فإن قصصها المقراضُ صاحت بأختها
وإن خضبت حال الخضابُ لأنه
فيضحى كريش الديك فيه تلثمُ
إذا ما بلغت الأربعين قفل لمن
هلموا لبكي قبل فرقة بيننا
وخَلَّ التصابي، والخلاعة، والهوى
وخذ جنة تُنجي وزاداً من التقى

قال : وأنشدنا إسماعيل بن السمرقندي ، أنشدنا التميمي لنفسه :

مرزنا على رسم الديار فسلمنا
وجدنا بدمع كالرذاذ على الثرى
وما ذاك إلا أن رسم ديارهم
فما أيسنا من جواب رؤوسهم
ومن شعره :

يا ويح هذا القلب ما حاله
سكران لو يصحو لعاتبه
دمع غزير ، وجوى كامن
ما ينثنى باللوم عن حبه
قال : وأنشدنا لنفسه :

ولم أستطع يومَ الفراقِ وداعه
وشيعه صبرى ونوى كلاهما
فلما مضى أقبلتُ أسى مؤلها
تبدلتُ يومَ البين بالأنس وحشة
بلفظي فنابَ الدمعُ مِنِّي عن القول
فعدتُ بلا أنسٍ نهاري ولا ليلي
يَدَى على رأسي وناديتُ : يا ويلي
وجررتُ بالخسران يومَ النوى ذيلي

وله أيضا :

لا تسألاني عن الحى الذى بانا فإنتى كنتُ يوم البين سكرانا
يا صاحبي على وجدى بُنعمانا هل راجعٌ وصلُ ليلي كالذى كانا ؟
أم ذاك آخر عهدٍ للقاء بها فنجعل الدهر ما عشناه أحرانا
ما ضرهم لو أقاموا يوم بينهم بقدر ما يلبس الحزون أ كفانا
ليت الجبال التى للبين ما خلقت ولت حادٍ حاداً للبين حيرانا

تُوفى أبو محمد التميمي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . وصلى عليه ابنه أبو الفضل من الغد . ودُفن بداره بباب المراتب بإذن الخليفة المستظهر . ولم يُدفن بها أحد قبله .

ثم لما توفى ابنه أبو الفضل سنة إحدى وتسعين ، نقل معه إلى مقبرة باب حرب ، فدُفن إلى جانب أبيه وجدته وعمه ، بدكة الإمام أحمد عن يمينه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحى ، أخبرنا أبو المعالى أحمد بن إسحاق الهمداني ، أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور ، أنبأنا عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي مع وأنبأتنا زينب بنت أحمد عن عبد الرحمن بن مكى عن جده أبى الطاهر بن أحمد بن محمد الأصبهاني ، قال : أنبأنا أبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود ابن سفيان بن يزيد بن أكينة بن الهيثم بن عبد الله التميمي - قال الأول : سمعا ، وقال الثانى : إجازة - قال : سمعتُ أبى أبا الفرج عبد الوهاب يقول : سمعتُ أبى أبا الحسن عبد العزيز يقول : سمعتُ أبى أبا بكر الحرث يقول : سمعتُ أبى أسداً يقول : سمعتُ أبى الليث يقول : سمعتُ أبى سليمان يقول : سمعتُ أبى الأسود يقول : سمعتُ أبى سفيان يقول : سمعتُ أبى يزيد يقول : سمعتُ أبى أكينة يقول : سمعتُ أبى الهيثم يقول : سمعتُ أبى عبد الله يقول :

سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ اللهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ » .

« أَكْيَنَةُ » بضم الهمزة وفتح الكاف و بالياء والنون المفتوحة قيده ابنُ ماكولا وغيره . وعبد الله هذا هو ابن الحرث بن سيدان بن مُرَّة بن سفيان بن مجاشع ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي . كذا نسبه ابن ماكولا .

وقال ابن الجوزي : كان عبدُ الله هذا إسمه عبد اللات ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله ، وعلمه . وأرسله إلى اليمامة والبحرين ؛ ليعلمهم أمر دينهم ، وقال : « نزع الله من صدرك وصدرك ولدك الغل والغش إلى يوم القيامة » .

قرأتُ بخط الإمام أبي العباس بن تيمية : أن أبا محمد التميمي وافق جده أبا الحسن على كراهة الماء المسخن بالشمس .

ونقل بعضُ الأصحاب عن أبي محمد التميمي : أنه اختار أن يخرج المنى بغير شهوة يوجب الغسل .

وذكر ابن الصيرفي في نوادره قال : نقل أبو داود عن أحمد : المرأة تعدم الماء ، ويكون عنده مجتمع الفساق ، فتخاف أن تخرج : أتتيمم ؟ قال : لا أدري . قال أبو محمد التميمي في شرح الإرشاد : يتوجه أن تتيمم لأنه ضرورة . وهل تعيد الوضوء إذا قدرت على الماء ؟ على وجهين . أصحهما : لا إعادة عليها . قال : وكان عبدُ العزيز يقول : تُعيد الوضوء والصلاة إذا قدرت ، فإن لم تُعد فلا جناح .

وقال غيره من أصحابنا : لا إعادة . قال : وهو الصحيح . وبه يقول شيخنا .
يعنى : ابن أبي موسى .

قلتُ : فحقيقة الوجهين في الإعادة إنما هي في الاستحباب وعدمه ؛ فإن
أبا بكر قد قال : فإن لم تُعد فلا حرج .

وقد ذكر الأصحاب : أن أحمد نصَّ في رواية أخرى على أنها لا تمضي وتتميم
بل قالوا : لا يجوز لها المضي إذا خافت على نفسها منهم .

وفي النوادر أيضاً : أن أبا محمد التميمي حكى رواية عن أحمد : بصحة
الصلاة عن يسار الإمام مع الكراهة .

وفي المنثور لابن عقيل : ذكر شيخنا في الجامع الكبير : إذا فسد ، وشد
العصابة : مسح عليها وتيمم . فاعترض عليه أبو محمد التميمي بأنه لا يخلو : إما أن
يكون جرحاً فيتيمم له ، أو مثل الجبيرة فيمسحه فقط . فقال القاضي : وجدتها
عن أحمد كذلك - يعني : جواب التميمي .

وذكر ابن الجوزي في تاريخه : أن جلال الدولة أمره أن يكتب شاهنشاه^(١)
الأعظم ملك الملوك ، وخطب له بذلك . فنفر العامة ، ورجعوا الخطباء ، ووقعت
فتنة . وذلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة . فاستفتى الفقهاء فكتب الصيّمري :
أن هذه الأسماء يُعتبر فيها القصد والنية . وكتب أبو الطيب الطبري : أن إطلاق
ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض . وإذا جاز أن يُقال : قاضي
القضاة ، وكافي الكفاة ، جاز أن يُقال : ملك الملوك . وكتب التميمي نحو ذلك
وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني : أن القاضي الماوردي منع من جواز ذلك .
قال ابن الجوزي : والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قصد به ملوك

الدنيا ، إلا أني لا أرى إلا مارآه الماوردي ؛ لأنه قد صحَّ في الحديث ما يدل على
المنع لكنهم عن النقل بمعزل . ثم ساق حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين .
وابن الجوزي وافق على جواز التسمية بقاضي القضاة ونحوه . وقد ذكر شيخنا
أبو عبد الله بن القيم قال : وقال بعض العلماء : وفي معنى ذلك - يعني : ملك
الملوك - كراهية التسمية بقاضي القضاة ، وحاكم الحكام ؛ فإنَّ حاكم الحكام

(١) في خطية إدارة الثقافة « شاه شاه » .

في الحقيقة هو الله تعالى . وقد كان جماعةً من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ قاضي القضاة ، وحاكم الحكام ، قياساً على ما يبغيضه الله ورسوله من التسمية بملك الأملاك . وهذا محض القياس .

قلتُ : وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى الشافعى - قاضى الديار المصرية ، وابن قاضيتها - يمنع الناس أن يخاطبوه بقاضى القضاة ، أو يكتبوا له ذلك ، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بقاضى المسلمين . وقال : إنَّ هذا اللفظ مأثورٌ عن على رضى الله عنه .

يوضح ذلك : أن التقليل بملك الملوك إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم الجوس ونحوهم . وكذلك كان الجوس يسمون قاضيتهم « موبذ موبذان » يعنون بذلك : قاضى القضاة . قال كلمتان من شعائرهم ، ولا ينبغي التسمية بهما . والله أعلم .

٣٢ - عبد الوهاب بن رزق الله بن عبد الوهاب التيمى ، أبو الفضل بن

أبى محمد المذكور قبله .

ذكره ابن السمعانى ، فقال : كان فاضلاً ، متقناً ، واعظاً ، جميل الحيا . سمع أبا طالب بن غيلان . وحدثنا عنه عبد الوهاب الأتماطى . ثم ساق له حديثاً ، ثم قال : سمعتُ أبا الفضل بن ناصر يقول : مات أبو الفضل عبد الوهاب ابن أبى محمد التيمى يوم الإثنين ليلتين بقيتسا من جمادى الآخرة ، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة . ودُفن من الغد بمقبرة باب حرب .

وقد قدمنا أن أباه نُقل معه إلى باب حرب في هذا اليوم .

وذكر أبو الحسين فى الطبقات : أنه كان يحضر بين يدي أبيه فى مجالس وعظه بمقبرة الإمام أحمد ، وينهض بعد كلامه قائماً على قدميه ، ويورد فصولاً مسجوعة .

٣٣ - عبد الواسع بن رزق الله بن عبد الوهاب التيمى ، أبو القاسم ،

أخو المذكور قبله .

ذكره ابن السمعاني أيضاً ، فقال : من أولاد الأئمة والمحدثين ، قرأ القرآن والحديث والفقہ . وكان من محاسن البغداديين في الوعظ . ختم به بيته ، ولم يعقب .
سمع أبا طالب بن غيلان ، وحدث بشيء يسير .
قلتُ : وسمع هو وأخوه عبد الوهاب من القاضي أبي يعلى . ثم قال : سألتُ عبد الوهاب الأتباطي عنه ؟ فقال : كان صدعاً^(١) . وكان يلبس الحرير .
وذكر ابن النجار : أنه كان يُراسل به إلى الملوك في أيام المستظهر ، وأنه كان شديد القوة في بدنه ، وأنه حدث بأصبهان .
وسمع منه محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ .
وتوفي يوم الأحد سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .
ودُفِن من الغد بمقبرة باب حرب عند أخيه أبي الفضل . رحمهم الله تعالى .

٣٤ - علي بن عمرو بن علي بن الحسن بن عمرو الحراني ، أبو الحسن بن

الضرير ، الفقيه ، الزاهد .

صحاب الشريف أبا القاسم الزيدي الحراني وأخذ عنه ، وسمع منه . وتفقه ببغداد على القاضي . وكان من أكابر شيوخ حرّان .
ذكره أبو الفتح بن عبدوس ، وغيره . وحدث بالإبانة الصغرى لابن بطّة ، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بجران ، بسماعه من الشريف الزيدي ، بسماعه من ابن بطّة .

قرأت بخط بعض أصحابه أنه أنشدهم لغيره :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قومٌ همُّ منك أرفعُ
فإن كنت في عزٍّ ، وحرزٍ ، ومَنعةٍ فكم مات من قومٍ همُّ منك أمتع

وذكره أبو الحسين ، فقال : الصالح التقى ، صاحب الوالد السعيد .

توفي بسروج ، في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وحكى لي ابنه خليفة ، قال : حكى لي رجل من أهل سُروج من الصالحين :

(١) في خطية إدارة الثقافة « صداعا » .

أنه رأى في تلك الليلة قائلاً يقول له : يا فلان ، إلى متى تنام ؟ قم ، قد انهدم ربع الإسلام . قال : فانتبهتُ ، وانزعجتُ ، ثم عدتُ نمتُ ، فرأيتُ القائلَ يقولُ : كم تنامُ ، قد انهدم ربع الإسلام . قال : فقعدتُ واستغفرتُ الله تعالى . وقلتُ : إيش هذا ؟ قال : ثمَّ نمتُ ، فقال لى يافلانُ ، قد انهدم ربع الإسلام . قد مات علي بن عمرو . قال : فأصبحتُ وقد مات رحمه الله تعالى .

٣٥ - علي بن المبارك الكرضي النهري ، الفقيه أبو الحسن .

وقال ابن نقطة : هو علي بن محمد الفقيه ، من أقران ابن عقيل . قال أبو الحسين : تفقه على الوالد ، ودرس في حياته وبعده مماته . وكان كثير الذكاء ، قيماً بالفرائض .

سمع من الوالد الحديث الكثير .

وتوفى في ذى القعدة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وصليتُ عليه إماماً

ودُفن بمقبرة جامع المنصور .

قال : وسمعتُ أبا الحسن النهري قال : كنتُ في بعض الأيام أمشي مع

القاضي الإمام والدك ، فالتفتَ ، فقال لى : لا تلتفتُ إذا مشيتَ ؛ فإنه يُنسب فاعل ذلك إلى الحق .

قال : وقال لى يوماً آخر - وأنا أمشي معه - : إذا مشيتَ مع من تعظمه ،

أين تمشي منه ؟ قلت : لا أدري ، قال : عن يمينه ، تقيمه مقام الإمام في الصلاة ، وتخلي له الجانب الأيسر ، فإذا أراد أن يستنثر أو يزيل أذى جعله في الجانب الأيسر .

٣٦ - عبد الله بن جابر بن ياسين بن الحسن بن محمد بن أحمد بن محموية

ابن خالد العسكري ، الحنأني ، العطار ، الفقيه ، المحدث ، أبو محمد ابن أبي الحسن .

ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة . وسمع الحديث من أبي علي بن شاذان ،
وأبي القاسم بن بشران ، وغيرها وتفقه على القاضي أبي يعلى ، واستعمل عليه الحديث
قال ابن السمعاني : تفقه على القاضي أبي يعلى . وكان خال أولاده . وكان
صدوقاً ، مليح المحاضرة ، حسن الخط ، بهي المنظر . وكان يستعمل للقاضي أبي يعلى
بجامع المنصور .

وقال القاضي أبو الحسين : علق عن الوالد قطعة من المذهب والخلاف .
وكتب أشياء من تصانيفه . وكان صادق اللهجة ، حسن الوجه ، مليح المحاضرة ،
كثير القراءة للقرآن ، مليح الخط ، حسن الحساب .
وذكر القاضي عياض : أنه سأل أبا علي بن سكرة عنه ؟ فقال : كان شيخاً
مستوراً ، فاضلاً .

روى عنه القاضي أبو الحسين ، وأبو القاسم بن السمرقندي ، وعبد الوهاب
الأنماطي ، وعمر بن ظفر ، وجماعة .

قال القاضي أبو الحسين : مات خالي يوم الأربعاء عشرين شوال سنة ثلاث
وتسعين وأربعمائة ، وصليت عليه إماماً . ودُفن بمقبرة باب حرب . قريبا من قبر
الإمام أحمد .

قال شجاع الذهلي : مات يوم الخميس حادي عشرين شوال .

قال ابن السمعاني : والأول هو الصواب ؛ وإنما دُفن يوم الخميس . وكان
أبوه أبو الحسن جابر بن ياسين ثقة ، من أهل السنة .

سمع من أبي حفص الكناني ، والخلص ، وجماعة . وحدث .

روى عنه القاضي أبو بكر الأنصاري .

وتوفي سنة أربع وستين وأربعمائة في شوال .

و « مَحْمُويَه » في نسبه : - بميم مفتوحة ، ثم حاء مهملة ، ثم ميم مضمومة .

هذا هو الصحيح . وذكره ابن السمرقندي : « حمويه » بلام في أوله . والحنائي
أظنه منسوب إلى بيع الحناء .

٣٧ - زياد بن علي بن هرون أبو القاسم الحنبلي الفقيه .

نزىل بغداد . سمع بها من أبي مسلم عمر بن علي الآيشي البُخارى . وحدث عنه بكتاب الوَجيز لابن خزيمة . سمعه منه أبو الحسن بن الزاغوني ، وأبو الحسين ابن الأبنوسى ، ورواه عنه .

وذكر هبة الله السقطى : أن زياداً الفقيه الحنبلي توفى فى طاعون ، سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة . رحمه الله تعالى .

٣٨ - إسماعيل بن أصم بن محمد بن خيران البزاز الهمداني^(١) ، أبو محمد

الحافظ .

مكثر . سمع بنيسابور عبد الغافر الفارسى ، وأبا عثمان الصابونى ، وأخاه أبا يعلى ، وأبا حفص بن مسرور . وبأصبهان أبا عمر بن منده ، وغيره . وسمع ببلدان شتى . وحدث ببغداد .

سمع منه أبو عامر العبدرى . وروى عنه ابن السقطى فى معجمه . وقال شيرويه الديلمى عنه . وهو الذى وصفه بالحنبلى

سمع عليه مشايخ الوقت بخراسان والجليل ، وكان حافظاً مكثراً ، قديم الحديث . وذكر ابن النجار : أنه تُوفى ببغداد يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، بالمراستان . ودُفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

٣٩ - محمد بن علي بن الحسين بن جدا العكبرى ، أبو بكر بن

أبى الحسين المتقدم .

ذكره ابن الجوزى فى التاريخ ، وقال : كان من العلماء . نزل يتوضأ فى دجلة فغرق ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة . وقال شجاع الذهبى : يوم الخميس خامس ربيع الأول .

(١) فى خطية إدارة الثقافة «البزاز الهمداني»

قال ابن النجار : سمع مع والده من أبي الحسين بن المهدي حضوراً سنة
مت وستين وأربعمائة . ومات شاباً . وما أظنه روى شيئاً .

٤٠ - عبد الباقى بن مكرمة بن الحسين الحداد ، الفرضى ، أبو الفضل .

وُلد سنة خمس وعشرين وأربعمائة .

وذكره ابن السمعاني ، فقال : شيخٌ صالح ، خير . كان قد قرأ الفقه . وكانت
يد في الفرائض والحساب .

سمع أبا محمد الجوهري وغيره .

وروى لنا عنه أبو الغنائم سرايا بن هبة الله الحراني ، وأبو الفضل بن ناصر
الحافظ . سألته عنه ؟ فأحسن الثناء عليه ووثقه ، وقال : ثقةٌ خيرٌ .

وذكر ابن النجار : أنه سمع أيضاً من أبوي الحسين بن المهدي ، وابن
حسنون ، وأبي عليّ المبارك ، وهناد النسفي ، وغيرهم . وأنه حدّث باليسير .

وروى عنه سعيد بن الرزاز الفقيه ، وأبو محمد المقرئ المعروف بسبط الخياط ،
وأبو بكر محمد بن خذاذاد الحداد .

توفي يوم السبت رابع عشر شعبان سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة . ودفن في
مقبرة باب أبرز .

قلتُ : له كتاب « الإيضاح في الفرائض » . رأيتُ منه المجلد الأول . وهو
حسن جداً . صنّفه على مذهب الإمام أحمد . وحرّر فيه نقل المذهب تحريراً جيداً

ومما ذكر فيه ، في باب توريث ذوى الأرحام ، في عمة لأبوين وعمّة لأب
وعمّة لأم : المال بينهن على خمسة : للعمّة من الأبوين ثلاثة أسهم ، وللعمّة من
الأب سهم ، وللعمّة من الأم سهم . هذا إذا نزلناهن أباً ، فأما إذا نزلناهن عمّاً ،
ففي ذلك خلاف بين أصحابنا . فمنهم من قال : الأشبهُ بمذهبنا : أن يكون المال
لعمّة مع الأبوين ، بمنزلة الأعمام المفرقين . ومنهم من قال : الأشبه أن يجعل

المال بينهن على خمسة ، كأنَّ العمَّ مات وترك ثلاث أخوات مفترقات ، كما قلنا في الأب .

قال : وهذا هو المنصوص عن أحمد . وجدته في كتاب الشافى لأبى بكر عبد العزيز ، من رواية حرب بن إسماعيل .

سمعتُ أحمد قيل له في ثلاث عمَّات مفترقات ؟ قال : على النصف والسدس . قيل له : أليس المال للعمَّة من الأب والأم ؟ قال : لا . وهذا نص .

قلتُ : لم يبين أحمد الأصل الذى تفرع عنه هذا الجواب ، وهل هو تنزيل العمات أباً أو عمَّاً ؟ وعنه في ذلك روايات معروفة . لكنه لما أنكر أن يكون المال تختص به العمَّة للأبوين ، ولم يفصل بين أن يقال : بتزليلهن أباً أو عمَّاً ، ظهر منه : أنه لا فرق في ذلك بين تنزيلهن أباً أو عمَّاً . وهذا هو الصواب الذى عليه جمهور الأصحاب . والأول الذى ذكره ابن الحداد عن بعض الأصحاب ، قد قاله الشيرازى فى المبهج وغيره ، وجعلوا العمات بمنزلة الأعمام المفرقين .

وهذا مع مخالفته لنص أحمد ، فهو ضعيف فى القياس أيضاً ؛ فإننا لا ننزل العمات أعماماً متفرقين بمنزلة إخوتهن حتى ننزل العمَّة لأم عمَّاً لأم . فإنه يلزم من ذلك سقوطها ألبتة ؛ لأنه غير وارثٍ . وإنما ننزلهن كلهن أعماماً لأبوين بمنزلة أخيهن العم من الأبوين .

ولا يقال : فيلزم من ذلك أن يقتسموا المال بينهن بالسَّوِيَّة كالأعمام المتفقين ؛ لأننا نجعل المدلى به وهو العم كمَّيتٍ ورثه أخواته ، وهن العمات الثلاث ، فيقتسمون المال على خمسة ، كما قلنا مثل ذلك فى تنزيلهن أباً . ولا فرق بينهما . فإن القاعدة : أنه إذا أدلى جماعة بوارثٍ واحد ، ولم يتفاضلوا بالسبق إليه فنصيبه بينهم على حسب ميراثهم منه لو ورثوه ، سواء اختلفت منازلهم منه كالإخوة والأخوات المفترقين ، أو تساوت كأولاده وإخوته المتفقين .

٤١ - محمد بن الحسن بن جعفر الراذانى ، المقرئ الفقيه الزاهد ، نزيل أوانا

أبو عبد الله .

ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة .

قال القاضي أبو الحسين: صحب الوالد . وكان زاهداً ، ورعاً ، عالماً بالقراءات وغيرها . وعده أيضاً من تفقه على أبيه ، وعلق عنه .

وذكر ابن النجار : أنه سمع من القاضي أبي يعلى ، ومن أبي الغنأم بن المأمون ، وأبي بكر بن حمدويه ، وخلق . وأنه حدث باليسير .

وروى عنه الحافظ أبو نصر اليونارقي في معجمه ، وقال : أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو عبد الله الراذاني .

وقال ابن السمعاني : كان قتيهاً ، مقرئاً ، من الزهاد المنقطعين ، والعباد الورعين ، مجاب الدعوة ، صاحب كرامات . سمع من القاضي أبي يعلى وغيره . سمعتُ الحسن بن حريفاً الشيخ صالح باللجعة يقول : دخلتُ على أبي عبد الله الراذاني ، واعتذرتُ عن تأخرى عنه ، فقال : لا تعذرْ ؛ فإن الاجتماع مقدر .

وسمعتُ ظافر بن معاوية المقرئ بالحرية^(١) يقول : سمعتُ أن أبا عبد الله الراذاني أراد أن يخرج إلى الصلاة ، فجاء ابنه إليه ، وكان صغيراً ، وقال : يا أبي أريد غزالاً ألعبُ به . فسكت الشيخ ، فلاح الصبي ، وقال : لا بد لي من غزال ، فقال له الشيخ : اسكت يا بني ، غداً يجيئك غزال . فن الغد كان الشيخ قاعداً في بيته ، فجاء غزال ووقف على باب الشيخ ، وكان يضرب بقرنيه الباب إلى أن فتحوا له الباب ودخل ، فقال الشيخ لابنه : يا بني ، جاءك الغزال .

وذكر ابن النجار بإسناده : أن رجلاً حلف بالطلاق أنه رآه بعرفة ، ولم يكن الشيخ حج تلك السنة ، فأخبر الشيخ بذلك فأطرق ، ثم رفع رأسه ، وقال : أجمعت الأمة قاطبة على أن إبليس عدو الله يسير من المشرق إلى المغرب ، في إفتان مسلم أو مسلمة ، في لحظة واحدة ، فلا يفكر لعبد من عبيد الله أن يمضي في

(١) في خطية إدارة الثقافة « بالحرية »

طاعة الله بإذن الله في ليلة إلى مكة ويعود . ثم التفت إلى الحالف ، وقال : طب نفساً ؛ فإن زوجتك معك حلال .

قال ابن الجوزي : كان الراذاني كثير التهجيد ، ملازمًا للصيام .
توفي رحمه الله يوم الأحد رابع عشر جمادى الأولى ، سنة أربع وتسعين وأربعمائة . ودفن بأوانا .

٤٢ - أبو الحسن بن زفر العكبري

ذكره القاضي أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه ، وعلق عنه ، وسمع منه .
وقال في ترجمته : صحب الوالد ، وسمع درسه . وكان صالحاً ، كثير التلاوة والتلقين للقرآن . وبلغني أنه سرد الصوم خمساً وسبعين سنة .
ومات قبل أبي عبد الله بن الراذاني بأيام يسيرة وله تسعون سنة رحمه الله تعالى .

٤٣ - محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البرداني ،

الفقيه الزاهد ، أبو سعد .

أحد الفقهاء من أصحاب القاضي أبي يعلى . سمع منه .
قال ابن النجار : وما أظنه روى شيئاً .

قال ابن الخشاب : أنشدني أبو بكر هبة الله بن أحمد الحفار ، أنشدني أبو سعد البرداني عند موته :

إِنَّ مِنْ يَأْمُرُ بِالصِّبْرِ مِنْ الصِّبْرِ نَفْرٌ
إِنَّ فِي الصِّدْرِ مِنَ الصِّبْرِ كَأَيْنَاتٍ تَصْرُ

قال : أنشدنيهما ، ثم فاضت نفسه رحمه الله .

توفي يوم الأحد ثامن عشر المحرم سنة ست وتسعين وأربعمائة . ودفن في مقبرة باب حرب .

ذكر ابن عقيل في فنونه قال : وجدت رواية عن أحمد بخط أبي سعد

البرداني : أن عبدة الأوثان يقرون بالجزية ١٠

قال : وذكر ابن السمعاني : أنه مذهب أبي حنيفة . وهذا النقل عام في العرب وغيرهم . وليست هذه الرواية المشهورة : أن الجزية تؤخذ من كل الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب ؛ فإن هذه الرواية مشهورة عن أحمد ، وهي معروفة في كتب القاضى وغيرها ، فلا يحتاج مَنْ دون ابن عقيل - فضلاً عن ابن عقيل - في نقلها إلى أن يجدها في تعليق أبي سعد البرداني

٤٤ - محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن كادش العكبرى ، المحدث ،

المستملى ، أبو ياسر .

مفيد أهل بغداد . وُلد سنة سبع وعشرين وأربعمائة : وسمع ، وكتب الكثير وأفاد الناس . وسمع الطلبة والغرباء بقراءته وإفادته الكثير .

سمع قديماً من الجوهرى ، والقاضى الماوردى ، والقاضى أبي يعلى ، وأبى الحسن ابن حسنون . وقرأ بنفسه الكثير على طراد ، وابن البطى ، وطبقتهما . وحدث باليسير .

روى عنه السمرقندى ، والسلفى وقال عنه : كان قارئاً ببغداد ، والمستملى بها على الشيوخ ، ثقة ، كثير السماع ، ولم يكن له أنس بالعربية . وكان حنبلى المذهب ، جهورى الصوت عند قراءة الحديث والاستملاء .

توفى في يوم الاثنين رابع صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة . ودفن بمقبرة باب حرب .

٤٥ - أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البرداني ، المستملى ، أبو على

الحافظ . وقد سبق ذكر والده أبى الحسن .

ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة . وسمع من العشارى سنة ثلاثٍ وثلاثين . وهو أول سماعه . ومن أبى القاسم الأزجى ، وأبى الحسن القزوينى ، وابن غيلان ، والبرمكى ، والخطيب ، وغيرهم . وكتب الكثير وخرّج ، وانتقى ، واستملى . وتفقه على القاضى أبى يعلى .

قال أبو الحسين في الطبقات : سمع درس الوالد سنين ، وسمع منه الحديث الكثير . وكان أحد المستملين عليه بجامع المنصور .

قال ابن السمعاني : كان أحد المميزين في صنعة الحديث .

وقال ابن الجوزي : كان ثقة ، ثبتاً ، صالحاً ، له معرفة تامة بالحديث .

وقال غيره : كان بصيراً بالحديث ، محققاً حجة . سمع منه جماعة ، وحدث عنه علي بن طراد ، وإسماعيل التميمي ، والسلفي ، وسأله عن أحوال جماعة ؟ فأجاب وأجاد .

قال السلفي : كان أبو عليّ أحفظ وأعرف من شجاع الذهلي . وكان ثقة ، نبيلاً ، له تصانيف .

قال الذهبي : جمع مجلداً في المنامات النبوية .

قلتُ : وله جزء في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر الصديق .

ونقل السلفي عن خميس الجوزي الحافظ قال : كان أبو علي بن البرداني أحد

الحفاظ الأئمة الذين يعلمون مايقولون .

توفي ليلة الخميس حادى عشرين شوال ، سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . ودفن

من الغد بمقبرة باب حرب .

وفي الطبقات لأبي الحسين : أنه توفي عشية الأربعمائة عشر شوال .

٤٦ - محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق ، الشيرازي الأصل ، البغدادي ،

الصفار ، المقرئ ، الزاهد ، المعروف بأبي منصور الخياط .

وُلد سنة إحدى وأربعمائة ، في شوال - أو ذى القعدة - وقرأ القرآن على

أبي نصر أحمد بن عبد الوهاب بن مسرور ، وغيره . وسمع الحديث في كبره من

أبي القاسم ابن بشران ، وأبي منصور بن السواق ، وأبي طاهر عبد الغفار بن محمد

المؤدب ، وأبي الحسين بن محمد الخلال ، وأبي الحسن القزويني وغيرهم .

وتفقه على القاضي أبي يعلى . وصنف كتاب «المهذب فى القراءات» وروى الحديث الكثير .

وروى عنه سبطه أبو محمد عبد الله بن على المقرئ وأخوه أبو عبد الله الحسين ، وعبد الوهاب بن الأتمطى ، وابن ناصر ، والسلفى ، وسعد الله بن الدجاجى ، وأبو الفضل خطيب الموصل وغيرهم .

وكان إماماً بمسجد ابن جرده ببغداد ، بحريم دار الخلافة . اعتكف فيه مدة طويلة ، يعلم العميان القرآن ، لوجه الله تعالى ، ويسأل لهم ، وينفق عليهم . فختم عليه القرآن خلق كثير ، حتى بلغ عدد من أقرأهم القرآن من العميان سبعين ألفاً . قال ابن النجار : هكذا رأيتُه بخط أبي نصر اليونارتى الحافظ . وقد زعم بعض الناس أن هذا مستحيل ، وأنه من سبق القلم . وإنما أراد : سبعين نفساً . وهذا كلام ساقط ؛ فإن أبا منصور قد تواتر عنه إقراء الخلق الكثير فى السنين الطويلة .

قال ابن الجوزى : أقرأ السنين الطويلة . وختم عليه القرآن ألوف من الناس وقال القاضى أبو الحسين : أقرأ بضعا وستين سنة ، ولقن أمما . وهذا موافق لما قاله أبو نصر . وهذا أمر مشهور عن أبي منصور ، فيكون جميع من ختم عليه القرآن سبعين نفساً . وهذا باطل قطعاً . ونحن نرى آحاد المقرئين يختم عليه أكثر من سبعين نفساً . وإنما كان الشيخ أبو منصور يُقرئ هو بنفسه وبأصحابه هذه المدد الطويلة ، فاجتمع فيها إقراء هذا العدد الكثير .

قال ابن الجوزى : كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين . كان له ورد بين العشاءين ، يقرأ فيه سبعا من القرآن قائماً وقاعداً ، حتى طعن فى السن .

وقال ابن ناصر عنه : كان شيخاً صالحاً ، زاهداً ، صائماً أكثر وقته ، ذا كراماتٍ ظهرت له بعد موته .

قال أبو الحسين : كان الوالد السعيد إذا جلس للحكم بنهر المعلي يقصد الجلوس للحكم بمسجده ويصلي خلفه .

قال عبد الوهاب الأنماطي : تُوفى الشيخ الزاهد أبو منصور ، في يوم الأربعاء ، وقت الظهر ، السادس عشر من المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة . وصلى عليه يوم الخميس في جامع القصر ابن ابنته أبو محمد عبد الله . وكان الجمع كثيراً جداً . وعُبر به إلى جامع المنصور ، فصلى عليه أيضاً ، وحضرتُ ذلك . وكان الجمع وافراً عظيماً . وكانت الصلاة عليه في داخل المقصورة عند القبلة . ومضيتُ معه إلى باب حرب . ودفن في الدكة بجانب الشيخ أبي الوفاء بن قواس . وقال ابن الجوزي : مات وسنه سبع وتسعون سنة ، ممتعاً بسمعه وبصره وعقله . وحضر جنازته ما لا يحمد من الناس ، حتى إن الأشياخ ببغداد كانوا يقولون : ما رأينا جمعاً قط هكذا ، لا جمع ابن القزويني ، ولا جمع ابن الفراء ، ولا جمع الشريف أبي جعفر . وهذه الجموع التي تناهت إليها الكثرة ، وشغل الناس ذلك اليوم وفيما بعده عن المعاش ، فلم يقدر أحدٌ من نقاد الباعة في ذلك الأسبوع على تحصيل نقده .

وقال أبو منصور بن خيرون : ما رأيتُ مثل يوم صُلى على أبي منصور الخياط ، من كثرة الخلق والتبرك بالجنازة .

وقال السلفي : ذكر لي المؤمن في ثاني جمعة من وفاة الشيخ أبي منصور : أن اليوم ختموا على رأس قبره مائتي وإحدى وعشرين ختمة .

قال السلفي : وقال لي علي بن محمد بن الأيسر العكبري - وكان رجلاً صالحاً - : حضرت جنازة الشيخ الاجل أبي منصور بن يوسف ، وأبي تمام بن أبي موسى القاضي ، فلم أرقط خلقاً أكثر ممن حضر جنازة الشيخ أبي منصور . قال : واستقبلنا يهودي فرأى كثرة الزحام والخلق ، فقال : أشهدُ أن هذا الدين هو الحق ، وأسلم .

وذكر ابن السمعاني : سمعتُ أبا حفص عمر بن المبارك بن سهلان ، سمعت الحسين بن خسرو البلخي ، قال : رُئي الشيخ أبو منصور الخياط في النوم ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بتعليمي الصبيان فاتحة الكتاب .

قرأتُ على أبي حفص عمر بن حسن المزني : أخبركم إسماعيل بن عبد الرحمن الفراء أنبأنا الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي قال : قرأتُ على أبي عبد الله مظفر بن أبي نصر البواب ، وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفر ببغداد ، قلتُ لهما : حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر قال : كنتُ أسمع الفقهاء في النظامية يقولون : في القرآن معنى قائم بالذات ، والحروف والأصوات عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات ، فحصل في قلبي شيء من ذلك حتى صرتُ أقولُ بقولهم موافقةً . وكنتُ إذا صليتُ أدعو الله تعالى أن يوفقني لأحبِّ المذاهب والاعتقادات إليه ، وبقيتُ على ذلك مدة طويلة أقول : اللهم وفقني لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك .

فلما كان في أول ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة رأيتُ في المنام كأنني قد جئتُ إلى مسجد الشيخ أبي منصور الخياط ، والناس على الباب مجتمعون ، وهم يقولون : إن النبي صلى الله عليه وسلم عند الشيخ أبي منصور ، فدخلتُ المسجد ، وقصدتُ إلى الزاوية التي كان يجلس فيها الشيخ أبو منصور ، فرأيتُهُ قد خرج من زاويته ، وجلس بين يدي شخص ، فما رأيتُ شخصاً أحسن منه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي وُصف لنا . وعليه ثيابٌ ما رأيتُ أشد بياضاً منها ، وعلى رأسه عمامةٌ بيضاء . والشيخ أبو منصور مقبل عليه بوجهه ، فدخلتُ فسلمتُ ، فردَّ عليَّ السلام ، ولم أتُحقق من الرادِّ عليَّ ؛ لدهشتي بروية النبي صلى الله عليه وسلم . وجلستُ بين أيديهما ، فالتفتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن أسأله عن شيء ، أو أستفتحه بكلام أصلاً ، وقال لي : عليك بمذهب هذا الشيخ . عليك بمذهب هذا الشيخ . عليك بمذهب هذا الشيخ .

قال الحافظ أبو الفضل : وأنا أقسم بالله ثلاثاً ، وأشهد بالله لقد قال لي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً . ويشير في كل مرة بيده اليمنى إلى الشيخ أبي منصور .

قال : فانتبهتُ وأعضائي ترعد ، فنادتُ والدتي رابعة بنت الشيخ أبي حكيم الحبري ، وحكيتُ لها ما رأيت ، فقالت : يا بني ، هذا منامٌ وحى ، فاعتمد عليه . فلما أصبحت بكرت إلى الصلاة خلف الشيخ أبي منصور . فلما صلينا الصبح قصصتُ عليه المنام ، فدمعت عيناه ، وخشع قلبه ، وقال لي : يا بني ، مذهبُ الشافعي حسنٌ ، فتكون على مذهب الشافعي في الفروع ، وعلى مذهب أحمد وأصحاب الحديث في الأصول ، فقلت له : أي سيدي ، ما أريد أكون لوني . وأنا أشهد الله وملائكته وأنبيائه ، وأشهدك على أي مُنذ اليوم لا أعتقد ولا أدين الله ولا أَعتمدُ إلا على مذهب أحمد في الأصول والفروع . فقَبَّلَ الشيخُ أبو منصور رأسي ، وقال : وفقك الله ، فقَبَّلْتُ يده .

وقال لي الشيخ أبو منصور : أنا كنتُ في ابتدائي شافعيًا . وكنت أتفقهُ على القاضي الإمام أبي الطيب الطبري ، وأسمع الخلاف عليه . فحضرتُ يوماً عند الشيخ أبي الحسن عليّ بن عمر القزويني الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن ، فابتدأت أقرأ عليه القرآن ، فقطع على القراءة مرة أو مرتين ، ثم قال : قالوا وقلنا ، وقلنا وقالوا . فلا نحن نرجع إليهم ، ولا هم يرجعون إلى قولنا ، ورجعنا إلى عادتنا . فأى فائدة في هذا ؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام ، فقلت في نفسي : والله ما عنى الشيخ بهذا أحداً غيري ، فتركتُ الاشتغال بالخلاف . وقرأتُ مختصر أبي القاسم الخرق على رجل كان يُقرئ القرآن .

قال الحافظ : ورأيتُ بعد ذلك ما زادني يقيناً ، وعلمتُ أن ذلك تثبيتٌ من الله ، وتعليمٌ لأعرف حق نعمة الله عليّ وأشكره ، والله المستولُ الخاتمة بالموت على الإسلام والسنة . آمين .

٤٧ - جعفر بن أصم بن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، المقرئ ، المحدث ، الأديب أبو محمد .

وُلد سنة سبع عشرة وأربعمائة في آخرها - أو في أول سنة ثمان عشرة - ذكره السلفي عنه .

وقال شجاع الذهلي : سنة ست عشرة .

وقرأ القرآن بالروايات . وأقرأ سنين .

وسمع أبا علي بن شاذان ، وأبا محمد الخلال ، وأبا القاسم بن شاهين ، والبرمكي والقزويني ، وخلقاً كثيراً .

وسافر إلى مكة ، وسمع بها ، ودخل الشام ، وسمع بدمشق من عبد العزيز الكناني والخطيب وغيرها . وسمع بطرابلس ، وتوجه إلى الديار المصرية ، فسمع بها من أبي إسحاق الحبال وأبي محمد بن الضراب . وخرّج له الخطيب خمسة أجزاء معروفة ، تسمى السراجيات .

وكان أديباً شاعراً ، لطيفاً صدوقاً ، ثقة . وصنف كتباً حسناً ، منها : كتاب « مصارع العشاق » وكتاب « حكم الصبيان » وكتاب « مناقب السودان » . وشعره مطبوع . وقد نظم كتباً كثيرة شعراً ، فنظم كتاب « المبتدأ » وكتاب « مناسك الحج » وكتاب « الخرق » وكتاب « التنبيه » وغيرها .

ذكر ذلك ابن الجوزي ، وقال : حدثنا عنه أشياخنا . وآخر من حدثنا عنه شهدة بنت الإبري ، قال : وقرأتُ عليها كتابه المسمى « بمصارع العشاق » بسماعها منه .

قال : ومن أشعاره :

بان الخليط فأدمى جداً عليهم تستهلُّ
وحدا بهم حادي الفرا ق عن المنازل فاستقلوا

قل للذين ترحلوا عن ناظري والقلب حلوا
ودي بلا جرم أيدى مت غداة بينهم استحلوا
ما ضرهم لو أنهلوا من ماء وصلهم وعلوا
قال : وأنبأنا أبو المعمر الأنصارى ، أنشدنا جعفر السراج لنفسه :

قل للذين بجهلهم أضحوا يعيبون المحابر
والحاملين لها من الأيدي بمجتمع الأساور
لولا المحابر والمقا لم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة المبعوث من خير العشائر
والناقول حديثه عن كابر ثبت وكابر
ل رأيت من شيع الضلال عساكراً تقلو عساكر
كل يقول بجهله والله للمظلوم ناصر
سميتُ أهل الحد يث : أولى النهى وأولى البصائر
حشوية فعليكم لعن يزيركم المقابر
هم حشوا جنات الله يم على الأسرة والمنابر
رفقاء أحمد كلهم عن حوضه ريان صادر

أنبأنا أحمد بن علي الجزري ، عن محمد بن عبد الهادي ، عن أبي طاهر السلفي
أنشدنا أبو محمد جعفر بن محمد السراج لنفسه :

سقى الله قبراً حلَّ فيه ابنُ حنبلٍ من الغيثِ وسُمياً على إثره ولى
على أن دمعى فيه روى عظامه إذا فاض مالم يبيل منها وما بلى
فله رب الناس مذهبُ أحمدٍ فإنَّ عليه ما حيتُ معولى
دَعَوْهُ إلى خلق القرآن كما دعوا سواه فلم يسمع ولم يتأول
ولا رده ضربُ الشياطين وسجنه عن الشنة الغراء والمذهب الجلى
ولما يزدهم ، والسياق تنوشه فسلتُ يمينُ الضارب المتبتل

على قوله : القرآن ، ويشهد الورى
فمن مبلغ أصحابه أننى به
وألقى به الزهاد كلَّ مطلقٍ
مناقبه إن لم تكن عالماتها
لقد عاش فى الدنيا حميداً موقفاً
وإنى لراج أن يكون شفيح من
ومن حدثٍ قد نور الله قلبه

كلامك يارب الورى ، كيفما ماتلى
أفاخرُ أهلَ العلم فى كل محفلٍ
من الخوف دنياه طلاق التبتلِ
فكشفاً طروس القوم عنهن واسألِ
وصار إلى الأخرى إلى خير منزلِ
تولاه من شيخ ومن متكهلِ
إذا سألوا عن أصله . قال : حنبلى

وقد روى هذه الآيات عن جعفر الحافظان : محمد بن ناصر ، ويحيى بن منده .
وساقها فى كتابه « مناقب أحمد » .

وقد أثنى عليه شجاع الذهلى ، وعبد الوهاب الأنماطى ، وابن ناصر ، وقال :
كان ثقة ، مأموناً عالماً ، فهماً صالحاً .

كتب الكثير . وصنّف عدّة مصنفات وكان قديماً يستملى على أبى الحسن
القزوينى ، وأبى محمد الخلال ، وغيرها .

قال القاضى عياض : سألتُ أبا على بن سكرة عن جعفر السراج ؟ فقال :
شيخ فاضل جميل وسيم مشهور يفهم . عنده لغة وقراءات . وكان الغالب
عليه الشعر .

وذكره القاضى أبو بكر بن العربى ، فقال : ثقة ، عالم ، مقرب . له أدبٌ
ظاهر ، واختصاص بالخطب .

وقال السلفى : كان ممن يفتخر برويته وروايته لديانته ودرايته . وله تواليف
مفيدة . وفى شيوخه كثرة . وأعلام إسناداً ابن شاذان .

وقال ابن النجار : كتب بخطه الكثير ، وكانت له معرفة بالحديث والأدب
وحدث بالكثير على استقامة وسداد ، ببغداد ، والشام ، ومصر .

وسمع منه الأئمة الكبار والحفاظ . وكان متديناً حسن الطريقة ، مع ظرفه ولطف أخلاقه .

رَوَى عنه أبو القاسم بن السمرقندي ، وعبد الوهاب الأنماطي ، وابن ناصر ، والسلفي ، وغيرهم .

ومن شعر جعفر السراج :

الله	دَرْءُ	عصا	بِ	يسعون	في	طلب	الفوائد
يدعون	أصحاب	الحديد	ث	بهم	تجلت	المشاهد	
طوراً	تراهم	بالصعبي	د	وتارة	في	ثغر	آمد
ينتبعون	من	العلو	م	بكل	أرض	كل	شارد
فهم	النجوم	المهتدي	بهم	إلى	سبل	المقاصد	

وله :

إذا كنتم تكتبون الحديد ث ليلاً وفي صبحكم تسمعون
وأفنيتم فيه أعماركم فأى زمان به تعملون ؟

قال ابن الجوزي : كان جعفر السراج صحيح البدن ، لم يعتوره في عمره مرض يُذكر ، فرض أياماً .

وتوفي ليلة الأحد العشرين من صفر سنة خمسائة . ودُفن بالمقبرة المعروفة بالأجمة من باب أبرز .

وقيل : مات ليلة الأحد ، حادي عشرين صفر . كذا قال ابن ناصر والذهلي .

وفيات المائة السادسة

من سنة ٥٠١ هـ — إلى سنة ٥٤٠ هـ

٤٨ - رجب بن قحطاب بن الحسن بن قحطان الأنصاري، الضرير أبو المعالي

المقريء الأديب .

سمع من أبي الحسين بن النقور . وحدث باليسير . سمع منه هزارسب

ابن عوض وغيره .

وقال أبو الفضل بن عطف : كان من مجودي القراء ، والمحسنين في الآداء

ذا فضل وعقل وأدب .

توفي سنة اثنتين وخمسمائة .

ومن شعره أنشده عنه أبو بكر المزرفي :

إنما المرء خلاص جائر فإذا جربته فهو شبه

وتراه راقداً في غفلة فهو حيّ فإذا مات انتبه

٤٩ - أحمد بن علي بن أحمد العثي ، أبو بكر الزاهد .

ذكره أبو الحسين ، وابن الجوزي في الطبقات فقال : أحد المشهورين بالزهد

والصلاح . سمع الحديث على القاضي أبي يعلى ، وقرأ عليه شيئاً من المذهب .

وقال أبو الحسين : صحب الوالد سنين . سمع درسه والحديث منه . وكان يعمل

بيده يُحَصِّصُ الحيطان ، ثم ترك ذلك ، ولازم المسجد يقرئ القرآن ويؤم الناس

وكان عيلاً لا يقبل من أحد شيئاً ، ولا يسأل أحداً حاجة لنفسه من أمر الدنيا ،

مقبلاً على شأنه ونفسه ، مشتغلاً بعبادة ربه ، كثير الصوم والصلاة ، مُسارعاً إلى

قضاء حوائج المسلمين ، مكرماً عند الناس أجمعين .

وكان يذهب بنفسه كل ليلة إلى دجلة ، فيأخذ في كوز له ماء ينفطر عليه .

وكان يمشي بنفسه في حوائجه ولا يستعين بأحدٍ . وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، ويحج إلى قبر الفضيل بن عياض ، ويخط بعصاه ، ويقول : يارب ههنا ، يارب ههنا . فاتفق أنه خرج في سنة ثلاث وخمسة إلى الحج . وكان قد وقع من الجمل في الطريق دفعتين ، فشهد عرفة محرماً ، وبه بقية من ألم الوقوع . وتوفي عشية ذلك اليوم - يوم الأربعاء ، يوم عرفة - في أرض عرفات . فحمل إلى مكة ، فطيفَ به البيت . ودفن يوم النحر إلى جنب قبر الفضيل ابن عياض رضي الله عنه .

وذكره في التاريخ أيضاً ، فذكره نحواً من ذلك . وقال : كان يتنزه عن عمل النقوش والصور . وكان له عقار قد ورثه عن أبيه ، فكان يبيع منه شيئاً فشيئاً ، فيتقوت به .

وذكر أبو الحسين : أن سبب تركه لصناعته : أنه دخل مرة مع الصنّاع إلى بعض دور السلاطين مُكرهاً . وكان فيها صنور من الاسفيداج مجسمة ، فلما خلا كسرها كلها ، فاستعظموا ذلك . فقال : هذا منكرٌ ، والله أمر بكسره فاتتهى أمره إلى السلطان ، وقيل له : هذا رجلٌ صالح مشهور بالديانة ، وهو من أصحاب ابن الفراء ، فقال : يخرج ، ولا يكلم ، ولا يقال له شيء يضيق به صدره ، ولا يُرجع يُجاء به إلى عندنا .

قال : وظهر له من الكرامات غير قليل .

أخبرني من أثق به : أنه كان لبعض أهله صبي صغير ، فظهر به وجعٌ في حلقه ورقبته ، وخافوا منه على الصبي ، فحمله إلى الشيخ فقراً عليه ، ونفث من ريقه ، فزال ما كان به بعد يوم أو يومين ، ولم يحتاج إلى علاج .

قال ابن الجوزي : وصحب القاضي أبا يعلى . وقرأ عليه طرفاً من الفقه ،

وسمع منه الحديث ، وحدث عنه بشيء يسير .

قلتُ : روى عنه ابن ناصر ، والسلفي . ولما بلغ خبر موته إلى بغداد نودي

في البلد بالصلاة عليه صلاة الغائب ، فحضر الناس في جامعي بغداد من الجانبين .
وحضر أصحاب دولة المستظهر بالله أمير المؤمنين . وتقدم للصلاة عليه في الجانب
الشرقي بعض أصحاب القاضى .
قال أبو الحسين : وصلتُ عليه أنا في مسجدي بباب المراتب ، لعذر ،
وصلتُ معي جماعة .

٥٠ - محمد بن علي بن محمد بن عثمان بن المراق الحلوانى ، أبو الفتح

الفقيه الزاهد .

وُلد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدى
وأبي الغائم بن المأمون ، والقاضى أبي علي ، وأبي جعفر بن المسلمة ، والصريفينى ،
والنهروانى ، وغيرهم .

ورأى القاضى أبا يعلى وصحبه مدة يسيرة ، ثم تفقه على صاحبيه الفقيهين :
أبي علي يعقوب ، وأبي جعفر الشريف . ودرس عليهما الفقه أصولاً وفروعاً ،
حتى برع فيهما . وأفتى ، ودرس بمسجد الشريف أبي جعفر بالحريم بعد شافع .
وحدث بشيء يسير .

قال ابن شافع : كان ذا زهادة وعبادة . وروى عنه السلفى في مشيخته ،
وقال : كان من فقهاء الحنابلة ببغداد . وكان مشهوراً بالورع الثخين ، والدين المتين .
توفى يوم الجمعة - يوم عيد النحر - سنة خمس وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد
يوم السبت بالجامع . وكان الجمع متوفراً جداً ، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . ودفن
بمقبرة باب حرب .

وقال المبارك بن كامل : توفى يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة .

قلتُ : له كتاب « كفاية المبتدى » في الفقه مجلدة ، ومصنف آخر في الفقه
أكبر منه ، ومصنف في أصول الفقه في مجلدين ، وله « مختصر العبادات » . قاله
ابن النجار .

٥١ - المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمارة البقال البغدادي ، أبو سعد

الفقيه الواعظ . ربحانة البغداديين

وُلد سنة تسع وعشرين وأربعمائة . وسمع من ابن غيلان ، وأبي محمد الخلال والجوهري ، وأبي القاسم الأزجي ، وغيرهم .

وكان فقيهاً مفتياً ، وواعظاً بليغاً فصيحاً ، له قبول تام ، وجواب سريع ، وخطر حاد ، وذهن بغدادى . وكان يضرب به المثل في حدة الخاطر ، وسرعة الجواب بالجون ، وطيب الخلق ، وله كلمات في الوعظ حسنة ، ورسائل مستحسنة . وجهور وعظه حكايات السلف . وكان يحصل بوعظه نفع كثير . وكان في زمن أبي علي بن الوليد شيخ المعتزلة ، يجلس في مجلسه ، ويلعن المعتزلة .

وخرج مرة فلقى مغنية قد خرجت من عند تركي فقبض على عودها ، وقطع أوتارها ، فعادت إلى التركي فأخبرته ، فبعث من كبس دارة أبي سعد وأفلت ، واجتمع بسبب ذلك الحنابلة ، وطلبوا من الخليفة إزالة المنكرات كلها ، كما سبق ذكر ذلك في ترجمة الشريف أبي جعفر .

وكان أبو سعد يعظ بحضرة الخليفة المستظهر والملوك . وقال يوماً للمستظهر في وعظه : أهون ما عنده أن يجعل لك أبواب العراض توأببت .

ووعظ « نظام الملك » الوزير مرة بجامع المهدي ، فقال :

الحمد لله ولي الإنعام ، وصلى الله على من هو للأنبيا ختام ، وعلى آله سرج الظلام ، وعلى أصحابه الغر الكرام . والسلام على صدر الإسلام . ورَضِيَ الإمام . زينه الله بالتقوى ، وختم له بالحسنى ، وجمع له بين خير الآخرة والدنيا . معلوم يا صدر الإسلام ، أن آحاد الرعية من الأعيان مخيرون في القاصد والوافد : إن شاءوا وصلوا ، وإن شاءوا فصلوا ، وأما من توشح بولاية فليس خيراً في القاصد والوافد ؛ لأن من هو على الخليفة أمير ، فهو في الحقيقة أجير ، قد باع زمنه وأخذ ثمنه . فلم يبق له من نهاره ما يتصرف فيه على اختياره ، ولا له أن يصلى

نفلًا ، ، ولا يدخل معتكفًا ، دون الصدد لتديبرهم ، والنظر في أمورهم ، لأن ذلك فضل ، وهذا فرض لازم .

وأنت يا صدر الإسلام ، وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة ، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة ؛ لتنوب عنه في الدنيا والآخرة ، فأما في الدنيا : ففي مصالح المسلمين . وأما في الآخرة : فلتجيب عنه رب العالمين . فإنه سيقفه بين يديه ، فيقول له : ملكتك البلاد ، وقلدتك أزيمة العباد . فما صنعت في إفاضة البذل ، وإقامة العدل ؟ فلهه يقول : يارب اخترت من دولتي شجاعاً عاقلاً ، حازماً فاضلاً ، وسميته قوام الدين ونظام الملك ، وها هو قائم في جملة الولاة و بسطت بيده في الشرط والسيف والقلم ، ومكنته في الدينار والدرهم ، فأسأله يارب : ماذا صنع في عبادك وبلادك ؟ .

أفتحسن أن تقول في الجواب : نعم ، تقلدتُ أمور البلاد ، وملكْتُ أزيمة العباد ، وبنثت النوال ، وأعطيت الإفضال ، حتى إذا قربت من لقائك ، ودنوت من تلقائك ، اتخذت الأبواب والبواب ، والحجاب والحجاب ؛ ليصدوا عنى القاصد ، ويردوا عنى الوافد ؟ .

فاعمر قبرك كما عمرت قصرك ، وانتهز الفرصة مادام الدهر يقبل أمرك ، فلا تعتذر ، فما ثمَّ من يقبل عذرک .

وهذا ملك الهند . وهو عابد صنم ذهب سمعه ، فدخل عليه أهل مملكته يعزونه في سمعه ، فقال : ما حسرتى لذهاب هذه الجارحة من بدنى ، ولكن تأسفى لصوت المظلوم لا أسمعه فأغيثه ، ثم قال : إن كان قد ذهب سمعى فما ذهب بصرى فليؤمر كل ذى ظلامه أن يلبس الأحمر ، حتى إذا رأيتُه عرفته فأنصفته .

وهذا « أتو شروان » قال له رسول ملك الروم : لقد أقدرت عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك . فقال : إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظلامه ، وأقضى حاجة .

وأنت يا صدر الإسلام ، أحق بهذه المأثرة ، وأولى بهذه وأحرى من أعدّ جواباً لتلك المسألة ، فإنه الله الذي (١٩ : ٩٠ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) في موقفٍ مافيه إلا خاشع ، أو خاضع أو مقنع ، فينخلع فيه القلب ، ويحكم فيه الرب ، ويعظم فيه الكرب ، ويشيب فيه الصغير ، ويعزل فيه الملك والوزير ، يوم (١٩ : ٢٣ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ، وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟) ، (٣ : ٣٠ يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وقد استجلبت لك الدعاء ، وخلدت لك الثناء ، مع براءتي من التهمة .
فليس لي - بحمد الله تعالى - في أرض الله ضيعة ولا قرية ، ولا بيني وبين أحد خصومة ، ولا بي - بحمد الله تعالى - فقر ولا فاقة .

فلما سمع « نظام الملك » هذه الموعظة بكى بكاء شديداً ، وأمر له بمائة دينار . فأبى أن يأخذها ، وقال : أنا في ضيافة أمير المؤمنين . ومن يكن في ضيافة أمير المؤمنين يقبح عليه أن يأخذ عطاء غيره . فقال له : فضّها على الفقراء ، فقال : الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي ، ولم يأخذ شيئاً .

توفي أبوسعدي يوم الإثنين ثامن عشر من ربيع الأول ، سنة ست وخمسة ، ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

قال ابن الجوزي : حكى أبو المكارم بن رميضاء السقلاطوني قال : رأيتُ أبا سعد بن أبي عمارة في المنام ، حين اختصم المسترشد والسلطان محمود ، وعليه ثياب بياض فسلمتُ عليه ، وقلتُ : من أين أقبلتَ ؟ قال : من عند الإمام أحمد بن حنبل ، وهاهو ورأى ، فالتفتُ فرأيتُ أحمد بن حنبل ، ومعه جماعة من أصحابه ، فقلتُ : إلى أين تقصدون ؟ قال : إلى أمير المؤمنين المسترشد بالله لندعوه ، فصحبتهم ، فانتبهنا إلى الحربية إلى مسجد ابن القزويني . فقال أحمد بن حنبل : ندخلُ ، فأخذ الشيخ معنا ، فدخل باب المسجد . فقال : السلام

عليكم ورحمة الله وبركاته . فإذا الصوتُ من صدرِ المسجد : وعليك السلام ، ثم قال : يا أبا عبد الله ، الإمام قد نصر . قال : فانتبهتُ مرَّغوبًا . وكان كما قال الشيخ .

٥٢ - جعفر بن الحسن الدرزي بجاني ، المقرئ ، الفقيه ، الزاهد .

ذكره القاضي أبو الحسين فيمن تفقه على أبيه ، وعلق وسمع الحديث . ثم ذكر ترجمته كما ذكرها ابن شافع في تاريخه ، فقال : هو الأمار بالمعروف ، والنهأ عن المنكر ، ذو المقامات المشهودة في ذلك ، والمهيب بنور الإيمان واليقين لدى الملوك والمتصرفين .

صحب القاضي أبا يعلى ، وتفقه عليه ، ثم تم على صاحبه الشريف أبو جعفر . وختم عليه القرآن خلقًا لا يحصون كثرة .

وكان من عباد الله الصالحين ، أمارًا بالمعروف ، قوًّا بالحق ، ناهيًا عن المنكر ، لا تأخذه في الله تعالى لومة لائم ، مهيبًا وقورًا ، له حرمة عند الملوك والسلاطين ، ولا يتجاسر أحد أن يقدم عليه إذا أنكر منكرًا . وله المقامات المشهودة في ذلك . مداومًا للصيام والتهجد والقيام . وله ختمات كثيرة جدا ، كل ختمة منها في ركعة واحدة . وسمع الحديث من أبي علي بن البناء .

توفى في الصلاة ساجدًا ، في شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسة ، بدرزي بجان . رحمه الله تعالى .

قال المبارك بن كامل : سمعتُ عبد الوهاب بن قاسم بن علي الشعرائي قال : رأيتُ جعفر الدرزي بجاني جاء إلى بغداد ، فالتقى به أبو الحسين الدرزي بجاني ، فقال له : كيف تركت الصبيان ؟ فقال له (٣ : ٩) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قَوْلًا سَدِيدًا) تقوى الله لنا ولهم .

٥٣ - علي بن محمد بن علي بن أحمد بن إسماعيل الأنباري ، القاضي

أبو منصور ، الفقيه الواعظ .

وُلد يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة ، سنة خمس وعشرين وأربعمائة .
وقرأ القرآن على ابن الشرمقاني .

وسمع الحديث من أبي طالب بن غيلان ، والجوهري ، وأبي إسحاق البرمكي ،
وأبي بكر بن بشران ، وأبي محمد الصريميني ، وأبي الحسين بن المهدي ، وأبي الغنائم
ابن المأمون ، وأبي جعفر بن المسامة ، وأبي بكر الخطيب ، وغيرهم .

وسمع من القاضي أبي يعلى . وتفقه عليه حتى برع في الفقه . وأفتى ووعظ
بجامع القصر وجامع المنصور وجامع المهدي . وكان مظهراً للسنة في مجالسه .

وشهد عند أبي عبد الله بن الدامغاني ، وأبي بكر السامى ، وغيرها . وولى
القضاء بباب الطّاق وحدث وانتشرت الرواية عنه . فروى عنه عبد الوهاب
الأنماطى ، وعبد الخالق بن أحمد بن يوسف ، وأبو المعمر الأنصارى ، والمبارك
ابن خضير ، والسلفى .

تُوفى يوم السبت رابع عشرين جمادى الآخرة ، سنة سبع وخمسمائة . ودُفِنَ
من القَدِّ بمقبرة باب حرب . وتبعه من الخلق ما لا يُحصى كثرةً ، ولا يَعُدُّهم
إلا أسرع الحاسبين . كذا ذكره ابن شافع .

وفى تاريخ ابن السمعاني عن أبي الفضل بن عطّاف : أنه توفى ليلة السبت
المذكورة .

. قال أبو الحسين : صليتُ عليه إماماً بجامع المنصور في المقصورة . قال :
وحدث عن الوالد بكثيرٍ من سماعاته ومصنّفاته .

٥٤ - إسماعيل بن محمد بن الحسن بن داود الأصبهاني ، الخياط أبو علي .

سمع الكثير ، وكتب بخطه . وكان خطه دقيقاً مطبوعاً .

دخل بغداد سنة سبع وخمسمائة . وحدث بها عن والده ، وعن أبي بكر محمد

ابن أحمد بن الحسن بن ماجة ، وأبي مطيع المضرى ، وغيرهم .

سمع منه أبو منصور محمد بن ناصر البردى . وقال : كان من الأئمة الكبار ، وهو أخو أبي سعد محمد بن داود .

قال ابن النجار : قرأت بخط أخيه أبي سعد : توفي أخى أبو علي إسماعيل في العشر الأواخر من مجادى الآخرة سنة ثمان وخمسة . رحمه الله تعالى .

٥٥ - إسماعيل بن المبارك بن محمد بن أحمد بن وصيف البغدادي ، الفقيه

أبو حازم .

وُلد سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

وقرأ الفقه على القاضي أبي يعلى ، وسمع منه ، ومن ابن العشاري ، والجوهري .

روى عنه أبو المعمر الأنصاري ، وبالإجازة ابن كليب .

وتوفي في رجب سنة ثمان وخمسة .

٥٦ - أحمد بن الحسن بن أحمد المخلطي ، البغدادي الفقيه ، أبو العباس

الديلمي .

صحب القاضي أبا يعلى . وتفقه عليه ، ولازمه ، وسمع منه الحديث . وكتب

الخلاص وغيره من تصانيفه .

وسمع أيضاً من أبي الحسن بن المهدي ، وأبي جعفر بن المسلمة ، وأبي الحسين

ابن الأبنوسي ، وأبي علي بن وشاح ، وأبي علي المبارك غيرهم . وحدث عنهم .

قال ابن ناصر الحافظ : وسمعتُ منه . قال : وكان رجلاً صالحاً من أهل

القرآن ، والتستر والسياسة ، ثقة مأموناً .

توفي ليلة الأربعاء ثاني عشر مجادى الأولى سنة ثمان وخمسة . ودُفن من

الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله .

و « المخلطي » بفتح اللام المشددة - نسبة إلى المخلط ، وهو النقل ، ولعله

كان يبيعهُ .

نقلتُ من بعض تعاليق الإمام أبي العباس بن تيمية ، قال : نقلتُ من خط

أحمد بن الحسن بن أحمد الخَطَطِي على ظهر الجزء الثاني والأربعين من تعليق القاضي ، ثم رأيتُه أنا بخط الخَطَطِي ، قال : رأيتُ بخط شيخنا - يعني القاضي أبا يعلى - قال : إذا وقفَ داره على مسجد وعلى إمام يصلى فيه : كان للإمام نصف الارتفاع ، كما لو وقفها على زيدٍ وعمرو ، إنه بينهما . فإن وقفه على مساجد القرية وعلى إمام يُصَلِّي في واحد منها : قسم الارتفاع على عدد المساجد ، وعلى الإمام . فإن وقفها على المسجد خاصة : لم يجز أن يدفع إلى إمام يصلى فيه . ولا يصرف في بوارى المسجد ؛ لأن ذلك من مصلحة المصلين ، لا من مصلحة المسجد .

٥٧ - محمد بن سمر بن سعيد المسَّال ، المقرئ ، أبو البركات بن الحنبلي ،

يلقب التاريخ .

ولد في ربيع الآخر سنة سبعين وأربعمائة .

وقرأ بالروايات على رزق الله التميمي ، ويحيى بن البستي ، وغيرها .

سمع من أبي نصر الزينبي ، وأبي الغنائم بن أبي عثمان ، والقاضي ابن البطر

والنعالى وغيرهم . وعلق الفقه عن ابن عقيل .

وكان من القراء المجودين ، الموصوفين بحُسن الأداء ، وطيب النعمة . يُقصد

في رمضان ، لسماع قراءته في صلاة التراويح ، من الأماكن البعيدة . وكان

ديناً صالحاً ، صدوقاً ، حَدَّثَ .

سمع منه ابن ناصر ، والسلفي . قال : وكان من أحسن الناس تلاوةً

للقرآن ، وكتب الحديث الكثير معنا وقبلنا . وهو حنبلي المذهب . علق الفقه عن

ابن عقيل .

توفي يوم الثلاثاء سابع رمضان سنة تسع وخمسمائة . وصلى عليه بجامع القصر .

وكان الجمع متوفراً . ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

٥٨ - هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي بن يوسف السقطي ،

أبو البركات المحدث ، الرَّحَّال .

ذكر أنه وُلد سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

وسمع الحديث ببلده بغداد ، من جماعة ، منهم : القاضي أبو يعلى . وتفقه عليه . ورحل إلى واسط ، والبصرة ، والكوفة ، والموصل ، وأصبهان ، والجبال ، وغيرها . وبالغ في الطلب . وتعب في جمع الحديث وكتابته .

وكان له فضل ومعرفة بالحديث واللغة . وجمع الشيوخ وخرج التخاريج .

جمع لنفسه مُعْجَمًا لشيوخه في نحو ثمانية أجزاء ضخمة . وجمع تاريخًا لبغداد ذيل به على تاريخ الخطيب . وكان مجددًا في الطلب والسمع ، والبحث عن الشيوخ ، وإظهار مسموعاتهم ، والقراءة عليهم .

كتب عن أصحاب الدارقطني ، وابن شاهين ، والخلص ، وابن حبانة والحربي ، وطبقتهم ومن دونهم ، حتى كتب عن أقرانه ، ومن دونه . وزاد به الشَّرْه في هذا الأمر ، حتى ادَّعى السماع من شيوخ لم يَسْمَع منهم . ولا يحتمل سِنُّه السماع منهم ، كالأبي محمد الجوهري وغيره .

وسئل شجاع الذهلي عن روايته عن الجوهري ؟ فقال : ما سمعنا بهدأ قط

وضَعْفَه فيه جدًّا .

قال ابن السمعاني : سألتُ ابن ناصر عن السقطي ، فقلت له : أكان ثقة ؟

فقال : لا والله . حدَّث بواسط عن شيوخ لم يرم ، وظهر كذبه عندهم .

قال : وسمعتُ ابن ناصر غير مرَّة يقول : السقطي لا شيء ، وهو مثل نسبه

من سقط المتاع . وقد أثني عليه السلفي ، وعده من أكابر الحفاظ الذين

أدرَكهم . وكان له نظم حسن ، ومعرفة بالادب .

قال أبو القاسم بن السمرقندي : كُنَّا في مجلس أبي محمد رزق الله

التميمي ، فأنشدنا :

فما تنفعُ الآداب والعلم والحجى وصاحبُها عند الكمال يموت
كما مات لقمان الحكيم وغيره وكلُّهم تحت التراب صُوت
وكان هبة الله السقطى فى المجلس حاضراً ، فأجابه بيتين ، وأنشدناهما من
لفظه لنفسه .

بلى أثرٌ يبقى له بعدَ موته وذخرٌ له فى الحشر ليس يفوت
وما يستوى المنطق ذو العلم والحجى وأخرس بين الناطقين صُوت
توفى يوم الإثنين ثالث عشرين ربيع الأول سنة تسع وخمسة مائة وصلى عليه
من الغد بالجامع أبو الخطاب الكلوزانى الفقيه إماماً ، ثم حُل إلى باب حرب
فدفن قريباً من قبر منصور بن عمار .

وقيل : توفى يوم الثلاثاء المذكور . وقيل : فى جُمادى الآخرة
والصحيح الأول .

قال ابن الجوزى : حكى هبة الله السقطى ، قال : قال محمد بن الخليل
البوشنجى : حدثنى محمد بن على المروى - وكان تلميذ أبى المعالى الجوينى - قال :
دخلتُ عليه فى مرضه الذى مات فيه ، وأسنانه تتناثر من فيه ، ويسقط منها
الدود ، لا يستطاع شم فيه . فقال : هذا عقوبةٌ تعرّضى بالكلام ، فاحذروا .
٥٩ - محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادى ، الواعظ ،
أبو نصر بن الإمام أبى على ، المتقدم ذكره .

ولد حادى عشرين صفر ، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .
وسمع من الجوهرى ، وأبى بكر بن بشران ، والعشارى ، وأبى على المباركى
ووالده أبى على بن البناء وطبقتهم . وتفقه على أبيه ، وحدث .
روى عنه أبو المعمر الأنصارى ، وأبو سعد بن البغدادى ، وابن ناصر ،
وأثنى عليه ووثقه . وكان من أهل الدين والصدق ، والعلم والمعرفة . وخلف أباه
فى حلقة بجامع القصر وجامع المنصور .

تُوفى ليلة الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة عشر وخمسة مائة - وفي تاريخ ابن النجار : سادس ربيع الأول - وصلى عليه من الغد أبو الحسن الفاعوسى الزاهد ، بجامع القصر . ودُفن بباب حرب .
وقيل : تُوفى في صفر . والأول أصح .

٦٠ - مُحفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذانى ، أبو الخطاب البغدادي ، الفقيه . أحد أئمة المذهب وأعيانه
وُلد في ثمانى شوال سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

وسمع الحديث من الجوهرى والعشارى ، وأبى على الجازرى ، والمباركى ، وأبى الفضل بن الكوفى ، والقاضى أبى يعلى ، وأبى جعفر بن المسلمة ، وأبى الحسين بن المهتدى ، وغيرهم .

وكتب بخطه كثيراً من مسموعاته . ودرس الفقه على القاضى أبى يعلى ، ولزمه حتى برع في المذهب والخلاف . وقرأ عليه بعض مصنفاته . وقرأ الفرائض على أبى عبدالله الونى ، وبرع فيها أيضاً . وصار إمام وقته ، وفريد عصره في الفقه . ودرّس وأفقى ، وقصده الطلبة .

وصنف كتباً حسناً في المذهب والأصول والخلاف . وانتفع بها بحسن قصده
فمن تصانيفه : « الهداية » في الفقه ، « والخلاف الكبير » المسمى « بالانتصار في المسائل الكبار » ، و « الخلاف الصغير » المسمى « برءوس المسائل »

ونقل عن صاحب المحرر أبى البركات بن تيمية : أنه كان يشير إلى أن ما ذكره أبو الخطاب في رءوس المسائل هو ظاهر المذهب .

وله أيضاً كتاب « التهذيب » في الفرائض ، و « التمهيد » في أصول الفقه ، وكتاب « العبادات الخمس » ، و « مناسك الحج » .

وكانت له يدٌ حسنة في الأدب . ويقول الشعر اللطيف . وله قصيدة دالية في السنة معروفة ، ومقطعات عديدة من الشعر .

وكان حسن الأخلاق ، ظريفاً ، مليح النادرة ، سريع الجواب ، حاد الخاطر . وكان مع ذلك كامل الدين ، غزير العقل ، جميل السيرة ، مرضى الفعال محمود الطريقة . شهد عند قاضي القضاة أبي عبد الله بن الدامغانى . وحدث بالكثير من مسموعاته على صدق واستقامة .

روى عنه ابن ناصر وأبو النعم الأنصارى ، وأبو طالب بن خضير ، وسعد الله ابن اللدجى ، ووفاء بن الأسعد التركى ، وأبو الفتح بن شاتيل ، وغيرهم . وروى عند ابن كليب بالإجازة . وقرأ عليه الفقه جماعة من أئمة المذهب منهم عبد الوهاب ابن حمزة ، وأبو بكر الدينورى ، والشيخ عبد القادر الجلى الزاهد ، وغيرهم .

قال أبو بكر بن النقور : كان السكيا الهراسى إذا رأى الشيخ أبا الخطاب مقبلاً قال : قد جاء الفقه .

وقال السافى : أبو الخطاب من أئمة أصحاب أحمد ، يُفتى على مذهبه وينظر .

وكان عدلاً رضيعاً ثقة . عنده كتاب «الجلس والأئس» للقاضى أبي الفرج الجرى عن الجازرى عنه . وكان ينفرد به ولم يتفق لى سماعه . وندمت بعد خروجه من بغداد على فواته . وكذلك أثنى ابن ناصر على أبي الخطاب ثناء كثيراً .

وذكر ابن السمعانى : أن أبا الخطاب جاءته فتوى فى بيتين من شعر ، وهما :

قُلْ لِلإمامِ أبى الخَطَّابِ مسألةٌ جاءتْ إليك ، وما يُرجى سِوَاكَ لها
ماذا على رَجُلٍ رامِ الصلاةَ فمُدَّ لا حَتَّ لِنَاطِرِهِ ذاتُ الجَمالِ لها ؟

فكتب عليها أبو الخطاب :

قُلْ لِلأُدَيْبِ الذِي وَافَى بِمَسْأَلَةِ سَرَّاتِ فَوَادِي لَمَّا أَن أَصَخَّتْ لَهَا
إِنَّ الذِي فَتَنَتْهُ عَن عِبَادَتِهِ خَرِيدَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ فَانْتَنَى وَلَهَا
إِنَّ تَابَ ثُمَّ قَضَى عَنْهُ عِبَادَتِهِ فَرَحَةً اللهُ تَغَشَى مِنْ عَصَى وَلَهَا

توفى رحمه الله في آخر يوم الأربعاء ثالث عشر من جمادى الآخرة سنة عشر وخمسة ، وترك يوم الخميس ، وصلى عليه يوم الجمعة في جامع القصر . ودفن إلى جانب قبر الإمام أحمد رضي الله عنه . كذلك حرر وفاته القاضي أبو بكر بن عبد الباقي . وكذا ذكره ابن شافع .

وذكر ابن الجوزي : أنه توفى سحر يوم الخميس . ودفن يوم الجمعة قبل

الصلاة .

وذكر ابن شافع : أن أبا الحسن بن الفاعوس الزاهد صلى عليه إماماً . وحضر الجمع العظيم والجند الكثير . ودفن بين يدي صف الإمام أحمد ، بجانب أبي محمد التميمي . رحمه الله تعالى .

قرأت بخط أبي العباس بن تيمية في تعاليقه القديمة : رأى الإمام أبو الخطاب في المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فأنشد :

أتيتُ ربي بمثل هذا فقال : ذا المذهبُ الرشيدُ
محفوظٌ نَمَّ في الجنان ، حتى ينقلك السائقُ الشهيدُ

قرأتُ على أبي الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصري بها : أخبركم أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرّاني ، أخبرنا عبد المنعم بن عبد الوهاب بن علي الحرّاني ، أخبرنا أبو الخطاب محفوظ بن أحمد في كتابه ، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري ، أخبرنا أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمي ، حدثنا فضل - يعني : ابن سهل - حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم . عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال

رجل : « يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك . فقال : طوبى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرانى . فقال الرجل : يا رسول الله ، ما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام . ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » . وبه إلى أبى الخطاب .

وأشده من قوله :

بأبى من إذا شكوتُ إليه حبه قال : ذا محالٌ ولهُوُ
وإذا ما حلفتُ بالله أنى صادقٌ ، قال لى : يمينك لغوُ
لا ومن خصته بحسنٍ بديعٍ وجمالٍ جسمى به اليومَ نضوُ
لا تبدلتُ فى هواه ولا خُنتُ ولا حلَّ لى عليه السُّلوُ
وقوله أيضاً :

يقولُ لى الأحيبةُ : لاتزرننا
فقلت : متى أطعت ؟ فقال هذا
وقوله أيضاً :

كيف أخفى هواكمُ وعليه
وإذا اللأمون لاموا فطرفى
أتمُّ للفؤادِ همٌّ وللعية
كل يوم تجددون على قلأ
ولئن دامَ ذا ، ولا دام منكم
شاهدُ الحزن والنحولَ بينمُ
فى هواكم أعمى وسمى أصمُ
نِ سهادٍ وللجوانحِ سقمُ
بى عذاباً وليس للقلبِ جرمُ
تلقتُ مهجتى وفى ذاك إثمُ

وقوله أيضاً :

علام أجازى بالوصالِ قطيعة
وكم ذا التجنى منك فى كل ساعة
لئن لان جنبى عندكم فهو والهوى
وإن كان ذنبى عندكم كلفى بكم
وبالحب بغضاً ؟ إنَّ ذا لعجيبُ !
أما لفؤادى من رضاك نصيبُ ؟
منيعٌ ولكنَّ الحبيبُ حبيبُ
فأنا منه ما حبيتُ أتوبُ

غرامى بكم حتى المات مضاعفٌ وقلبي لكم عندى على رقيب
ومن شعر أبي الخطاب ، أورده ابن النجار من طريق أبي المعمر الأنصارى
رضى الله عنه :

إن كنتَ يا صاحِ بوجدى عالماً فلا تكنْ لى فى هوا لائماً
وإن جهلت ما ألقى بهم فانظر تر دموعى السواجماً
هم قتلونى بالصدود والقلى وما رعوا فى قتلى المحارماً
يا من يخاف الإثم فى وصلى أما تخاف فى سفك دمي المائماً ؟
هبنى رضيت أن تكون قاتلى فهل رضيت أن تكون ظالماً ؟
سلوا النجوم بعدكم عن مضجعى هل قرَّ جنبي أو رأتنى نائماً ؟
واستقبلوا الشمال كما تنظروا من حرَّ أنفاسى بها سائماً
وهذه الأيكُ سلوا الأيكَ : ألم أعلم النوحَ بها الحائماً
لقد أقتُ بعد أن فارقتكم على فؤادى بينها مائماً
كان أبو الخطاب رضى الله عنه فقيهاً عظيماً كثير التحقيق ، وله من التحقيق
والتدقيق الحسن فى مسائل الفقه وأصوله شيء كثير جداً . وله مسائل ينفرد
بها عن الأصحاب .

فما تفرد به قوله : إن للعصر سنة راتبة قبلها أربع ركعات .
وقوله : إن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر ، وإنها ترد إلى من
أخذت منه من المسلمين على كل حال ، ولو قسمت فى المغنم أو أسلم الكافر وهى
فى يده .

ومن ذلك قوله : إن الأضحية يزول الملك فيها بمجرد الإيجاب ، فلا يملك
صاحبها إبدالها بحال .

ومن ذلك ما ذكره فى الهداية : أن الزرافة حرام . وقال السامرى : هو
سهو منه .

ومن ذلك : قوله بطهارة الأدهان المنجسة ، التي يمكن غسلها بالغسل .
ومن ذلك قوله : إن من ملك أختين : لم يجز له الإقدام على وطء واحدة
منهما حتى تحرم الأخرى عليه ، بإزالة ملكه عنها أو عن بعضها ، كما لو كان قد
وطئ إحداهما ، ثم أراد وطء الأخرى . وقد رأيتُ في كلام الإمام أحمد في رواية
إسحاق بن هانيء ما يدل على مثل ذلك . ونصه مذکور في مسائل ابن هانيء في
كتاب الجهاد .

ومن ذلك قوله : إن النكاح لا يفسخ بسبب واحدٍ من الزوجين بحال ،
سواء سُبِيًّا معاً ، أو سُبِيًّا أحدهما وحده . وقد حكى ابن المنذر الإجماع على
انفساخ نكاح المسبية وحدها إذا كان زوجها في دار الحرب . وحكاها غير واحدٍ
من أصحابنا أيضاً كابن عقيل . وهو ظاهر القرآن . وحديثُ أبي سعيد في
صحيح مسلم صريحٌ في ذلك . والعجب أنه ذكر في الانتصار : أن حديث
أبي سعيد لا يصح . قال : والدليل على ضعفه أن سبايا أوطاسٍ كُنَّ مجوسيات .
وهذا مما يعلم بطلانه قطعاً ؛ فإن العرب لم يكونوا مجوساً .

وقد نسب إلى أبي الخطاب التفرّد بتخريج رواية : بأن الترتيب لا يشترط
في الوضوء ، وليس كذلك ؛ فقد وافقه على هذا التخريج ابن عقيل ، واتفقا على
تخريجها من رواية سقوط الترتيب بين المضمضة والاستنشاق ، وسائر أعضاء
الوضوء .

وذكر أبو الخطاب في كتاب الصيام من الهداية ، رواية عن أحمد : أن
من دخل في حجّ تطوع ، ثم أفسده : لم يلزمه قضاؤه . ولم يذكر ذلك في كتاب
الحج ، ولا في غير الهداية .

قال أبو البركات ابن تيمية : ولعله سها في ذلك ، وانتقل ذهنه من مسألة
القوات إلى مسألة الإفساد .

وذكر في الانتصار رواية عن أحمد : أن صلاة الفرض تقضى عن الميت

كالنذر . وذكر في الانتصار في مسألة ما إذا قتل واحد جماعة عمداً : أن أولياءهم بالخيار ، إن شاءوا قُتل للجميع ولا يكون لهم غير ذلك ، ويسقط باقي حقوقهم . وإن اختار بعضهم القود وبعضهم الدية : قُتل لاختار القود ، وأخذ من ماله الدية لطالبا ، وأن أحد نصّ على ذلك في رواية الميموني .

وذكره الخرقى في مختصره ، قال : ويتخرج لنا كقول أبي حنيفة ومالك : يُقتل للجميع ، وليس لهم غير ذلك ، على الرواية التي تقول : لا يثبت بقتل العمد غير القود .

ثم قال في آخر المسألة : هذا الفصلُ مشكلٌ على قول أحد رحمته الله ؛ لأنه إن قال : حقوقُ الجميع تساوتُ ، فإذا طلبوا القتلَ ليس لهم غيره . وعلل بأنهم أخذوا بعض حقوقهم ، وسقط بعضها . فقد قال : بأن القصاص يتبع بعض في الاستيفاء والإسقاط . وهذا بعيد . فإنه لو قتل رجلُ رجلين ، فقال وليُّ كلِّ واحدٍ منهما : قد عفوتُ لك عن نصف القصاص ، ولكن قد بقي لكل واحدٍ منّا النصف فيستحق قتلك به : لم يجز لهم ذلك ، وسقط حقهم من القصاص . ولو كان يتبع بعض لثبت ذلك . وإن لم يقل بالتبويض لم يصح قوله : أخذ بعض الحق وأسقط بعضه . واقتضى أن يقول كقول أبي حنيفة ، وأنه يُقتل للجميع ، لأن دمه يساوي دم الجميع ، أو لأنه لم يبق محل يستوفى منه ، أو يقول كما قال الشافعي : يُقتل بالأول ، أو بمن تخرجه القرعة ، وتؤخذ الديات للباقيين .

والذي يتحقق عندي : أنه يقتل للجميع وتؤخذ من ماله ديات الجميع تقسمُ بينهم ، كما قال أبو حنيفة : إذا قطع يميني رجلين فيقطع لهما ، وتؤخذ دية يدٍ فتقسمُ بينهما ، وكما قال أبو حامد وشيخنا وأصحابنا : إذا قطع من يده ناقصة الأصابع يداً تامة يجوز للمقطوعة يده أن يقطع اليد الناقصة ، ويأخذ دية الأصابع فيجتمع القصاصُ والديةُ ليكمل حقه ، كذلك في مسألتنا . والله أعلم .

وذكر في الانتصار في مسألة ضمان العارية : أن المبيع إذا فُسخ لعيبٍ أو

غيره ، فتلفت السلعة في يد المشتري : أنه لا ضمان عليه ؛ لأن يده يد أمانة .
وهذا غريبٌ مخالفٌ لما ذكره غير واحد من الأصحاب ، كالتقاضي في خلافه ،
وابن عقيل ، والأزجى في النهاية .

واختار فيه : أنه يصح أن يضمن بعض ما على فلان من الدين ، وإن لم
يعين به البعض ، وقال : لا أعلم فيه نصاً عن أحمد .

وفي القنون لابن عقيل قال : إن الشريف أبا جعفر قال : إن الصحة قياس
المذهب ، وأنه اختاره .

واختار فيه : أن عامل الزكاة شريك لبقية الأصناف لا أجير ، فلا يجوز
أن يكون هاشمياً ولا عبداً .

وحكى فيه رواية : أن السيد إذا أذن لعبده في نوع من التجارة . مَلَكَ
التصرف في سائر الأنواع .

وحكى فيه وجهاً : أن كل صلاة تفتقر إلى تيمم ، وإن كانت نوافل .

واختار في الهداية : ردّ اليمين على المدعى ، فيقضى له بيمينه . وقد أشار
إليه أحمد في رواية أبي طالب .

ووقفتُ على فتاوى أرسلت إلى أبي الخطاب رحمه الله من الرحبة ، فأفتى
فيها في الشهر الذي تُوفى فيه في جمادى الآخرة سنة عشر وخمسمائة .
وأفتى فيها ابن عقيل وابن الزاغوني أيضاً .

فمنها : إذا غاب الزوج قبل الدُخول فطلبت المرأة المهر ، فإن الحاكم يُرسل
الزوج ، ويعلمه بالمطالبة بالمهر ، وأنه إن لم يبعث به إلى الزوجة باع عليه ملكه .
فإن لم يبعث باع عليه . وإن لم يعلم موضعه باع بمقدار نصف الصداق ،
وَدَفَعَهُ إِلَيْهَا ؛ لجواز أن يكون قد طلقها قبل الدخول ويبقى بقية الصداق موقوفاً .
ووافقهُ ابن عقيل على ذلك .

وظاهر هذا : أنه إن أمكن مُرَاسَلته وامتنع باع عليه ، ودفع إليها كل
الصداق ؛ للعلم بأنه لم يُطلق .

وأما ابن الزاغوني : فإنه أفتى بأنه لا يدفع الحاكم إليها أكثر من نصف
الصداق بكل حال ؛ لأنه الثابت لها باليقين ، والنصف الباقي يحتمل أن يسقطه
بطلاق مُتَّجَدِدٍ .

ويرد على هذا التعليل : أن هذا النصف أيضاً يحتمل سقوطه بفسخ لعيب
أو غيره من المسقطات .

ومنها ، في وقف السُّتور على المسجد : أفتى أنه يَصِحُّ وقفها وتباع ، وتنفق
أثمانها على عمارته ، ولا تستر حيطانه بخلاف الكعبة ، فإنها خُصَّتْ بذلك كما
خُصَّتْ بالطواف حولها .

وخالفه ابن عقيل ، وابن الزاغوني ، وقالوا : الوقف باطلٌ من أصله ، والمال
على ملك الواقف .

ومنها : إذا وجد شاة بمضيعة في البرية فإنه يجوز له أخذها ، وذبحها .
ويلزمه ضمانها إذا جاء مالِكها . وإذا وجدها بمصر وجب تعريفها . وواقفه
ابن الزاغوني .

وخالفهما ابن عقيل ، وقال : لا يجوزُ له ذبحها بحالٍ ، وإن ذبحها أُثِمَّ
ولزمه ضمانها .

ومنها : أن الشاهد لا يجوزُ له أن يشهد على آخر في كتاب مكتوب عليه
حتى يقرأه عليه ، أو يقرَّ عنده المكتوب عليه : أنه قرأه عليه أو أنه فهمَ
جميع ما فيه ولا يجوز الشهادة عليه بمجرد قوله : اشهد عليَّ بما في هذا الكتاب .
وواقفه ابن الزاغوني على ذلك .

ومنها : كَمْ قدر التراب الذي يستعمل في غسل الإناء من ولوغ الكلب ؟
أفتى : أنه ليس له حدٌّ . وإنما يكون بحيث تمر أجزاء التراب مع نداوة
الماء على جميع الإناء .

وأفتى ابن عقيل : أنه تكون بحيث تظهر صفته ويغير الماء .

وقال ابن الزاغوني : إن كان المحل لا يضره التراب ، فلا بد أن يؤثر في الماء ، وإن كان يتضرر بالتراب : فهل يجب ذلك ، أم يكفي ما يقع عليه اسم التراب وإن لم يظهر أثره ؟ على وجهين .
ومنها : إشارة الأخرس في الصلاة ؟ أفتي : إذا كثرت ذلك منه بطلت صلاته .
وأفتى ابن الزاغوني : أن الإشارة برد السلام لا تبطل من الأخرس ولا من المتكلم . وما عداها يجري مجرى العمل في الصلاة ، فيفرقُ بين كثيرها ويسيرها .
وأفتى ابن عَقِيلٍ : أن إشارة الأخرس المفهومة تجرى مجرى الكلام ، فإن كانت برد سلام خاصة لم تبطل ، وما سوى ذلك تبطل .
ومنها : إذا كتب القرآن بالذهب تجب فيه الزكاة إذا كان نصاباً . ويجوز له حكه وأخذه .

وواقفه ابن الزاغوني ، وزاد : إن كتابته بالذهب حرام ، ويُؤمر بحكّه .
ولا يجوز للرجل اتخاذه .

ومنها : إذا أجرت نفسها للإرضاع في رمضان : هل لها أن تفطر ، إذا تغير لبنها بالصوم بحيث يتأذى بذلك المرتضع ؟
أجاب : يجوزُ لها ذلك . وإذا امتنعت لزمها ذلك . فإن لم تفعل كان لأهل الصبي الخيار في الفسخ .

وواقفه ابن الزاغوني ، وزاد : متى قصدت بصومها تضرر الصبي عصت وأثمت وكان للحاكم إلزامها بالفطر ، إذا طلبه المستأجر .

ومنها : إذا رأى إنساناً يغرق ، يجوز له الإفطار إذا تيقن تخليصه من الغرق ، ولم يمكنه الصوم مع التخليص .
وواقفه ابن الزاغوني .

ومنها : هل يجوز التفريق بين الأم وولدها بالسفر ، إذا قصد أن يجعل

وطنها دون وطنه ؟

أجاب : إنه لا يجوز ذلك .

وأجاب ابن عقيل : إذا كان الولد مستقلاً ، غير محتاج إلى تربية الأم ، كان الأب أحق به سفيراً ، لتخريجه في عملٍ أو تجارةٍ . وانقطع آخر جوابه .
وأجاب ابن الزاغوني : إذا افتقرت بالأبوين الدار ، ولم يقصد الأب ضرر الأم بمنعها من كفالة الولد ، فالأب أحق به .

فصل

صَنَّفَ بعضُ أصحابنا - وهو الوزير ابن يونس - مصنفاً في أوهام أبي الخطاب في الفرائض ومتعلقاتها من الوصايا والمسائل الحسائية . ولم أقف عليه كله ، بل على بعضه . لكن لأبي الخطاب في هذه المواضع مسائل متفرقة ، يقال : إنها وهمٌ وغلط .

فمنها : مسألة في البيع بتخيير الثمن^(١) ، والوضيعة منه .

ومسألة في وقف المريض داره التي لا يملك سواها على ابنه وابنته بالسوية ، وحكم إجازتهما وردّهما ، وإجازة أحدهما وردّ الآخر . ولتصحيح كلامه فيها وجهٌ فيه تعسفٌ شديد .

ومسألة في الوصايا ، فيما إذا تركَ ابنين ووصى لرجل بجميع ماله ، ولآخر بثلثه ، وحكم إجازتهما وردّهما ، وإجازة أحدهما وردّ الآخر ، وإجازتهما لأحدهما وردّهما على الآخر . وقد تأملتُ هذه المسألة ، فوجدت الخلل فيها وقع من جهة النَّسخ . فإن في الأصل فيها إلحاقاً اشتبه على النَّسخ موضعهُ ، فألحقوه في غير موضعه ، فنشأ الخلل في الكلام ، ولزم بسبب ذلك لوازم فاسدة . وقد نسب السامري الوهم فيها إلى أبي الخطاب ، وليس كذلك .

ومنها : مسألة ، في باب الإقرار بمشاركٍ في الميراث . وقد ذكرها أبو البركات في المحرر ، وذكر أنها سهو .

(١) في خطية الإدارة الثقافية « بتخيير الإمام »

ومنها : مسألة في الوصية بسهم من سهام الورثة . وقد بين خَللها السامري في مستوعبه .

ومنها : عده الجهات في ذوى الأرحام ، وأنها خمسة . وقد اعترف بأنه لم يُسبق إلى ذلك . وقد ألزمه صاحب المغنى وصاحب المحرر وغيرها لوازم فاسدة ، بسبب ذلك . وطائفة محققى المتأخرين صحَّحُوا كلامه في الجهات ، وأجابوا عما أورد عليه ، وبينوا أنه غير لازم له . ولولا خشية الإطالة ، وأن نخرج عما نحن بصدده من التراجم لذكرنا هذه المسائل مسألة مسألة ، وبيننا ما وقع فيه الوهم من غيره ، ولكن نذكر ذلك في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

٦١ - يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده

العبدى الأصبهاني ، الحافظ ، الإمام أبو زكريا بن أبي عمرو بن الإمام الحافظ أبي عبد الله بن أبي محمد بن أبي يعقوب المحدث بن المحدث ، بن المحدث ابن المحدث ، بن المحدث ، بن المحدث .

وُلد يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال ، سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بأصبهان . وسمع من أبيه أبي عمرو ، وعميه : أبي القاسم عبد الرحمن ، وأبي الحسن عبيد الله ، وأبي بكر بن ريذة ، وسمع منه المعجم الكبير للطبراني عنه ، وأبي طاهر الكاتب ، وأبي منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه ، وأبي طاهر أحمد بن محمود الثقفى ، وغيرهم .

ورحل إلى نيسابور ، وسمع بها من أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المقرئ ، وأبي بكر البيهقي الحافظ بهمدان ، وأبي بكر محمد بن عبد الرحمن النِّهاوندى .

وسمع بالبصرة من أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد ، وعبد الله ابن الحسين السعيدانى ، وخلق كثير سواهم

وصنف التصانيف ، وأملى ، وخرَّج التخاريج لنفسه ، ولجماعة من شيوخ أصبهان .

وحدَّث بالكثير ، وسمِعَ منه الكبارُ والحفاظ من أهل بلده وغيرهم . منهم : الحافظ أبو القاسم إسماعيل التيمي ، ومحمد بن عبد الواحد الدقاق ، وأبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء .

وقدم بغداد حاجاً ، وحدَّث بها ، وأملى بجامع المنصور . سمِعَ منه بها : أبو منصور الخياط ، وأبو الحسين بن الطيوري ، وهما أسن منه ، وأقدم إسناداً .

وسمِعَ منه بها أيضاً : ابن ناصر ، وعبد الوهاب الأنماطي ، والسلفي ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، وأبو محمد بن الخشاب ، وعبد الحق اليوسفي ، وآخر أصحابه موتاً أبو جعفر الطرسوسي ، وروى عنه بالإجازة أبو سعد بن السمعاني الحافظ . قال ابن السمعاني : سألتُ إسماعيل التيمي الحافظ عنه ؟ فأثنى عليه ووصَّفه بالحفظ والمعرفة والدراية . قال : وسمعتُ أبا بكر اللفتواني^(١) الحافظ يقول : بيتُ ابن منده بُدِيُّ يحيى ، وخُتْمُ يحيى .

قال ابن السمعاني : يريدُ في معرفة الحديث والفضل والعلم .

وذكره شيرويه بن شهردار الحافظ ، فقال : قدِمَ علينا ، سمع منه عامة مشايخ الجبل وخراسان . وكان حافظاً ، فاضلاً كثيراً ، صدوقاً ، ثقةً ، يحسن هذا الشأن جيداً ، كثير التصانيف ، شيخ الحنابلة ومقدمهم ، حسن السيرة ، بعيداً من الشكف ، متمسكاً بالأثر .

وذكره محمد بن عبد الواحد الدقاق الحافظ ، فقال : الشيخ الإمام الأوحَدُ ،

(١) نسبة إلى «لفتوان» بفتح اللام وسكون الفاء وتاء مشاة من فوق مفتوحة

وآخره نون - : قرية من قرى أصبهان .

عنده الحديث الكثير ، والكتب الكثيرة الوافرة ، جمع وصنف تصانيف كثيرة . منها : كتاب الصحيح على كتاب مسلم بن الحجاج .

وذكره إسماعيل بن عبد الغافر ، في تاريخ نيسابور ، فقال : رجلٌ فاضل ، من بيت العلم والحديث ، المشهور في الدنيا ، سمع من مشايخ أصبهان ، وسافر ودخل نيسابور ، وأدرك المشايخ ، وسمع منهم ، وجمع ، وصنف على الصحيحين . وعاد إلى بلده .

وقال ابن السمعاني في حقه : جليل القدر ، وافر الفضل ، واسع الرواية ، ثقة حافظ ، فاضل ، مكثر ، صدوق ، كثير التصانيف ، حسن السيرة ، بعيد التكلف ، أوحده بيته في عصره . صنف تاريخ أصبهان ، وغيره من المجموع . قلتُ : وصنف مناقب العباس رضى الله عنه في أجزاء كثيرة .

وللحافظ السلفي فيه بمدحه :

إنَّ يحيى فديته من إمامٍ حافظٍ ، متقنٍ ، تقىٍّ ، حلِيمٍ
جَمَعَ النبل والأصالة والفضلَ وفي العلم فوق كلِّ عليمٍ

وصنف مناقب الإمام أحمد رضى الله عنه في مجلدٍ كبير ، وفيه فوائد حسنة . وقال في أوله : ومن أعظم جهالاتهم - يعنى المبتدعة - وغلومهم في مقالاتهم : وقوعهم في الإمام المرضى ، إمام الأئمة ، وكهف الأمة ، ناصر الإسلام والسنة ، ومن لم تر عين مثله علماً وزهداً ، وديانة وأمانة . إمام أهل الحديث أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني قدس الله روحه ، وبرد عليه ضريحه . الإمام الذى لا يجارى ، والفحل الذى لا يبارى . ومن أجمع أئمة الدين رحمة الله ورضوانه عليهم في زمانه على تقدمه في شأنه ، ونبله وعلو مكانه . والذى له من المناقب ما لا يُعدُّ ولا يحصى . قام لله تعالى مقاماً لولاه لتجهم الناس ، ولمشوا على أعقابهم القهقري ، ولضعف الإسلام ، واندرس العلم .

ولقد صدق الإمام أبو رجاء قتيبة بن سعيد البغلاني^(١) حيث قال: إنَّ أحمد ابن حنبل في زمانه بمنزلة أبي بكر وعمر في زمانهما . وأحسن من قال : لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان آية أعاشنا الله تعالى على عقيدته ، وحشرنا يوم القيامة في زمرة .

وحين وقفتُ على سرائر هؤلاء ، وخبث اعتقادهم في هذا الإمام ، قصّدت لمجموع نهبتُ فيه على بعض فضائله ، ونبذة من مناقبه . وذكرتُ طرفاً مما منحه الله تعالى من المنزلة الرفيعة ، والرتبة العلية في الإسلام والسنة . مع أني لست أرى لنفسى أهلية لذلك ، وأن المشايخ الماضين رحمهم الله تعالى قد عنوا بجمعه فشفوا لكني أردتُ أن يبقى له بجمع مناقبه ذكر ، وأن أكون مشرفاً فيما بين أهل العلم من أهل السنة بانتسابي إليه ، ونحلي مذهبه وطريقته .

وذكر في أثناء هذا الكتاب : أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الفقيه إجازة : أخبرنا أبو مسعود أحمد بن محمد البجلي الطبري قال : قال أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الأسدي ، في فضائل الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل : لما فرغتُ من سماع كتاب المسند من أبي بكر القطيعي ببغداد ، عن عبد الله عن أبيه رحمهم الله . وتحصيل نسخة من مائة ونيف وعشرين جزءاً ، وجملة ماوعاه الكتاب أربعون ألف حديث غير ثلاثين - أو أربعين - حديثاً . سمعتُ ذلك من ابن مالك ، يقول : وسمعتُهُ أيضاً يقول : سمعتُ عبد الله يقول : أخرج والذي هذا المسند من جملة سبعمائة ألف حديث . وقد أفردتُ لذلك كتاباً في جزء واحد ، سميتُهُ : كتاب « المدخل في المسند » أشبعتُ فيه ذكر ذلك أجمع . وأنا أسأل الله تعالى انتفاعنا بالعلم ، وتوفيقاً لما يقربنا إليه ، فإنه قريب محيب .

ومنه قال : أخبرنا عمي الإمام ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ،

(١) في خطية الإدارة الثقافية « البغلاني » .

أخبرنا أبو الحسن العبدى ، حدثني أبو الحسين ، حدثنا رزين بن أبي هارون قال : قال فوران : ماتت امرأة لبعض أهل العلم ، قال : فجاء يحيى بن معين والدورقي . قال : فلم يجدوا امرأة تغسلها إلا امرأة حائض . قال : فجاء أحمد ابن حنبل ، وهم جلوس ، فقال : ماشأنكم ؟ فقال أهل المرأة : ليس نجد غاسلة إلا امرأة حائض ، قال : فقال أحمد بن حنبل : أليس تروون عن النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، ناوليني الخُمرة ؟ قالت : إني حائضٌ ، فقال : إن حَيْضَتَكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ » يجوزُ أن تغسلها . قال : فخرجوا وبقوا .

سمعتُ أبا العباس البيهقي يقول : سمعتُ أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعتُ أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد يقول : سمعتُ العباس بن حمزة يقول : سمعتُ أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، فمن لم يعمل هنا نَدِمَ هناك .

وروى من طريق النقاش : سمعتُ الدارقطني : سمعتُ أبا سهل بن زياد : سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سئل أحمد رحمه الله عن الفتوة ؟ فقال : تَرَكْتُ ما تهوى لما تخشى .

ومن طريق أحمد بن مروان المالكي ، حدثنا إدريس الحداد قال : كان أحمد بن حنبل إذا ضاق به الأمر آجر نفسه من الحاكة فسوّى لهم . قال إدريس : فلما كان أيام المحنة ، وصُرِفَ إلى بيته حُمِلَ إليه مال جليل ، وهو محتاجٌ إلى رغيف يأكله ، فردَّ جميع ذلك ، ولم يقبل منه قليلاً ولا كثيراً ، قال : فجعل عمه إسحاق يحسب مارد ، فإذا هو خمسمائة ألف - أو نحوها - فقال له : ياعم ، أراك مشغولاً بحساب ما ليس يُحسب ، فقال : قد رددت اليوم كذا وكذا ، وأنت محتاجٌ إلى حبة . فقال : ياعم ، لو طلبنا لم يأتنا . وإنما أتانا لَمَّا تركناه .

أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحيم ، أخبرنا أبو محمد بن حبان : سمعتُ

أبا جعفر البردى : سمعتُ إسماعيل بن قتيبة سمعتُ أحمد بن حنبل يقول :
إن القلندسوة لتقع من السماء على رأس من لا يحبها .
أخبرنا أبي رحمه الله ، أخبرنا أبو عمر بن عبد الوهاب إجازة ، حدثنا أحمد
ابن محمد بن عمر ، حدثنا أبو عبد الرحمن - يعنى : عبد الله بن أحمد - قال : قلتُ
لأبي رحمه الله : يقولون : إنك تتوضأ مما مسَّت النار ؟ قال : ما فعلته قط ، ولم
يثبت عندي في ذا خبرٌ .

أخبرنا عمي الإمام ، أخبرنا علي بن عبد الله بن جهضم بمكة ، حدثنا محمد
ابن أبي زكريا الفقيه ، حدثنا عبدوس بن أحمد ، حدثنا أبو حامد الخليلي قال :
قلتُ لأحمد بن حنبل : ماتقول في القصائد ؟ فقال : في مثل ماذا ؟ قلت :
مثل ماتقول :

إذا ما قال لي ربّي : أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب من غيري وبالعصيان تأتيني ؟
قال : فرد الباب ، وجعل يقول :
إذا ما قال لي ربّي : أما استحييت تعصيني
وتُخفي الذنب من غيري وبالعصيان تأتيني ؟
فخرَجتُ وتركته .

أخبرنا عمي ، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد بن قاذويه ، أخبرنا عبد الله بن
محمود ، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس قال : ولقد ذكر لأبي عبد الله أحمد بن
حنبل رجل من أهل العلم ، كانت له زلة ، وأنه تاب من زلته ، فقال : لا يقبل الله
ذلك منه حتى يظهر التوبة والرجوع عن مقاله ، وليعلمن أنه قال . مقاله كيت
وكيت ، وأنه تاب إلى الله تعالى من مقاله ، ورجع عنه ، فإذا ظهر ذلك منه
حينئذ تقبل ، ثم تلا أبو عبد الله (١٦٠ : ٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا) .
ومن طريق أبي أحمد بن عدي ، حدثنا عبد المؤمن بن أحمد بن جوثة

الجرجاني : سمْتُ عمار بن رجاء يقول : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : طلب
إسناد العلوم من السنة .

أخبرنا عمى الإمام ، أخبرنا يحيى بن عمار بن يحيى كتابة : أن أبا جعفر محمد
ابن أحمد بن محمد الصفار أخبره : حدثنا محمد بن إبراهيم الصرام ، حدثنا عثمان
ابن سعيد الدارمي ، قال : قال أحمد بن حنبل رحمه الله : كنا نرى السكوت عن
هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء . فلما أظهوره لم نجد مدأ من مخالفتهم .

ووجدتُ في كتب الإمام عمى بخطه : قال القاسم بن محمد أبو الحارث :
حدثنا يعقوب بن إسحاق البغدادي ، سمعتُ هارون الجمال يقول : سمعتُ أحمد
ابن حنبل ، وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله : إن ههنا رجل يُفضلُ عمر بن
عبد العزيز على معاوية بن أبي سفيان ، فقال أحمد : لا تجالسهُ ، ولا تؤاكلهُ ،
ولا تشاربه ، وإذا مرض فلا تعدهُ .

أخبرنا أبي وعمى رحمهم الله ، أخبرنا والدنا رحمه الله ، أخبرنا محمد بن
عبد الله بن يوسف العماني ، حدثني جدِّي العباس بن حمزة قال : سمعتُ أحمد
ابن حنبل يقول : سبحانك ، ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم ! الخائف منهم مقصر ،
والراجي منهم متوان .

أخبرنا عمى الإمام ، أخبرنا عبد الله بن عمر الكرخي ، أخبرنا سليمان بن أحمد
ابن أيوب ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سُئِلَ أبي عن رجل وجب
عليه تحرير رقبة مؤمنة ، فكان عنده ملوك سوء ، لقنه أن يقول بخلق القرآن ؟
فقال : لا يجزى عنه عتقه ؛ لأن الله تبارك وتعالى أمره بتحرير رقبة مؤمنة ،
وليس هذا بمؤمن . هذا كافر .

أخبرنا الإمام عمى ، أخبرنا أبي ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر ،
حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سألتُ أبي عن قوم يقولون : لما كلم الله
موسى عليه السلام لم يتكلم الله بصوت ، فقال أبي رحمه الله : بل تكلم
عزًّا وجلًّا بصوت . هذه الأحاديث نمرها كما جاءت .

قال أبي رحمه الله : حديث ابن مسعود « إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كمرّ السلسلة على الصفوان » . قال أبي : وهذه الجهميّة تنكره . قال أبي : وهؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس . من زعم أن الله عز وجل لم يتكلم فهو كافر . إلا أنا نروى هذه الأحاديث كما جاءت .

أخبرنا عمي الإمام ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، أخبرنا عبد الله ابن جعفر بن فارس ، حدثنا إسماعيل بن أحمد ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : سألتُ أبي عن رجل يمتحن بالقرآن : مخلوق ، فيحدث ؟ فقال : كان ابن عيينة يتحدّث به ، ولم أسمع أنا منه .

عن إسماعيل عن قيس قال : اجتمع الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله على جنازة ، فقدم الأشعثُ جريراً عليها ، وقال للناس : إني ارتددت ، ولم يرتد . قال : أنا أقول بهذا الحديث في هذه المسألة . فقلت : إن اجتمع رجلان ، أحدهما قد امتحن ، والآخر لم يمتحن ؟ فقال : لا يتقدم ، وليُصَلَّ بهم الذي لم يمتحن . ورأى ذلك فضيلة له على من امتحن ، وأعجبه حديث قيس عن جرير ، وقال : هذا أصلٌ من الأصول ، وأعجبه جداً . وقال : أنا آخذ به .

ومن طريق ابن عبد الرحمن السلمي ، أخبرنا أبو محمد ، حدثنا الأزهرى ، حدثنا إسماعيل بن عمر : سمعتُ أحمد بن حنبل يقول : أحاديث حماد بن سلمة تأخذ بمخلوق المبتدعة .

ومن طريق عبد الله بن محمد بن مندويه ، سمعتُ أحمد بن محمد بن مصقلة يقول : سمعتُ المثني الأنباري يقول : سألتُ - أو سئل - عبد الله أحمد بن حنبل عن بيع الماء ؟ فقال : هو ما لا يملكه الرجل . وأما بيع الماء السايح فهو جائز . وكل ما يملكه الرجل فهو جائز .

أخبرنا أبو القاسم عمي ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن إسحاق الويذابادي ، أخبرنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا معاذ بن المثني العنبري قال : سمعتُ

أحمد بن حنبل يقول : أصول الإيمان ثلاثة : دالٌّ ، ودليل ، ومستدل . فالدال : الله تبارك وتعالى ، والدليل : القرآن ، والمستدل : المؤمن . فمن طعن على حرف من القرآن فقد طعن على الله تعالى وعلى كتابه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا عمى ، أخبرنا أبو القاسم بن قاذويه ، أخبرنا عبد الله بن محمد الشروطى سمعت أبا زكريا القاسم يحيى بن عبد الله يقول : سمعت أبا عمران الصوفى موسى ابن محمد ، وأبا الشيخ الأبهري ، يذكران عن أبي بكر الأثرم : أنه سأل أحمد ابن حنبل عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعوذه من الفقر ؟ فقال : إنما أراد به فقر القلب .

ومن طريق ابن عدى : سمعت محمد بن سعيد الحرانى ، سمعت الميمونى يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازى ، والملاحم ، والتفسير .

ومن طريق أحمد بن ياسين : سمعت أبا أحمد بن عبدوس يقول : قال أحمد بن حنبل : من لم يجمع علم الحديث . وكثرة طرقها واختلافها ، لا يحل له الحكم على الحديث ، ولا الفتيا به .

أخبرنا عمى ، أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ كتابة : أن يحيى بن محمد العنبرى حدثهم : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد السجزي ، سمعت النوفلى ، سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا فى الأسانيد . وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم فى فضائل الأعمال ، وما لا يضع حكما ولا يرفعه تساهلنا فى الأسانيد .

ومن طريق محمد بن الحسين - أظنه النقاش - أخبرنا عبد الله بن محمد بن على ابن زياد ، حدثنا محمد بن إبراهيم الماستوى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كتبت فى كتاب الحيض تسع سنين حتم ، فهمته .

أخبرنا عمي ، أخبرنا محمد بن عبد الرزاق ، أخبرنا جدي ، حدثنا محمد بن محمد ابن فورك : سمعت عبد الله بن عبد الوهاب يقول : سئل أحمد بن حنبل رحمه الله : هذه الكتابة إلى متى العمل به ؟ قال : أخذه العمل به .

أخبرنا أحمد بن الفضل المقرئ إجازة ، أخبرنا أبو العباس النسوي شيخ الحرم ، حدثنا عمر بن المقرئ ، حدثنا إبراهيم بن المولد ، حدثنا أحمد بن مروان الخزامي ، حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل قال : سمعتُ أبي يقول : ما الناس إلا من يقول : حدثنا ، وأخبرنا ، وسائر الناس لا خير فيهم .

أخبرنا أبو بكر البيهقي ، أنبأني أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ، حدثنا مهنا بن يحيى : سألتُ أحمد بن حنبل عن الإقضاء في الصلاة ؟ قال : أليس يُروى عن العبادة : أنهم كانوا يفعلون ذلك ؟ قلت : وَمَنْ بالعبادة ؟ قال : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم . قلت لأحمد : فابن مسعود ؟ قال : ليس ابن مسعود من العبادة .

ومن طريق محمد بن محمد بن مخلد : حدثنا حاتم بن محمد ، سمعتُ أبا رجاء قتيبة ابن سعيد يقول : أحمد بن حنبل إمام ، ومن لا يرضى بإمامته فهو مبتدع ضال . قال يحيى بن منده : نقول - وبالله التوفيق - : إن أحمد بن حنبل إمام المسلمين ، وسيّد المؤمنين ، وبه نحيا ، وبه نموت ، وبه نبعث ، إن شاء الله تعالى . فمن قال غير هذا ، فهو عندنا من الجاهلين .

ومن طريق محمد بن محمد بن مخلد : حدثنا محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي عن أحمد بن عمر بن يونس ، حدثنا شيخ رأيتُه بمكة ، يكنى أبا عبد الله من أهل سجستان ذكر عنه فضل ودين ، قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، مَنْ تركتَ لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدى به في ديننا ؟ قال : أحمد بن حنبل .

قال يحيى بن منده : فما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه ويقظته فهو حق . وقد ندب صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء به ، فلزمنا جميعاً امتثال مرسُومه ، واقتفاء مأموره .

توفى يحيى بن منده رحمه الله في يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة ، سنة إحدى عشرة وخمسة . كذا نقله ابن النجار عن أبي موسى الحافظ .
وذكر ابن السمعاني عن بعض الأصبهانيين : أنه توفى في ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وخمسة بأصبهان . قال : ثم كتب إلى معمر بن الفاخر من أصبهان : أن ابن منده توفى يوم عيد الأضحى من السنة .
وذكر غيره : أنه دُفن بباب درية عند قبر والده وجدته رحمة الله عليهم أجمعين .

وذكره ابن الجوزى ممن تُوفى سنة اثنتى عشرة ، ثم قال : وقيل : تُوفى سنة إحدى عشرة .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم المصرى بها ، بقراءتى عليه ، أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن إسماعيل الطرسوسى ، أخبرنا يحيى بن منده الحافظ ، أخبرنا محمد بن عبد الله ، حدثنا سليمان ابن أحمد ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبّرى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثورى عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم ما لا أحصى » .

٦٢ - محمد بن علي بن طالب بن محمد بن زبيبا الخرقى البزارى ، الفقيه ، أبو الفضل

ابن أبي الغنائم . وقد سبق ذكر والده .

وُلد في العشر الأخير من المحرم سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وقيل عنه : إنه قال : سنة خمس وثلاثين .

وسمع من القاضى أبى يعلى ، والجوهري ، وابن المذّهب ، وأبى بكر ابن بشران ، وعمر بن أبى طالب المسكى ، وحدث وروى عنه السلفى ، وأبو المعمر

الأنصارى ، وابن ناصر ، والبارك ابن كامل ، وعمر بن ظفر ، وبالإجازة ذاكر ابن كامل ، وابن كليب . وكان قتيها فاضلا . أظنه تفقه على القاضي أو على أبيه المذكور .

وقال ابن الجوزى : قال شيخنا ابن ناصر : لم يكن بحجة . كان على غير السميت المستقيم .

وذكر ابن النجار : أنه قرأ بخط ابن ناصر عنه : أنه كان يعتقد عقيدة الفلاسفة ، تقليداً عن غير معرفة . نسأل الله العافية .

توفى ليلة السبت تاسع شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة . ودفن بمقابر باب أربز في العالية . رحمه الله وسامحه .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم - بفسطاط مصر - أخبرنا عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحراني ، أخبرنا أبو الفرج عبد المنعم بن علي ، أخبرنا محمد بن علي ابن زبيبا إذناً ، أخبرنا القاضي أبو يعلى بن الفراء ، أخبرنا أبو الفضل عبد الله ابن عبد الرحمن الزهرى ، فيما أذن لنا : أن حمزة بن الحسين بن عمر البزار حدثه : حدثني أحمد بن جعفر عن عاصم^(١) الحربى ، قال : رأيتُ في المنام كأنى قد دخلت درب هشام ، فلقيني بشر بن الحارث رحمه الله ، فقلت : من أين يا أبا نصر؟ فقال : من عليين . قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركتُ الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله عز وجل ، يا كلان ويشربان ويتنعمان . قلتُ : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى في الطعام فأبأخنى النظر إليه .

٦٣ - طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن بادي ابن الحارث بن قيس بن الأشعث بن قيس الكندى العاقولى ، الفقيه ، القاضي أبو البركات .

وُلد يوم الجمعة بعد صلاتها ثالث عشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

(١) في خطية الإدارة الثقافية « عاصم » .

بدير العاقول ، وهي على خمسة عشر فرسخاً من بغداد . ودخل بغداد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، واشتغل بالعلم سنة اثنتين وخمسين .

وسمع من أبي محمد الجوهري سنة ثلاث وخمسين ، ومن القاضي أبي يعلى ، وأبي الحسين بن حسنون ، وأبي الغنائم بن المأمون ، وأبي جعفر بن المسلمة ، وأبي الحسين بن المهدي ، وأبي الغنائم بن الدجاجي ، وهناد النسفي ، وجابر بن ياسين ، وابن هزارة ، وأبي الفتح أحمد بن محمد بن أحمد الحداد الحنفي ، وأبي القاسم بن البُسري ، وغيرهم .

قال القاضي أبو الحسين : قرأ على الوالد الخصال ، وحضر درسه الفقه . قلتُ : وروى عنه الجامع الصغير أيضاً . قال : وقال لي : اقرأ في كل أسبوع ختمتين .

وقال ابن الجوزي : قرأ الفقه على القاضي يعقوب ، وهو من متقدمي أصحابه . وكان عارفاً بالمذهب ، حسن المناظرة . وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة .

وقال ابن شافع : سمعته صحيحاً . وكان ثقةً ، أميناً . ومضى على السلامة والستر . سمع منه ابن كامل وغيره .

وقال ابن السمعاني : كان صالحاً ، ديناً خيراً . روى لنا عنه هبة الله ابن الحسن الأمين بدمشق ، والمبارك بن أحمد الأنصاري ، وغيرهما .

قلتُ : وروى عنه ابن ناصر ، والشيخ عبد القادر . وبالإجازة ابن كليب وذاكر بن كامل .

قال ابن ناصر : حدثني أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة القاضي ، قال : كان لي صديق اسمه ثابت . وكان رجلاً صالحاً ، يقرأ القرآن ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فتوفي فلم أصل عليه لعذر منعتني ، فرأيت في المنام ، فسلمت عليه ، فلم يرد عليّ السلام ، وأعرض عني ، فقلت : يا ثابت ، ماتكلمني وأنت

صديقي وبينى وبينك مودة ؟ فقال : أنت صديقي ، ولم تُصَلِّ عليَّ ، فاعتذرتُ إليه ، ثم قلتُ له : حدثني كيف أنت بقبر أحمد بن حنبل ؛ لأنه دفن هناك ، فقال : ليس في قبر أحمد أحد يعذب بالنار .

تُوفى طلحة العاقولي ليلة الثلاثاء ثانی شعبان - وقال ابن نقطه : ثالث شعبان سنة اثنى عشرة وخمسمائة - ودُفن بمقبرة القيل من باب الأزج ، قريباً من قبر أبي بكر عبد العزيز .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميذومي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحراني ، أخبرنا ابن كليب ، أخبرنا طلحة بن أحمد العاقولي ، أخبرنا أبو محمد الجوهري ، أخبرنا أبو عمر بن حيويه ، أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا الحسين بن بحر ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، قال ابن المرزبان : وحدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي حدثنا أحمد بن عون القواس قالا : حدثنا مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَرُمُ الْمَرْءِ دِينُهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ » .

ذكر الشيخ موفق الدين ، في المغني في باب الإيمان ، عن طلحة العاقولي : أن العبد إذا ملكه سيده مالا ، وقلنا : يملكه ، وأعتق منه بإذن سيده ، فإن الولاء يكون موقوفاً . فإن عتق فهو له ، وإن مات فهو لسيدة . وهذا خلاف ما ذكره الأكثرون : أن العبد لا يرث بالولاء ولا غيره .

وحكوا في المكاتب : إذا عتق له عبد في حال كتابته : هل يكون ولاؤه للسيد ، أو يكون موقوفاً ، فإن عتق المكاتب كان له ؟ على وجهين . واختار أبو بكر ، والقاضي في خلافه : أنه للسيد بكل حال .

وحكى الشيخ أيضاً في المغني والكافي عن طلحة العاقولي : أن الخالف إذا قال : وانخالي ، والرزاق ، والرب : كان يميناً بكل حال ، وإن نوى بذلك غير الله تعالى سبحانه ؛ لأنها لا تستعمل مع التصريف إلا في اسم الله تعالى ، فهي كاسم الله ، والرحمان .

قلتُ : وقد وافقه على ذلك ابن الزاغوني في الإقناع : في الخالق ، والرزاق
وسائر أسماء الأفعال . قال : وهذا مبنى عندنا على أصل ؛ فإنَّ صفات الأفعال
قديمة ، استحقها الله تعالى في القدم كصفات الذات .

٦٤ - يحيى بن عثمان بن الحسين بن عثمان بن عبد الرحمن البيهقي ، الأزجي ،

الفقيه أبو القاسم بن الشواء .

وُلِدَ في شوال سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة .

وقرأ القرآن بالروايات . وسمع من ابن المهدي ، وابن المسلم ، والجوهري ،
والقاضي أبي يعلى ، وأبي الفنائم بن المأمون ، وأبوي الحسين بن حسنون ، وابن
النقور . وتفقه على القاضي أبي يعلى ، ثم على القاضي يعقوب . وكان فقيهاً حسناً ،
صحيح السماع . وحدث بشيء يسير .

روى عنه أبو المعمر الأنصاري في معجمه . وقال أبو الحسين : سمع من

الوالد ، وحضر درسه ، ونسخ معظم كتبه .

توفي ليلة الثلاثاء ، تاسع عشر جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

٦٥ - محمد بن نصر بن أحمد بن محمد بن معروف الهمداني ، الحافظ

الفقيه ، الأديب أبو العلاء ، المعروف بالأعمش .

وُلِدَ سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وسمع بهمدان من عبيد الله بن الحافظ بن منده ، وأبي مسلم بن عوف

النهاوندي ، وأبي محمد بن ماهلة وطبقتهم .

روى عنه السلفي وأبو العلاء القطان ، وأبو الفتوح الطائي ، وغيرهم .

ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ، فقال : شيخ ، حافظ ثقة ، مكثر .

وكان - مع بصره بهذا الشأن - عارفاً بفقهاء أحمد بن حنبل ، ناصرًا للسنة ، عالماً

بالعربية ، وافر الجلالة بهمدان ، وأملى عدة مجالس من حفظه .

قال أبو سعد السمعاني : أجاز لي مروياته . وكان عارفاً بالحديث ، حافظاً ، ثقة . سمع الكثير بنفسه ، وأملى ، وحَدَّث .
توفي عاشر شوال سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . رحمه الله تعالى .

٦٦ - علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد - كذا قرأت نسبة بخطه -
البغدادي ، الظفري ، المقرئ ، الفقيه ، الأصولي ، الواعظ المتكلم ، أبو الوفاء ،
أحد الأئمة الأعلام ، وشيخ الإسلام .
وُلد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في جمادى الآخرة . كذا نقله عنه ابن
ناصر السلفي .

قال ابن الجوزي . ورأيتُه بخطه .
ونقل عنه علي بن مسعود بن هبة الله البزار أنه قال : ولدت في جمادى الأولى
سنة إحدى وثلاثين ، وتفقت في سنة سبع وأربعين .
وذكر أبو محمد بن السمرقندي عنه : أنه وُلد سنة ثلاثين . والأول أصح .
وحفظ القرآن . وقرأ بالروايات القرآن على أبي الفتح بن شيطا ، وغيره .
وكان يقول : شيخى في القراءة : ابن شيطا . وفي النحو والأدب : أبو
القاسم بن برهان . وفي الزهد : أبو بكر الدينورى ، وأبو بكر بن زيدان ، وأبو
الحسين القزويني ، وذكر جماعة غيرهم من الرجال والنساء . وفي آداب التصوف :
أبو منصور صاحب الزيادة العطار ، وأثنى عليه بالزهد والتخلق بأخلاق متقدمى
الصوفية . وفي الحديث : ابن النورى ، وأبو بكر بن بشران ، والعشاري ، والجوهري
وغيرهم . وفي الشعر والترسل : ابن شبل ، وابن الفضل . وفي الفرائض : أبو الفضل
الهمداني . وفي الوعظ : أبو طاهر بن العلاف صاحب ابن سمعون . وفي الأصول :
أبو الوليد وأبو القاسم ابن التبان . وفي الفقه : القاضى أبو يعلى المملوء عقلاً وزهداً
وورعاً . قرأت عليه سنة سبع وأربعين ، ولم أخل بمجالسه وخلوته التي تتسع
لحضورى ، والمشى معه ماشياً وفي ركابه إلى أن توفي . وحظيت من قربه بما

لم يحظ به أحد من أصحابه مع حداثة سني . والشيخ أبو إسحاق الشيرازي ،
إمام الدنيا وزاهدُها ، وفارسُ المناظرة وواحدُها . كان يُعلمني المناظرة ، وانتفعتُ
بمصنّفاته . وأبو نصر بن الصباغ ، وأبو عبد الله الدامغاني ، حضرت مجالس درسه
ونظره . وقاضي القضاة الشامي انتفعت به غاية النفع ، وأبو الفضل الهمداني .
وأكبرهم سناً وأكثرم فضلاً : أبو الطيب الطبري حظيت برؤيته ، ومشيت
في ركابه . وكانت صحبتي له حين انقطاعه عن التدريس والمناظرة ، فحظيت
بالجمال والبركة .

ومن مشايخي : أبو محمد التميمي . كان حسنة العالم ، وماشطة بغداد .
ومنهم : أبو بكر الخطيب . كان حافظ وقته . وكان أصحابنا الحنابلة يريدون
مني هجران جماعة من العلماء . وكان ذلك يجرمني علماً نافعاً . وأقبل علي
أبو منصور بن يوسف ، فحظيتُ منه بأكبر حظوة . وقدمني على الفتاوى ، مع
حضور من هو أسن مني ، وأجلسني في حلقة البرامكة ، بجامع المنصور ، لما مات
شيخني سنة ثمان وخمسين . وقام بكل مؤونتي وتحملي ، فقامتُ من الحلقة أتتبع
حلق العلماء لتلقط الفوائد .

وأما أهل بيتي : فإن بيت أبي كلهم أرباب أقلام ، وكتابة ، وشعر ،
وآداب . وكان جدّي محمد بن عقيل كاتب حضرة بهاء الدولة . وهو المنشئ
لرسالة عزل الطابع وتولية القادر ، ووالدي أنظر الناس وأحسنهم جزلاً وعلماً .
وبيت أبي^(١) بيت الزهري صاحب الكلام والدرس على مذهب أبي حنيفة .

وعانيتُ من الفقر والنسخ بالأجرة ، مع عفة وتقي . ولا أزاحم فقيهاً في
حلقة ، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة . وتقلبت
عليّ الدول فما أخذتني دولة سلطان ولا عامة عما أعتقد أنه الحق ، فأوذيت من
أصحابي حتى طلب الدم وأوذيت في دولة النظام بالطلب والحبس - فيامن خفت
الكل لأجله ، لا تخيب ظني فيك - وعصمني الله تعالى في عنقوان شبابي بأنواع

(١) في مخطوطة بأبدينا « وبيت أمي » .

من العصمة ، وقصر محبتي على العلم وأهله ، فماخالطتُ لعاباً قط ، ولا عاشرتُ إلا أمثالي من طلبة العلم .

قال : والغالب على أحداث طائفة أصحاب أحمد العفة ، وعلى مشايخهم الزهادة والنظافة . آخر كلامه .

والأذية التي ذكرها من أصحابه له ، وطلبهم منه هجران جماعة من العلماء ، نذكر بعض شرحها . وذلك :

أن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل ترده إلى ابن الوليد ، وابن التبان شيخى المعتزلة . وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام ، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة ، وتأول لبعض الصفات ، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله .

ففي سنة إحدى وستين اطلعوا له على كتب فيها شيء من تعظيم المعتزلة ، والترحم على الحلاج وغير ذلك . ووقف على ذلك الشريف أبو جعفر وغيره ، فاشتد ذلك عليهم ، وطلبوا أذاه ، فاخفى . ثم التجأ إلى دار السلطان ، ولم يزل أمره في تخبيط إلى سنة خمس وستين ، فحضر في أولها إلى الديوان ، ومعه جماعة من الأصحاب ، فاصطلحوا ولم يحضر الشريف أبو جعفر ؛ لأنه كان عاتباً على ولاية الأمر بسبب إنكار منكر قد سبق ذكره في ترجمته .

فمضى ابن عقيل إلى بيت الشريف وصالحه وكتب خطه :

يقول على بن عقيل بن محمد : إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره ، ومن صحبة أربابه ، وتعظيم أصحابه ، والترحم على أسلافهم ، والتكثير بأخلاقهم . وما كنت علقته ، ووُجد بخطى من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته . ولا تحل كتابته ، ولا قراءته ، ولا اعتقاده .

وإني علقت مسألة الليل في جملة ذلك . وإن قوماً قالوا : هو أنجساد سود .

وقلت : الصحيح : ما سمعته من الشيخ أبي عليّ ، وأنه قال : هو عدمٌ ولا يسمى جسماً ، ولا شيئاً أصلاً . واعتقدتُ أنا ذلك . وأنا تائب إلى الله تعالى منهم . واعتقدتُ في الحلاج أنه من أهل الدين والزهد والكرامات . ونصرتُ ذلك في جزء عملته . وأنا تائب إلى الله تعالى منه ، وأنه قتل بإجماع علماء عصره ، وأصابوا في ذلك ، وأخطأ هو . ومع ذلك فإني أستغفر الله تعالى ، وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة ، والمبتدعة ، وغير ذلك ، والترحم عليهم ، والتعظيم لهم ؛ فإن ذلك كله حرام . ولا يحل لمسلم فعله ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « من عظمَّ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » .

وقد كان الشريف أبو جعفر ، ومن كان معه من الشيوخ ، والأتباع ، سادتي وإخواني - حرسهم الله تعالى - مضيين في الإنكار عليّ ؛ لما شاهدوه بخطي من الكتب التي أبرأ إلى الله تعالى منها ، وأتحققُ أني كنتُ مخطئاً غير مصيب .

ومتى حفظ عليّ ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار : فلامام المسلمين مكافأتي على ذلك . وأشهدت الله وملائكته وأولى العلم ، على ذلك غير مجبر ، ولا مكره وباطني وظاهري - يعلم الله تعالى - في ذلك سواء . قال تعالى : (٥ : ٩٩ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) .

وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة . وكانت كتابته قبل حضوره الديوان بيوم ، فلما حضر شهِدَ عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء .

قال ابن الجوزي : وأفتى ابن عقيل ، ودرّسَ وناظر الفحول ، واستفتى في الديوان في زمن القائم ، في زمرة الكبار . وجمع علم الفروع والأصول وصنّف فيها الكتب الكبار . وكان دائم التشاغل بالعلم ، حتى أني رأيتُ بخطه : إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن

مذاكرة ومناظرة ، وبصرى عن مطالعة ، أعلمتُ فكرى فى حال راحتى .
وأنا مستطرح ، فلا أنهض إلاّ وقد خطر لى مأسطره . وإنى لأجدُ من حرصى
على العلم . وأنا فى عشر الثمانين أشدّ مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة .
قال : وكان له الخاطر العاطر ، والبحث عن الغوامض والدقائق ، وجعل
كتابه المسمى « بالفنون » مناطاً لخواطره وواقعاته . ومن تأمل واقعاته فيه
عرف غور الرجل .

وتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدة . فلما كانت سنة خمسٍ وسبعين وأربعمائة
جرت فيها قننٌ بين الحنابلة والأشاعرة ، فترك الوعظ ، واقتصر على التدريس .
ومتعه الله تعالى بسمعه وبصره ، وجميع جوارحه .

قال : وقرأت بخطه . قال : بلغتُ الاثنتى عشرة سنة ، وأنا فى سنة الثمانين
وما أرى نقصاً فى الخاطر والفكر والحفظ ، وحدة النظر ، وقوة البصر ، لرؤية
الأهلة الخفية ، إلاّ أن القوة بالإضافة إلى قوة الشبيبة والكهولة ضعيفة .

قلتُ : وذكر ابن عقل ، فى فنونه : قال حنبلى - يعنى نفسه - : أنا
أقصرُ بنىة جهدى أوقات أكلى ، حتى أختار سفّ الكعك وتحسيه بالماء على
الخبز ؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضع ، توفراً على مطالعة ، أو تسطير فائدة ،
لم أدركها فيه .

قال ابن الجوزى : وكان ابن عقيل قوى الدين ، حافظاً للحدود . وتوفى له
ولدان ، فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه . وكان كريماً ينفق ما يجد ، ولم يخلف
سوى كتبه وثياب بدنه . وكانت بمقدار كفته ، وقضاء دينه .

وقال ابن عقيل : قدم علينا أبو المعالى الجوينى بغداد ، أول ما دخل الغزالى
فتكلم مع أبى إسحاق ، وأبى نصر الصباغ ، وسمعتُ كلامه . ثم ذكر عنه مسألة
العلم بالأعراض المشهورة عنه ، وبالغ فى الرد عليه .

ولما ورد الغزالى بغداد ، ودرس بالنظامية ، حضره ابن عقيل ، وأبو الخطاب ،

وغيرهما . وكان ابن عقيل كثير المناظرة للسكيا الهراسي . وكان السكيا ينشده في المناظرة :

ارفق بعبدك إن فيه فهاة جبيلة ولك العراق وماؤها .
قال السلفي : ما رأيت عيناى مثل الشيخ أبي الوفاء بن عقيل ؛ ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه ، وحسن إirاده ، وبلاغة كلامه ، وقوة حجته .
ولقد تكلم يوماً مع شيخنا أبي الحسن السكيا الهراسي في مسألة ، فقال شيخنا : هذا ليس بمذهبك . فقال : أنا لى اجتهاد ، متى ما طالبنى خصمى بحجة كان عندى ما أدفع به عن نفسى ، وأقوم له بحجتي ، فقال له شيخنا : كذلك الظن بك .

وذكر ابن النجار فى تاريخه : أن ابن عقيل قرأ الفقه على القاضى أبى يعلى ، وعلى أبى محمد التيمى ، وقرأ الأصول والخلاف على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وأبى نصر بن الصباغ ، وقاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى .

وكان ابن عقيل رحمه الله عظيم الحرمة ، وافر الجلالة عند الخلفاء والملوك . وكان شهماً مقداماً ، يواجه الأكار بالإنكار بلفظه ، وخطه ، حتى إنه أرسل مرة إلى حماد الدباس ، مع شهرته بالزهد والمكاشفات ، وعكوف العامة عليه ، يتهدده فى أمر كان يفعله ، ويقول له : إن عدت إلى هذا ضربت عنقك .

وكتب مرة إلى الوزير عميد الدولة ابن جهير لما بنى سور بغداد ، وأظهر

العوام ، فى الاشتغال بينائه المنكرات :

لولا اعتقاد صحة البعث ، وأن لنا داراً أكون فيها على حال أحدها ، لما

نصبت نفسى إلى مالك عصرى . وعلى الله أعتمد فى جميع ما أورده ، بعد أن

أشده : أنى محب متعصب . لكن إذا تقابل دين محمد ودولة بنى جهير ،

فوالله ما أردت هذه بهذه ، ولو كنت كذلك كنت كافراً . فقلت : إن هذا

الخرق الذى جرى بالشريعة لمناسبة واضعها . فما بالنا نعقد الختمات ورواية

الأحاديث؟ فإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا بجميع الخلمات، والدعاء عقبيها، ثم بعد ذلك طبول وصَوَانِي، ومخانيث، وخيال، وكشف عوارت الرجال مع حضور النساء، إسقاطاً لحكم الله تعالى.

وما عندي يا شرف الدين، أن تقوم بسخطة من سخطات الله تعالى. ترى بأى وجهٍ تلتقى محمداً صلى الله عليه وسلم؟ بل لو رأيتَه في المنام مقطباً كان ذلك يزعجك في يقظتك. وأى حرمةٍ تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله، إذا وضعنا الجباه ساجدة له؟ ثم كيف تطالب الأجناد بتقريب عتبة، ولتمّ ترايبها، وتقيم الحدّ في دهليز الحريم، صباحاً ومساءً، على قدح نبيذٍ مختلف فيه، ثم تمرح العوام في المسكر المجمع على تحريمه؟ هبذا مضاف إلى الزنا الظاهر بيباب بدر، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب.

يا شرف الدين، اتق سخط الله تعالى؛ فإن سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض وإن فسدت حالي بما قلتُ فلعلّ الله يلطف بي، ويكفيني هواجج الطباع. ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت، والاختفاء عن العوام؛ لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضى الإعظام لهذه القبائح، والإنكار لها، والنياحة على الشريعة. أتري لو جاءت معتبة من الله سبحانه في منام أو على لسان نبي - لو كان للوحى نزول - أو ألقى إلى روع مسلم بالهام: هل كانت إلا إليك؟ فاتق الله تقوى من علم بمقدار سخطه، فقد قال: (٤٣: ٥٦) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) وقد ملأتكم في عيونكم مدائح الشراء ومداجاة التمويلين بدولتكم، الأغنياء الأغنياء، الذين خسروا الله فيكم، فحسنوا لكم طرائقكم. والعامل من عرف نفسه، ولا يغره مدح من لا يخبرها.

وكتب ابن عقيل إلى السلطان جلال الدولة « ملكشاه » وقد كانت الباطنية أفسدوا عقيدته، ودعوه إلى إنكار الصانع:

أيها الملك، اعلم أن هؤلاء العوام والجهال يطلبون الله من طريق الحواس،

فإذا فقدوه جحدوه . وهذا لا يحسن بأرباب العقول الصحيحة . وذلك أن لنا موجودات ما نالها الحس ، ولم يجحدها العقل ، ولا يمكننا جحدها لقيام دلالة العقل على إثباتها . فإن قال لك أحد من هؤلاء : لا تثبت إلا ما ترى . فن ههنا دَخَلَ الإلحادُ على جُبهالِ العوام ، الذين يستنقلون الأمر والنهي ، وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة ، التي تنمى ولا تفسد ، وتقبل الأغذية وتصدر عنها الأعمال المحكمة ، كالطب ، والهندسة . فعلموا أن ذلك صادر عن أمرٍ وراء هذه الأجساد المستحيلة وهو الروح والعقل ، فإذا سألناهم : هل أدركتم هذين الأمرين بشيء من إحساسكم قالوا : لا ، لكننا أدركناهما من طريق الاستدلال بما صدر عنهما من التأثيرات قلنا : فما لكم جحدتم الإله ، حيث فقدتموه حساً ، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم ، وإدارة الأفلاك ، وإنبات الزرع ، وتقاييم الأزمنة ؟ وكما أن لهذا الجسد عقلاً وروحاً بهما قوامه ولا يدر كهما الحس ، لكن شهدت بهما أدلة العقل من حيث الآثار ، كذلك الله سبحانه — وله المثل الأعلى — ثبت بالعقل ، لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه ، وإتقان أفعاله .

وأرسل هذا الفصل إلى السلطان مع بعض خواصه . قال : فحكى لى أنه أعاده عليه فاستحسنه ، وهش إليه ، وامن أولئك ، وكشف إليه ما يقولون له . وكتب ابن عقيل أيضاً مرة إلى أبي شجاع ، وزير الخليفة المقتدى . وكان ديناً كثير التعبد ، لكن كانت به وسوسة في عباداته :

أما بعد ، فإن أجلّ تحصيل عند العقلاء ، بإجماع العلماء : الوقت ، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص . فالتكاليف كثيرة ، والآداب خاطفة . وأقلّ متعبدٍ به الماء . ومن اطلع على أسرار الشريعة علم قدر التخفيف .

فمن ذلك قوله : « صبوا على بول الأعرابي ذنوباً من الماء » .

وقوله في المنى : « أمطه عنك » .

وقوله في الخف : « طهوره أن تدلكه بالأرض » . وفي ذيل المرأة : « يطهره

ما بعده » .

وقوله : « يغسل بول الجارية ، وينضح بول الغلام » . و « كان يحمل بنت أبي العاص في الصلاة » .

ونهى الراعى في إعلام السائل عن الماء وما يرده ، وقال : « يا صاحب الميزاب لا تخبره » فإن خطر بالبال نوع احتياط في الطهارة ، كالاختياط في غيرها في مراعاة الإطالة ، وغيوبة الشمس ، والزكاة ، فإنه يفوت من الأعمال ما لا يفي به الاحتياط في الماء ، الذى أصله الطهارة .

وقد صافح رسول صلى الله عليه وسلم الأعرابي ، وركب الحمار ، وما عُرِف من خلقه التعبد بكثرة الماء . وقد توضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الأعراب الذين بان من أحدم الإقدام على البول في المسجد . وتوضأ من جرة نصرانية وما احترز ؛ تعليماً لنا وتشريعاً . وأعلمنا أن الماء أصله الطهارة . وتوضأ من غدیر كان ماءه نقاعة الحناء .

فأما قوله : « تنزهوا من البول » فإن للتنزه حداً معلوماً . فأما الاستشعار : فإنه إذا نما وانقطع الوقت ، ولا يقتضى مثله الشرع .

وكتب ابن عقيل غير مرة إلى قاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى رسائل تتضمن توبيخه على تقصير وقع منه فى حقّه . وفيها كلام خشن وعتاب غليظ .

ولما دخل السلطان جلال الدولة إلى بغداد ، ومعه وزيره نظام الملك ، سنة أربع وثمانين ، قال النظام : أريد أن أستدعى بهم ، وأسألم عن مذهبهم ، فقد قيل : إنهم مجسمة - يعنى : الحنابلة .

قال ابن عقيل : فأحبيت أن أصوغ لهم كلاماً يجوز أن يقال إذا ، فقلت : ينبغى لهؤلاء الجماعة أن يسألوا عن صاحبنا؟ فإذا أجمعوا على حفظه لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، إلا ما كان للرأى فيه مدخل من الحوادث الفقهية ، فنحن على مذهب ذلك الرجل الذى أجمعوا على تعديله ، على أنهم على مذهب قوم . أجمعنا على سلامتهم من البدعة . فإن وافقوا على أننا على مذهبه فقد أجمعوا على

سلامتنا معه ؛ لأن متبع السليم سليم . وإن ادّعوا علينا أننا تركنا مذهبه ، وتمذهبنا بما يخالف الفقهاء ، فليذكروا ذلك ليكون الجواب بحسبه . وإن قالوا : أحد ماشبه وأتم شبهتهم ، قلنا : الشافعي لم يكن أشعرياً ، وأنتم أشعرية . فإن كان مكذوباً عليكم فقد كذب علينا . ونحن نفرع من التأويل مع نفي التشبيه ، فلا يُعاب علينا إلا ترك الخوض والبحث وليس بطريقة السلف . ثم ما يريد الطاعنون علينا ، ونحن لا نزاحمهم على طلب الدنيا ؟

وفي هذه السنة المذكور : توفي أبو طاهر بن علك . وكان من صدر الشافعية ، وأكابر الممولين . فشيّعه نظام الملك وأرباب الدولة . ودفن بتربة أبي إسحاق الشيرازي ، وجاء السلطان إلى القبر بعد دفنه .

قال ابن عقيل : جلستُ إلى جانب نظام الملك ، بتربة أبي إسحاق ، والملوك قيامٌ بين يديه ، واجترأتُ على ذلك بالعلم . وكان جالساً للتعزية بابن علك . ولما بويع المستظهر حضر ابن عقيل مع الغزالي والشاشي للمبايعة . فلما توفي المستظهر غسله ابن عقيل مع الشيبلي .

قال ابن عقيل : ولما تولد المسترشد تلقاني ثلاثة من المستخدمين ، يقول كل واحد منهم : قد طلبك مولانا أمير المؤمنين . فلما صرتُ بالحضرة ، وقال لي قاضي القضاة - وهو قائم بين يديه - : طلبك مولانا أمير المؤمنين ثلاث مرات ، فقلت : ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . ثم مددتُ يدي فبسط لي يده الشريفة ، فصاخرته بعد السلام ، وبابعتُ ، فقلتُ : أبايعُ سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين المسترشد بالله على كتاب الله وسنة رسوله ، وسنة الخلفاء الراشدين ، ما أطاق واستطاع ، وعلى الطاعة مني .

وكان ابن عقيل رحمه الله من أفاضل العالم ، وأذكياء بني آدم ، مقرط الذكاء ، متسع الدائرة في العلوم . وكان خبيراً بالكلام ، مطلعاً على مذاهب المتكلمين . وله بعد ذلك في ذم الكلام وأهله شيء كثير ، كما ذكر ابن الجوزي وغيره عنه

أنه قال : أنا أقطع أن الصحابة ماتوا ، وما عرفوا الجوهر والعرض . فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن ، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر ، فبئس ما رأيت .

وذكر عنه أنه قال : لقد بالغتُ في الأصول طول عمرى ، ثم عدتُ القهقرى إلى مذهب المكتب .

وقد حكى هذا عنه القرطبي في شرح مسلم . وله من الكلام في السنة والانتصار لها ، والرد على المتكلمين شيء كثير . وقد صنّف في ذلك مصنفًا . وقرأتُ بخط الحافظ أبي محمد البرزالي قال : قرأتُ بخط الحافظ ضياء الدين المقدسى ، قال : كتب بعضهم إلى أبي الوفاء بن عقيل يقول له : صِفْ لى أصحاب الإمام أحمد على ما عرفت من الإنصاف .

فكتب إليه يقول : هم قوم خُشِنَ ، تَقَلَّصَتْ أخلاقهم عن المحالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة ، وغلب عليهم الجِدَّة ، وقلَّ عندهم الهزل ، وغربت نفوسهم عن ذل المراءة ، وفزعوا عن الآراء إلى الروايات ، وتمسكوا بالظاهر تخرجًا عن التأويل ، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة ، فلم يدققوا في العلوم الغامضة ، بل دققوا في الورع ، وأخذوا ما ظهر من العلوم ، وما وراء ذلك قالوا : الله أعلم بما فيها ، من خشية باريها . ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً ، إنما غلبت عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآى والأخبار ، من غير تأويل ولا إنكار . والله يعلم أننى لا أعتقد في الإسلام طائفة محقة ، خالية من البدع ، سوى من سلك هذا الطريق . والسلام .

وكان رحمه الله بارعاً في الفقه وأصوله . وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة ، وتحريرات كثيرة مستحسنة . وكانت له يدطولى في الوعظ ، والمعارف . وكلامه في ذلك حسن ، وأكثره مستنبطاً من النصوص الشرعية ، فيستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة ، وإشارات دقيقة .

ومن معانى كلامه يستمدّ أبو الفرج بن الجوزى فى الوعظ .

فمن ذلك ما قاله فى الفنون :

لقد عظم الله سبحانه الحيوان ، لا سيما ابن آدم ، حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، وخوف الضرر على نفسه ، فقال: (١٦ : ١٠٦) إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) .

من قدّم حرمة نفسك على حرمة ، حتى أباحك أن تتوقى وتحامى عن نفسك بذكره بما لا ينبغى له سبحانه ، لتحقيق أن تعظم شعائره ، وتوقر أوامره ، وزواجره . وعصم عرضك بإيجاب الحدّ بقذفك ، وعصم مالك بقطع مسلم فى سرقة ، وأسقط شرط الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الخف مقام غسل الرجل ؛ إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك الميتة سداً لرمقك ، وحفظاً لصحتك ، وزجرك عن مضارك بجد عاجل ، ووعيد آجل ، وخرق العوائد لأجلك ، وأنزل الكتب إليك . أيحسن بك - مع هذا الإكراه - أن ترى على ما نهك منهمكاً ، وعمّا أمرك متنكباً ، وعن داعيه معرضاً ، ولسنته هاجراً ، ولداعى عدوك فيه مطيعاً ؟

يعظمك وهو هو ، وتهمل أمره وأنت أنت . هو حظّ رتب عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدّها لك .

هل عادت خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة ؟ هل نفيت من دارك للاخلال بفرض ، أو لارتكاب نهى ؟ فإن لم تعترف العبيد للموالى ، فلا أقل من أن تقتضى نفسك للحق سبحانه ، اقتضاء المساوى المكافى .

ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا يكون بحضرة الحق ، وملائكة السماء سجوداً له ، تتراعى به الأحوال والجهالات بالمبدأ والمآل ، إلى أن يوجد ساجداً الصورة فى حجر ، أو لشجرة من الشجر ، أو لشمس أو لقمر ، أو لصورة ثور خار ، أو لطائر صفر ! ما أوحش زوال النعم ، وتغير الأحوال ، والجور بعد الكور !

لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوان أن يُرى إلا عابداً لله في دار التكليف ، أو مجاوراً لله في دار الجزاء والتشريف . وما بين ذلك فهو واضح نفسه في غير مواضعها .

ومن كلامه في تقرير البعث والمعاد :

والله لا أقنع من الله سبحانه بهذه اللحمة التي مزجت بالعلاقم ، ولا أقنع من الأبدى السرمدي ، ولا يليق بذا الكرم إلا إدامة النعم . والله مالوِّح بما لوِّح إلا وقد أعد ما تخافه الآمال . وما قدح أحدٌ في كمال جود الخالق وإنعامه بأكثر من جرده البعث مع تشريف النفوس ، وتعليق القلوب بالإعادة ، والجزاء على الأعمال الشاقة ، التي هجر القوم فيها اللذات ، فصبروا على البلاء ؛ طمعاً في العطاء . قال : ويَدُلُّ على أن لنا إعادةً تتضمن بقاء دائماً ، وعيشاً سالماً : أن أصح الدلالة قد دلت على كمال الباري سبحانه وتعالى ، وخروجه عن النقائص . وقد استقرينا أفعاله ، فرأيناهُ قد أعدَّ كل شيءٍ لشيء . فالسمعُ للمسموعات ، والعين للمبصرات ، والأسنان للطحن ، والمنخران للشِّم ، والمعدة لطبخ الطعام . وقد بقي للنفس غرض قد عجن في طينها : وهو البقاء بغير انقطاع ، وبلوغ الأغراض من غير أذى . وقد عدمت النفس ذلك في الدنيا . ثم إنا نرى طالما لم يقابل ولا تقتضى الحكمة لذلك . فينبغي أن يكون لها ذلك في دار أخرى .

قال : ولأنظر إلى صورة البلى في القبور ، فكم من بداية خالفتها النهاية . فإن بداية آدمي والطير ماء مُسَخَّنٌ مُسْتَقَدَّرٌ ، ومبادئ النبات حَبٌّ عَفِينٌ ، ثم يخرج آدمي والطاوس . وكذلك خروج الموتى بعد البلى .

قال : وبيننا أنا نأثم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، لاحت لي مقبرة ، وكان قائلاً يقول : هذه خيم البلى ، على باب الرجاء وعلى الوفاء . قال : وهذا الإلقاء من الله تعالى لكثرة لهجى بالبعث ، وتشوفى إلى الاجتماع بالسلف النطاف ، وتبرمى من مخالطة السفاسف .

وكان ابن عقيل يقول : لا يعظم عندك بَدَلُكَ نفسك في ذات الله فهي التي بذلتها بالأمس في حب مغنية ، وهوى أمرد ، وخاطرت بها في الأسفار لأجل زيادة الدنيا . فلما جئت إلى طاعة الله تعالى عظمت ما بذلته ، والله ما يحسن بذل النفس إلا لمن إذا أباد أعاد ، وإذا أعاد أفاد ، وإذا أفاد خلد فائدته على الآباد . وذلك والله الذي يحسن فيه بذل النفوس ، وإبانة الرؤوس . أليس هو القائل : (٣ : ١٧٠) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ؟ .

سمع ابن عقيل الحديث الكثير من أبي بكر بن بشران ، وأبي الفتح ابن شيطا ، وأبي الحسن التوزي ، وأبي محمد الجوهري ، وأبي طالب العشاري ، والقاضي أبي يعلى ، وأبي علي المبارك ، وغيرهم .

وحدث ، وروى عنه ابن ناصر ، وعمر بن ظفر المغازلي ، وأبو المعمر الأنصاري ، وأبو الرضى الفارسي ، وأبو القاسم الناصحي ، وأبو المظفر السنجيتي ، وأبو الفتح محمد بن يحيى البرداني ، وغيرهم . وأجاز لأبي سعد بن السمعاني الحافظ ، وعبد الحق اليوسفي ، ويحيى بن بوش .

أنبأنا زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم عن علي بن عبد اللطيف الدينوري ، عن أبي الحسين بن عبد الحق بن عبد الخالق ، أخبرنا أبو الوفاء علي بن عقيل الإمام ، أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح ، أخبرنا محمود بن عمر العكبري ، أخبرنا أبو بكر بن محب إجازة ، حدثنا أبو حفص الجوهري ، حدثنا أبو أحمد ابن محمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن محمد الأنماطي - الذي كان ينزل سامراً - أخبرنا أحمد بن نصر قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله مَنْ تركت لنا في عصرنا هذا ممن يُقتدى به ؟ قال : عليكم بأحمد بن حنبل .

ولا بن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلم . وأكبر تصانيفه : كتاب « الفنون » وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة ، في الوعظ ، والتفسير ، والفقه ، والأصول ، والنحو ، واللغة ،

والشعر ، والتاريخ ، والحكايات . وفيه مناظراته ومجالسه التي وقمت له ، وخواطره
وتأرجح فكره قيدها فيه .

وقال ابن الجوزي : وهذا الكتاب مائتا مجلد . وقع لي منه نحو من مائة
وخمسين مجلدة .

وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره . قال لي أبو البقاء اللغوي : سمعتُ
الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول : وقفتُ على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من
كتاب الفنون .

وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يُصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب .
حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة .

قلتُ : وأخبرني أبو حفص عمر بن علي القزويني ببغداد ، قال : سمعتُ
بعض مشايخنا يقول : هو ثمانمائة مجلدة .

وله في الفقه كتاب « الفصول » ويُسمى « كفاية المفتي » في عشر مجلدات ،
كتاب « عمدة الأدلة » ، كتاب « المفردات » ، كتاب « المجالس النظرية » ،
كتاب « التذكرة » مجلد ، كتاب « الإشارة » مجلد لطيف ، وهو مختصر
كتاب « الروايتين والوجهين » ، كتاب « المنشور » .

وفي الأصول كتاب « الإرشاد في أصول الدين » ، وكتاب « الواضح في
أصول الفقه » ، و « الأنتصار لأهل الحديث » مجلد ، « نفي التشبيه » ، « مسألة
في الحرف والصوت » جزء ، « مسائل مشكلة في آيات من القرآن » وأحاديث سُئل
عنها فأجاب . وله كتاب « تهذيب النفس » ، « تفضيل العبادات على نعيم
الجنات » .

وكان ابن عقيل كثير التعظيم للامام أحمد وأصحابه ، والرد على مخالفيهم .
ومن كلامه في ذلك : ومن عجيب ما نسمعه من هؤلاء الأحداث الجهال
أنهم يقولون : أحمد ليس بفقير ، لكنه مُحَدَّث . وهذا غاية الجهل ؛ لأنه قد

خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم . وخرج عنه من دقيق الفقه ما لا تراه لأحد منهم . وذكر مسائل من كلام أحمد ، ثم قال : وما يقصد هذا إلا مبتدع ، قد تمزق فؤاده من خمود كلمته ، وانتشار علم أحمد ، حتى إن أكثر العلماء يقولون : أصلى أصل أحمد ، وفرعى فرع فلان . فحسبك بمن يرضى به في الأصول قدوة .

وكان يقول : هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه ؛ لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات . فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم . فأما أصحاب أحمد : فإنه قلّ فيهم من تعاق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والتزهّد ؛ لغلبة الخير على القوم ، فينقطعون عن التشاغل بالعلم .

وكان مع ذلك يتكلم كثيراً بلسان الاجتهاد والترجيح ، واتباع الدليل الذي يظهر له ويقول : الواجب اتباع الدليل ، لا اتباع أحمد . وكان يخونه قلة بضاعته في الحديث . فلو كان متضلماً من الحديث والآثار ، ومتوسعاً في علومهما لكملت له أدوات الاجتهاد .

وكان اجتماعه بأبي بكر الخطيب ، ومن كان في وقته من أئمة الحفاظ ، كأبي نصر بن ماكولا ، والحميدى ، وغيرهم أولى وأنفع له من الاجتماع بابن الوليد وابن التبان . وتركه لمجالسة مثل هؤلاء هو الذي حرّمه علماً نافعاً في الحقيقة . ولكن الكمال لله .

وله مسائل كثيرة ينفرد بها ، ويخالف فيها المذهب . وقد يخالفه في بعض تصانيفه ، ويوافقه في بعضها ، فإن نظره كثيراً يختلف ، واجتهاده يتنوع . وكان يقول : عندي أن من أكبر فضائل المجتهد : أن يتردد في الحكم عند تردد الحجة والشبهة فيه . وإذا وقف على أحد المترددين دلّه على أنه ما عرف بالشبهة ، ومن لا تعترضه شبهة لا تصفو له حجة . وكل قلب لا يقرعه التردد ،

- فإنما يظهر فيه التقليد والجمود على ما يقال له ويسمع من غيره .
- فمن المسائل التي تفرّد بها : أن النساء لا يجوز لهن استعمال الحرير إلا في اللبس دون الافتراش والاستناد . ذكره في الفنون .
- ومنها : أن صلاة الغد^(١) تصح في صلاة الجنائز خاصة . وهو معروف عنه .
- ومنها : أن الربا لا يجري إلا في الأعيان الستة المنصوص عليها . ذكره في نظرياته .
- ومنها : أن الوقف لا يجوز بيعه ، وإن خرب وتعطل نفعه . وله في ذلك كلام في جزء مفرد .
- ومنها : أن الأب ليس له أن يملك من مال ولده ما شاء ، مع عدم حاجته ذكره في الفصول في كتاب النكاح .
- ومنها : أن المشروع في عطية الأولاد : التسوية بين الذكور والإناث . ذكره في الفنون .
- ومنها : أنه يجوز استئجار الشجر المثمر تبعاً للأرض ؛ لمشقة التفريق بينهما . حكاه عنه الشيخ تقي الدين بن تيمية .
- ومنها : أنه لا يجوز أن يؤخذ العشر من تجار أهل الحرب ولا أهل الذمة ، إذا تجروا في بلاد الإسلام ، إلا بشرطٍ أو تراضٍ . ذكره في فنونه .
- وقد حكى القاضي في شرحه الصغير رواية عن أحمد كذلك . ذكرها ابن تيميم لكنها غريبة جداً .
- ومنها : إذا حلف على فعل يتعلق بعين معينة ، فتغيرت صفاتها بما يزيل اسمها : لم يتعلق الحنثُ بها على هذه الحال مطلقاً .
- ومنها : أنه لا يجوز وطاء المكاتب ، وإن اشترط وطأها في عقد الكتابة . وحكاه في مفرداته رواية .
- ومنها : أنه لا زكاة في حليّ المواشط المعد للكرام . ذكره في « عمدة

(١) في خطبة الإدارة الثقافية « صلاة الغد »

الأدلة « وخرج من قول الأصحاب بالوجوب وجهاً يوجب الزكاة في سائر ما يعد للكراء من الأملاك ، من عقارٍ وغيره .

ومنها : أن الزروع والثمار التي تسقى بماء نجسٍ طاهرة مُباحة ، وإن لم تسق بعده بماء طاهر .

ومنها : أن الزوجة إذا كانت نضوة أنخلق لا يُمكن زوجها وطأها إلا بجناية عليها : فإنه يملك فسخ نكاحها بذلك .

ومنها : أن الإمام لا يمتنع من الصلاة على الغالِّ ، ولا على من قتل نفسه ، وأن امتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهما كان من خصائصه .

ومنها : تحريم الاستمناء بكل حال . وحكاة رواية .

ومنها : أنه يجب الحد بقذف العبد العفيف كالحُرِّ . ذكره في مفرداته .

ومن المسائل الغريبة التي ذكرها ابن عقيل : مسألة في الحامل والمرضع إذا

أفطرتا خوفاً على ولديهما : فهل تكون الكفارة على الأم من مالها ، أو بينها وبين من تلزمه نفقته ؟ ذكر في الفنون : فيها احتمال .

قال : والأشبه أنه على الأم ؛ لأنها هي المرتفقة بالإفطار لاستضرارها ،

وتغير لبنها ، والولد تبع لها .

قال : ولأنه لو كان الطفل معتبراً في إيجاب التكفير لكان على كل

واحدٍ منهما كفارة تامة ، كالجماع في رمضان ، وكالمشركين في قتل الصيد ، على أصح الروايتين .

قلتُ : وهذا ضعيف ؛ فإن المشتركين في الجماع كل منهما أفسد صومه

والمشركين في القتل كل منهما جنى على إجرامه ، فهما متساويان في الجناية ، بخلاف الطفل والأم ههنا .

وذكر أيضاً في الفنون : قال : سأل سائل عن قائل قال : والله لا رددت

سائلاً - أو قال : لله علي لا رددت سائلاً - وليس يتسع حاله لذلك ، وإن

اعتمد ذلك لم يبق له وقت لعمل ولا لتجارة ، ولو كان له مال يفي ، فكيف
ولا مال يفي ، ولا وقت يتسع لذلك مع كثرة السؤال ؟ .
فأجاب حنبلي : بأن هذا قياس قولنا فيمن نذر أن يتصدق بجميع ماله : فإنه
في اليمين مخير بين الثلث ، وكفارة يمين . وفي النذر : يلزمه أن يتصدق بثلث ماله ،
فيجب أن يتصدق بثلث ما يتحصل له ، مما يزيد على حاجته . وإن لم يتحصل
له ما يحتاج إليه : لم يدخل تحت نذره لزومه التصدق به ، ويكفر كفارة يمين .
قال قائل : يشتري بُرًّا أو حَبَّ رُمان ، ويُعطى كل سائل حبة من ذلك ؟
قال له الحنبلي : هذا لا يجيء على أصلنا ؛ لأننا نعتبر المقاصد في الأيمان والنذور ،
والقصد : أن لا يردَّ سائلاً عن سؤاله . وحبة رمان وحبة بر ليست سؤال السائل ،
فإعطاؤه كرده .

وقال حنبلي : يحتمل أن يصح خروجه من نذره بِبِرَّةٍ بُرًّا ؛ لأننا قد علقنا
حكم الر با على برة ببرتين . وما علق عليه الشرع مأثماً ، فأحرى أن يعلق عليه
ما يحصل به الثواب . وقول عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« أَتَقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » يعضد القول بالتصدق بالبرّة .

وقال حنبلي آخر : بل إذا لم يجد شيئاً أصلاً وَعَدَّ ، فكانت العِدَّة مغلصة
له من الردِّ . فإن الرد لا يتحقق مع العِدَّة . ألا ترى أن من وَعَدَّ بركاة ماله للساعي
لا يستحق القتال ، ولا التفرير ، ولا يأثم ؟ ولا يقال : إنه ردّ الساعي ولا المطالب
بدينه ، ولا الفقير . وللحديث الذي جاء : « العِدَّةُ دَيْنٌ » وهذه العِدَّة نافعة في
منع الحنث ، من حيث إنها لا تقف مع العزم على الإعطاء على التوفية ، بل من
وعد فعزم أنه متى حصل له مالي أعطى السائل ما سأله فأردّه . والله أعلم .

ومن غرائب ابن عقيل : أنه اختار وجوب الرضى بقضاء الله تعالى في
الأمراض والمصائب . ذكره في مواضع من كلامه . لكنه فسر الرضى في

الفنون : بأنه الرضى عن الله تعالى بها ، ثقة بحكمه وإن كانت مؤلمة للطبع ، كما لا يبغض الطبيب عند بقاء الدملى وفتح العروق . وليس المراد هشاشة النفس وانسراحها لها ، فإن هذا عنده مستحيل . وصرّح بأنه لم يحصل للأنبياء . كذا قال . وهو فاسد .

واختار : أن النهار أفضل من الليل .

واختار : أنه لا تجوز الصلاة على القبر فى شىء من أوقات النهى ، بخلاف

الصلاة على الجنائز . وخالفه بعض مشايخ أصحابنا فى زمنه .

ومن كلامه الحسن : أنه وَعَظَ يَوْمًا قَالَ : يَأْمَنُ بِجِدِّى فِي قَلْبِهِ قِسْوَةٌ ، احذر أن

تكون نقضت عهدًا ؛ فإن الله تعالى يقول : (١٥:٥) فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) .

وسئل فقيل له : ما تقول فى عزلة الجاهل ؟ فقال : خبال ووبال ، تضره

ولا تنفعه . فقيل له : فعزلة العالم ؟ قال : مآلك ولها ، معها حدّاؤها وسبقاؤها :

ترد الماء وترعى الشجر ، إلى أن يلقاها ربها .

ومن كلامه فى صفة الأرض أيام الربيع : إن الأرض أهدت إلى السماء غبرتها

بترقية النجوم ، فكستها السماء زهرتها من الكواكب والنجوم .

وقال : كأنّ الأرض أيام زهرتها مرآة السماء فى انطباع صورتها .

قال ابن النجار : قرأت فى كتاب أبى نصر المعمر بن محمد بن الحسن البيع

بخطه ، وأنبأنا عنه أبو القاسم الأزجى ، قال : أنشدنا أبو الوفاء على بن عقيل بن

محمد بن عقيل الحنبلى لنفسه :

يقولون لى : ما بال جسمك ناحلٌ ودمعك من آماق عينيك هاطلٌ ؟

وما بال لون الجسم بدل صفرةً وقد كان محمراً فلونك حائلٌ ؟

فقلتُ : سقاماً حلّ فى باطن الحشا ولوعة قلب بلبته البلابلُ

وأنى لمثلى أن يبين لناظر ولكنى للعالمين أجاملُ

فلا تفترز يوماً يبشرى وظاهري
وما أنا إلا كالزناد تضمنت
إذا أحمل المرء الذي فوق طوره
لعمري إذا كان التجمل كلفة
فأما الذي أثنى له الدهر عطفه
بألطاف قرب يسهل الصعب عندها
تراه رخي البال من كل علقه

توفي أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله بكرة الجمعة ، ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاثه عشرة وخمسمائة - وقيل : توفي سادس عشر الشهر - والأول أصح وصلى عليه في جامع القصر وللنصور . وكان الإمام عليه في جامع القصر ابن شافع . وكان الجع يفوت الإحصاء .

قال ابن ناصر : حزرتهم بثلاثمائة ألف . ودُفن في دكة قبر الإمام أحمد رضي الله عنه . وقبره ظاهر رضي الله عنه . فما كان في مذهبنا أحد مثله . آخر كلام ابن ناصر .

وذكر المبارك بن كامل الخفاف : أنه جرت فتنة - يعني : على حمله - قال : وتجارحوا ، وقال الشيخ مطيع : كفن ونطح .

قال ابن الجوزي : حدثني بعض الأسيان : أنه لما احتضر ابن عقيل ، بكى النساء . فقال : قد وقعت عنه خمسين سنة ، فدعوني أتهنأ بلفاقته .

قال ابن السمعي أنشدني الإمام أبو الحسن مسعود بن محمد بن غانم الأديب الغانمي لنفسه ، يمدح الإمام أبا الوفاء بن عقيل :

لعلني بن عقيل البغدادي
قد كان ينصر أحمدًا خير الوري
مجد لفرق الفرقددين محاذي
وكلامه أحلى من الأزاذي
وإذا تلهب في الجدال فعنده
سبحان فيه في التجارب هاذي

ما أخرجت بغداد فخلاً مثلهُ اللهُ در الفاضل البغدادي
ولقد مضى لسبيله مع عصبية كانوا لدين الحق خير ملاذٍ
وقد قرأ على ابن عقيل الفقه الأصول خلقاً من أصحابنا ، يأتي ذكرهم في
مواضعهم إن شاء الله تعالى من الطبقة التي بعد هذه .

وعن قرأ عليه أبو الفتح بن برهان الأصولي ، صاحب التصانيف في الأصول ،
ومدرس النظامية . وكان أولاً حنبلياً ، ثم انتقل لجناء أصحابنا له .
وكان لابن عقيل ولدان ماتا في حياته : أحدهما :

أبو الحسن عقيل

كان في غاية الحسن . وكان شاباً ، فهماً ، ذا خط حسن .
قال ابن القطيبي : حكى والده أنه وُلد ليلة حادي عشر رمضان سنة إحدى
وثمانين وأربعمائة .

وذكر غيره : أنه سمع من هبة الله بن عبدالرزاق الأنصاري ، وعلى بن حسين
ابن أيوب ، وغيرهما . وتفقه على أبيه ، وناظر في الأصول والفروع .
وسمع الحديث الكثير ، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغانى ،
فقبل قوله . وكان فقيهاً فاضلاً يفهم المعاني جيداً ، ويقول الشعر . وكان يشهد
مجلس الحكم ، ويحضر المواكب .

وتوفى رحمه الله يوم الثلاثاء ، منتصف محرم سنة عشر وخمسمائة . وصلى عليه
يوم الأربعاء . كذا ذكر ابن شافع وغيره .

وفي تاريخ ابن المنادى : أنه توفى يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث
عشرة وخمسمائة . ودُفن يوم السبت بدكة الإمام أحمد .

فعلى هذا : تسكون وفاته قبل والده بشهرٍ واحد . ولا أظن هذا إلا غلطاً .
وكان له من العمر سبع وعشرون سنة . ودُفن في داره بالظفرية ، فلما مات أبوه
نُقل إلى دكة الإمام أحمد رضى الله عنه .

قال والده : مات ولدى عقيل . وكان قد تفقه وناظر ، وجمع أدباً حسناً ،
فتعزيتُ بقصة عمرو بن عبد ودّ الذى قتله على رضى الله عنه ، فقالت أمه ترضيه :
لو كان قاتل عمرو غير قاتله . ما زلتُ أبكى عليه دائم الأبدِ
لكنّ قاتله من لا يقاد به من كان يُدعى أبوه بيضة البلدِ
فأسلاها ، وعزاها جلالة القاتل ، وفخرها بأن ابنها مقتوله . فنظرتُ إلى قاتل
ولدى الحكيم المالك ، فهان علىّ القتل والمقتول لجلالة القاتل .
وذكر عن الإمام أبي الوفاء : أنه أكب عليه وقبّله ، وهو فى أكفانه .
وقال : يا بُنَيَّ ، استودعتك الله الذى لا تضيع ودائمه . الربُّ خيرٌ لك منى .
ثم مضى ، وصلى عليه بجنان ثابت . رحمه الله .

ومن شعر عقيل هذا :

شاقه والشوق من غيره	طلل عافٍ سوى أثره
مقفرٌ إلا معالمة	واكف بالودق من مطرة
فانثى والدمع منهلٌ	كانسلال السيلك عن درره
طاوياً كشحاً على نوب	سبحات لسن من وطره
رحلة الأحباب عن وطن	وحلول الشيب فى شعرة
شيمٌ للدهر سالفه	مستينياتٌ لختبره
وقبول الدر مبسمها	أبلج يفتّر عن خصره
هزّ عطفها الشباب كما	ماس غصنُ البان فى شجره
ذاتُ فرع فوق ملتع	ككجى أبدى سنا قمره
وبنان زانه ترفٌ	ذاده التسليم عن خفره
خصرها يشكو روادفها	كاشتكاء الصب من سهره
نصبت قلبى لها غرضاً	فهو مصىّ بمعتوره
وزمت تيهاً كأنّ لها	منتكاً تزهى بمفتخره
وأناخت فى فنا ملك	دنت الأخطار عن خطره

والآخر :

أبو منصور هبة الله

ولد في ذى الحجة سنة أربع وسبعين وأربعمائة . وحفظ القرآن وتفقه ،
وظهر منه أشياء تدل على عقل غرير ، ودين عظيم . ثم مرض وطال مرضه ، وأنفق
عليه أبوه مالاً في المرض ، وبالغ .

قال أبو الوفاء : قال لي ابني ، لما تقارب أجله : يا سيدي قد أنفقت وبالغت
في الأدوية ، والطب ، والأدعية ، والله تعالى في اختيار ، فدعني مع اختياره . قال :
فو الله ما أنطق الله سبحانه وتعالى ولدي بهذه المقالة التي تشاكل قول إسحاق
لإبراهيم : (٣٧ : ١٠٣ أفعل ما تؤمر) إلا وقد اختاره الله تعالى للحظوة .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . وله نحو أربع
عشرة سنة .

وحمل أبو الوفاء رحمه الله في نفسه من شدة الألم أمراً عظيماً ، ولكنه تصبر ،
ولم يظهر منه جزع . وكان يقول : لولا أن القلوب توقن باجتماع ثانٍ لتفطرت
المرائر لفراق المحبوبين .

وقال في آخر عمره - وقد دخل في عشر التسعين ، وذكر من رأى في زمانه
من السادات من مشايخه وأقرانه ، وغيرهم - : قد حمدتُ ربي إذ أخرجني ولم
يبق لي مرغوب فيه ، فكفاني صحبة التأسف على ما يفوت ؛ لأن التخلف مع
غير الأمثال عذاب . وإنما هوّن فقداني للسادات نظري إلى الإعادة بعين اليقين
ووقتي إلى وعد المبدئ لهم ، فلكناني أسمع داعي البعث قد دعا ، كما سمعتُ
ناعيهم وقد نعي . حاشا المبدئ لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من
الوجود بتلك الأيام اليسيرة ، المشوبة بأنواع التنغيص وهو المالك . لا والله ، لا قنع
لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه : نعم بلا ثبور ، وبقاء بلا موت
واجتماع بلا فرقة ، ولدات بغير نفصة .

٦٧ - المبارك بن علي بن الحسين بن بندار البغدادي الحنظلي ، الفقيه

القاضي ، أبو سعد قاضي باب الأزج .

ولد في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة .

وسمع الحديث من القاضي أبي يعلى ، وأبي الحسين بن المهدي ، وأبي جعفر

ابن المسلمة ، وجابر بن ياسين ، والصريفيني ، وابن المأمون ، وابن النقور .

وسمع من القاضي أبي يعلى شيئاً من الفقه ، ثم تفقه على صاحبه الشريف أبي

جعفر ، ثم القاضي يعقوب البرزبيني . وأفتى ودرّس وناظر ، وجمع كتباً كثيرة لم

يسبق إلى جمع مثلها . وشهد عند أبي الحسن الدامغانى في سنة تسع وثمانين ،

ثم ناب في القضاء . وكان حسن السيرة ، جميل الطريقة ، شديد الأفضية ، وبني

مدرسة بباب الأزج ، ثم عزل عن القضاء في سنة إحدى عشرة ، ووكل به في

الديوان على حساب وقوف الترب ، فأدى مآلاً .

ثم توفي في ثمانين سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ودُفن إلى جانب

أبي بكر الخلال عند رجلى الإمام أحمد رضى الله عنه . ذكر هذا كله أبو الفرج

في تاريخه .

وقال أبو الحسين : توفي ليلة الجمعة ثمانين سنة المحرم . ودُفن يوم الجمعة .

قبل الصلاة . وصلى عليه في عدة مواضع .

قال : وكان مليح المناظرة ، سيرته جميلة ، وعشرته مليحة . وكان بينى وبينه

امتزاج ، واجتمعنا في مجلس الشريف للدرس . غفر الله له .

وفي تاريخ القضاة للميدانى : أنه توفي ليلة الأحد رابع عشر محرم . وهو وهم .

و« الحنظلي » بكسر الراء - منسوب إلى الحنظلي : محلة ببغداد شرقيها .

نزلها بعض ولد يزيد بن الحنظلي ، فنسبت إليه . ذكره المنذرى .

والمدرسة المذكورة التي بناها : هي المنسوبة الآن إلى تلميذه الشيخ عبدالقادر

الجلبى ؛ لأنه وسعها وسكن بها ، فعُرفت به . وللخُرَّمي ذرية فيهم شيوخ تصوف ، ورؤساء ذور ولايات ، ورواة حديث .

ولأبي سعد الخُرَّمي مع ابن عقيل مناظرة في مسألة بيع الوقف إذا خرب وتعطل . ونحن نذكر مضمون المناظرة ملخصاً :

قال ابن عقيل : أنا أخالف صاحبي في هذه ؛ لدليل عرض لي ، وهو أنّ الباقي بعد التعطل والدروس صالح لوقوع البيع وابتداء الوقف عليه ، فإنه يصحُّ وقف هذه الأرض العاطلة ابتداء ، فالدوام أولى . ألا ترى أن الردّة والعدة يمنعان ابتداء النكاح ، ولا يمنعان دوامه ؟ .

اعترض عليه الخُرَّمي ، فقال : يحتمل أن لا أسلم ما عولت عليه في صحة إنشاء وقفها ، بل لا يصح وقف ما يجب نقله ؟ .

قال ابن عقيل : هذا لا يجوز أن يقال جملة ، فإنك تقول : تباع ويُصرف ثمنها في وقف آخر . فهذه المالية التي قبلت البيع ، وهو عقد معاوضة مستأنف كيف لا يصلح لبقاء دوام عقد قد انعقد بشروطه ؟ وأكثر ما يقدر أن المسجد يبقَى في بَرِيَّة ، فيصلح لصلاة المارة والقوافل ، ويصحُّ أن يستأجر البقعة أهل قافلة لإيقاف دوابهم ، وطرح رحالم ، وهذا القدر من بقاء مالية الأصل والمنافع ، وقبولها للعقود المستجدة ، لا يجوز معه قطع دوام الوقف .

قلتُ : هذا ليس بجواب ؛ لما قاله الخُرَّمي من منع صحة إنشاء وقفها ، فإن أكثر ما يفيد هذا : أن وقفيتها لم تنزل بالخراب ، والخُرَّمي موافق على ذلك ، ولكنه يقول : إنه يجوز أو يجبُ بيعها وُصرف ثمنها إلى مثلها ، وهذا شيء آخر . ولم يستدل ابن عقيل على صحة إنشاء وقفها .

فإن قال : فإذا صح إنشاء عقد البيع عليها صح إنشاء الوقف .

قلنا : هذا ممنوع ، فكم من عين يصحُّ بيعها ، ولا يصح وقفها . فإن الواقف إنما يصح في عين يدوم نفعها مع بقائها . ولو جاز وقف ما يجب بيعه ونقله لجاز بيع

وقف المطعومات ونحوها ، وتباع ويصرف ثمنها في غيرها . ثم يقال : إذا وقفها ابتداء وهي متعطلّة ، فإن كان يمكن الانتفاع بها فيما وقفت له كوقف أرض سباخ مسجداً : صح وقفها .

فإن قيل : مع هذا يُقرّ لحاله ، ولا يباع ؛ فلأنه لم يفقد منه شيء من منافعه الموقوفة . بخلاف المسجد العامر إذا خرب ، وإن لم يمكن الانتفاع بها فيما وقفت له ، كفرس زمن حُبس للجهاد ، فهذا كيف يصح وقفه والمقصود منه مفقود ؟ فإنّ هذا بمنزلة إجازة أرض سبخة للزرع ، وبيع زمن للركوب . وإن سلّمنا صحة إنشاء وقفها ، وأنها تباع ، ويصرف ثمنها ، فيما ينتفع به ، كما هو ظاهر كلام أحد في مسألة السرج الفضية .

وأنتى بمثله جماعة في وقف الستور على المسجد . فهذا حجة لنا ، لأن صحة الوقف لما لم تناف جواز البيع والإبدال ، بل وجوبها في الابتداء ، فكذا ينبغي أن يكون في الدوام .

وقوله : وهذا القدر من بقاء المالية لا يجوز معه قطع دوام الوقف دعوى مجردة .

قال المحرمي : فما طلب بالنقل والبيع إلا دوام النفع ، فإنّ نقل الوقف إلى مكان ينتفع به أبقى للنفع .

قال ابن عقيل : إلا أنك لما أسقطت حكم العين والتعيين ، وذلك إسقاطٌ ، كمرعاة تعيين الواقف . وأحق الناس بمرعاة بقايا المحل أحمد . حتى إنه قال : إذا حلف : لا دخلتُ هذا الحمام فصار مسجداً ودخله ، أو لا أأكلتُ لحم هذا الجدى فصار تيساً ، أو هذا التمر فاستحال ناطقاً أو خلا : حنث بأكله ، فهذا في باب الأيمان .

وفي باب المالية والملك : نزول المالية بموت الشاة ، وشدة العصير ، ويبقى تخصيصه به بدءاً ، بحيث يكون أحق بالجلد دبقاً واستصلاحاً ، وبالخر تخليلاً في رواية . وكذلك الجلالة والماء النجس .

قلت : الإمام أحمد يراعى المعانى فى مسائل الأيمان ، ومسألة الوقف ، فإنّ الواقف إما قصد بوقفه دوام الانتفاع بما وقفه ، فإذا تعذر حصول ذلك النفع من تلك العين أبدلناها بغيرها بما يحصل منه ذلك النفع ، مراعاة بحصول النفع الموقوف ودوامه به . وهو المقصود الأعظم للواقف ، دون خصوصية تلك العين المعينة وكذلك الخالف قصد الامتناع من تلك العين الخلوفاً عليها دخولاً وأكلاً وهذا القصد لا يتغير بتبدل صفات تلك العين ، فإنّ ذاتها باقية . وهذا أقه وأحسن مما اختاره ابن عقيل من تعليق الحكم على مجرد الاسم . فراعى العين فى صورة الوقف ولم يجوز إبدالها ، وإن فات المقصود منها لتعلق الوقف بها ، وراعى الاسم المعلق به اليمين ، فمنع الحنث بتبدله مع بقاء العين ، ووجود المعنى الذى قصد اجتنابه باليمين .

وأما مسألة الميتة والخمر وما أشبههما : فهناك عين باقية على اختصاص صاحبها وتحت يده الحكمة لما بقى فيها من المنافع ، فلذلك كان أحق بها . كذلك هنا العين باقية على الوقفية ، لكن نحن نقول : يجوز إبدالها ، والخالف لم يذكر حجة على منع ذلك .

قال الخرمى : لا يجوز أخذ حكم الدوام من الابتداء ، كما لم يجوز فى باب تملك القريب ذى الرحم المحرم ، وكما لم يجوز فى باب تملك الكافر العبد المسلم بالإرث . فإنه لا يدوم الملك على الأب ولا على المسلم ، ويصح ابتداء الملك فيهما ، والأضحية المعينة يجوز نقلها إلى ما هو أسمن منها ، فيقطع الدوام بالإبدال . قال ابن عقيل : أما مسألة تملك ذى الرحم المحرم : فذاك ضد ما نحن فيه ؛ لأن ذاك التملك جعل وسيلة الوسائل إلى الأغراض المقصودة ، يعنى فيها عن خلل يدخل وضرر يحصل ، كما فى مسألة النجاسة باليد ، وإزالة المحرم الطيب عنه بيده . فالتملك للأب سبب للمجازاة والمكافأة التى نطق بها الشرع ، وهى عتقه ، ولا يمكنه ذلك فى ملك غيره ، فصار التملك ضرورة لحرية ، إذ لو ملكه

ودام ملكه صار مكافأة الشيء بضده ؛ لما فيه من إذلاله لأبيه ، والمطلوب مكافأته بالإعتاق والإطلاق ، واغتفر دخوله في ملكه لحظة لما يعقبه من العزّ الدائم . فهذه علة انقطاع الدوام هناك ، وهو ضدّ ما نحن فيه ، فإن الموقوف موضوع لدوام الانتفاع ، ولهذا لا يصح إلا في محل يبقى على الدوام .

وأما الأضحية : فمن الذي أخبرك أني أنصر مذهب أحمد وأبي حنيفة ، حتى يلزمني إبدالها بنخير منها ، على أنها انقطعت لجواز المشاركة بالثلث أكلاً للمضحى ، وإهداء لثلثها ، بخلاف مسألتنا . فههنا إبدال قليلة الانتفاع بأفصح منها لا يجوز . فالأمران مختلفان . والله أعلم .

قلتُ : كان المخرمي رجع معه ، على وجه التنزل ، إلى أن الوقف المعطل ، وإن صحّ ابتداءه ، فلا يلزم منه صحة دوامه ، كشراء ذي الرحم ، فاستطال ابن عقيل عليه ، وقال : المقصودُ من شراء ذي الرحم قطع الدوام ، بخلاف الوقف . ولكن لا حاجة إلى ما ذكره المخرمي هنا ؛ فإن التحقيق في ذلك ماتقدم ، وهو أن العين المعطاة إن كان يمكن الانتفاع بها على وجه ما : صحّ وقفها ابتداءً ودواماً ، لكن في الدوام تبدل ، وإن لم تبدل في الابتداء ؛ لما سبق من الفرق . وفي الموضعين الوقف صحيح ، لكن جواز الإبدال أو وجوبه أمر زائد على صحة الوقف . ولم يذكر ابن عقيل دليلاً على امتناعه .

وأما إن كانت العين مسلوقة النفع بالكلية : فهذه لا يصح وقفها ابتداءً ولا دواماً ، بل تخرج بذلك عن الوقفية ، وإن سلم صحة بقائها على الوقفية في الدوام - وهو ظاهر كلام الأصحاب - فلا أنه يفتقر في الدوام مالا يفتقر في الابتداء .

وأما الأضحية وتفريقه بينها وبين الوقف بالمشاركة فيها دون الوقف : فالوقف أيضاً قد يدخله المشاركة ، بأن يقف على نفسه ، أو يقف مسجداً ويصلى فيه مع الناس ، ونحو ذلك .

وأما تفريقه بجواز الإبدال في الأضحية بأفصح منها دون الوقف ، فيقال :

والوقف فيه رواية أخرى عن أحمد : بجواز الإبدال كالأضحية ، فلمن نصر هذا القول أن ينتصر لهذه الرواية ، فلا يبقى بينهما فرق . والله أعلم .

٦٨ - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الغازي البديسي أبو الحسن .

أحد الفقهاء الأعيان . اشتغل قديماً على أبي الحسن الآمدي بآمد ، ولازمه وتفقه عليه ، وسمع منه الحديث ، وبرع في الفقه . وقد ذكره القاضي أبو الحسين في ترجمة شيخه أبي الحسن . وشغل الناس ، وتفقه عليه طائفة . وأهلنه قديم الوفاة .

قرأت بخط شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية قال : نقلت من خط شيخنا يحيى بن الصيرفي الحراني قال : ذكر الشيخ أبو علي الحسن بن علي بن سلامة الحراني فيما علقه عن الشيخ أبي الحسن بن الغازي ، فقال : وإذا وقع الإناء الذي أصابه الولوج في ماء كثير ، فهو غسلة واحدة على ظاهر كلام أصحابنا ، سواء أكان واقفاً أو جارياً . ولا يعتبر لكل غسلة جرية . قال : ويحتمل وجهاً آخر . وهو أن يكون وقوعه في الماء الواقف يحتسب به غسلة واحدة ، وفي الماء الجاري يحتسب بكل جرية غسلة . وكلا الوجهين محتملان .

قال : وذكر : إذا مات في الماء ما ليست له نفس سائلة ، فإنه لا ينجس ما مات فيه من الماء اليسير والكثير والمائع على الظاهر من المذهب . قال : وفيه رواية أخرى أنه ينجس ما مات فيه . والأول أصح .

٦٩ - الحسن بن محمد ^(١) الكبري ، أبو المواهب .

أحد الفقهاء الأكابر ، وله تصانيف في المذهب أظنه من أصحاب القاضي - أو أصحابه القدماء - ووقفت له على ردوس المسائل ، وهي منتخبة من الخلاف الكبير ، على طريق أبي جعفر ، وأبي الخطاب .

(١) في خطية الإدارة الثقافية وفي المخطوطة التي بأبدينا « الحسين بن محمد »

وقد روى عن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله الخياط العكبرى
المقرئ حديثاً .

وروى عنه نصر المقدسى . وشيخه العكبرى هذا كان من أصحاب
ابن بطة فقيهاً .

مات سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . ذكره ابن البناء فى طبقات الفقهاء .
ورواية نصر المقدسى عن أبى المواهب تدل على تقدم وفاته .

٧٠ - أبو علي بن شهاب العكبرى

صاحب كتاب عيون المسائل ، متأخر . ونقل من كلام القاضى وأبى الخطاب
كأنه من ولد ابن شهاب المتقدم . ما وقعت له على ترجمة . ومن الناس من يظنه
الحسن بن شهاب الكاتب الفقيه صاحب ابن بطة . وهو خطأ عظيم .

٧١ - عبد الوهاب بن حمزة بن عمر البغدادى ، الفقيه المعدل ، أبو سعد .

وُلد فى أحد الربيعين سنة سبع وخمسين وأربعمائة . وسمع من ابن النقوم ،
والصريفينى ، وأبى القاسم بن البسرى ، وأبى عبد الله الحميدى . وتفقه على
أبى الخطاب . وأفتى وبرع فى الفقه . وشهد عند قاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى
وكان مرضيَّ الطريقة جميل السيرة من أهل السنة . وهو شيخ أبى حكيم
النهروانى ، الذى تفقه عليه . وروى عنه حكاية ، ولم يحدث إلا باليسير .
توفى ليلة الثلاثاء ثالث شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة . ودُفن بمقبرة
الإمام أحمد رضى الله عنه .

٧٢ - محمد بن علي بن عبيد الله بن الدَّيف البغدادى المقرئ . الزاهد ، أبو بكر

وُلد فى صفر سنة اثنتين وأربعمائة .
وسمع الحديث من ابن المسلمة ، وابن المهدي ، والصريفينى ، وابن المأمون ،
وابن النقوم ، وطبقتهم . وتفقه على الشريف أبى جعفر ، وحدث بشيء يسير .

سمع منه ابن ناصر . وروى عنه المبارك بن خضير ، وذاكر بن كامل ، وابن بوش وغيرهم . وكان من الزهاد الأخيار ، ومن أهل السنة ، انتفع به خلق كثير . ذكره ابن الجوزي .

وقال ابن النجار : كان مشهوراً بالصلاح والدين . درس الفقه على الشريف أبي جعفر وصحبه ، وانتفع به جماعة قرأوا عليه ، وعادت عليهم بركته . توفي يوم الإثنين سابع شوال سنة خمس عشرة وخمسمائة . ودُفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب . رحمه الله .

و« الدنف » : بفتح الدال المهملة وكسر النون وآخره فاء . قيده ابن نقطة الحافظ وغيره .

٧٣ - محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن داود

الأصبهاني ، أبو سعد بن أبي العباس ، وَيُعرف بالخيَّاط . من أهل أصبهان ، قدم بغداد ، واستوطنها مدة طويلة . وسمع من مشايخها ، وانتخب ، وعلّق وكتب بخطه كثيراً . وحصل الأصول والنسخ ، وجمع شيئاً كثيراً جداً من الحديث والفقه ، ونفذه إلى أصبهان . وأدركه أجله ببغداد . حدث ببغداد عن أبي القاسم بن منده إجازة ، وعن غيره سماعاً . كتب عنه ابن عامر العبدري وابن ناصر ، وخطه حسن .

قال ابن النجار : وكان من أهل السنة المحققين المبالغين المتشددين ، ظاهر الصلاح ، قليل المخالطة للناس . كان حنبلياً متعصباً لمذهبه ، متشداً في ذلك . توفي يوم الخميس سادس عشرين ذى الحجة^(١) سنة سبع عشرة وخمسمائة . ودُفن بباب حرب ، ولم يخلف وارثاً ؛ لأنه لم يتزوج قط رحمه الله .

٧٤ - علي بن المبارك بن علي بن الفاعوس ، البغدادي ، الإسكافي ،

المصري ، الزاهد أبو الحسن .

(١) في خطية الإدارة الثقافية والمخطوطة التي بأيدينا «سادس عشر ذى الحجة»

سمع من القاضي أبي يعلى ، وأبي منصور عبد الباقي بن محمد بن نزالب العطار وغيرهما . وصحِب الشريف أبا جعفر . وكان مشهوراً بالزهدِ والورع والتقشف وحسن الطريقة ، للخلق فيه اعتقاد عظيم .

وذكر ابن ناصر : أنه كان أزهد الناس في عصره . وكان يقرأ يوم الجمعة على الناس أحاديث قد جمعها بغير أسانيد .

قال ابن الجوزي : حدثني أبو حكيم النهرواني قال : كان ابن الفاعوس إذا صلى الجمعة جلس يقرأ على أصحابه الحديث ، فيأتي ساقى الماء ، فيأخذ منه فيشرب ؛ ليريهم أنه مفطر ، وربما صامها في بعض الأيام .

وكان ابن الفاعوس يتورع عن الرواية . وحدثت وسمع منه أبو المعمر الأنصاري ، وأبو القاسم بن عساكر الحافظ .

وقال : كان أبو القاسم بن السمرقندي يقول : إن أبا بكر بن الخاضبة كان يسمى ابن الفاعوس الحجري ؛ لأنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة . قلتُ : إن صحَّ عن ابن الفاعوس أنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة ، فأصل ذلك : أن طائفة من أصحابنا وغيرهم نَقَوْا وَقُوعَ المجاز في القرآن ، ولكن لا يعلم منهم من نفى المجاز في اللغة ، كقول أبي إسحاق الإسفرايني . ولكن قد يسمع بعض صالحهم إنكارَ المجاز في القرآن ، فيعتقدُ إنكاره مطلقاً . ويؤيد ذلك : أن المتبادر إلى فهم أكثر الناس من لفظ الحقيقة والمجاز : المعاني والحقائق دون الألفاظ .

فإذا قيل : إنَّ هذا مجاز فهموا أنه ليس تحته معنى ، ولا له حقيقة ، فينكرون ذلك ، وينفرون منه . ومن أنكر المجاز من العلماء فقد ينكر إطلاق اسم المجاز ؛ لثلايوم هذا المعنى الفاسد ، ويصير ذريعة لمن يريد جحد حقائق الكتاب والسنة ومد لولائهما .

ويقول : غالب من تكلم بالحقيقة والمجاز هم المعتزلة ونحوهم من أهل البدع ،

وتطرفوا بذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، فيمنع من التسمية بالمجاز ، ويجعل جميع الألفاظ حقائق ، ويقول : اللفظ إن دل بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى ، وإن دل بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنى الآخر ، فهو حقيقة في الحالين . وإن كان المعنى المدلول عليه مختلفاً فينبذ يقال : لفظ اليمين في قوله سبحانه وتعالى : (٦٧: ٣٩) وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) حقيقة . وهو دالٌّ على الصفة الذاتية . ولفظ اليمين في الحديث المعروف : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ . فَمَنْ صَافَحَهُ فَكَأَنَّمَا صَافَحَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ »

وقيل : يمينه يُرادُ به - مع هذه القرائن المحتفة به - محل الاستلام والتقبيل وهو حقيقة في هذا المعنى في هذه الصورة ، وليس فيه ما يومم الصفة الذاتية أصلاً ، بل دلالاته على معناه الخاص قطعية لا تحتمل التقيض بوجه ، ولا تحتاج إلى تأويل ولا غيره .

وإذا قيل : فابن الفاعوس لم يكن من أهل هذا الشأن - أعنى : البحث عن مدلولات الألفاظ ؟

قيل : ولا ابن الخاضبة كان من أهله ، وإن كان محدثاً . وإنما سمع من ابن الفاعوس ، أو بلغه عنه إنكار أن يكون هذا مجازاً ، لما سمعه من إنكار لفظ المجاز فحمله السامع لقصوره أو لهواه على أنه إذا كان حقيقة لزم أن يكون هو يد الرب عزَّ وجل ، التي هي صفته . وهذا باطل . والله علم .

توفي ابن الفاعوس ليلة السبت تاسع عشر شوال - وقيل : العشرين منه ، والأول أصح - سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بجامع القصر . ودُفن قريباً من قبر الإمام أحمد رضي الله عنه .

وكان ذلك يوماً مشهوداً ، غلقت فيه أسواق بغداد . وكان أهل بغداد يصيحون في جنازته : هذا يوم سُنِّي حنبلي ، لا قشيري ولا أشعري .

وكان حينئذ ببغداد أبو الفرج الإسفرايني الواعظ ، وكان العوام قد رجوه

غير مرة في الأسواق ، ورموا عليه الميئات ، فأظهروا في ذلك اليوم لعنه وسبّه ، فبلغ ذلك المسترشد ، فتنعه من الوعظ ، وأمره بالخروج من بغداد . وظهر في ثاني يوم عند رجل من أصحابه كراريس فيها ما يتضمن الاستخفاف بالقرآن ، فطيف به البلد ، ونودي عليه ، وهمت العامة بإحراقه . وظهر الشيخ عبدالقادر ، وجلس للوعظ ، وعكف الناس عليه ، وانتصر به أهل السنة . رحمه الله تعالى

٧٧ - موسى بن أحمد بن محمد النشادري ^(١) الفقيه أبو القاسم

كان يذكر أنه من أولاد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه
سمع الحديث الكثير . وقرأ بالروايات ، وتفقه على أبي الحسن بن الزغواني ،
وناظر .

قال ابن الجوزي : رأيت يتكلم كلاماً حسناً .

توفي رابع رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد
بباب حرب . رحمه الله تعالى .

وقال غيره : توفي ليلة الخميس خامس رجب .

وذكر ابن القطيعي : أنه سمع من أبي منصور الخازن ، وأنه كمل التعليقة ،

وناظر ، وتبصر في المذهب .

قلت : أظنه مات شاباً ؛ فإن شيخه ابن الزاغوني عاش بعده مدة .

٧٨ - محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن القراء ، القاضي الشهيد ، أبو الحسين

ابن شيخ المذهب ، القاضي أبي يعلى .

وُلد ليلة نصف شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وقرأ ببعض الروايات على أبي بكر الخياط . وسمع الحديث من أبيه ،

وعبد الصمد بن المأمون ، وأبوي الحسين بن المهدي . وابن النور ، وأبي بكر

(١) في خطية الإدارة الثقافية « النشاوري »

الخطيب ، والعاصي ، وطبقتهم . وتوفى والده وهو صغير ، فتفقه على الشريف
أبي جعفر ، وبرع في الفقه ، وأفتى وناظر .
وكان عارفاً بالمذهب ، متشدداً في السنة .

وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول ، وغير ذلك ، منها : « المجموع في
الفروع » ، « رموس المسائل » ، « المفردات في الفقه » ، « التمام لكتاب الروايتين
والوجهين » الذي لأبيه ، « المفردات في أصول الفقه » ، « طبقات الأصحاب » ،
« إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة » ، « الرد على زائغي الاعتقادات
في منعهم من سماع الآيات » ، « شرف الاتباع وسرف الابتداع » ، « تنزيه
معاوية بن أبي سفيان المقنع في النيات » ، « المفتاح في الفقه » .

وقرأ عليه جماعة ، منهم : الشيخ عبد المغيث الحربي ، وغيره .

وحدث ، وسمع منه خلق كثير من الأصحاب وغيرهم ، منهم : بن ناصر ،
ومعمر بن الفاخر ، وابن الخشاب ، وأبو الحسين البراندسي الفقيه ، والجنيدي بن
يعقوب الجيلي الفقيه ، وحدثنا عنه ، وعبد الغني بن الحافظ أبي العلاء الهمداني ،
وأبو نجيب محمود بن أبي المرجا الأصبهاني الحنبلي ، وعبد الوهاب بن أبي حنيفة ،
ويحيى بن بوش .

وحدث عنه أيضاً : علي بن المرحب البطائحي ، والمبارك بن الطباخ ، وابن
الحريف ، وابن عساكر الحافظ . وبالإجازة أبو موسى المديني ، وابن كليب .

وكان للقاضي أبي الحسين بيت في داره بباب المراتب يبيت فيه وحده ، فعلم
بعض من كان يخدمه ويتردد إليه بأن له مالا ، فدخلوا عليه ليلاً ، وأخذوا المال
وَقَتَلُوهُ ، ليلة الجمعة - ليلة عاشوراء - سنة ست وعشرين وخمسمائة . وصلى عليه يوم
السبت حادي عشر الحرم . ودُفِنَ عند أبيه بمقبرة باب حرب . وكان يوماً
مشهوداً . وقد رآه ظهور قاتليه ، فقتلوا كلهم .

أخبرنا أبو الفتح الميسدومي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحراني ، أخبرنا

أبو علي ضياء بن أحمد بن الحسن النجار ، أخبرنا القاضي أبو الحسين ابن القاضي أبي يعلى ، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن المأمون ، أخبرنا أبو القاسم بن حيازة حدثنا أبو القاسم البغوي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس قال : « وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة : أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة » أخرجه مسلم . نقلت من خط القاضي أبي الحسين في مفرداته في الأصول : اختلفت الرواية عن أحمد هل يصح الاستثناء في اليمين بالله ؟ فقال : مع انقطاع يمينه على روايتين .

إحداها : يصح ، وإن كان منقطعاً ، وهي مذهب عبد الله بن عباس .
والرواية الثانية : لا يصح الاستثناء . اختارها الخرق والوالد ، وبها قال أكثرهم .

وجه الأولى : أن النسخ والتخصيص يجوز أن يتأخرا ، فكذلك الاستثناء .
وجه الثانية : أن الاستثناء يجري مجرى الشرط ؛ لأنه إذا انفصل عما قبله لم يقد ألا ترى أنه إذا قال : اضرب زيداً أو أعطه درهما ، ثم قال بعد يوم : إذا قام أو أكل لم يقد ذلك ، ولم يكن شرطاً كذلك في اليمين ؟ هذا لفظه بحروقه . وهو ظاهر في أن الرواية الأولى ، كما حكى عن ابن عباس من صحة الاستثناء . في اليمين ، وإن طال الفصل . ولا أعلم أحداً من الأصحاب حكى ذلك عن أحمد .

٧٩ - علي بن الحسن الرواسي ، أبو الحسن الواعظ

تفقه على أبي الخطاب الكلوثاني ، وسمع منه الحديث .

توفي ليلة الجمعة خامس شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد . ودُفِنَ بمقبرة باب حرب .

٨٠ - محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن عبد الله الشيباني ، الحاجي ،

المزوني ، المقرئ ، الفرضي أبو بكر .

وُلد في سلخ سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . وقيل : سنة أربعين .
وقرأ القرآن بالروايات على جماعة من أصحاب الحماني ، منهم : أبو بكر
ابن موسى الخياط ، وطاهر بن الحسين القواس .

وسمع من ابن المسلمة ، وابن المأمون ، والصريفيني ، وابن المهدي ، وابن
التقور ، والنهرواني ، وأبي الحسين العاصمي ، وابن البري^(١) ، وأبي الفنائم بن
الدجاجي . وكتب بخطه كثيراً . وبرع في القراءات وتفرد بعلم الفرائض وألف فيه .
وذاكر ابن ناصر أنه كان مقرئاً زمانه ، قرأ عليه القرآن جماعة ، منهم :
أبو موسى المديني الحافظ ، وعلي بن عساكر البطائحي .

وحدث عنه ابن ناصر ، وابن عساكر ، واليونانتي ، وأبو سعد بن
أبي عصرون ، وابن الجوزي ، وجماعة آخروهم أبو الفتح الميّداني ، ودرس عليه
جماعة الفرائض والحساب .

قال أبو نصر اليونانتي في معجمه . هو وحيد عصره في خلقه ، وحسن
قراءته .

قال ابن الجوزي : كان ثقة عالماً ثباتاً ، حسن العقيدة .
وقال ابن القطيبي : سمعت ابن الأخضر يقول : سمعت أبا محمد الخشاب يقول :
قد سمعت من يحيى بن منده سنة ثمان وتسعين ، وحضر معي في الطبقة أبو منصور
الخياط المقرئ ، ولا أفرح بسماعي منه مثل ما أفرح بسماعي من المزرفي ، وذلك
لأنه طلب الحديث بنفسه وفهم .

توفي يوم السبت مستهل سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجأة . وقيل : إنه
توفي في سجوده . ودفن بباب حرب .

« والمزرفي » نسبة إلى المزرفة : قرية بين بغداد وعكبرا ، ولم يكن منها ،

(١) في خطية الإدارة الثقافية « ابن البصري » وفي المخطوطة التي بأيدينا

وإنما انتقل أبوه إليها أيام الفتنة ، فأقام بها مدة ، فلما رجع إلى بغداد قيل له : المزرفى .

أخبرنا أبو الفتح المصرى بها ، أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج ابن الجوزى ، أخبرنا أبو بكر المزرفى - سنة عشرين وخمسمائة - أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة ، أخبرنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهرى ، أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتَّمَنَ خَانَ » . أخرجاه عن قتيبة .

٨١ - على بن عبيد الله بن نصر بن السرى .

كذا نسبه ابن شافع وابن الجوزى وغيرهما .

وقال ابن النجار : ابن نصر بن عبيد الله بن سهل بن السرى .

وقال ابن نقطة : نصر بن عبيد الله بن أبي السرى .

وقال ابن السمعاني نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزاغوانى البغدادى ، الفقيه

المحدث الواعظ ، أبو الحسن ، أحد أعيان المذهب .

وُلد سنة خمس وخمسين وأربعمائة فى جمادى الأولى - فيما نظنه .

وقرأ القرآن بالروايات ، وطلب الحديث بنفسه ، وقرأ وكتب بخطه .

وسمع من أبي الفنائم بن المأمون ، وأبي جعفر بن المسلمة ، وأبي محمد الصّريفينى

وأبي الحسين بن النّقر ، وأبي القاسم بن اليسرى ، وأبي محمد بن عبد الله بن عطاء

المهروى ، وجماعة آخرين . وقرأ الفقه على القاضى يعقوب البرزبىنى ، وقرأ الكثير

من كتب اللغة والنحو والفرائض . وكان متفنناً فى علوم شتى ، من الأصول

والفروع والحديث والوعظ وصنف فى ذلك كله .

قال ابن الجوزى : كان له فى كل فن من العلم حظ وافر ، ووعظ مدة طويلة .

قال : وصحبته زماناً ، فسمعتُ منه الحديث ، وعلقت عنه من الفقه والوعظ وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة ، ثم يعظ بعد الصلاة . ويجلسُ يوم السبت أيضاً .

وذكر ابن ناصر : أنه كان قفيه الوقت في الطبقة الثالثة عشرة . وكان مشهوراً بالصلاح والديانة والورع والصيانة .

قال ابن السمعاني : سمعت أبا عبد الله حامد بن أبي الفتح المدني يقول : سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الله بن الزاغوني - يعني : أخا أبي الحسن هذا - يقول : ذكر بعضُ الناس ممن يوثق بهم : أنه رأى في المنام ثلاثة ، يقول واحد منهم : أخسف ، وواحد يقول : أغرق ، وواحد يقول : أطبق - يعني : البلد - فأجاب أحدهم : لا ؛ لأن بالقرب منا ثلاثة : أبو الحسن بن الزاغوني ، والثاني أحمد بن الطلاية ، والثالث محمد بن فلان من الحربية .

ولابن الزاغوني تصانيف كثيرة ، منها : في الفقه : « الإقناع » في مجلد ، و « الواضح » و « الخلاف الكبير » و « المفردات » في مجلدين ، وهي مائة مسألة . وله مصنف في الفرائض يسمى « التلخيص » وجزء في « عويص المسائل الحسائية » ومصنف في « الدور والوصايا » . وله « الإيضاح في أصول الدين » مجلد ، و « غرر البيان في أصول الفقه » مجلدات عدة . وله ديوان خطب أنشأها ، ومجالس في الوعظ وله تاريخ على السنين من أول ولاية المسترشد إلى حين وفاته هو ، ومناسك الحج ، وفتاوى ، ومسائل في القرآن والفتاوى الرجعية ، وجزء في تصحيح حديث الأبيط ، سدره في المستحيل وسماع الموتى في قبورهم .

وكان ثقة صدوقاً ، صحيح السماع . حَدَّثَ بالكثير .

وروى عنه ابن ناصر ، وأبو المعمر الأنصاري ، وابن عساكر ، وابن الجوزي ،

وعمر بن طبرزد ، وغيرهم .

وتفقه عليه جماعة ، منهم : صدقة بن الحسين ، وابن الجوزي .

توفى يوم الأحد سادس عشر محرم سنة سبع وعشرين وخمسة ، وصلى عليه يوم الإثنين بجامع القصر وجامع المنصور . ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، بباب حرب . وكان له جمع عظيم يفوت الإحصاء رحمه الله تعالى . هذا الذى ذكرناه فى تاريخ وفاته هو الذى ذكره صدقة بن الحسين . نقله عنه ابن النجار .

وذكره ابن السمعاني عن ابن عساكر ، وغيره .

والذى ذكره ابن شافع وابن الجوزى فى عدة مواضع وابن نقطة : أنه توفى يوم الأحد بعد الظهر سابع عشر محرم . والأول أصح ؛ فإن ابن شافع وابن الجوزى وافقوا على أن وفاة المزرفى - المذكور قبله - كانت يوم السبت مستهل محرم . ومتى كان السبت مستهل محرم ، فالأحد سادس عشرة ، لاسباع عشرة . وقد علق ابن الجوزى فى جزء وفاة ابن الزاغونى ، فقال : فى الأحد سادس عشر محرم ، على الصواب .

أخبرنا أبو الفتح الميديمى - بفسطاط مصر - أخبرنا أبو الفرج الحرانى ، أخبرنا الحافظ أبو الفرج بن الجوزى ، أخبرنا أبو الحسين بن الزاغونى ، أخبرنا أبو الحسين بن النقور . أخبرنا عيسى بن على بن الجراح ، حدثنا أبو القاسم البغوى ، حدثنا نعيم بن الهيثم ، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم ، فقالوا : ما عندنا إلا خل . فدعا به ، فجعل يأكل ، ويقول : نعم الأدمُ انخل - مرتين » تفرد به مسلم ، فرواه عن يحيى بن يحيى عن أبي عوانة .

ذكر ابن الزاغونى فى مناسكه : أن رمى الجمار أيام منى ، ورمى جرة العقبة يوم النحر يجوز قبل الزوال وبعده ، والأفضل بعده . ولهذا لم يواقفه عليه أحد فيما أعلم . وهو ضعيف مخالف للسنة فى رمى جرة العقبة يوم النحر .

وحكى فى الإقناع رواية عن أحمد : أنه إذا اتخذ عصيراً للخمر ، فانقلبت

خلاً لم تطهره ؛ لأن اتخاذه كان محرماً

وحكى فيه رواية عن أحمد : أنه لا ينتقض عهد أهل النمة بشيء غير منع الجزية .

وقال فيه : المشهور من المذهب أن السم نجس ، وفي المذهب ما يحتمل أنه ليس ينجس ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من الثرايع المسمومة .
وذكر فيه : أن المتوفى عنها زوجها لا يلزمها المقام في منزل الوفاة ، إلا إذا تبرع لها الورثة بالسكنى ، ولا يلزمها فيما عدا ذلك ، حتى لو كان المنزل ملكاً لها لم يلزمها المقام فيه .

وحكى فيه رواية : أن البائن تجب لها السكنى والنفقة ، وإن كانت حاملاً^(١) وذكر فيه : أن الحامل المتوفى عنها زوجها تجب لها النفقة والسكنى إن قلنا : إن النفقة للحمل ، كما لو كان الأب حياً . ولم أعلم أحداً من الأصحاب بنى رواية وجوب النفقة والسكنى لها على هذا الأصل ، ولا جعلها من فوائد الخلاف في أن النفقة : هل هي للحمل أو للحامل ؟ فإن نفقة الأقارب تسقط بالموت ، فكيف تجب نفقة الحمل من التركة ؟ .

وحكى في باب نفقة الزوجات في ثمن ماء الفسل والسدر والمشط والدهن الطيب وما أشبه ذلك وجهين .

أحدهما : أنه عليها ؛ لأن به يحصل التمكين من الاستمتاع .
والثاني : هو عليه ، وشبهه بالقوت وتوابعه ، ولا أعلم أحداً من الأصحاب ألزم الزوج ثمن الطيب مطلقاً ، ولا حكى في لزوم ثمن البواقى خلافاً ، سوى ماء الفسل الواجب .

وقال أيضاً ، في نفقة الأقارب : إذا كان بعض ورثة الفقير موسراً ، وبعضهم مُعسراً : فإن كان الفقير أباً أو أماً لزم الموسر كمال النفقة عليه ، وإن كان جداً أو جدة فوجهان . وأما سائر الورثة : فلا تلزم الموسر منهم النفقة إلا بقدر حصته من الميراث . وهذا تفصيل غريب

(١) في المخطوطة التي بأيدينا « حائلاً » .

وحكى فيه رواية عن أحد : أنه لا يجوز تقديم الكفارة على الخنث إذا كان صوماً ، ويجوز بالمال .

وذكر فيه : أن نذر اللجاج والغضب نذر صحيح يلزم الوفاء به ، وهذا لا يعرف في المذهب ، لكن قد قيل : إنه وقع في كلام ابن أبي موسى ما يوهمه : وذكر فيه أيضاً : أن المستأمن إذا دخل دار الإسلام بتجارة أخذ منه الخمس ، وأن الذمي إذا اتجر في دار الإسلام في غير بلده أخذ منه العشر . وهو غريب مخالف لنصوص أحمد وقول الأصحاب ، والمأثور عن عمر رضى الله عنه

٨٢ - محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن القراء ، الفقيه ،

الزاهد ، أبو خازم بن القاضي الإمام أبي يعلى . وأخو القاضي أبي الحسين المتقدم ذكره .

وُلد في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة

وسمع الحديث من أبي جعفر بن المسلمة ، وابن المأمون ، وجابر بن ياسين .

وذكر ابن نقطة : أنه حدث عن أبيه القاضي أبي يعلى ، وما أظنه إلا بالإجازة ؛

فإنه وُلد قبل موت والده بسنة .

وقد ذكر أخوه القاضي أبو الحسين : أن والده أجاز له ولأخيه أبي خازم ،

وقرأ الفقه على القاضي يعقوب ولازمه ، وعلق عنه وبرع في معرفة المذهب والخلاف والأصول .

وصنف تصانيف مفيدة ، وله كتاب « التبصرة » في الخلاف وكتاب

« رهوس المسائل » ، وشرح مختصر الخرقى ، وغير ذلك .

وكان من الفقهاء الزاهدين ، والأخيار الصالحين . وحدث وسمع منه جماعة

وروى عنه ابنته نعمة ، وأبو المعمر الأنصارى ، ويحيى بن بوش .

وتوفى يوم الإثنين تاسع عشرين من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وصلى

عليه يوم الثلاثاء مستهل ربيع الأول بجامع القصر . وكان يومه يوماً مشهوداً .

ودفن بداره بباب الأزج ، ثم نقل في سنة أربع وثلاثين إلى مقبرة الإمام أحمد ،
فدفن عند أبيه . رحمهما الله تعالى .

و «أبو خازم» بالخاء والزاي المعجمتين .

نقلت من بخط ابن الصيرفي الحراني ، مسألة : إذا حلق شاربه بحيث إنه
لا ينبت . فقال ابن أبي موسى : تجب فيه حُكومة . وقال القاضي أبو خازم
ابن القاضي أبي يعلى : يتوجه أن لا يجب فيه لأنه مأمور بحقه . قال : ويتوجه
أن يجب إذا كان شاباً دون الشيخ ؛ لما روى عن قتادة أنه قال : من الشيخ
سنة ، ومن الشاب مثله - يعنى : حلق الشارب .

٨٣ - عبد الله بن المبارك ويعرف بعسكر بن الحسن العكبري ، المقرئ ،

الفقيه أبو محمد ، ويُعرف بابن نبال .

سمع من أبي نصر الزينبي ، وأبي الغنائم بن أبي عثمان ، وأبي الحسين
العاصمي وغيرهم . وتفقه على أبي الوفاء بن عقيل ، وأبي سعد البرداني . وكان
يصحب شافعاً الحنبلياً ، فأشار عليه بشراء كتب ابن عقيل ، فباع ملكاً له
واشترى بثمنه كتاب الفنون ، وكتاب الفصول ، ووقفها على المسلمين . وكان
خيراً من أهل السنة ، وحدث .

وتوفي ليلة الثلاثاء ثاني عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسة
وصلى عليه أبو محمد المقرئ الزاهد من الغد بجامع القصر . ودفن بمقبرة الإمام
أحمد عن نيف وسبعين سنة . رحمه الله تعالى .

٨٤ - عبد الواهر بن سفيان بن محمد بن عبد الواحد الديلمي ، البغدادي

الفقيه أبو الفرج .

أحد أكابر الفقهاء . تفقه على أبي علي البرداني وبرع . وكان مناظراً
مجوداً ، وأميناً من قبل القضاة ، وباشر بعض الولايات ، وله دنيا واسعة . وكان
ذا فطنة وشجاعة وقوة قلب وعفة ونزاهة وأمانة .

قال ابن النجار : كان مشهوراً بالديانة وحسن الطريقة ، ولم يكن له رواية في الحديث .

قال ابن الجوزي : حدثني أبو الحسن بن عريبة^(١) قال : كان تحت يده - يعني : ابن شنيف - مال لصبي ، وكان قد قبض بعض المال ، وللصبي فهم وفطنة ، فكتب الصبي جملة التركة عنده ، وأثبت ما يأخذ من الشيخ . فلما مرض الشيخ أحضر الصبي وقال له : أي شيء لك عندي ؟ فقال : والله ما لي عندك شيء ؛ لأن تركتي وصلت إلي بحساب محسوب . فأخرج الشيخ سبعين ديناراً وقال : خذ هذه ، فهي لك ؛ فإني كنت أشتري لك بشيء من مالك وأعود فأبيعه ، فحصل لك هذا .

قال : وحدثني أبو الحسن قال : توفي رجل حشري بدار القز . وكان أبو العباس ابن الرطبي يتولى التركات . فكتب إلى الشيخ عبد الواحد يتولى تركة فلان ، فحضر وأعطى زوجته حقها ، وأعطى الباقي ذوى أرحامه ، وكتب بذلك إليه . فكتب ابن الرطبي مع مکتوبه إليه رقعة إلى المسترشد يخبره بما صنع ، وأنه ورث ذوى الأرحام . فكتب : نعم ، ما فعل إذا عمل بمذهبه ، وإنما الذنب لمن استعمل في هذا حنبلياً . وقد علم مذهبه في ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت حادى عشرين شعبان سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه الشيخ عبد القادر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضى الله عنه .

٨٥ - تابت بن منصور بن المبارك الكيلي ، المقرئ المحدث ، أبو العز .

سمع من أبي محمد التميمي ، وأبي الغنائم بن أبي عثمان ، وغانم بن الحسين وطبرزد ، ونصر بن البطر ، والحسين بن طلحة وخلق كثير . وعنى بالحديث . وسمع الكثير ، وكتب الكثير . وخرَّج تخاريج لنفسه عن شيوخه في فنون ، وحدث وسمع منه جماعة .

(١) في خطية الإدارة الثقافية وفي المخطوطة بأيدينا « ابن غريبة » .

وروى عنه السلفي ، والمبارك بن أحمد الأنصاري ، وأبو الفرج الجوزي وغيرهم .

وقال أبو الفرج : كان ديناً ، ثقة ، صحيح الإسناد . ووقف كتبه قبل موته .

وقال السلفي عنه : فقيه على مذهب أحمد . كتب كثيراً ، وسمع معنا وقبلنا على شيوخ . وكان ثقة وعراً الأخلاق .

وقال ابن السمعاني : سألتُ ابن ناصر عنه ؟ فقال : صحيح السماع ، ما كان يعرف شيئاً .

وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وقيل : سنة ثمان .

قال ابن النجار : قرأت بخط يحيى بن الطراح : أن ثابتاً توفي يوم الإثنين سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين . ودفنَ يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد رحمه الله تعالى . ورأيت جماعة من المحدثين وغيرهم قد نعتوه في طابق السماع بالإمام الحافظ رحمه الله .

وهو منسوب إلى « كيل » : قرية على شاطئ دجلة على مسيرة يوم من بغداد مما يلي طريق واسط ، ويقال لها : « جيل » أيضاً .

أخبرنا أبو الفتح الميذومي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحراني ، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزي ، أخبرنا أبو العز ثابت بن منصور السكيلي بقراءة شيخنا ابن ناصر عليه ، أخبرنا أبو القاسم الفضل بن أبي حرب ، أخبرنا أحمد بن محمد الجرجاني أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن عبيد الله المنادي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الدانا قال : شهدتُ أبا سلمة بن عبد الرحمن أبي خالد بن عبد الله بن أسيد في هذا المسجد - يعني : مسجد البصرة - قال : وجاء الحسن ، فجلس إليه قال : فحدث قال : حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

ثوران مُكَّوْرانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قَالَ : فَقَالَ الْحَسَنُ : وَمَا ذَنْبُهُمَا ؟
قَالَ : أَحَدُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَسَكَتَ الْحَسَنُ .

٨٦ - علي بن أبي القاسم بن أبي زرعة الطبري ، المقرئ ، المحدث الزاهد

أبو الحسن .

من أهل آمل طبرستان . ذكره ابن السمعاني ، فقال : شيخ صالح خيردين
كثير العبادة والذكر ، مستعمل للسنن ، مبالغ فيها جهده . وكان مشهوراً بالزهد
والديانة . رحل بنفسه في طلب الحديث إلى أصبهان ، وسمع بها جماعة من
أصحاب أبي نعيم الحافظ ، كأبي سعد المطرز ، وأبي علي الحداد ، وغيرها .

وسمع ببلده آمل من أبي المحاسن الروياني الفقيه ، وأبي بكر بن الخطاب
الخباري قال : وكتب لي الإجازة ولم أره ، ثم روى حديثاً عن رجل عنه .
ثم قال : توفي بالعُسَيْلَةَ إبعسد فراغه من الحج والعمرة والزيارة في الحرم
سنة ثمان وعشرين وخمسة . ودُفن بها . وصلى عليه أبو زيد البصري الخطيب
رحمه الله تعالى .

٨٧ - أحمد بن علي بن عبد الله بن الأبرادي البغدادي ، الفقيه ، الزاهد

أبو البركات .

سمع من أبي الغنائم بن أبي عثمان ، وأبي الحسن بن الأخضر الانباري ،
وأبي الحسن بن النحاس ، وأبي القاسم بن فهد العلاف وغيرهم . وقرأ الفقه على
ابن عقيل ، وصحب الفاعوس وغيره من الصالحين . وتعبد ووقف داراً له بالبدرية
شرق بغداد على أصحابنا مدرسة . وحدث وسمع منه جماعة .

وروى عنه أبو المعمر الأنصاري ، وأبو القاسم بن عساكر .

وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر رمضان سنة إحدى وثلاثين وخمسة . ودُفن

بباب أبرز .

قال ابن النجار : قرأته في تاريخ ابن شافع بخطه . والذي رأيت في تاريخ مختصر ابن شافع لابن نقطة : في هذه السنة وفاة أبي الحسن محمد بن أبي البركات أحمد بن الأبرادى . وقد تابعه على ذلك ابن الجوزى في تاريخه ، وترجمه بترجمة أبي البركات . وهو وهم . وسنذكر ابنة أبا الحسن في موضعه إن شاء الله تعالى .

٨٨ - يحيى بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء ، أبو عبد الله

ابن الإمام أبي على المتقدم ذكره ، وأخو أبي نصر المتقدم ذكره أيضاً . ولد يوم الجمعة رابع عشرين ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . وبكر به أبوه فى السماع ، فسمع من أبي الحسين بن المهتدى ، وابن الأبنوسى وابن النقور ، وأبي الغنائم ، وجابر بن ياسين ، ووالده أبي على بن البناء ، وغيرهم وحدث وروى عنه جماعة من الحفاظ وغيرهم ، منهم : ابن عساكر ، وابن الجوزى ، وابن بوش .

وروى عنه ابن السمعاني إجازة ، وقال : كان شيخاً صالحاً حسن السيرة واسع الرواية حسن الأخلاق متودداً متواضعاً ، براً لطيفاً بالطلبة ، مشفقاً عليهم . قال : وسمعت أبا محمد عبد الله بن عيسى بن أبي حبيب الأندلسى الحافظ قاضى اشبيلية يثنى عليه كثيراً ، ويمدحه ويطريه ، ويصفه بالعلم والتميز والفضل وحسن الأخلاق ، وعمارة المسجد . وقال : ما رأيت ببغداد فى الحنابلة مثله . قال : وكان شيخنا أبو شجاع البسطامى كثير الثناء عليه ، يصفه بالخير والصلاح والعلم . وكذلك كل من رأته ممن سمع منه وأخذ عنه كان يثنى عليه ويمدحه .

وتوفى ليلة الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة . ودُفن صبيحة يوم الجمعة بمقبرة الإمام أحمد .

أخبرنا أبو الفتح الميذومى بالقسطاط ، أخبرنا عبد اللطيف بن عبد النعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن على الحافظ ، أخبرنا يحيى بن أبي على

البناء بقراءة شيخنا أبي الفضل بن ناصر ، أخبرنا أبو الحسين بن محمد بن علي بن المهدي ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر السوسنجردى ، حدثنا محمد بن عمرو بن البحتري ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ أَهْنَزَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ » .

٨٩ - أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري البغدادي الفقيه ، الإمام أبو بكر

ابن أبي الفتح .

أحد الفقهاء الأعيان ، وأئمة أهل المذهب .

سمع الحديث من أبي محمد التميمي ، وجعفر السراج وغيرهما . وتفقه على أبي الخطاب وَبَرَع في الفقه . وتقدم في المناظرة على أبناء جنسه ، حتى كان أسعد الميهني شيخ الشافعية يقول : ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا نلم فيه ثلثة .

وله تصانيف في المذهب ، منها : كتاب « التحقيق في مسائل التعليق » وتخرج به أئمة ، منهم : أبو الفتح بن المنى ، والوزير ابن هبيرة .

قال ابن الجوزي : حَضَرْتُ دَرَسَهُ بعد موت شيخنا ابن الزاغوني نحواً من أربع سنين .

قال وأنشدني :

تمنيت أن تسمى فقيهاً مناظراً بغير عناء ، والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة تلقيتها ، فالعلم كيف يكون ؟

قال : وحدثني قال : كنت أتفقه على شيخنا أبي الخطاب . وكنت في بدايتي

أجلس في آخر الحلقة ، والناس فيها على مراتبهم ، فجري بيني وبين رجل كان يجلس قريباً من الشيخ بيني وبينه رجُلان أو ثلاثة كلام . فلما كان في الثاني جلست في مجاسي على عادتي في آخر الحلقة ، فجاء ذلك الرجل ، فجلس إلى

جانبي ، فقال له الشيخ : لم تركت مكانك ؟ فقال : أترك مثل هذا ، فأجلسُ معه يُزري عليّ . فوالله ماضى إلا قليل حتى تقدمت في الفقه ، وقويت معرفتي به ، فصرت أجلس إلى جانب الشيخ ، وبين ذلك الرجل رجال . قال ابن الجوزي : وكان يرق عند ذكر الصالحين ، ويبكى ويقول : للعلماء عند الله قدر ، فلعلّ الله أن يجعلني منهم .

توفي يوم السبت غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسة . ودُفن عند رجل أبي منصور الخياط ، قريباً من قبر الإمام أحمد رضي الله عنه . وقيل : إنه لم يُشيعهُ إلاّ عدد يسير . رحمه الله تعالى .

قال أبو البقاء بن طبرزد : كنت يوم موته عند القاضي أبي بكر بن عبد الباقي ، فخبّر بذلك ، فقال : لا إله إلا الله ، موت الأقران هدّ الأركان . وقال : إذا رأيت أخاك يخلق قبل أنت .

ومن غرائب أبي بكر الدينوري : أنه خرج رواية عن أحمد : أنه من اشتبهت عليه القبلة لزمه أن يصلي أربع صلوات إلى أربع جهات ، وقد قيل : إنه قول مخالف للإجماع .

وحكى ابن تميم عنه : أنه ذكر وجهاً أن باطن اللحية الكثة في الغسل كالوضوء .

قال ابن الجوزي في كتاب « تلبيس إبليس » : كنتُ أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدينوري في زمن الصبا فكنت - يعني : إذا دخلتُ معه في الصلاة وقد بقي في الركعة يسير - أستفتح وأستعيد ، فيركع قبل أن أقرأ ، فقال لي : يا بُنيّ ، إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ، ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة . فاشتغل بالواجب ودع السنّة .

٩٠ - محمد بن محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني الفقيه

أبو جعفر بن الإمام أبوالخطاب ، المتقدم ذكره .

وُلد سنة خمسمائة ، فيما ذكره أبو الحسن بن القطيعي في تاريخه عن ابن أخيه محفوظ بن أحمد بن محفوظ .

قال ابن القطيعي . وتفقه على أبيه وبرع في الفقه .

قلتُ : هذا محال ؛ فإنَّ عمره يوم مات أبوه - على ما ذكر في مولده - يكون عشر سنين ، فكيف تفقه عليه وبرع ؟ .

قال : وصنف كتاباً سماه « الفريد » وهو عندي بخطه ، ثم ساق منه حديثاً وحكايات وأشعاراً .

قال : وتوفي - فيما ذكره لي ابن أخيه - في سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . ودُفن بمقبرة باب حرب .

قلتُ : وفي تاريخ ابن شافع : أنه توفي ليلة الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين . ودُفن في منزله بباب الأزج . ورأيت في تاريخ القضاة لابن المندائي : أن المتوفى في هذه السنة هو أبو الفرج أحمد بن الإمام أبي الخطاب . وكان من المعدلين ببغداد ، وأن وفاته يوم الإثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين . ودُفن بمقبرة باب حرب عند أبيه .

٩١ - محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن

الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك - أحد الثلاثة الذين خلفوا ، ثم تاب الله عليهم - الأنصاري الكعبي البغدادي البصري البزاز^(١) الفرضي ، القاضي أبو بكر بن أبي طاهر ، ويعرف بقاضي المارستان كان والده أبو طاهر عبد الباقي - ويعرف بصهرهبة المقرئ ، وكان من أكابر أهل بغداد والملازمين للقاضي أبي يعلى - شيخاً صالحاً محدثاً ، معدلاً . سمع الحديث وحديث .

وتوفي في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة .

(١) في خطية الإدارة الثقافية وفي المخطوطة بأيدينا « البزاز »

وأما ولده أبو بكر هذا : قَوْلُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عَاشِرِ صَفْرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ
وَأَرْبَعِينَ . وَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ . وَحَضَرَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ الْبَرْمَكِيَّ
سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ .

وَسَمِعَ مِنْ أَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ ، وَالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبْرِيِّ وَأَبِي طَالِبِ
الْعَشَارِيِّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْبَاقِلَانِيِّ^(١) ، وَأَبِي مُحَمَّدِ الْجَوْهَرِيِّ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ عَمْرِ بْنِ
الْحُسَيْنِ الْخَفَافِ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ حَسَنُونَ ، وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ غَالِبٍ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ
ابْنِ الْأَبْنَوْسِيِّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ ، وَأَبِي الْفَضْلِ ابْنِ الْمَأْمُونِ ، وَتَفَرَّدَ
بِالرِّوَايَةِ عَنْ هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ . وَسَمِعَ مِنْ خَلْقٍ آخَرِينَ .

وَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ أَبِي مَعْشَرٍ وَغَيْرِهِ ، وَبِمِصْرَ مِنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَبَالِ . وَقَدْ
خَرَجَتْ لَهُ مَشِيخَةٌ عَنْ شَيْوْخِهِ فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ سَمِعْتُهَا بِالْقَاهِرَةِ . وَكَانَتْ لَهُ إِجَازَةٌ
مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ التَّنُوخِيِّ ، وَابْنِ شَيْطَانَ ، وَالْقَاضِي مُصَنِّفِ الشَّهَابِ .
وَتَفَقَّهَ فِي صِبَاهٍ عَلَى الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى ، وَقَرَأَ الْفَرَائِضَ وَالْحِسَابَ وَالْجَبْرَ وَالْمُقَابَلَةَ
وَالْمُهَنْدِسَةَ ، وَبَرَعَ فِي ذَلِكَ ، وَلَهُ فِيهِ تَصَانِيفٌ . وَشَهِدَ عِنْدَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الْحَسَنِ
ابْنِ الدَّامِغَانِيِّ وَتَفَنَّيَ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ .

قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ : عَارَفَ بِالْعُلُومِ مَتَفَنَّيَ ، حَسَنَ الْكَلَامِ ، حُلُوَ الْمُنْطَقِ ،
مَلِيحَ الْمَحَاوِرَةِ . مَا رَأَيْتُ أَجْمَعَ لِلْفَنُونِ مِنْهُ نَظْرًا فِي كُلِّ عِلْمٍ . وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : تَبَيَّنَتْ
مِنْ كُلِّ عِلْمٍ تَعَلَّمْتُهُ إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَهُ .

قَالَ : وَكَانَ سَرِيعَ النِّسْخِ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ لِلْحَدِيثِ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَا ضَيَعْتُ
سَاعَةً مِنْ عَمْرِي فِي لَهْوٍ أَوْ لَعِبٍ .

قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَسْرَتْنِي الرُّومُ ، وَبَقِيتُ فِي الْأَسْرِ سَنَةً وَنِصْفًا ، وَكَانَ خَمْسَةَ
أَشْهُرٍ الْغُلَّ فِي عُنُقِي ، وَالسَّلَاسِلَ عَلَى يَدَيَّ وَرِجْلِي . وَكَانُوا يَقُولُونَ لِي : قُلْ :
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، حَتَّى نَفْعَلَ وَنَصْنَعُ فِي حَقِّكَ ، فَاْمْتَنَعْتُ وَمَا قُلْتُ . قَالَ : وَوَقَّيْتُ أَنْ

(١) فِي خَطِيئَةِ الْإِدَارَةِ التَّقَافِيَّةِ وَالْمَخْطُوطَةِ بِأَيْدِينَا « الْبَاقِلَاوِيُّ »

حبست كان ثمَّ معلم يعلم الصبيان الخط بالرومية ، فتعلمت في الحبس الخط الرومي .
وسمعته يقول : حفظتُ القرآن ولي سبع سنين ، وما من علم في عالم الله
إلا وقد نظرتُ فيه ، وحصلت منه كله أو بعضه ، وتفرد في الدنيا بعلوم الإسناد
ورحل إليه المحدثون من البلاد .

قال ابن الجوزي : كان حسن الصورة ، حلو المنطق ، مليح المعاشرة ، كان
يُصلي في جامع المنصور ، فيجىء في بعض الأيام ، فيقف وراء مجلسي وأنا على منبر
الوعظ فيسلم عليّ . وأملى الحديث في جامع القصر باستملاء شيخنا ابن ناصر ،
وقرأت عليه الكثير . وكان ثقة فهماً ، ثباتاً جة ، متفنناً في علوم كثيرة ، منفرداً
في علم الفرائض .

وكان يقول : ما أعلم أني ضيَّعت من عمري شيئاً في لهوٍ أو لعب ، وما من
علم إلا وقد حصلت بعضه أو كله . وكان قد سافر فوقع في أيدي الروم ، فبقي في
أسرهم سنة ونصفاً ، وقيدوه وجعلوا الغل في عنقه ، وأرادوا منه أن ينطق بكلمة
الكفر فلم يفعل ، وتعلم منهم الخط الرومي .

قال : وسمعته يقول : يجب على المعلم أن لا يعترف ، وعلى المتعلم أن لا يأنف .
وسمعته يقول : من خدم الحابر خدمته المنابر .

قال : وأنشدني :

لى مدة لا بدّ أبلغها فإذا انقضت وتصرمت مت

لو عاندتني الأسد ضارية ماضرتني ما لم يجيء الوقت

قال : ذكر لنا أن منجمين حضرا حين وُلد ، فأجمعا أن عمره اثنتان وخمسون

سنة . قال : وها أنا قد جاوزت التسعين .

قال : ورأيت بعد ثلاث وتسعين صحيح الحواس ، لم يتغير منها شيء ، ثابتا

العقل ، يقرأ الخط الدقيق من بُعد . ودخلنا عليه قبل موته بمديدة ، فقال : قد

نزلت في أذني مادة ، فقرأ علينا من حديثه ، وبقي على هذا نحواً من شهرين ،

ثم زال ذلك، وعاد إلى الصحة، ثم مرض فلوصى أن يعمق قبره زيادة على ماجرت به العادة، وقال: لأنه إذا حفر ما جرت به العادة لم يصلوا إلي، وأن يكتب على قبره (٣٨ : ٦٨ ، ٦٩ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) وبقى ثلاثة أيام قبل موته لا يفتر من قراءة القرآن، إلى أن توفي يوم الأربعاء قبل الظهر ثانی رجب سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . وصلى عليه بجامع المنصور . وحضر قاضي القضاة الزينبي ، ووجوه الناس وشيعناه إلى مقبرة باب حرب ، فدُفن إلى جانب أبيه ، قريباً من بشر الحافي رضي الله عنه .

قلتُ : وحدث القاضي أبو بكر بالكثير من حديثه ، وسمع منه الأئمة الحفاظ وغيرهم ، وأثنوا عليه .

قال ابن الخشاب عنه : كان مع تفرد به علم الحساب والفرائض ، واقتنائه في علوم عديدة ، صدوقاً ، ثبتاً في الرواية ، متحريراً فيها .

وقال ابن ناصر عنه : كان إماماً في الفرائض والحساب ، وهو آخر من حدث عن البرمكي ، وذكر جماعة .

وكان سماعه صحيحاً ، وتمعنه الله بعقله وسمعه وبصره وجوارحه إلى حين وفاته . ولم يخلف بعده من يقوم مقامه في علمه . وكان قد خرجت له مجالس سنة ثمان عشرة ، فأملأها بالجامع من دار الخليفة .

وقال ابن شافع : سمعتُ ابن الخشاب يقول : سمعتُ قاضي المارستان يقول : قد نظرتُ في كل علم حصلتُ منه بعضه أو كله ، إلا هذا النحو فإنني قليل البضاعة فيه .

قال ابن شافع : وما رأيتُ أبا محمد - يعني : ابن الخشاب - يعظم أحداً من مشايخه تعظيمه له . وكان أبو القاسم بن السمرقندي يقول : ما بقي مثله ويطريه في الثناء .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم - بمصر - أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم ، أخبرنا الحافظان : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، وأبو محمد ابن عبد العزيز بن محمود بن الأخضر ، وأبو أحمد بن عبد الوهاب بن علي بن سكينه وغيرهم مع وأخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي بها - غير مرة - أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم التنوخي ، وأبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحارثي وأبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي ، وأبو الغنائم المسلم بن محمد بن علان وغيرهم ، قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ، وأبو الين زيد بن الحسن الكندي . زاد الأولان : وأبو البركات عبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي ، وزاد الأول وحده : وأحمد بن ترمش البغدادي . قالوا كلهم : أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الباقي البزاز ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي - حضوراً - أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم البزار ، حدثنا أبو مسلم ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا حميد عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُونِي مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » :

أنبت عن يوسف بن خليل الحافظ قال : أخبرنا الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الله بن أبي الفوارس محمد بن علي بن حسن الخزاز الصوفي البغدادي ببغداد قال : سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري يقول : كنتُ مجاوراً بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يوماً من الأيام جوع شديد لم أجد شيئاً أدفع به عنى الجوع ، فوجدتُ كيساً من إبريسم مشدوداً بشراية من إبريسم أيضاً فأخذته وجئتُ به إلى بيتي ، فحللته فوجدتُ فيه عقداً من لؤلؤ لم أر مثله ، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه ، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول : هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ ، فقلت : أنا محتاج ، وأنا جائع ، فأخذ هذا الذهب فأتتبع به ، وأرد عليه الكيس ، فقلت له : تعالى إلى ، فأخذته وجئتُ به إلى بيتي ، فأعطاني علامة الكيس ، وعلامة الشراية ، وعلامة اللؤلؤ

وَعَدَدَهُ ، وَالخَيْطُ الَّذِي هُوَ مَشْدُودٌ بِهِ ، فَأَخْرَجْتَهُ وَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ . فَسَلِمَ إِلَى خَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَمَا أَخَذَتْهَا ، وَقُلْتُ : يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُعِيدَهُ إِلَيْكَ وَلَا أَخْذُ لَهُ جُزْءًا ، فَقَالَ لِي : لَا بَدَّ أَنْ تَأْخُذَ . وَأَلْحَ عَلَيَّ كَثِيرًا ، فَلَمْ أَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَتَرَكْنِي وَمَضَى .

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنِّي : فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ وَرَكِبْتُ الْبَحْرَ ، فَانْكَسَرَ الْمَرْكَبُ وَغَرِقَ النَّاسُ ، وَهَلَكْتَ أَمْوَالُهُمْ ، وَسَلِمْتُ أَنَا عَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْمَرْكَبِ ، فَبَقِيتُ مُدَّةً فِي الْبَحْرِ لَا أُدْرِي أَيْنَ أَذْهَبُ ، فَوَصَلْتُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِيهَا قَوْمٌ ، فَقَعَدْتُ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ ، فَسَمِعُونِي أَقْرَأُ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ أَحَدٌ إِلَّا جَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ : عَلِمْنِي الْقُرْآنَ . فَحَصَلَ لِي مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَالِ .

قَالَ : ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ أَوْرَاقًا مِنْ مِصْحَفٍ ، فَأَخَذْتُهَا أَقْرَأُ فِيهَا فَقَالُوا لِي : تَحْسَنُ تَكْتُبُ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالُوا : عَلَّمْنَا الْخَطَّ ، فَجَاءُوا بِأَوْلَادِهِمْ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَالشَّبَابِ ، فَكُنْتُ أَعْلَمُهُمْ ، فَحَصَلَ لِي أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ فَقَالُوا لِي بَعْدَ ذَلِكَ : عِنْدَنَا صَبِيَّةٌ يَتِيمَةٌ ، وَلَهَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا نُرِيدُ أَنْ نَتَزَوَّجَ بِهَا ، فَامْتَنَعْتُ ، فَقَالُوا : لَا بَدَّ ، وَالزَّمُونِي ، فَاجَبْتَهُمْ إِلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا زَفَوْهَا إِلَيَّ مَدَدْتُ عَيْنِي أَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْعَقْدَ بَعَيْنِهِ مَعْلَقًا فِي عُنُقِهَا ، فَمَا كَانَ لِي حِينٌ شُغِلَ إِلَّا النَّظَرَ إِلَيْهِ . فَقَالُوا : يَا شَيْخَ ، كَسَرْتَ قَلْبَ هَذِهِ الْيَتِيمَةِ مِنْ نَظْرِكَ إِلَى هَذَا الْعَقْدِ ، وَلَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهَا ، فَتَقَصَّصْتُ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ الْعَقْدِ فَصَاحُوا وَصَرَخُوا بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، حَتَّى بَلَغَ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ ، فَقُلْتُ : مَا بَكُمُ ؟ فَقَالُوا : ذَلِكَ الشَّيْخُ الَّذِي أَخَذَ مِنْكَ الْعَقْدَ أَبُو هَذِهِ الصَّبِيَّةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا وَجَدْتُ فِي الدُّنْيَا مُسْلِمًا إِلَّا هَذَا الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ هَذَا الْعَقْدَ ، وَكَانَ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى أَزْوَجَهُ بِابْنَتِي ، وَالْآنَ قَدْ حَصَلْتُ ، فَبَقِيتُ مَعَهَا مَدَّةً وَرَزَقْتُ مِنْهَا بَوْلَدَيْنِ .

ثُمَّ إِنِّي مَاتَ فَوَرِثَ الْعَقْدَ أَنَا وَوَلَدَايَ ، ثُمَّ مَاتَ الْوَالِدَانِ فَحَصَلَ الْعَقْدُ لِي فَبِعْتَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . وَهَذَا الْمَالُ الَّذِي تَرَوْنَ مَعِيَ مِنْ بَقَايَا ذَلِكَ الْمَالِ . هَكَذَا سَأَقُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ يَوْسُفَ بْنَ خَلِيلِ الْحَافِظِ فِي مَعْجَمِهِ .

وساقها ابن النجار في تاريخه ، وقال : هي حكاية عجيبة . وأظن القاضي حكاه عن غيره . وقد ذكرها أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تاريخه في ترجمة أبي الوفاء بن عقيل .

وذكر عن ابن عقيل : أنه حكى عن نفسه : أنه جج ، فالتقط العقد وورده بالموسم ، ولم يأخذ ما بذل له من الدنانير ، ثم قدم الشام ، وزار بيت المقدس ، ثم رجع إلى دمشق ، واجتاز بحلب في رجوعه إلى بغداد ، وأن تزوجه بالبنت كان بحلب . ولكن أبا المظفر ليس بحجة فيما ينقله ، ولم يذكر للحكاية إسناداً متصلاً إلى ابن عقيل ، ولا عزاها إلى كتاب معروف ، ولا يعلم قدوم ابن عقيل إلى الشام ، فنسبته إلى القاضي أبي بكر الأنصاري أنسب . والله أعلم .

وقد تضمنت هذه القصة : أنه لا يجوز قبول الهدية على رد الأمانات ؛ لأنه يجب عليه ردها بغير عوض ، وهذا إذا كان لم يلتقطها بنية أخذ الجعل المشروط وقد نص أحمد رضي الله عنه على مثل ذلك في الوديعة ، وأنه لا يجوز لمن ردها إلى صاحبها قبول هديته إلا بنية المكافأة .

٩٢ - عبد الوهاب بن عبد الواهر بن محمد بن علي الشيرازي ، ثم الدمشقي ،

المعروف بابن الحنبلي ، الفقيه الواعظ المفسر ، شرف الإسلام أبو القاسم .
كذا كناه ابن القلانسي في تاريخه . وكناه المنذري وغيره : أبا البركات ابن شيخ الإسلام أبي الفرج الزاهد - المتقدم ذكره - شيخ الحنابلة بالشام في وقته توفي والده وهو صغير فاشتغل بنفسه ، وتفقه وبرع ، وناظر وأفتى ، ودرس الفقه والتفسير ووعظ ، واشتغل عليه خلق كثير . وكان فقيهاً بارعاً ، وواعظاً فصيحاً ، وصدرًا معظمًا ، ذا حرمة وحشمة وسؤدد ورئاسة ، ووجاهة وجمالة وهيبة .

ولما ورد الفرنج إلى دمشق سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، أرسله صاحب دمشق إلى الخليفة المسترشد ببغداد ليستنجدهم على الفرنج ، فخلع عليه ووعدته بالإنجاد .

وكان له بجامع دمشق مجلس يعقده للوعظ ، وقيل : إنه منع منه بسبب الفتن .
قال ابن السمعاني : سمعتُ أبا الحجاج يُوَسِّفُ بن محمد بن مقلد التنوخي
الدمشقي - مذاكرة - يقول : سمعتُ الشيخ الإمام عبد الوهاب بن أبي الفرج
الحنبلي الدمشقي - بدمشق - ينشد على الكرسي في جامعها ، وقد طاب وقته :
سَيِّدِي عَمَلِي الْفُؤَادِ الْعَلِيلَا وَأَخِينِي قَبْلَ أَنْ تَرَانِي قَتِيلَا
إِنْ تَكُنْ عَازِمًا عَلَى الْقَبْضِ رُوحِي فَتَرَفَّقْ بِهَا قَلِيلًا قَلِيلًا
قرأت بخط حفيده ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم قال : حكى لنا الفصيح
الحنفي قال : احتجت ، فأشار عليّ بعضُ الناس أن أقوم في مجلس شرف الإسلام
فأمتدحه بقصيد شعر . قال : ففعلتُ ، فرمى عليّ الشيخُ منديلاً كان في يده ،
فخلع على جماعة أصحابه ثياباً كثيرة ، ونثروا عليّ ، فخرجتُ من المجلس ومعى
جمال تحمل الخلع . فبلغ ذلك البرهان البلخي شيخ الحنفية ، فشكاني إلى
والدي ، فقلتُ : كنت محتاجاً ، ورحت إلى رجلٍ أغناني ، فاسكتوا عني وإلا
رُحْتُ إليه بُكْرَةً .

قال ناصح الدين : وكان وجيه الدين مسعود بن شجاع شيخ الحنفية -
بدمشق - يذكر شرف الإسلام جدّي ، ويقول : كان يذكر مجلدة من التفسير
في المجلس الواحد ويثني عليه .

قال : وكان زين الدين بن الحكيم الواعظ الحنفي يذكر جدى شرف
الإسلام على المنبر ، ويثني عليه ، وربما ذكره فبكي .
قلت : ولشرف الإسلام تصانيف في الفقه والأصول ، منها « المنتخب في
الفقه » في مجلدين ، و « المفردات » ، و « البرهان في أصول الدين » ورسالة
في الرد على الأشعرية .

وحدث عن أبيه ببغداد ودمشق ، وسمع منه ببغداد أبو بكر بن كامل ،
و ناظر مع الفقهاء ببغداد في المسائل الخلافية .

قال ابن النجار : حدث عن والده بحديث منكر . وبني بدمشق مدرسة داخل باب القرايس ، وهي المعروفة بالحنبلية . ولما شرع في بنائها طلع بعض المخالفين إلى « زمرد خاتون » أم شمس الملوك - وكان حكمها نافذاً في البلد - فقالوا لها : هذا ابن الحنبلي يبني مدرسة للحنابلة ، وهذا البلد عامته شافعية ، وتصير الفتن و بناؤها مفسدة وضرر كبير . فبعثت إلى الشيخ ، وقالت له : بطل هذا البناء ، فقال : السمع والطاعة . وقال للصناع : انصرفوا ، فانصرفوا . فلما كان الليل أحضر الصناع والفعلة وأصحابه ، وأشعلوا المشاعل والشمع ، وشرعوا في تأسيس حائط القبلة ، ونصبوا المحراب ليلاً ، وقال : اغدوا على عملكم ، فغدوا ، وقال أولئك لها : قد خالف أمرك . فنزل إليه عشرة من القلعة ، وقالوا له : أما قد نهتك خاتون عن بناء هذا المكان ؟ فقال : أنا قد بنيت بيتاً من بيوت الله عز وجل ، ونصبت محراباً للمسلمين ، فإن كانت هي تهدمه تبعث تهدمه ، وصاح على الصناع : اعملوا . فبلغها ما قال . فقالت : صدق . أنا ما لي وللفقهاء .

ذكر ذلك الناصح عن بعض أصحاب أبي شرف الإسلام .

قال : سمعتُ والدي يقول : جاء رجل من أصحاب أبي شرف الإسلام إليه ، فقال : رأيتُ الليلة في منامي أبي ، فقال لي : هذا الذي يقوله لكم الشيخ ما هو صحيح ، ما رأينا لا جنة ولا ناراً ، ولا قيامةً ولا حساباً ، وهو يبكي ، فقال له الشيخ : ما ذاك والدك . فقال : ياسيدي ، والدي ، أنا أعرفه ، فقال له الشيخ : ذاك الشيطان ، الساعة يعود ويقول لك مثل ما قال . فقل أنت له : بالله الذي لا إله إلا هو ، أنت والدي ؟ فيولى عنك ويضطر لك . فلما كانت الليلة الثانية أصبح وجاء إلى الشيخ ، فقال له : ضطر لك ؟ قال : إي والله ياسيدي . توفي رحمه الله في ليلة الأحد سابع عشر صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة . ودُفن عند والده بمقابر الشهداء من مقابر الباب الصغير .

وذكره أبو المعالي بن القلانسي في تاريخه ، فقال : كان على الطريقة

المرضية ، والخلال الرضية ، ، ووفور العلم وحسن الوعظ وقوة الدين ، والتزده عما
يقدر في أفعال غيره من المتفقهين ، وكان يوم دفنه مشهوداً من كثرة المشيعين
له والباكين حوله ، والمؤبنين لأفعاله والمتأسفين عليه . رحمه الله تعالى .
وللمهذب أحمد بن منير^(١) الشاعر الحلبي المشهور رسالة إلى شرف الإسلام
يمدحه فيها وأهل بيته بقصيدة ، يقول فيها :

ولعمري لولا بقية عبد ال	واحد الحنبليّ أعضل داؤه
هم أعادوا المعروف غصاً وقد صوّ	ح مخضره وغاز بهأؤه
معشر أرضعوا النباهة من عو	د نضار ماء المروءة ماؤه
كل معروفهم لمعرفهم طلق	وهم في مكروهه شركاؤه
ألسن توج المنابر منها	كل غضب فلّ القضاء مضأؤه
فالكتاب العز يزشهد أن قد	سلمت خصلة له قراؤه
أهله أتم ، ومَن لم يقل قو	لى عتمت عينه أعضأؤه
فقهاء الإسلام إن عن	لبس أحباره خطباؤه

قال ناصح الدين حفيد شرف الإسلام : قد عرضت هذه القصيدة على
أبي البقاء العكبري ، فأثنى عليها كثيراً .

٩٣ - عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي ، الحافظ

أبو البركات ، محدث بغداد .

ولد في رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة .

وسمع الكثير من أبي محمد الصريفي ، وأبي الحسين بن النقور ، وأبي القاسم

الأنماطي ، وابن البصري ، وأبي نصر الزينبي ، وطراد ، وخلق كثير بعدهم .

وكتب بخطه الكثير ، وسمع العالي والنازل ، حتى إنه قرأ على أبي الحسين بن

الطيوري جميع ما عنده .

(١) في خطية الإدارة الثقافية « ابن قيس »

قال ابن ناصر عنه : كان بقية الشيوخ ، سمع الكثير . وكان يفهم ، مضى مسطوراً
وكان ثقةً ، ولم يتزوج قط .

وقال السلفي : كان عبد الوهاب رفيقاً حافظاً ثقةً ، لديه معرفة جيدة . وقال
الحافظ أبو موسى المدني في معجمه : هو حافظ عصره ببغداد .

وذكره ابن السمعاني ، فقال : حافظ ثقة ، واسع الرواية ، دائم البشر ، سريع
اللمعة عند الذكر ، حسن المعاشرة . جمع الفوائد وخرج التخاريج ، لعله ما بقي
جزء مروي إلا وقد قرأه وحصل نسخته . ونسخ الكتب الكبار ، مثل الطبقات
لابن سعد ، وتاريخ الخطيب . وكان متفرغاً للتحديث : إما أن يقرأ عليه ، أو ينسخ شيئاً
وذكره ابن الجوزي في عدة مواضع من كتبه ، كشيخته ، وطبقات الأصحاب
المختصرة ، والتاريخ ، وصفوة الصفوة ، وصيد الخاطر . وأثنى عليه كثيراً ، وقال :
كان ثقة ثباتاً ، ذا دين وورع ، وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكي ، فاستفدت
بيكاته أكثر من استفادتي بروايته . وكان على طريقة السلف ، وانتفعت به ما
لم أتفنع بغيره ، ودخلت عليه في مرضه - وقد بلى وذهب لحمه - فقال لي : إن الله
عز وجل لا يُتهم في قضائه .

وقال أيضاً : ما رأينا في مشايخ الحديث أكثر سماعاً منه ، ولا أكثر كتابة
للحديث بيده مع المعرفة به ، ولا أصبر على الإقراء ، ولا أسرع دمعة وأكثر بكاء
مع دوام البشر وحسن اللقاء .

وقال أيضاً : كنت أقرأ عليه الحديث من أخبار الصالحين ، فكلما قرأتها بكى
وانتحب . وكنا ننتظره يوم الجمعة بجامع المنصور ، فلا يجيء من قنطرة باب البصرة
وإنما يجيء من القنطرة العتيقة . فسألته عن هذا ؟ فقال : تلك كانت دار ابن
معروف القاضي ، فلما غضب عليه السلطان أخذها وبنى عليها القنطرة .

قال لنا : وسمعتُ أبا محمد التميمي يحكي عن ابن معروف : أنه أحل كل من
يجوزُ عليها ، إلا أني أنا لا أفعل .

قال : وكانت فيه خلة أخرى عجبية : لا يفتاب أحداً ، ولا يُفتاب عنده . وكان صبوراً على القراءة عليه ، يقعد طول النهار لمن يطلب العلم . وكان سهلاً في إعارة الأجزاء لا يتوقف ، ولم يكن يأخذ أجراً على العلم ، ويعيب من يفعل ذلك ، ويقول : علمٌ مجاناً كما علمت مجاناً .

قلتُ : حَدَّثَ عبد الوهاب بالكثير ، وسمع منه خلق عظيم .

وروى عنه من الحفاظ والأئمة وغيرهم خلق كثير ، منهم : ابن ناصر ، والسلفي ، وابن عساكر ، وأبو موسى المديني ، وأبو سعد السمعاني ، وابن الجوزي ، وابن الأخضر ، وأبو أحمد بن سكينه ، وابن طبرزد ، وأحمد بن الديبقي ، وعبد الوهاب ابن أحمد . هذا خلافاً لعبد الوهاب بن أحمد بن هزيمة ، وهو خاتمة أصحابه . وكان ابن السمعاني وغيره من الحفاظ يستفيدون منه ، ويرجعون إلى قوله في أحوال الرواة وجرحهم وتعديلهم .

ومن الفوائد المذكورة عنه : أنه كان لا يميز الرواية بالإجازة عن الإجازة وجمع في ذلك تأليفاً . ذكره ابن السمعاني عنه . وهو مذهبٌ غريب .

توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس حادي عشر المحرم سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ودفن من الغد بالشونيزية ، وهي مقبرة أبي القاسم الجنيد غربي بغداد أخبرنا أبو الفتح محمد بن إبراهيم - بمصر - أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني ، أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، أخبرنا الحافظ عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الصريفي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله ^(١) الصيرفي ، حدثنا أبو القاسم البغوي ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شعبة عن منصور عن ربي عن أبي مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إِنَّ آخِرَ مَا أُذْرِكُ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ » .
أخرجه البخاري عن آدم عن شعبة .

(١) في خطية الإدارة الثقافية والمخطوطة بأيدينا « ابن عبدان » .

٩٢ - محمد بن علي بن صدقة بن جلب الصائغ ، أبو البركات ، أمين الحكم
بباب الأزج .

سمع من أبي محمد التميمي ، وقرأ الفقه على القاضي أبي خازم .
وذكر ابن القطيعي عن أبي الحسين بن أبي البركات الصائغ قال : سمعت
أبي قال : جاءت فتوى إلى القاضي أبي خازم ، وفيها مكتوب .
ما يقول الإمام أصلحه الله لي وللسبيل هداية
في محب آتي إليه حبيب في ليالي صيامه فأناه
أفتنا : هل صباح ليلته أف طرأم لا ؟ وقل لنا ما تراه
قال : فقال لي القاضي أبو خازم : أجب يا أبا البركات ، فكتبتُ الجواب
وبالله التوفيق :

أيها السائل عن الوطاء في ليله الصيام الذي إليه دعاه
وجده بالذي أحب وقد أحرق نار الغرام منه حشاه
كيف تعصى؟ ولو تفكر في قدرة ربي مفكر ما عصاه
أأمنت الذي دحا الأرض أن تطبق دون الوري عليك سماه؟
ليس فيما أتيت ما يبطل الصوم جوابي فاعلم هداية الله
توفي ليلة الثلاثاء سابع عشر رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . ودفن بباب
حرب .

وكان سبب موته : أن زوجته سمته في طعام قدّمته له ، وأكل معه منه رجلان
فمات أحدهما من ليلته ، والآخر من غده . وبقى أبو البركات مريضاً مديداً ،
ثم مات رحمه الله تعالى .

٩٣ - موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن محمد الجواليقي ،

أبو منصور بن أبي طاهر . شيخ أهل اللغة في عصره .

ولد في ذى الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة . ذكره ابن شافع وابن الجوزي
وقال ابن السمعاني : سألته عن مولده ؟ فقال : سنة ست وستين .
وذكر غيره : أنه سأله عن ذلك ؟ فقال : في أواخر سنة خمس ، أو أوائل
سنة ست .

وسمع الحديث الكثير من أبي القاسم بن البسري ، وأبي طاهر بن أبي الصقر
وأبي الحسن علي بن محمد الخطيب الأنباري ، وطراد الزينبي ، ونصر بن البطار ،
وأبي الحسين بن الطيوري ، وجعفر السراج ، وأبي طاهر بن سوار ، وجماعة من بعدهم
وقرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي سبع عشرة سنة . وبرع في علم اللغة
والعربية . ودرس العربية في المدرسة النظامية بعد شيخه أبي زكريا مدة ، ثم قربه
المقتفى لأمر الله تعالى ، فاخص بإمامته في الصلوات . وكان المقتفى يقرأ عليه شيئاً
من الكتب ، وانتفع بذلك ، وبان أثره في توقيعاته . وكان من أهل السنة
المحاميين عنها . ذكر ذلك ابن شافع .

وقال ابن السمعاني في حقه : إمام في اللغة والأدب . وهو من مفاخر بغداد
وهو متدين ثقة ، ورع . غزير الفضل ، كامل العقل ، مليح الخط ، كثير الضبط
صنف التصانيف ، وانتشرت عنه ، وشاع ذكره . ونقل بخطه الكثير .

وقال ابن الجوزي : انتهى إليه علم اللغة . وكان غزير العقل ، متواضعاً في ملبسه
ورثاسته ، طويل الصمت ، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل .
وكثيراً ما كان يقول : لا أدري . وكان من أهل السنة . سمعت منه كثيراً من
الحديث وغريب الحديث ، وقرأت عليه كتابه « المغرب » وغيره من تصانيفه
وقطعة من اللغة .

وقال ابن خلكان في تاريخه : صنف التصانيف المفيدة وانتشرت عنه ، مثل
شرح كتاب « أدب الكاتب » وكتاب « المغرب » وتتمة « درة الغواص »
للحريري . وخطه مرغوب فيه .

وكان يصلى بالمقتضى بالله ، فدخل عليه - وهو أول ما دخل - فما زاد على أن قال : السلام على أمير المؤمنين . فقال : ابن التلميذ النصراني - وكان قائماً ، وله إدلال الخدمة ، والطب - : ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ ، فلم يلتفت إليه ابن الجواليقي وقال : يا أمير المؤمنين ، سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية ، وروى الحديث ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، لَوْ حَلَفَ حَالِفٌ أَنْ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَمْ يَصِلْ إِلَى قَلْبِهِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ لَمَا لَزِمَتْهُ كَفَارَةٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَنْ يَفْكَ خَتْمَ اللَّهِ إِلَّا الْإِيمَانَ . فقال : صدقت وأحسنت ، وكأنما ألقى ابن التلميذ بحجر ، مع فضله وغزارة أدبه .

وقال المنذرى : الإمام أبو منصور ، أحد الفضلاء في اللغة والنحو ، وهو من مفاخر بغداد ، وله التصانيف المشهورة . حدث أبو منصور بالعوالي من حديثه لعزة أوقاته .

وسمع منه جماعة ، منهم : ابن ناصر ، وابن السمعاني ، وابن الجوزي ، وأبو اليمين الكندي .

وتوفى سحر يوم الأحد خامس عشر محرم سنة أربعين وخمسة ، وصلى عليه من الغد في جامع القصر ، وحضر الصلاة عليه أربابُ الدولة والعلماء ، وتقدمهم في الصلاة قاضي القضاة أبو القاسم الزينبي . ودفن بباب حرب عند والده . رحمهما الله تعالى .

ووهب ابن السمعاني في وفاته ، فقال : في سنة تسع وثلاثين .

أخبرنا أبو الفتح الميذوي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحراي ، أخبرنا عبد الرحمن بن علي الخافظ ، أخبرنا موهوب بن أحمد بن الجواليقي بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن البسري ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت ، حدثنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، حدثنا أبو مصعب الزهري عن مالك عن سمي - مولى أبي بكر - عن أبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « السَّفرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ ؛ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلِ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ » .
أخرجاه عن القعنبى عن مالك .

٩٤ - نصر بن الحسين بن حامد الحرانى ، أبو القاسم .

أحد شيوخ حران ، وفقهائها الأكاير . وهو من أصحاب أبي الفتح بن جلبة القاضى ، وأبى الحسين بن عمرو الزاهد ، وغنهما أخذ العلم . ولا أعلم سنة وفاته . ذكره أبو الفتح بن عبدوس ، وقد عدَّ شيوخ حرَّان ، وعلماءها ، وفقهاءها ، وذكر منهم : أبا المحاسن هبة الله بن نصر بن الحسين بن حامد ولد المذكور . قلت : أبو المحاسن هذا تفقه ببغداد ، وقرأ على ابن الزاغونى ، وأبى الخطاب وغيرها ، وسمع من طلحة العاقولى .

وله تصنيف أظنه فى أصول الدين سماه « كفاية المنتهى ونهاية المبتدى » نقل منه الشيخ فخر الدين بن تيمية فى تفسيره .

وذكر ابن عبدوس : أبا القاسم صدقه بن على بن محشى ، وصاحبه أبا المعالى رافع بن محمد بن الحكيم ، وولده أبا الحسن محمد بن رافع . وقد كان روى السلفى عن أبى الفتح أحمد بن حامد الأسدى الحرانى بما كسب .

قال : وكان قد ولى قضاءها حديثاً بإجازته من أبى طالب العشارى ، وبسماعه من القاضى أبى الفتح بن جلبة ، بسماعه من العشارى .

وذكر ابن نقطة عن السلفى قال : سمعت المؤمن بن أحمد الساجى يقول : على بن محمد بن على بن جلبة قاضى حران كان محباً للحديث ، مجداً فى السنة .

٩٥ - نجيب بن عبد الله السمرقندى ، أبو بكر .

ذكره يحيى بن الصيرفى الحرانى الفقيه فى بعض تصانيفه ، وقال : أظنه من

تلامذة ابن عقيل :

قال : وله تخاريج حَسَنَةٌ في المذهب .

وذكر من ذلك : أنه خرج رواية : أنه لا يجب القود في صورة الإكراه على القتل إلا على المكره ، ولا على المكره ، من الرواية التي يقول فيها : لا تقتل الجماعة بالواحد ؛ لامتزاج الأفعال ، فكذلك هنا وأولى ؛ لأن السبب غير صالح .

٩٦ - الحسين بن الرهمذاني أبو عبد الله شمس الحفاظ .

له كتاب « المقتدى » في الفقه في المذهب .

ذكره ابن الصقال الحراني في رسالته المسماة « بالإنباء عن تحريم الربا » .
وذكر : أنه ذكر في هذا الكتاب : أن العروض الحلي بأحد النقيدين لا يجوز بيعه بأحدهما ، قولاً واحداً . وهذا موافقة لطريقة ابن أبي موسى وغيره .
ولا أعلم من حاله غير هذا .

٩٧ - البارك بن عبد الملك بن الحسين البغدادي ، الحريمي ، الفقيه ،

الإمام أبو علي ، المعروف بابن القاضي .

تفقه في المذهب وبرع فيه . وسمع في حال كبره من غير واحد . وكان من أكابر الفقهاء .

تفقه عليه جماعة . ولا أعلم سنة وفاته .

وله ابن يقال له : أبو منصور عبد الملك كان موصوفاً بالصلاح والخير

ولي القضاء بمدينة المنصور بالحریم الطاهري .

وسمع من أبي منصور القزاز ، وأبي البدر السكرخي وطبقتهما ، وحدث .

وكان مولده سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

وتوفي في عشرين ذي الحجة سنة تسع وستمائة . ودُفن بباب حرب .

سمع منه النجيب الحراني . وسيأتي عنه حديث في ترجمة ابن الطلاية .

بقية وفيات المائة السادسة

من سنة ٥٤١ هـ - إلى سنة ٦٠٠ هـ

٩٨ - عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله البغدادي ، المقرئ النحوي

الأديب الزاهد أبو محمد ، سبط أبي منصور الخياط .

وُلد ليلة الثلاثاء سابع عشرين شعبان سنة أربع وستين وأربعمائة .

وتلقن القرآن من شيخه أبي الحسن بن الفاعوس ، وقرأ بالروايات على جده

أبي منصور الزاهد ، والشريف عبد القاهر العباسي ، وابن سوار ، وجماعة .

وسمع الحديث الكثير من أبي الحسين بن النقور ، وأبي منصور بن

عبد العزيز ، وطراد ، وغيرهم .

وقرأ الأدب على أبي الكرم بن فاخر ، وبرع عليه في العربية واللغة ، وقرأ

عليه كتاب سيبويه ، وتصانيف ابن جنى . وصنف في القراءات كتباً وقصائد ،

وأم بمسجد ابن جرادة وأقربائه ، من سنة سبع وثمانين وأربعمائة إلى وفاته ،

وختم مالا يحصى .

وقرأ عليه بالروايات خلق كثير . آخرهم موتا تاج الدين زيد بن الحسن

الكندي .

وسمع منه الحديث خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، منهم : ابن ناصر ،

وابن السمعاني ، وابن الجوزي . وكان أكابر العلماء وأهل بلده يقصدونه .

قال ابن الجوزي : قرأت عليه القرآن والحديث الكثير ، ولم أسمع قارئاً قط

أطيب صوتاً منه ، ولا أحسن أداء على كبر سنه ، وجمع الكتب الحسان . وكان

كثير التلاوة ، لطيف الأخلاق ، ظاهر الكياسة والظرافة ، وحسن المعاشرة

للعوام والخواص .

وقال أيضاً : كان قويا في السنة . وكان طول عمره منفردا في مسجده .

وقال ابن السمعاني : كان له معرفة بالنحو واللغة ، متودداً متواضعاً ، حسن

القراءة والتلاوة في المحراب ، خصوصا في ليالي رمضان ، يحضر الناس عنده لاستماع قراءته . وصنف تصانيف في القراءات وعلوم القرآن ، وخولف في بعضها، وشنعوا عليه . وسمعت أنه رجع عن ذلك . والله تعالى يغفر لنا وله . وكتبت عنه وعلقت عنه من شعره .

وقال ابن شافع : سار ذكر سبط الخياط في البلاد والأغوار والأنجاد ورأس أصحاب الإمام أحمد ، وصار أوحده وقته ونسيج وحده ، لم أسمع في جميع عمري من يقرأ الفاتحة أحسن ولا أوضح منه . وكان جمال العراق بأسره . وكان ظريفا كريما لم يخلف مثله في أكثر فنونه .

ولصدقه بن الحسين في مدحه :

يا قـدوة القراء والأدبا ومحجة الفقهاء والعلماء

والعالم الخبير الإمام ومن سمي بالعلم مرتبة على الجوازا

وقال ابن نقطة : كان شيخ العراق يرجع إلى دين وثقة وأمانة . وكان ثقة

صالحا من أئمة المسلمين .

وقال الذهبي في طبقات القراء : صنف التصانيف المليحة في القراءات ، مثل

« المبهج » و « الكفاية » و « القصيدة المتحددة » و « الروضة » و « الإيجاز في

السبعة » و « المؤيدة للسبعة » و « الموضحة في العشرة » و « الاختيار »

و « التبصرة » وغير ذلك .

وله شعر حسن كثير ، فنه ما أنشده ابن السمعاني عنه .

يامن تمسك بالدنيا ولذتها وجد في جمعها بالكد والتعب

هل لاعمرت لدار سوف تسكنها دار القرار وفيها معدن الطلب ؟

فمن قليل تراها وهي دائرة وقد تمزق ما جمعت من نشب

ومنه قوله :

ومن لم تؤدبه الليالي وصرفها فما ذاك إلا غائب العقل والحس

يظن بأن الأمر جار بحكمه وليس له علم : أيصبح أم يمسي ؟
وقوله :

إذا كان أمر الله في الخلق نافذا
فلا ينفع الحرص المركب في الفتى
وقوله :

أيها الزائرون بعد وفاتي
سترون الذي رأيت من الموت

وقال الحافظ الضياء المقدسي : أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن سلطان
بيغداد ، أخبرنا محمد المقرئ ، أجاز لهم ، وأنشدنا لنفسه :

ترك التكلف في التصوف واجب
قوم إذا امتد الظلام رأيتهم
والوجد منهم في الوجوه محله
لا يرفعون بذاك صوتا مجهراً
ويواصلون الدهر صوما دائماً
وتراهم بين الأنام إذا أتوا
صدقت عزائمهم وعز مرامهم
صدقوا الإله حقيقة وعزيمة
والرقص نقص عندهم في عقدهم
هذا شعار الصالحين ومن مضى
فإذا رأيت مخالفاً لفعالهم
وله أيضا :

والنحو عز به الإنسان ينتفع
من كل معنى به الإنسان يبتدع
وخرقه فهو خرق ليس يرتفع
ثم الحديث إذا مارمته فرج
ثم الكلام فذره ، فهو زندقة

وله أيضاً :

ظهرت في الأنام بدعة قوم جحدوا الله والقرآن الميننا
عطلوا وصفه ، وحادوا عن الحق جميعا ، وخالفوه يقينا
قال ابن الجوزي : توفي بكرة يوم الإثنين ثانی عشر ربيع الآخر سنة إحدى
وأربعين وخمسة ، وتوفي في غرفته التي في مسجده ، فخط تابوته بالحبال من
سطح المسجد ، وأخرج إلى جامع القصر ، فصلى عليه عبد القادر . وكان الناس في
الجامع أكثر من يوم الجمعة ، ثم صلى عليه في جامع المنصور .
وقال : وقد رأيت أنا جماعة من الأكابر ، فما رأيت أكثر جمعا من جمعه
على تقدير الناس ، من نهر معلى إلى قبر أحمد ، وغلقت الأسواق ، ودفن في دكة
الإمام أحمد عند جده أبي المنصور .

أخبرنا أبو الفتح الميذومي - بفسطاط مصر - أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف
ابن عبد المنعم ، أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله
ابن علي المقرئ - بقراءتي عليه - أخبرنا الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة ، أخبرنا
أبو عمر بن مهدي ، حدثنا المحاملي ، حدثنا يوسف بن موسى القطان ، حدثنا إسماعيل
ابن علي ، حدثني علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن بشر
ابن سعيد عن زيد بن خالد الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلفه في أهله فقد غزا » . أخرجه البخاري عن أبي معمر
عن عبد الوارث ، ومسلم عن أبي الربيع الزهراني عن يزيد بن زريع ، كلاهما عن
حسين المعلم عن يحيى بن أبي كثير .

٩٩ - دعوانه بن علي بن حماد بن صدقة الجبائي - ويقال له : الجبتي أيضا -

نسبة إلى قرية بسواد بغداد عند العقر على طريق خراسان ، المقرئ الفقيه الضرير
أبو محمد .

ولد سنة ثلاث وستين وأربعمائة بالجبة المذكورة .

وقدم بغداد فسمع بها من أبي محمد التيمي ، وأبي عبد الله البصري ، والحسين ابن طلحة ، وثابت بن بندار ، والصريفيني ، وابن البطر ، وابن السراج .
وقرأ بالروايات على الشريف عبد القاهر المسكي ، وابن سوار ، وتفقه على أبي سعد الخرمي ، وأحكم الفقه ، وأعاد شيخه المذكور في درس الخلاف ، وأقرأ القرآن ، وحدث ، وانتفع به الناس . قرأ عليه جماعة ، وحدث عنه آخرون ، منهم ابن السمعاني .

قال ابن الجوزي : كان خيرا ديناً ، ذا ستروصيانة وعفاف ، وطرائق محمودة ، على سبيل السلف الصالح .

توفي يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وخمسة .
ودفن من الغد بمقبرة أبي بكر - غلام الخلال - إلى جانبه .

قال ابن الجوزي : كتب إليّ عبد الله الجبائي الشيخ الصالح ، قال : رأيت دعوان بن علي بعد موته بنحو من شهر في المنام ، وكان عليه ثيابا بيضاء شديدة البياض ، وعمامة بيضاء ، وهو يمضي إلى الجامع لصلاة الجمعة ، وقد أخذت يده اليسرى بيدي ، ومضيئا . فدا بلغنا إلى حائط الجامع ، قلت له : يا سيدي ، إيش لقيت ؟ قال لي : عرضت على الله تعالى خمسين مرة ، وقال لي : إيش عملت ؟ فقلت له : قرأت القرآن وأقرأته . قال لي : أنا أتولاك ، أنا أتولاك . قال عبد الله : فأصابني من الوجد ، وصحت وضربت بكفي اليمنى حائط الجامع ثلاث مرات ، أتأوه وأضرب الحائط بكفي ، ثم استيقظت .

١٠٠ - صالح بن سافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجبلي الفقيه

المعدل ، أبو المعالي .

ولد ليلة الجمعة لست خلون من المحرم سنة أربع وسبعين وأربعمائة
وسمع من أبي منصور الخياط ، وابن الطيوري ، وغيرها . وصحب ابن عقيل وغيره من الأصحاب . وتفقه ودرس بالمسجد المعروف به بدرب المطبخ شرق بغداد

قال ابن المنذرى فى تاريخ القضاة : كان ققيها زاهداً من سروات الناس .
وقال ابن الجوزى : كان من المعدلين ، فحرت حالة أوجبت أن عزل من
الشهادة .

وقال ابن المنذرى : كان أحد الفضلاء الشهود . وحدث عنه الحافظان :
أبو القاسم الدمشقى وأبو سعد السمعانى .

توفى يوم الأربعاء سادس عشر رجب سنة ثلاث وأربعمائة . وصلى
عليه من الغد . وتقدم عليه فى الصلاة ولده أبو الفضل أحمد صاحب التاريخ . ودفن
فى دكة الإمام أحمد رضى الله عنه . وذكر ابن الجوزى : أنه دفن على ابن عقيل

١٠١ - المبارك بن بطلان بن أبى غالب محمد بن أبى طاهر الحسين بن

محمد البغدادى ، الظفرى المحدث ، مفيد العراق ، أبو بكر ، ويعرف أبوه بالخفاف
ولد يوم الخميس ثانى عشر ذى الحجة سنة خمس وتسعين وأربعمائة
وقرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث الكثير . وأول سماعه سنة ست
وخمسمائة ، وعنى بهذا الشأن .

سمع من أبى القاسم بن بيان ، وأبى على بن شهاب ، وأبى طالب بن يوسف
وأبى سعد بن الطيورى ، وابن شجاع الدهلى ، وأبى الغنائم النرسى ، وأبى الوفاء
ابن عقيل ، وخلق كثير غيرهم .

قال ابن الجوزى وما زال يسمع العالى والنازل ، ويتبع الأشيخ فى الزوايا
وينقل الساعات ، فلو قيل : إنه سمع من ثلاثة آلاف شيخ لما رد القائل . وجالس
الحفاظ ، وكتب بخطه الكثير ، وانتهت إليه معرفة المشايخ ، ومقدار ماسمعوا ،
والإجازات .

وكان قد صحب هذا رست ، ومحمود الأصبهانى ، وغيرهما ممن يعنى بهذا
الشأن ، وانتهى الأمر فى ذلك إليه ، إلا أنه كان قليل التحقيق فيما ينقل من

السماعات مجازفة ؛ لكونه يأخذ عن ذلك ثمناً ، وكان فقيراً إلى ما يأخذ . وكان كثير التزويج والأولاد .

وقال ابن النجار : أفاد الطلبة والغرباء ، وخرج التخاريج ، وجمع مجموعات ، منها كتاب « سلوة الأحران » نحو ثلاثمائة جزء وأكثر ، وحدث بأكثر ما جمعه ، وبقليل من مروياته . وسمع منه الكبار والقدماء .

وكان صدوقاً مع قلة فهمه ومعرفته ، وخرج لنفسه معجماً لشيوخه . وقال : الذهبى سمع الكثير ، وكتب عن الجم الغفير ، وأفاد الطلبة ، وانتفع به خلق كثير .

توفى في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن بالشونيزية . رحمه الله تعالى .

١٠٢ - عبدالله بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن قنمى الحرى

الفقيه المعدل ، أبو القاسم ابن أبي على .

ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

وسمع من أبي نصر الزينبي ، وأبي الحسين العاصمى ، وأبي الغنأم ابن أبي

عنان ، وثابت بن بندار ، وغيرهم .

قال ابن الجوزى : كان صدوقاً فقيهاً مفتياً مناظراً ، وروى عنه حكاية في

غير موضع من كتبه .

وسمع منه ابن السمعاني ، وقال : فقيه فاضل على مذهب أحمد ، حسن

الكلام فى المسائل ، جميل الصورة ، مرضى الطريقة ، متواضع ، كثير البشر

راغب فى الخير .

وقال ابن شافع : كان فقيهاً مفتياً مناظراً . صدوقاً أميناً . ذكره شيخنا -

يعنى : ابن ناصر - وأثنى عليه .

روى عنه أحمد بن عبد الملك بن يوسف بن بانانة .

وتوفى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . ودفن من
الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١٠٣ - عبد الله بن عبد الباقي بن التبان الواسطي ، ثم البغدادي ،
أبو بكر الفقيه ، ويسمى محمد وأحمد أيضاً .

قال ابن الجوزي : كان من أهل القرآن ، وسمع من أبي الحسين بن الطيوري
وتفقه على ابن عقيل ، وناظر وأفتى ودرس . وكان أميناً لا يكتب .

توفى في شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن تسعين سنة . ودفن بمقبرة
باب حرب . رحمه الله تعالى .

وقال ابن شافع : كان مذهبياً جيداً ، وخلافياً مناظراً ، ومن أهل القرآن .
بقي على حفظه لعلومه إلى أن مات .

وذكر : أنه توفى يوم الخميس ثامن شوال المذكور ، وله تسعون سنة أو أزيد
وقال ابن النجار : درس المذهب على ابن عقيل حتى برع فيه . وكان يتكلم في
مسائل الخلاف ، ويفتي ويدرس

سمع الحديث من أبي منصور الخياط ، وابن الطيوري وأبي الحسن بن
الدهان المرتب . وحدث باليسير .

وسمع منه المبارك بن كامل ، وأبو الفضل بن شافع .

١٠٤ - الجنيد بن يعقوب بن الحسن بن الحجاج بن يوسف الجيلي ، الفقيه

الزاهد ، أبو القاسم بن أبي يوسف بن أبي علي .

ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة بتولم : من أرض جيلان . كذا ذكره

ابن السمعاني عنه .

وذكر ابن شافع عنه : أنه ولد سنة خمسين . ثم قدم بغداد ، وأقام بباب

الأزج . وقرأ الفقه على يعقوب البرزبيني ، والأدب على أبي منصور بن الجواليقي .

وسمع الحديث من أبي محمد التميمي، وأبي الحسن الهكاري، وأبي الحسن بن العلاف، ومن طلحة العاقولي، والقاضي أبي الحسين، وغيرهم. وحدث باليسير. وكتب بخطه الكثير من الفقه والأصول والخلاف والحديث والأدب. وكان فاضلاً ديناً، حسن الطريقة. جمع كتاباً كبيراً في استقبال القبلة ومعرفة أوقات الصلاة. ذكر ذلك ابن النجار.

وروى عنه ابن عساكر، والسمعاني، وقال: شيخ صالح حسن السيرة. وقال أبو العباس بن لييدة عنه: كان صادقاً زاهداً ثبتاً، لم يعرف عليه إلا خيراً قال: وتوفي يوم الأربعاء سادس عشرى جمادى الآخرة سنة ستة وأربعين وخمسمائة. وصلى عليه الشيخ عبد القادر بمدرسته. ودفن من يومه بمقبرة الجلبة. رحمه الله تعالى.

قرأت بخط أبي القاسم الجنيد بن يعقوب الجبلى فى بعض تعاليقه فى حادثة جاءت من بلد الهكار: قطعة جبل لرجل عليها شجر نابت، وتحتها أرض لرجل آخر مزروعة، انقطعت القطعة فسقطت على الأرض التى تحتها، فسترتها وصارت حاضنة لها، مانعة لصاحبها من زراعتها، والشجر بحاله ثابت فى تلك القطعة لا يستنصر صاحبها، لكن صاحب الأرض التى تحتها يستنصر: ما الحكم فى ذلك؟ الجواب - وبالله التوفيق - : أنه يحتمل القيمة؛ لأنها صارت كالمستهلكة فهى كاللآلى إذا ابتلعها عبده. انتهى. ولم يعز الجنيد هذا الجواب إلى أحد بعينه والظاهر: أنه جوابه بنفسه.

وفى ما قاله نظر؛ فإن جنابة العبد تفارق بقية جنيات الأموال؛ لأن العبد مكلف مختار، فلا تسقط جنابته وتتعلق برقبته، وإن لزم من ذلك فوات حق المالك. وهذا بخلاف جنيات البهائم؛ فإنه لا يضمن مالكمها إلا أن ينسب إلى نوع من تفريط فى حفظها، على ما فيه من اختلاف وتفصيل. وأما الجنيات الحادثة من أمواله التى لا حياة فيها: فلا ضمان عليه فيها إلا

أن ينسب إلى نوع تفريط ، مثل من مال حائطه إلى جاره أو إلى الطريق ، فإنه إذا لم يعلم به فلا نعلم خلافاً في أنه لا ضمان عليه ، وإن علم وامتنع من النقص حتى سقط فأتلف ، ففي وجوب الضمان عليه خلاف مشهور . فهذه الأرض الساقطة بسيل أو غيره على أرض الغير تشبه ما تلف بسقوط الجدار ونحوه . وقد يقال : المتلف نوعان .

أحدهما : ما فات ولم يمكن إعادته من مال ونفس ، فهذا الذي تكلم الفقهاء في ضمانه على ما سبق ذكره .

والثاني : ما هو باقى ، ولكن المالك بينه وبين مالكة . فهذا يلزم المالك الذى حال ملكه بينه وبين مالكة : أن يخلى بين المالك ليأخذه . فإذا عجز فهل يقال : يلزمه ضمانه لحيلولة ملكه . فقد ذكره صاحب المحرر فى مسودته على الهداية فيما إذا ابتلعت بهيمته جوهرة فى حال لا يلزم المالك ضمان جنايتها : هل يلزمه هنا شيء أم لا ؟ وبيض لذلك .

ولكن كلام ابن عقيل وغيره فى مسألة من وقع فى محبرته دينار لغيره بغير تفريط منه : أنه يلزمه بذلها للكسر مضمونة ، ولا يلزمه أكثر من ذلك يدل على أنه لا يلزمه ضمان ما حال ملكه بينه وبين مالكة ، وأنه لا يلزمه أكثر من بذل التسليم للمالك ، ليخلص ملكه . وهذا يبقى الضمان عند العجز . وهو الأظهر . ولو قيل : إنه يلزمه الأجرة مدة الانتفاع ببقاء أرضه على أرض غيره ، إلحاقاً بمن حمل السيل غراسه إلى أرض آخر .

قلنا : يلزمه الأجرة ، وفيه نظر . والله أعلم .

والذى ذكره القاضى وابن عقيل فيمن ابتلعت بهيمته مالا لغيره يبقى ، كذهب وجوهر : فإن كان يلزمه الضمان وكانت مأكولة : فهل تذبح لاستخراجه ؟ على وجهين ؛ لئنهى عن ذبح الحيوان لغير مأكلة ، وإن كانت غير مأكلة تعين الضمان ، وإن لم تكن مضمونة عليه فلا ضمان .

ولكن قياس ما ذكر ابن عقيل في سقوط الدينار في الحبرة : أنه يخير مالك المال المبتلع بين أن يذبح المأكول ويضمن نقصه ، وبين أن يتركه . والله أعلم .

١٠٥ - عبد الملك بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد علي الأنصاري

الشيرازي ، ثم الدمشقي ، القاضي بهاء الدين بن شرف الإسلام بن الشيخ أبي الفرج . وقد تقدم ذكر أبيه وجده .

تفقه وأفتى ودرس وناظر . وذكره أبو المعالي حمزة بن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق ، فقال : كان إماماً فاضلاً ، مناظراً مستقلاً ، مفتياً على مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة ، يحكم عليه ، ما كان عليه عند إقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم . وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي . وهو حسن الحديث في الجد والهزل .

توفي يوم الإثنين سابع عشر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة . وكان له يوم مشهود . ودفن في جوار أبيه في مقابر الشهداء - يعني : بالبواب الصغير ، وكثر الباكون حول سريره من العالم ، والمثنون له والمتأسفون عليه . رحمه الله تعالى .

١٠٦ - عبد الله بن هبة بن أحمد بن محمد السامري الفقيه ، أبو الفتح .

ولد يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وسمع الكثير من أبي بكر الطريثي ، وثابت بن بندار ، والمبارك بن عبد الجبار ، وأبي سعد بن خشيش ، وجعفر السراج ، وغيرهم . وتفقه على أبي الخطاب الكلوزاني . وحدث باليسير ، روى عنه جماعة . توفي ليلة الإثنين ثالث عشر محرم سنة خمس وأربعين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب .

١٠٧ - أيوب بن أحمد بن تيموه الباجرائي الفقيه الحنبلي . ويكتب

بخطه : القاضي أيوب .

قال ابن النجار : سمع ابن ناصر الدسكري . والقاضي أبا الحسين بن الفراء .
وحدث عنه بأصبهان بيسير .

سمع منه أبو الكرم سعد بن الحسين بن ولاد المديني .
توفي في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة .
قلتُ : ووجدت خطه كثيراً على كتب كثيرة من كتب الأصحاب ، قرئت
عليه ، وحدث بالغيلانيات . سماعه من ابن الحصين .

١٠٨ - الحسن بن محمد بن الحسين الراذاني الأواني ، ثم البغدادي ، الفقيه

الواعظ أبو علي الزاهد ، ابن الزاهد أبي عبد الله . وقد تقدم ذكر أبيه .
وُلد أبو علي بأوانا ، وسمع ببغداد من أبي الحسين بن الطيوري ، ومن بيان
وابن شهاب ، وابن خشيش ، ومن الحافظ بن ناصر ، ولازمه إلى أن مات .
وتفقه على أبي سعد الخرمي ، ووعظ وتقدم . ولما توفي ابن الزاغوني أخذ
حلقة بجامع المنصور في النظر والوعظ ، وطلبها ابن الجوزي فلم يعطها لصغر سنه .
سمع منه ابن السمعاني ، . وقال : واعظ حسن السيرة متودد . وسمع منه
أبو الحسن بن عبدوس الحراني الفقيه جزءاً فيه أجوبة عن مسائل وردت من
الموصل ، تتضمن عدة مسائل من أصول الدين ، أجاب عنها في كراس ، بجواب
حسن موافق لمذهب أهل الحديث .

وذكر عبد المغيث الحرابي ، في بعض مؤلفاته : فتياً من فتاويه ، في
تحريم السماع .

قال ابن الجوزي : توفي يوم الأربعاء رابع صفر سنة ست وأربعين
 وخمسمائة . ودفن من الغد إلى جانب ابن سمعون بمقبرة الإمام أحمد . وكان موته
 فجأة ؛ فإنه دخل إلى بيته ليتوضأ لصلاة الظهر ، فقاء فمات . وكان قد تزوج وعزم
 تلك الليلة على الدخول بزوجه .

وفي تاريخ ابن السمعاني وابن شافع : أنه توفي سادس صفر .

١٠٩ - عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد الحلواني ، الفقيه الإمام

أبو محمد بن أبي الفتح ، وقد سبق ذكر أبيه .

وُلد سنة تسعين وأربعمائة .

تفقه على أبيه ، وأبي الخطاب ، وبرع في الفقه وأصوله ، وناظر وصنف تصانيف في الفقه والأصول ، منها : كتاب « التبصرة » في الفقه ، كتاب « الهداية » في أصول الفقه .

رأيت بخطه ما يقتضى : أن له تعليقة في مسائل الخلاف كبيرة ، وله تفسير القرآن في إحدى وأربعين جزءاً حدث به .

وروى عن أبيه ، وعلى بن أيوب البزار ، والمبارك ابن عبد الجبار ، والحسين الخلال ، وأبي نصر بن ودعان ، وغيرهم .

سمع منه يحيى ابن طاهر بن النجار الواعظ ، وغيره .

قال ابن شافع : كان فقيهاً في المذهب ، يفتى وينتفع به جماعة أهل محلته .

وقال ابن النجار : كان موصوفاً بالخير والصلاح والفضل .

وقال ابن الجوزي : كان يتجر في الخلل ، وينتفع به ، ولا يقبل من أحد شيئاً .

وتوفى في يوم الإثنين سلخ ربيع الأول سنة ست وأربعين وخمسمائة . وصلى

عليه من الغد الشيخ عبد القادر بالمصلى القديم بالجلبة . ودفن بداره بالمأمونية .

وذكر الحافظ المنذرى في التكملة في ترجمة ولده أبي عبد الله محمد بن

عبد الرحمن الحلواني المتوفى سنة أربع عشرة وستمائة : أنه سمع بإفادة والده هذا

من ابن المعالي بن السمين وغيره .

قال : ووالده أبو محمد عبد الرحمن كان من شيوخ الحنابلة وله معرفة بالفقه

والتفسير ، وحدث .

قال : والحلواني - بفتح الحاء المهملة وسكون اللام - وهذه النسبة إلى بيع

الحلواء أو عملها .

قلت : المعروف أنه بضم الحاء ، وما أظنه منسوبا إلا إلى حلوان البلد المعروف بالعراق .

١١٠ - محمود بن الحسين بن بندار أبو نجيح بن أبي المرجا بن أبي الطيب الأصبهاني ، الطلحي ، الواعظ المحدث .

سمع الحديث الكثير ، وطلب بنفسه وقرأ .
سمع بأصبهان كثيرا من يحيى بن منده الحافظ ، ومن أبي الفتح أحمد بن محمد ابن أحمد الحداد . ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من أبي الحصين ، والقاضي أبي الحسين والطبقة . وكتب بخطه كثيرا . وخطه حسن متقن . ووعظ وقال الشعر .
وسمع منه يحيى بن سعدون القرطبي ، حدث عنه أبو عبد الله محمد بن بكر الأصبهاني وغيره . وأجاز للشيخ عبد المغيث زهير وأولاده ، ولأبي المعالي بن شافع وغيرهما .

وتوفي سنة ثمان وأربعين وخمسة مائة - أظنه بأصبهان - رحمه الله
قرأت بخطه في الإجازة : فليروا عني بلفظة التحديث ، وإن أرادوا بلفظة الإخبار .

قلت : وهذا وإن اشتهر عند المحدثين من المتأخرين إنكاره ، كما أنكره الخطيب على أبي نعيم الأصبهاني ، لكن هو قول طوائف من علماء الحديث .
وقد روى عن الإمام أحمد رضي الله عنه ، أخبرنا أبو الفتح الميمني - بمصر -
أخبرنا أبو الفرج الحراني ، حدثنا أبو المعالي أحمد بن يحيى الخازن من لفظه ببغداد ،
حدثنا أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري إملاء ، قال : سمعت الإمام أبا محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي يقول : حدثني عمي أبو الفضل عبد الواحد ابن عبد العزيز التميمي قال : سمعت غلام الخلال يقول : سمعت الخلال يقول : قال الإمام أبو عبد الله أحمد رضي الله عنه لولده صالح : إذا أجزت لك شيئا فلا تبالي . قلت : أخبرنا أو حدثنا .

وروى الخطيب بإسناده عن أبي اليمان الحكيم بن نافع قال : قال لي أحمد بن حنبل : كيف سمعت الكتب من شعيب بن أبي حمزة ؟ قلت : قرأت عليه بعضاً ، وبعضاً قرأه علي ، وبعضاً أجاز لي ، وبعضاً مناولة . فقال أحمد : قل في كل : أخبرنا شعيب . وقد روى هذا المذهب عن مالك ، والحارث بن مسكين . وذكره ابن الصلاح في كتابه عن الزهري ومالك وغيرهما من المتقدمين . وحكاه ابن شاهين عن طائفة من العلماء .

وذكر السلفي في مقدمته لإملاء الاستاذ كار : أن مذهب أبي عمر بن عبد البر وعامة حفاظ الأندلس : الجواز فيما يجاز قول حدثنا وأخبرنا ، أو ما شاء المجاز مما يقرب منه . قال : بخلاف مانحن وأهل المشرق عليه من إظهار السماع والإجازة ، وتمييز أحدهما عن الآخر بلفظ لا إشكال فيه .

وقد صنف بعض المحدثين المتأخرين في جواز إطلاق : حدثنا وأخبرنا في الإجازة جزءاً .

١١١ - أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن نجسا بن محمد بن علي بن محمد

الأزجي ، القاضي أبو علي ابن شاتيل .

سمع من أبي محمد التيمي ، ونصر بن البطر ، وابن طلحة النعالي ، وأبي بكر ابن سوسين ، وشيخ الإسلام الهكاري - وسمع منه سنة أربع وخمسين وأربعمائة . كذا ذكره القطيبي . وفيه نظر - وغيرهم .

وتفقه علي أبي الخطاب الكلوذاني ، وولى القضاء بربع سوق الثلاثاء مدة ، ثم ولى قضاء المدائن .

ذكره ابن السمعاني ، فقال : أحد فقهاء الحنابلة وقضاتهم . قال : وكتبت عنه يسيراً .

وذكر ابن القطيبي في تاريخه : أنه سمع منه جماعة . ثم روى عن أبي إسحاق الصقال الفقيه عنه .

وذكر : أنه توفي يوم السبت سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسة . رحمه الله تعالى .

١١٢ - أصم بن أبي غالب بن الطلاية الحرابي الزاهد، أبو العباس الوراق ولد بعد الستين وأربعمئة .

وقرأ القرآن . وسمع من أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأنماطي جزءاً من حديث المخلص ، واشتهر به .

وسمعه منه خلق ، فنسب الجزء إليه . وقد سمعناه . ثم اشتغل بالعبادة ، ولازم المسجد يتعبد فيه ليلاً ونهاراً حتى انطوى من كثرة التعبد ، فكان رأسه إذا قام عند ركبته .

قال ابن الجوزي : حدثني أبو الحسن بن غريبة ، قال : جاء إليه رجل فقال : سل لي فلانا في كذا ، فقال أحمد : قم معي فصل ركعتين ، واسأل الله تعالى ؛ فإني لا أترك باباً مفتوحاً وأقصد باباً مغلقاً .

توفي ليلة الإثنين حادي عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وخمسة . ودفن إلى جانب ابن سمعون بمقبرة الإمام أحمد ، بباب حرب .

أخبرنا أبو الفتح الميذومي ، أخبرنا أبو الفرج الحراني ، أخبرنا القاضي أبو منصور عبد الملك بن أبي علي المبارك بن عبد الملك بن الحسن البغدادي الحريري - ويعرف بابن القاضي ، وقد سبق ذكر ترجمته في هذا الكتاب - أخبرنا أبو العباس ابن الطلاية ، أخبرنا أبو القاسم الأنماطي ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، حدثنا يحيى بن صاعد ، حدثنا زياد بن يحيى ، حدثنا مالك بن سعيد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ستر على مسلم عورة ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة - وذكر الحديث » .

١١٣ - محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي ، الفارسي الأجل ،

شم البغدادي ، الأديب اللغوي ، الحافظ أبو الفضل بن أبي منصور .
ولد ليلة السبت نصف شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة . كذا ذكره
ابن الجوزي وابن السمعاني عنه .

وفي تاريخ ابن النجار : ليلة الخميس ، وكان والده شاباً تركيا ، محدثاً فاضلاً
من أصحاب أبي بكر الخطيب الحافظ توفي في شببته . ومحمد جده اسمه « ابتغدي »
وأبو جده على اسمه « تكين المضافري » التركي الحر .

وتوفي ناصر وأبو الفضل هذا صغير ، فكفله جده لأمه أبو حكيم الحيري
القرضي ، فأسمعه في صغره شيئاً من الحديث يسيراً ، وشغله بحفظ القرآن ، والفقہ
على مذهب الشافعي . ثم إنه صحب أبا زكريا التبريزي اللغوي ، وقرأ عليه الأدب
واللغة ، حتى مهر في ذلك . ثم جد في سماع الحديث ، وصاحب في قراءة الأدب
على التبريزي ، وسماع الحديث أبا منصور بن الجواليقي .

وكان في أول الأمر أبو الفضل أميل إلى الأدب ، وابن الجواليقي أميل إلى
الحديث . وكان الناس يقولون : يخرج ابن ناصر لغوي بغداد ، وابن الجواليقي
محدثها . فانعكس الأمر ، فصار ابن ناصر محدث بغداد ، وابن الجواليقي لغويها .
ولازم ابن ناصر أبا الحسن بن الطيوري . وسمع منه الكثير .

وسمع من أبي القاسم بن البصري ، وأبي طاهر بن أبي الصقر - وهو أول
شيخ سمع عليه . وذلك سنة ثلاث وسبعين - وأبي الحسن العاصمي ، ومالك
البيانياسي ، وأبي الفنائم بن أبي عثمان ، وأبي محمد التميمي ، وطراد ، والنعال ، وابن
البيطر . وأكثر عن المتأخرين بعدم ، وعنى بهذا الفن . وبالغ في الطلب
والسماعات .

وكانت له إجازات قديمة من أبي الحسين بن النقور ، والصريفيني ،
وأبي القاسم بن عليك ، وأبي صالح المؤذن ، وابن ماكولا الحافظ وغيرهم ، وبخالط

أصحابنا الحنابلة ومال إليهم ، وانتقل إلى مذهبهم ؛ لتمام رأى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : عليك بمذهب الشيخ أبي منصور الخياط . وقد سقناه يكمله في ترجمة الشيخ أبي منصور .

وساقه ابن النجار مختصراً ، وفي آخره قال ابن ناصر : ثم أخذت في سماع كتب أحمد ومسائله ، والتفقه على مذهبه ، وذلك في رمضان سنة ثلاث وتسعين . قال السلفي : سمع ابن ناصر معنا كثيراً ، وهو شافعي أشعري ، ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ، ومات عليه ، وله جودة حفظ وإتقان ، وحسن معرفة . وهو ثبت إمام .

قال أبو موسى المديني : هو مقدم أصحاب الحديث في وقته ببغداد .

وقال ابن الجوزي : كان حافظاً ضابطاً ، متقناً ، ثقة من أهل السنة ، لامعاً فيه . وكان كثير الذكر ، سريع الذاكرة . وهو الذي تولى تسمي الحديث ، وعنه أخذت ما أخذت من علم الحديث .

وقال أيضاً : قرأت عليه ثلاثين سنة ، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه .

وقال ابن النجار : كان جيد النقل ، صحيح الضبط ، كثير المحفوظ ، له يد باسطة في معرفة النحو واللغة . وكانت أصوله في غاية من الصحة والإتقان . وكان ثقة نبيلاً ، حجة ، حسن الطريقة ، متديناً فقيراً ، متعقفاً نظيفاً نزهاً ، وقف كتبه على أصحاب الحديث .

رأيت بخطه وصية له أوصى بها ، ذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة ، وهو ثياب بدنه ، وكلها خلق مغسولة ، وأثاث منزله . وكان مختصراً جداً - وثلاثة دنائير من العين ، لم يذكر سوى ذلك ، ومات ولم يعقب .

قال : وسمعت ابن سكينه ، وابن الأخضر وغيرهما يكثرون الثناء عليه ، ويصفونه بالحفظ والإتقان والديانة ، والمحافظة على السنن والنوافل .

وذكره ابن السمعاني في كتابه ، فقال : حافظ ثقة ، دين خير ، متقن مثبته

وله حظ كامل من اللغة ، ومعرفة تامة في المتون والأسانيد ، كثير الصلاة ، دائم التلاوة للقرآن الكريم ، مواظب على صلاة الضحى ، غير أنه يجب أن يقع في الناس ، ويتكلم في حقهم . وقد رد هذا عليه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ردّاً بليغاً .

وقال صاحب الحديث : ما يزال يجرحُ ويعدل . وقد احتج بكلام ابن ناصر في أكثر التراجم ، فكيف عول عليه في الجرح والتعديل ، ثم طعن فيه ؟ ولكن هذا من تعصب ابن السمعاني على أصحاب أحمد . وذ كر كلاماً كثيراً . ونقل ابن السمعاني في ترجمة أحمد بن علي الطريثي عن ابن ناصر : أن الطريثي ، كان كذاباً ضعيفاً في الرواية ، لا يحتج به ، ولا يعتمد على روايته . ثم قال أبو الفضل : لا يحسن الكلام ؛ فإنه إذ قال : كذاب ، لا يحتاج أن يقول : لا يعتمد على روايته ، وإذا رماه بالكذب فلا يقال : إنه ضعيف في الرواية ؛ فإن الضعف دون الكذب .

قال الحافظ أبو محمد بن الأخضر مامعناه : قول شيخنا « كذاب » لأنه روى ما ليس من سماعه ، ونهى عن ذلك فلم ينته . وقوله « ضعيف في الرواية » حيث لم يميز صحيح حديثه من سقيمه . و « لا يحتج به » لأنه ليس من شرط الصحيح بهذا الوصف . و « لا يعتمد على روايته » لوجوب هذا التخليط في معرفته وحديثه ، فلو وصفه بمجرد الكذب لما كان من أهله ؛ لأنه ليس من قبيل من يضع متناً ولا يهين على متن إسناد ، فصاحب الترجمة لم ينفرد بوصف من هذه الأوصاف ، بل اشتمل عليها جميعها ، فكان الجرح على حسبها .

قال : وقول ابن السمعاني : إن ابن ناصر لا يحسن الكلام ، شيء من القول وقصور عن إدراك الفهم ، أترأه من أدرك في رحلته من اشتمل بصفة شيخنا في طبقة من حفظ وإتقان ، ودوام صلاة وصيام ، وأوراد كثيرة ، لا يقطعها في أوقاتها ، وحسن خط لم يماثله عالم في تحقيقه وضبطه ، حتى إنه لا يفتقر من قرأ كتابه

إلى إسناده ، ولا من يعرفه طريق الإسناد ، ويفيد من حفظه علوماً جمة . له في كل وصف شريف سيرة حسنة ، يعلو شخصه المهابة ، كأنه أحد الصحابة « فكيف يستجيز من تعقل وتفهم أن يطلق من لفظه ، وقد شاء هذه أنه لا يحسن أن يتكلم ؟ قلت : حدث ابن ناصر بالكثير ، وأملى الحديث ، واستملى للأشياخ الكثير وخرج لهم التخاريج الكثيرة ، وتكلم فيها على الأسانيد ، ومعاني الأحاديث وفقهاها ، وله مصنف في مأخذ في اللغة على الغربيين للهروي ، ومصنف في مناقب الإمام أحمد في مجلد ، وجزء في الرد على من يقول : إن صوت العبد بالقرآن غير مخلوق .

وروى عنه خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، كالسلفي ، وابن عساكر ، وأبي موسى ، وابن السمعاني ، وابن الجوزي ، وابن الأخضر ، وابن سكيئة ، وعبد الرزاق بن عبد القادر ، ويحيى بن الربيع مدرس النظامية ، وأبي بكر محمد ابن غنيمة بن الحلاوي الفقيه الحنبلي ، وأبي اليمين الكندي ، وخلق كثير . وآخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن بن المقير .

وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة ، وصلى عليه قريباً من جامع السلطان ، ظاهر السور بالجانب الشرقي ، ثم بجامع المنصور ، ثم بالحربية ودُفن بمقبرة باب حرب ، إلى جانب أبي منصور بن الأنباري تحت السدرة . وذكر ذلك ابن الجوزي ، وقال : حدثني أبو بكر بن الحضري الفقيه ، قال : رأيت في المنام ، فقلت : ياسيدي ، ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، وقال لي : قد غفرتُ لعشرة من أصحاب الحديث في زمانك ؛ لأنك رئيسهم وسيدهم . رحمه الله تعالى . وذكر غيره : أنه صلى عليه أولاً على باب جامع السلطان أبو الفضل بن شافع بوصية منه ، ثم صلى عليه الشيخ عبد القادر ، ثم ابن القواريري بجامع المنصور ، ثم عمر الحربى بالحربية ، ودفن وقت الظهر ، وكانت جنازته عظيمة ، وحضره عالم كثير . رحمه الله تعالى .

أخبرنا أبو الفتح الميدومي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحراني ، أخبرنا أبو الفرج الحافظ ، حدثنا محمد بن ناصر الحافظ من لفظه ، أخبرنا أبو طاهر محمد ابن أحمد بن أبي الصقر ، أخبرنا أبو الحسن بن ميمون بن محمد الحضرمي ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوة . حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا سفيان بن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ قال : في مثل صلصلة الجرس ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وقد وعيت عنه ، وهو أشد علي ، وأحياناً يأتيني في مثل صورة الفتى ، فيفيده إلى » .

ومن غرائب ما حكى عن ابن ناصر : أنه كان يذهب إلى أن السلام على الموتى ، يقدم فيه لفظة « عليكم » فيقال : عليكم السلام ؛ لظاهر حديث أبي حري الهجيمي .

وذكر في بعض تصانيفه : أن الإحداد على الميت بترك الطيب والزينة لا يجوز للرجال بحال ، ويجوز للنساء على أقاربهن ثلاثة أيام ، دون زيادة عليها ويجب على المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً .

١١٤ - عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن دويل اليعقوبي ، المؤدب

أبو الكرم .

ولد بعد السبعين والأربعمائة ، وسمع من أبي النرسي ، وأبي الفنائم بن المهدي ، وإسماعيل بن ملة ، وعبد القادر بن يوسف .
وحدث وسمع منه ابن الخشاب ، وابن شافع ، وابن المنذائي ، وابن الأخضر .
قال أبو الفضل بن شافع : كان رجلاً صالحاً من خيار أصحابنا ، تفقه على ابن عقيل ، وسمع الحديث الكثير .

وتوفى سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن بباب أبرز .

قال وأنشدنا :

يا أهل ودى ويا أهلا دعوتكم بالحق لكنها العادات والنوب
أشبهتم الدهر في تلوين صبغته فكلكم حائل الألوان منقلب

١١٥ - أحمد بن الفرج بن راشد بن محمد المدني الوراق ، البغدادي ،

القاضي أبو العباس . من أهل المدينة ، قرية فوق الأنبار .

ولد في عشر ذي الحجة سنة تسعين وأربعمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على مكي بن أحمد الحنبلي وغيره . وتفقه على عبدالواحد

ابن سيف .

وسمع من أبي منصور محمد بن أحمد الخازن ، وأبي العباس بن قريش ،

وأبي غالب القزاز ، وأبي بكر بن عبد الباقي وغيرهم . وشهد عند قاضي القضاة

الزينبي . وولى القضاء بدجيل مدة .

وحدث ، وروى عنه ابن السمعاني ، وغيره .

وتوفي يوم السبت سادس ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . ودفن

من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١١٦ - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سعدان الأزجى ، الفقيه أبو المظفر

سمع الحديث من القاضي أبي الحسين وابن العز بن كادش . وتفقه على القاضي

أبي الحسين ، وأبي بكر الدينورى ، ولازمه .

وروى عن أبي محمد بن القحف الواعظ شيئا .

روى عنه أحمد بن طارق . وكتب عنه المبارك بن كامل حكاية بغير إسناد

في معجمه .

قال صدقة ابن الحسين في تاريخه . كان فقيها كيسا من أصحاب أبي بكر

الدينورى .

توفي في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة . ودفن بباب حرب

وسماه مظفرا .

١١٧ - محمد بن خداداد بن سلامة بن خداداد العراقي المأموني المباردي الحداد

الكاتب الفقيه الأديب ، أبو بكر بن أبي محمد ، ويعرف بنقاش المبارد .

سمع من نصر بن البطر ، والحسين بن طلحة ، وأبي نصر الزينبي ،
وأبي الخطاب بن الجراح ، وطراد ، وأبي طاهر بن قيداس ، والمبارك بن عبد الجبار ،
وابن الحصين . وغيرهم .

وتفقه على أبي الخطاب . وكتب خطا حسنا .

ذكره ابن السمعاني ، فقال : أحد فقهاء الحنابلة . درس الفقه على محفوظ
الكلوذاني ، يسكن للمأمونية ، شيخ صالح ، كتبت عنه يسيراً .

وقال ابن نقطة : حدث ، وسماعه صحيح .

وذكره ابن القطيبي ، فقال : من أهل القرآن والفقه ، وطريقته في النسخ
معروفة بالسرعة .

وروى قديماً عن عبد الله بن جابر بن ياسين . ثم ساق حديثاً عن أحمد بن
أبي السرايا التاجر عن محمد بن خداداد حدثنا عبد الله بن جابر بن ياسين سنة
اثنين وتسعين وأربعمائة .

قال ومما أنشده لنفسه :

لما رأيت أوار الحب في كبدي أجريت دمي على الخدين مهمولا

وقلت : يا قلب صبرا بعد بينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا

وقال ابن النجار : كان فقيها مناظراً أصولياً ، تفقه على أبي الخطاب ، وعلق

عنه مسائل الخلاف ، وقرأ الأدب ، وقال الشعر . وكان خطه رديئاً .

روى لنا عنه ابن الأخضر ، وثابت بن شرف . وكان صدوقاً .

وتوفي محمد بن خداداد ليلة الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين

وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بمسجد بن جرادة . ودفن بباب حرب . رحمه الله

تعالى . وأبوه خداداد بن سلامة أبو محمد الحداد ، نقاش المبارد .

ذكره ابن السمعاني أيضا ، وقال : كان من فقهاء الحنابلة ، يسكن المأمونية .
سمع أبا نصر الزينبي . وحدث بشيء يسير . سمع منه ، أفاد الطلبة ، كتب لي
الإجازة .

وتوفي في نصف رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وصلى عليه بجامع
المنصور . ودفن بباب حرب .

وقال ابن نقطة : حدث عنه أبو القاسم بن عساكر .
وقيد ابن نقطة « خداداد » بدال مهمله بين ذالين معجمتين .

١١٨ - الم بن عبد الله بن عبد الملك الشيباني الفقيه الزاهد ، أبو الفتح .

سحب أبا بكر الدينوري ، وسمع من الشريف أبي العز بن المختار ، وأبي الفناهم
الزسي ، وغيرهما . وحدث باليسير .

سمع منه الشريف أبو الحسن الزيدى ، وإبراهيم بن الشعار ، وأبو الفضل
ابن شافع ، وقال عنه : كان فقيها زاهداً نخبولا ، ذكره عند أبناء الدنيا ، رفيقاً
عند الله ، وصالح عباده ، وقال صدقة بن الحسين : كان فقيها متزهدا .
توفي ليلة الأربعاء سابع شعبان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . ودفن بباب
حرب . رحمه الله تعالى .

١١٩ - أحمد بن معالي - ويسمى عبد الله أيضا - بن بركة الحربي .

تفقه على أبي الخطاب الكلوذاني ، وبرع في النظر .
ذكره ابن الجوزي في عدة مواضع من كتبه ، كالتلبيقات والتاريخ ، وقال :
كان له فهم حسن ، وفطنة في المناظرة .

قال : وسمعت درسه مدة ، وكان قد انتقل إلى مذهب الشافعي ، ثم عاد
إلى مذهب أحمد ، ووعظ .

وقال صدقة بن الحسين : كان شيخا كبيرا قد نيف على الثمانين ، فقيها مناظرا

عارفاه مخالطة مع الفقهاء ، ومعاشرة مع الصوفية . وكان يتكلم كلاما حسنا ، إلا أنه كان متلونا في المذهب .

وتوفى في يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وخمسمائة وصلى عليه الشيخ عبد القادر . ودفن بمقبرة باب حرب .

وكان سبب موته : أنه ركب دابة فانحنى في ضيق ليدخل ، فاتسكى بصدره على قربوس السرج فأثر فيه ، وانضم إلى ذلك إسهال ، فضعفت القوة . وكان مرضه يومين أو ثلاثة . رحمه الله .

وله تعليقة في الفقه وقفت على جزء منها .

١٢٠ - الحسين بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل على الله العباسي

المهشمي المقرئ ، الأديب أبو علي .

ولد في حادى عشر شوال سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وقرأ القرآن . وسمع قديما من أبي غالب الباقلااني ، وأبي الحسن بن العلاف وشهفير ، وابن أبي الفوارس الشاعر ، وابن الحصين ، وأبي بكر اللفتواني وغيرهم . وحدث .

وكان يؤم في مسجد ابن التعلبي الزاهد ، وكان فيه لطف وظرف وأدب ، ويقول الشعر الحسن ، مع دين وخير . وجمع سيرة المسترشد ، وسيرة المقتفى ، وجمع لنفسه مشيخة ، وجمع كتابا سماه « سرعة الجواب ومداعبة الأحباب » أحسن فيه .

قال ابن النجار : وكان أدبيا فاضلا ، يقول الشعر ويروى الحكايات والنوادر . وكان صالحا متدينا صدوقا .

روى لنا عنه ابن الأخضر ، وغيره .

وذكره ابن السمعاني ، وقال : كان صالحا فاضلا ، له معرفة بالأدب والشعر . ومن شعره مما كنبه في بعض الأجايز .

أجزت للسادة الأخيار ما سألوا فليرووا عني بلا بخر ولا كذب

مهما أحيوه من شعر ومن خبر ومن جميع سماعاتي من الكتب
 وليحذروا السهو والتصحيف من غلط ويسلكوا سنة الحفاظ في الأدب
 قال ابن النجار : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هبة الله الضري
 النحوي . أنشدنا الشريف أبو علي الحسن بن جعفر لنفسه هذه القصيدة في آخر
 ترجمة الحسين بن جعفر الآتي ذكره :

والصبر أحد ما إليه المرجع	والدهر يعقب ما يضر وينفع
حيناً ، وليس عن المنية مدفع	والمرء فيما منه كان مصيره
لا يلتجى منها ولا يستشفع	فاحذر مفاجآت المنون ؛ فإنه
وتوثقوا وتجشوا وتمنعوا	أبن الذين تجمعوا وتحصنوا
وتكبروا وتمولوا وترفعوا ؟	وتعظموا وتحشموا وتجبروا
وحدى بهم حادى البلى فتقطعوا	صاحت بهم نوب الزمان فأسرعوا
أو صانعه بالذى قد جمعوا ؟	ألا احتموا عنه بعضب أبار
فتفرقت أوصالهم وتضعضوا	كانت منازلهم بهم مأنوسة
وسفت على الآثار ريح زعزع	واستوطنوا الأجداث بعد قصورهم
أن غرم فيه ، وماذا يصنع ؟	ماذا أعدوا في الجواب لمنكر
بجميل طاعته ، ووجه أسفع	وجدوا الذى عملوا : فوجه أبيض
فالدهر ذو غر يحور ويخدع	أبى كن متمسكا بنصيحتي
بخلاف ما فى نفسه يتدرع	واحذر مجاورة الحسود ، فإنه
من كل شىء يقتنى لك أنفع -	وعليك بالخلق الجميل ، فإنه
فالحرّ يرضى بالقليل ويقنع	وتجنب الدنيا وكن متقنعاً
أمر المهيمن ؛ فهو حق يتبع	وخذ الكتاب بقوة ، واعمل بما
تنجو به ؛ فهو الطريق المهيح	واسلك سبيل رسوله فى أمره
إليه مصيرنا والمرجع	واعلم بأن الله (ليس كمثل شىء)

حتى قديم واحد متنزه
متكلم عدل جواد منعم
ذو العرش لا يخفى عليه سريرة
في الحشر يظهر للعباد بلطفه
بالعدل يحكم في القيامة بيننا
خير البرية بعده صديقه
وكذلك الفاروق أكرم صاحب
ومجهز الجيش العظيم ، ومن ثوى
وحبيبه ونسيبه وصفيه
لهم المناقب والمواهب والعلی
وهم الذين بهم يفوز محبهم
قال ابن القطيعی : أنشدني إبراهيم بن محمد بن أحمد الشاهد الفقيه - هو
الصقال - أنشدنا الشريف أبو علي بن المتوكل على الله لنفسه .

يا ذا الذي أضحي يصول بيدعة
لا تنكرن تحنبلي وتسني
إن كان ذنبي حب مذهب أحمد
ومن شعره أيضاً :

بشرقي بغداد لي حاجة
ديون على ما ظل ظالم
أحن إليه حنين المحب
ومن شعره أيضاً :

على صده شخص إلى حبيب
رسيس جوى ما ينقضي ووجيب
تجنبني خوف الوشاة وفي الحشا

صمد ، تذل له الرقاب وتخضع
بالقسط يعطى من يشاء ويمنع
منا ، ويعلم ما نقول ويسمع
كل يذل له ، وكل يخضع
ونبيننا فينا إليه يشفع
هو في الخلافة سابق مستتبع
من بعده ، حبر جواد سلفع
مستسلما في الدار وهو يبضع
وحسامه ذاك البطين الأتزع
هم والصواحب والنجوم الطلع
يوم المعاد وكل ذخر ينفع

وتشيع وتمشعر وتمعزل
فعليلهما يوم المعاد معول
فليشهد الثقلان أني حنبلي
سأقضي وما خلتها تنقضي
ووجد بمستكبر معرض
ويهجرني هجر المبغض
على صده شخص إلى حبيب
رسيس جوى ما ينقضي ووجيب

ولى كبد حرى عليه قريحة وقلب معنى فى هواه يذوب
هوا نسبوا حى إلى غير عفة وظنوا بنا سوءاً وذلك حوب
ووالله ، ما حدثت نفسى بريية وحاشا لمثلى أن يقال مريب
قال ابن الجوزى : توفى فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وخمسمائة .
ودفن بمقبرة باب حرب .

وفى تاريخ ابن القطيبي : أنه توفى ليلة الإثنين لخمس عشرة ليلة مضت من
جمادى الأولى من السنة المذكورة .

هو ذكر ابن النجار عن عمر القرشى : أنه توفى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى

١٢١ - محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الأبرادى ، البغدادى ، الفقيه

أبو الحسن بن أبي البركات . وقد سبق ذكر أبيه .

تفقه على ابن عقيل . وسمع منه ، ومن أبيه أبي البركات ، وأبي الحسن بن

القاعوس . وحدث باليسير .

سمع منه أبو الفضل بن شافع .

وتوفى يوم الجمعة خامس شعبان سنة أربع وخمسين وخمسمائة . ودفن عند

باب المختارة .

أرخ وفاته : صدقة بن الحسين ، وابن نقطة ، وابن النجار . وقد اشتبه على

بعض الناس وفاته بوفاة أبيه ، كما سبق فى ترجمة أبيه .

١٢٢ - أحمد بن سهل بن عبد الله بن أحمد البردانى .

قال ابن النجار : هو من قرية « برد » بسكون الراء - من بلد إسكاف

المقرىء - الزاهد الضرير ، أبو العباس ، ويعرف بالأزجى . كان من أهل القرآن

والزهد والعبادة .

روى عن أبي طالب اليوسفى وغيره ، وحدث .

ذكره ابن القطيبي ، وقال : سمعت أبا الحسن البراندسي الفقيه يقول : كان هذا الشيخ يصلي في كل يوم أربعين ركعة .

وتوفي يوم الخميس غرة جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وخمسمائة .
ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

وقال ابن النجار : كان منقطعاً في مسجده لا يخالط أحداً ، مشتغلاً بالله عز وجل . وكان الإمام المقتنى يزوره ، وكذلك وزيره ابن هبيرة . والناس كافة يتبركوا به . وكان قرأ طرفاً صالحاً من الفقه على أبي الخطاب الكلوزاني ، ثم على أبي بكر الدينوري .

وسمع الحديث من أبي غالب الباقلاني ، وأبي الغنائم النرسي ، وأبي طالب اليوسفي ، وغيرهم . وحدث باليسير .

روى عنه أبو الفضل بن شافع وأبو بكر الباقداري .

١٢٣ - عبد الله بن الحسين بن شنيف بن محمد الديلمي الدارقزي ، الأمين

أبو عبد الله .

ولد سنة تسع وسبعين وأربعين .

وسمع من أبي عبد الله الحسين بن محمد السراج ، والحسين بن طلحة النعال ، وابن الطيوري ، وغيرهم .

وتفقه في المذهب . وكان إماماً بجامع دار القز ، وأميناً للقاضي بمحلته ومايلها .
وكان شيخاً صالحاً ، ثقة ، حدث .

وروى عنه جماعة ، منهم : ابنه أبو عبد الله الحسين .

وتوفي ليلة السبت رابع عشر ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة . ودفن

من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١٢٤ - أحمد بن أبي غالب بن أحمد بن غالب بن عبد الله الحربي ، الفقيه

القرضي المعدل ، أبو بكر .

سمع الحديث من أحمد بن الحسين بن قريش ، وابن الحسين ، وأبي بكر الأنصاري ، وأبي الحسين بن القراء ، وغيرهم . وتفقه في المذهب .

قال ابن النجار : كان أحد الفقهاء على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد ابن حنبل ، حافظاً لكتاب الله تعالى ، له معرفة بالفرائض ، والحساب والنجوم ، وأوقات الليل والنهار ، وشهد عند قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي ، وتولى قضاء دجيل مدة ، ثم عزل ، حدث باليسير .

وسمع منه عبد المغيث الحربي ، والقاضي أبو القاسم بن القراء ، وغيرها . وتوفي يوم الأحد يوم عيد الأضحى ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

١٢٥ - محمد بن أحمد بن علي بن الحسين البرمكي^(١) العباسي ، الهاشمي المعدل

الشريف الخطيب أبو المظفر .

توفي في نصف ذي القعدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ودفن بالقرب من قبر معروف رحمه الله .

وكان مولده سنة سبعين وأربعمائة .

روى عن طراد ، وأبي نصر الزينبي ، والعاصي ، وغيرهم .

وحدث ، وسمع منه جماعة . وكان جليل القدر . وكان من رجالات الهاشميين ،

ذا أدب وعلم . وله نظم ، وخطب بجامع له .

١٢٦ - علوي الإسكافي^(٢)

توفي في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وكان شيخاً صالحاً من أصحاب أبي الحسن ابن الزاغوني . وكان يقرأ كتاب

(١) في خطبة الإدارة الثقافية « التريكي » .

(٢) في خطبة الإدارة الثقافية « علوان الإسكافي » .

الخرقي . وصلى عليه بجامع القصر بكرة النهار . ودفن بمقبرة الوردية . ذكره صدقة ابن الحسين في تاريخه .

٢٧١ - إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد بن إبراهيم النهرواني

الرزاز ، الفقيه الفرضي ، الزاهد الحكيم الورع ، أبو حكيم .
ولد سنة ثمانين وأربعمائة .

وسمع الحديث من أبي الحسن بن العلاف ، وأبي عثمان بن ملة ، وأبي القاسم ابن بيان ، وأبي الخطاب الكلوذاني ، وأبي علي بن شهاب ، وابن الحصين ، وغيرهم وتفقّه على أبي سعد بن حمزة صاحب أبي الخطاب ، وبرع في المذهب والخلاف والفرائض ، وأفتى وناظر .

وكانت له مدرسة بناها بباب الأزج ، وكان يدرس ويقم بها . وفي آخر عمره فوضت إليه المدرسة التي بناها ابن الشمحل بالمأمونية ، ودرس بها أيضاً . وقرأ عليه العلم خلق كثير ، وانتفعوا به .

قال ابن الجوزي : قرأت عليه القرآن والمذهب والفرائض ، وعمن قرأ عليه :
السامري صاحب المستوعب ، ونقل عنه في تصانيفه .
قال ابن الجوزي : وكان زاهداً عابداً ، كثير الصوم ، يضرب به المثل في الحلم والتواضع .

وقال أيضاً : كان من العلماء العاملين بالعلم ، كثير الصيام والتعب ، شديد التواضع ، مؤثراً للخمول . وكان المثل يضرب بحلمه وتواضعه ، وما رأينا له نظيراً في ذلك .

قال ابن القطيبي : سمعت ابن الجوزي يقول : كان الشيخ أبو حكيم تالياً للقرآن . يقوم الليل ويصوم النهار ، ويعرف المذهب والمناظرة ، وله الورع العظيم . وكان يكتب بيده ، فإذا خاط ثوباً فأعطى الأجرة مثلاً قيراطاً ، أخذ منه حبة ونصفاً ورد الباقي ، وقال : خياطتي لا تساوي أكثر من هذا . ولا يقبل من أحد شيئاً .

قلت : وقد صنف أبو حكيم تصانيف في المذهب والفرائض . وصنف شرحاً
للهداية . كتب منه تسع مجلدات ، ومات ولم يكمله .

وحدث ، وسمع منه جماعة منهم : ابن الجوزي ، وعمر بن علي القرشي الدمشقي
وله نظم .

وقال ابن القطيبي : أنشدني أحمد التاجر ، أنشدني إبراهيم بن دينار الفقيه
لنفسه :

يادهر إن جارت صروفك واعتدت ورميتني في ضيقة وهوان
إني أكون عليك يوماً ساخطاً وقد استفدت معارف الإخوان
قال القطيبي : وقرأت في كتاب أبي حكيم النهرواني بخطه :
وإني لأذكر غور الكلام لثلا أجاب بما أكره
أصم عن الكلم المحفظات وأحكم والحكم بي أشبه
إذا ما آثرت سفاة السفيه عليّ ، فإنني أنا الأسفه
فكم من فتى يعجب الناظرين له ألسن وله أوجه
ينام إذا حضر المكرمات وعند الدناءة يستنبه
قال : وقرأت في كتابه بخطه :

عجباً لي وقد مررت بأثارك إني اهتديت نهج الطريق
أتراني أنسيت عهدك فيها؟ صدقوا ، ما لمت من صديق

قال ابن الجوزي : رأيت بخطه - يعني : أبا حكيم - علي ظهر جزء له : رأيت
ليلة الجمعة عاشر رجب سنة خمس وأربعين - فيما يرى النائم - كأن شخصاً في وسط
داري قائماً ، قلت : من أنت ؟ قال : أنا الخضر . قال : تأهب للذي لا بد منه من
الموت الموكل بالعباد ، ثم كأنه علم أنني أريد أن أقول له : هل ذلك عن قرب ؟
فقال : قد بقي من عمرك اثنا عشر سنة تمام سني أصحابك . وعمري يومئذ خمس
وستون سنة .

قال ابن الجوزى : فكنت دائماً أتربص صحة هذا ، ولا أفوضه في ذكره
فتلاً أنى إليه نفسه ، فرض رحمة الله عليه اثنين وعشرين يوماً .
وتوفى يوم الثلاثاء . بعد الظهر ثالث عشر جمادى الآخرة من سنة ست
وخمسين وخمسمائة ، فكان مقتضى حساب منامه أن يبقى له سنة ، فتأوت ذلك
وقلت : لعله دخول سنة لاتمامها ، أو لعله رأى في آخر سنة ، ومات في أول الأخرى
أو لعلها من السنين الشمسية . ودفن رحمه الله قريباً من بشر الحافي رضى الله عنه
وقد امتدحه الصرصرى في قصيدته اللامية ، التي مدح فيها الإمام أحمد
وأصحابه ، فقال :

وبالحلم والتقوى وصفة الرضى أبو حكيم غدا للفقهِ أكبر مجمل
أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم - بمصر - أخبرنا أبو الفرج
عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ ،
أخبرنا أبو حكيم النهرواني مع قال الحراني : وأخبرنا - عالياً - أبو الفرج بن عبد المنعم
ابن عبد الوهاب التاجر قالاً : أخبرنا أبو علي محمد بن نبهان أبو الحسن بن الحسين
ابن دوما ، أخبرنا أحمد بن نصر الزارع . حدثنا صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمد
الأنباري ، والقاسم بن أحمد ، قالوا : حدثنا سويد بن سعيد الجدثاني ، حدثنا علي
ابن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « من عشق وكنم وعف فمات ، فهو شهيد »

١٢٨ - علي بن عمر بن أحمد بن عمار بن أحمد بن علي بن عبدوس

الحراني ، الفقيه الزاهد ، العارف الواعظ ، أبو الحسن .
ولد سنة عشر - أو إحدى عشرة - وخمسمائة ، علي ما نقله القطيبي عن
أبي المحاسن الدمشقي عنه .

وسمع ببغداد بآخر سنة أربع وأربعين من الحافظ أبي الفضل بن ناصر ،

وغيره . وتفقه و برع في الفقه والتفسير والوعظ ، والغالب على كلامه التذكير وعلوم
المعاملات . وله تفسير كبير . وهو مشحون بهذا الفن . وله كتاب « المذهب في
المذهب » ومجالس وعظية ، فيها كلام حسن ، على طريقة كلام ابن الجوزي .
قرأ عليه قرينه أبو الفتح نصر الله بن عبد العزيز ، وخاله الشيخ فخر الدين
ابن تيميه في أول اشتغاله ، وقال عنه : كان نسيج وحده في علم التذكير ، والاطلاع
على فنون التفسير ، وله فيه التصانيف البديعة ، والمبسوطات الوسيعة .
وسمع منه الحديث أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي بجران ، سنة
ثلاث وخمسين ، وقال : هو إمام الجامع بجران ، من أهل الخير والصلاح والدين .
قال : وأنشدني لنفسه :

سألت حبيبي وقد زرتَه ومثلي في مثله يرغب
فقلت : حديثك مستظرف ويعجب منه الذي يعجب
أراك مليح الجواب فصيح الخطاب ، فما تطلب
فهل فيك من خلة تزدري بها الصد والهجر به يقرب ؟
فقال : أما قد سمعت المقال مغنية الحى ما تطرب ؟
ومما أورد الشيخ أبو الحسن في مواعظه لنفسه :

يا حاملا ثقل الذنوب تجاهلا حملت من أثقالها العظاما
لا بد من يوم عبوس هائل يكون من أسرف فيه نادما
قم خفف الثقل بحسن توبة حتى تكون في المعاد سالما
وكن بأنوار اليقين مبصرا إن كنت في ليل المعاد هائما
فإب لله عبادا أبصروا بأعين الفكر المعاد قائما
فشمروا أذيالهم وقصروا آمالمهم وحققوا العزائما
وصيروا أفراحهم في قر به وأقلبوا أعراسهم ماتما
واستفرغوا من العيون ماءها وأسعدوا على البكا الحائما

أولئك الناجون في معادهم يعطيهم الله نعيماً دائماً
ومما أورده أيضاً لنفسه :

أقاموا فقاموا له ركعاً وكبروا فخروا لديه سجوداً
وأجروا دموعهم خشيةً قبلوا بتلك الدموع الحدوداً
ولما أطالوا لديه السجود رجوا منه وعداً وخافوا وعيلاً
فأعطاهم منه ما يرتجون وأمنهم بعد ذاك الصدوداً
فمعلم أشغلم ذكره فطوراً قياماً وطوراً قعوداً
فورثهم ذكرهم ذكره وزادهم في الجنان الخلوداً
ومن ذلك قوله :

قرة عين من صدق بعزمه عن الصدق

ثم اقتنى الدر الذي من ناله نال الشرفاً
وإنما الدنيا متاع زائل لمن عرفاً

من نال منها طرفاً فليعطها منه طرفاً

توفي رحمه الله وإيانا في آخر نهار يوم عرفة - وقيل : ليلة عيد النحر - سنة

تسع وخمسين وخمسمائة بحران .

ورثاه الإمام فخر الدين ابن تيمية وهو يومئذ شاب له دون العشرين بقصيدة وهي :

قد زادني حزني واستمكنت عليّ لما رحلت عن الإخوان يا أملي
يا عالماً أوحش الدنيا بغيبته لا صنع لي في قضاء الله والأجل
يا أهل حران والهفي ووا أسفي علي فراق ابن عبدوس الفقيه علي
واحسرتاه علي زين الزمان ومن كانت عقيدته بالقول والعمل
يا قوم ما الصنع من بعد الفراق له لا صنع للعبد في شيء من الحيل
كان الفقيه علي عالماً ورعاً وكان مسلكه في أحسن السبل
كان الفقيه علي فوق منبره مثل العروس تری في أحسن الحلال

كان الفقيه علي غير مبتدع بل كان في دينه كالفارسي البطل
يقول : إن كلام الله ذو قدم كان الفقيه علي دائماً
وروحه قبضت في ليلة شرفت أبكى عيون الوري حزناً لفرقته
بكت عليه عيون الناس كلهم بكت عليه الزوايا الخاليات كما
بكت دفاتره حزناً له وأبى عليه طيب سلام غير منفصل

ذكر أبو الحسن بن عبدوس في كتاب المذهب : أن فائدة الخلاف في أن الغرض في استقبال القبلة : هل هو استقبال العين أو الجهة ؟ أنا إن قلنا : الغرض استقبال العين ، فمتى رفع رأسه ووجهه إلى السماء حتى خرج وجهه عن مسامحة القبلة فسدت صلاته ، وإن قلنا : الغرض استقبال الجهة لم تفسد . كذا قال . وفيه نظر ؛ فإن فائدة هذا الخلاف إنما يظهر في صورة يخرج فيها المصلي عن استقبال العين إلى استقبال الجهة . وهذا لم يخرج عن العين إلى الجهة ، بل أخرج وجهه خاصة عن استقبالها جميعاً

وحكى ابن حمدان عن ابن عبدوس^(١) .

١٢٩ - محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن

الفراء ، القاضي أبي يعلى الصغير . ويلقب عماد الدين ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى ، شيخ المذهب في وقته .

ولد يوم السبت ثمان عشرة من شعبان سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وسمع الحديث من أبيه وعمه القاضي أبي الحسين ، وأبي البركات طلحة العاقولي

(١) هكذا بجميع النسخ الخطية .

وأبي عليّ التكسكي ، وأبي الحسن بن العلاف ، وأبي العز بن كادش ، وأبي الفنائم النرسي ، وابن نيهان ، وابن بيان ، وغيرهم .

وظهر له إجازة لابن الجواليقي معه من الحريري صاحب المقامات .
وتفقه على أبيه القاضي أبي خازم ، وعلى عمه القاضي أبي الحسين . وبرع في المذهب والخلاف والمناظرة . وأفتى ودرس وناظر في شيبته .

وكان ذا ذكاء مفرط ، وذهن ثاقب ، وفصاحة وحسن عبارة .
قال ابن القطيبي : قرأت عليه شيئاً من المذهب ، وحضرت درسه ، ولم ير مثله في حسن عبارته ، وعذوبة محاورته ، وحسن سمته ، ولطافة طبع ، ولين معاشرته ، ولطف تفهيم . عطر بالرياسة ، خليق بالتصدر ، جد واجتهد حتى صار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، ذو خاطر عاطر . وفطنة ناشئة ، أعرف الناس باختلاف أقوال الفقهاء . ظهر علمه في الآفاق ، ورأى من تلاميذه من ناظر ودرس وأفتى في حياته . وولى القضاء بباب الأزج سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . ثم ولى قضاء واسط سنة سبع وثلاثين ، وبقي مدة بها حاكماً ، ثم عزله قاضي القضاة أبو الحسن ابن الدامغانى .

وذكر عنه : أنه لم يلتفت إلى عزله واستمر على الحكم ، ثم خاف عاقبة ذلك فتشفع بصاحب البطيحة إلى الخليفة ، ثم قدم بغداد بعد إحدى عشرة سنة ، وقد ذهب بصره ، فلأزم بيته .

وكانت له حلقة بجامع القصر للمناظرة ، وبنيت له في بعض الأوقات موضعها دكة ، ثم أزيلت ، وذلك قبل ولايته للقضاء . ولما بنى أبو المعالي بن النبل مدرسة بالريان جعلها للحنبالية ، وفوض أمرها إلى القاضي أبي يعلى هذا . وكان ذا فصاحة ، لسن .

ومن بعض كتبه إلى بعض العلماء : فلو أن الكرم مقلة كان هو إنسانها ، أو المجد لغة لكان هو لسانها ، أو السؤدد دهرها لكان هو ربيع أزماته ، أو الشرف

عمرًا كان صفوة ريعانه ، أو الاجواد شهبًا لكان هو الشمس التي إذا ظهرت خفيت
الكواكب لظهورها ، وإذا تأملها الراءون ردت أبصارهم عن شعاعها ونورها .
وللشيخ أبي الفرج بن الجوزي في القاضي أبي يعلى هذا مدائح كثيرة .
فمن ذلك قوله يهنيه بقدم رجب ، أنشده عنه ابن القطيعي في تاريخه :
تهن بشهر قد أتاك على يمن يبشر بالإقبال والسعد والأمن
وعش سألًا من كل منية حاسد ومن شرذى شر ومن كيدذى ضغن
ومرّ وأنه وانعم واعل وانق وطب وجد

وعد وارق وازدد واسم بالفهم والذهن
تدبرت بالفكر السليم عواقب الأمور ولم تقبل على مشر الغبن
وسابقت أهل العلم حتى سبقتهم فذو السبق منهم حين سعيك في وهن
وكلهم في الدين أضحوا كهيئة وأصبحت في الإسلام كالشرط والركن
وكم ليلة ناموا وبت مؤانسا علوما أبت من لم يبت ساهر الجفن
إذا أنت جادلت الخصوم تجدلوا لديك بلا ضرب يقدر ولا طعن
وإن فهت بالتدريس نظمت لؤلؤا وإن تسطر الفتوى فكالدُر في القطن
فبيتك معروف وعلمك ظاهر وفضلك مشهور ، فما حصل المثني
عليك سوى تشريفه بمد يحكم وإلا فعلم الناس فيكم بكم يغنى
وذكر ابن الجوزي في كتابه التلخيص : أن أبا يعلى هذا هو الذي كان فقيه
العصر في الطبقة الرابعة عشر .

وصنف القاضي أبو يعلى تصانيف كثيرة ، منها : « التعلية » في مسائل الخلاف
كبيرة ، و « المفردات » ، وكتاب « شرح المذهب » وهو مما صنفه في شببته ،
وكتاب « النكت والإشارات في المسائل المفردات » .

وقرأ عليه المذهب والخلاف جماعة كثيرة ، منهم : أبو إسحاق الصقال
وأبو العباس القطيعي ، وأبو الحسن بن ورخذ ، وأبو البقاء العكبري . وعلق عنه
الخلاف بواسطة يحيى بن الربيع الشافعي مدرس النظامية .

وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم : أبو العباس القطيعي ، وأبو إسحاق الصقال
وأبو المعالي بن شافع ، وأبو بكر محمد بن المبارك بن الحضري ، وأحمد بن صرما ،
وغيرهم .

وتوفي ليلة السبت - سحرا - خامس جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة . كذا
ذكره ابن الجوزي في طبقاته ، وفي جزء مفرد ، وابن القطيعي ، وابن نقطة .

وذكر ابن الجوزي أيضا في تاريخه وفي كتاب فضائل مقبرة أحمد : أنه توفي
في خامس جمادى الآخرة . وصلى عليه من الغد بجامع القصر ، وأم الناس عليه
ولده أبو منصور . ودفن بمقبرة باب حرب عند أبيه وجده . رحمهم الله تعالى .

وذكر ابن الجوزي في موضع : أنه لم يشيعه عدد كثير ، وقال في تاريخه :
كان سأل في مرضه أن يدفن في دكة الإمام أحمد ، فأرسل إلى الوزير يقول :
في الدكة جدى لأمي ، فأنكر الوزير ذلك وقال : كيف تنبش عظام الموتى ؟ .

قرأت على أبي المعالي محمد بن عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ببغداد : أخبركم
أبو الفرج عبد الرحمن ابن عبداللطيف البزار - سماعا - أخبرنا أبو العباس أحمد بن
صرما - قراءة عليه - أخبرنا القاضي الإمام أبو يعلى محمد بن محمد بن الحسين بن
الفراء الحنبلي - قراءة عليه - أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الحافظ بن علي بن
إبراهيم المقرئ ح وأخبرناه - عليا - محمد بن إسماعيل - بن إبراهيم الأنصاري
بدمشق ، أخبرنا المسلم بن محمد بن علان أخبرنا ، حنبل بن عبد الله ، أخبرنا هبة الله
ابن محمد بن الحصين أخبرنا أبو علي التميمي قالوا : أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك ،
حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا يزيد بن هرون ، حدثنا فضيل بن مرزوق ،
حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله - هو ابن مسعود -
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن ،
فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ في حكمك ،
عدل في قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك
أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن العظيم

ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي : إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحاً . قال : فقيل : يا رسول الله ، أفلا نتعلمها ؟ قال : فقال : بل ينبغي لمن يسمعها أن يتعلمها .

ذكر القاضي أبو يعلى الصغير في تعليقه - ونقلته من خطه - فيما إذا طرح في الماء طحلباً أو ورقاً أو طيناً تعمداً ، فتغير به الماء : فهل يسلبه طهوريته ؟ على وجهين . قال : وإن تغير بعود أو كافور أو دهن : ففيه وجهان .

قال : ويتوجه على المذهب : أن يصح الوضوء والغسل من غير نية ؛ لأن الأثرم نقل عن أحمد : أنه سأله عن رجل اغتسل يوم الجمعة من جنابة ينوي به غسل الجمعة ؟ قال : أرجو أن يجزيه .

قال : وظاهر هذا يقتضى الجواز .

قال : وقد بنى القاضي هذه المسألة على أن التجديد هل يرفع الحدث أم لا ؟ وقال : فأما إخراج البعير عن خمس من الإبل فلا يجوز عندنا في أحد الوجهين ، والثاني : يجوز . وإذا قلنا : يجزى : فهل البعير كله فرض ، أو خمسة ؟ فيه وجهان .

وفائدة الوجهين : أنه إذا كان الفرض قدر خمس البعير جاز هذا البعير الواحد عن خمسة وعشرين بعيراً ، وهل الأصل الشاة أم البعير ؟ فيه وجهان . أحدهما : الأصل كلاهما ، أيهما أدى كان أصلاً .

والثاني : الإبل أصل ، والشاة بدل . وقال : فيه وجوب الحج على التراخي في أحد الروايتين . ثم نصر هذا القول ورحبه .

وقال أيضاً : ثبت الاستطاعة ببذل الابن الطاعة ، على قياس المذهب . والمنصوص : أنها لا تثبت ببذل الابن ماله وبدنه . وأخذه من قاعدة أحمد في تصرف الأب في مال ابنه ، وبسطه فيه .

ونصر فيه أيضاً : أن الإحرام بالحج لا ينعقد في غير أشهر الحج .

قال : ورواه هبة الله الطبري في سننه عن إمامنا أحمد ، قال : والذي نقله جماعة الأصحاب واختاروه : أنه يصح في جميع السنة .

ونصرفه : صحة الاستنجار ، وجواز أخذ الأجرة على سائر القرب غير المتعينة وما ذكره في شرح المهذب - ونقلته من خطه - : يتوجه أن يجب الغسل بغيوبة بعض الحشفة ؛ لأن من أصلنا : أن وجود بعض الجملة يجري مجرى وجود جميعها ، كما في مسائل الأيمان .

وذكر فيه : إذا أوج رجل في قبل الخنثى المشكل : هل يجب عليه الغسل ؟
يحتمل وجهين .

وذكر فيه : أنه يستحب للرجل إذا أجنب وأراد النوم أن يتوضأ ، فإن كان الجنب امرأة ففي استحباب الوضوء لها روايتان . قال : فإن أراد الجنب الأكل أو الشرب استحب له أن يغسل فرجه ويتوضأ ، في الروايتين .
وفي الأخرى : يغسل يده وفمه .

قال : ويستحب للإنسان إذا فرغ من وضوئه أن يشرب الماء الذي فضل منه وذكر حديث علي في ذلك .

وذكر في جواز دخول المرأة حمامها في بيتها لغير عذر شرعي : يحتمل وجهين قال : فإن أجزناه فإنها تدخل وحدها ، ولا تدخل معها امرأة قريبة ولا بعيدة .
وحكى في كفارة وطء الحائض : هل يجزئ صرفها إلى واحد من الفقراء ؟
على وجهين .

أحدها : يجزئ ، وهو اختيار أبي حفص البرمكي .

والثاني : لا يجزئ .

وعلى هذا : فيكم يتقدر ؟ لا نص فيها عن أصحابنا ، ويحتمل وجهين .

أحدها : يجب صرفها إلى عشرة من المساكين ؛ لأنه أقل عدد يجزئ في

كفارة اليمين .

والثاني : يجرى ثلاثة ؛ لأنه أقل الجمع المطلق . وقال فيه : فأما من به جرح يجرى دمه فلا يرقأ : فعليه أن يغسله عند كل فريضة ويشده . وفي إيجاب الوضوء روايتان .

وحكى رواية عن أحمد : أن أقل النفاس ثلاثة أيام ؛ لقوله في رواية أبي داود وقد قيل له : إذا طهرت بعد يوم ؟ فقال : « بعد يوم لا يكون ولكن بعد أيام » وذكر فيمن اجتهد وصلى ، ثم بان أنه صلى قبل دخول الوقت رواية : أنه لا يلزمه القضاء .

قال : وقد تأولها أصحابنا . وقال : إذا كان عليه سجود وسهو بعد السلام آخر الدعاء إلى تشهده ؛ ليكون خاتمة صلاته . وحكى فيما إذا كان عليه سجود بعد السلام ، فسجد قبله : هل تجزيه ويعتد به ؟ على وجهين .

وقال فيه : فإن صلى فاسق خلف فاسق : فهل تصح أم لا ؟ على احتمالين .

١٣٠ - محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد بن الحراني الأزجي

المعدل ، أبو عبد الله . من أعيان عدول بغداد .

توفي في جمادى الأولى سنة ستين وخمسة . ودفن بمقبرة الفيل .

روى عن أبي محمد الثقفي التميمي والنعماني . وحدث .

سمع منه جماعة ، منهم : ابن القطيعي ، وقال : كان ثقة مأموناً ، عالماً لطيفاً

صاحب نادرة ، حسن المعاشرة . جمع كتاباً سماه « روضة الأدباء » وهو آخر من

مات من شهود أبي الحسن الدامغانى . وكان ينتمى لمذهب الإمام أحمد . انتهى .

وله شعر حسن . قال ابن الجوزى : زرته يوماً ، فأطلت الجلوس عنده ، فقلت :

قد ثقلت ، فقال :

لئن سميت إبراهيماً وثقلاً زيارات رفعت بهن قدرى

فما أبرمت إلا حبل ودى ولا أثقلت إلا ظهر شكرى

١٣١ - يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن

الجهم بن عمر بن هبيرة بن علوان بن الحوقزان . وهو الحرث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية الشيباني الدوري ، ثم البغدادي ، الوزير العالم العادل ، صدر الوزراء ، عون الدين ، أبو المظفر .

ولد في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وأربعمائة بالدور : قرية من أعمال الدجيل ، ودخل بغداد شابا .

وقرأ القرآن بالروايات على جماعة . وسمع الحديث الكثير من جماعة ، منهم : القاضي أبو الحسين بن الفراء ، وأبو الحسين بن الزاغوني ، وعبد الوهاب الأنماطي وأبو غالب بن البنا وأبو عثمان بن ملة ، وابن الحصين ، وغيرهم .

وقرأ الفقه على أبي بكر الدينوري فيما ذكره ابن القطيبي . وقيل : إنه قرأ على أبي الحسين بن الفراء ، وقرأ الأدب على أبي منصور بن الجواليقي . وصحب أبا عبد الله محمد بن يحيى الزبيدي الواعظ الزاهد من حدائمه ، وكل عليه فنونا من العلوم الأدبية وغيرها ، وأخذ عنه التأله والعبادة ، وانتفع بصحبته ، حتى إن الزبيدي كان يركب جملا ويعتم بفوطة ، ويلويها تحت حنكه ، وعليه جبة صوف ، وهو مخضوب بالحناء ، فيطوف بأسواق بغداد ويعظ الناس ، وزمام جملة بيد أبي المظفر بن هبيرة . وهو أيضاً معتم بفوطة من قطن ، قد لواها تحت حنكه ، وعليه قميص قطن خام ، قصير السكم والذيل ، وكلما وصل الزبيدي موضعاً أشار أبو المظفر بمسبحته ، ونادى برفيع صوته : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

ذكر ذلك أبو بكر التيمي بن المرستانيه ، في الكتاب الذي جمعه في مناقب

الوزير وفضائله

وقال ابن الجوزى : كانت له معرفة حسنة بالنحو ، واللغة ، والعروض ، وصنف فى تلك العلوم ، وكان متشددآ فى اتباع السنة ، وسير السلف .
قلت : صنف الوزير أبو المظفر كتاب « الإفصاح عن معانى الصحاح » فى عدة مجلدات ، وهو شرح صحيحى البخارى ومسلم ، ولما بلغ فيه إلى حديث « من ىرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » شرح الحديث ، وتكلم على معنى الفقه ، وآل به الكلام إلى أن ذكر مسائل الفقه المتفق عليها ، والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين .

وقد أفردہ الناس من الكتاب ، وجملوه مجلدة مفردة ، وسموه بكتاب « الإفصاح » وهو قطعة منه ، وهذا الكتاب صنفه فى ولايته الوزارة ، واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب ، وأوفدم من البلدان إليه لأجله ، بحيث إنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار ، وثلاثة عشر ألف دينار ، وحدث به ، واجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه . وكتب به نسخة لخزانة المستنجد . وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها ، واستنسخوا لهم به نسخآ ، ونقلوها إليهم ، حتى السلطان نور الدين الشهيد . واشتغل به الفقهاء فى ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم ، يدرسون منه فى المدارس والمساجد ، ويعيده المعيدون ، ويحفظ منه الفقهاء .

وصنف فى النحو كتابآ سماه « المقتصد » ، وعرضه على أئمة الأدب فى عصره ، وأشار إلى ابن الخشاب بالكلام عليه ، فشرحه فى أربع مجلدات ، وبالغ فى الثناء عليه .

واختصر كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، وكان ابن الخشاب يستحسنه ويعظمه .

وصنف كتاب « العبادات الخمس » على مذهب الإمام أحمد ، وحدث به بحضرة العلماء من أئمة المذاهب .

وله أرجوزة فى المقصور والمدود ، وأرجوزة فى علم الخط .

وقد صنف ابن الجوزي كتاب « المقتبس من الفوائد العونية » وذكر فيه الفوائد التي سمعها من الوزير عون الدين ، وأشار فيه إلى مقاماته في العلوم . وانتقى من زبد كلامه في الإفصاح على الحديث كتاباً سماه « محض المحض » . وكان ابن هبيرة رحمه الله في أول أمره فقيراً ، فاحتاج إلى أن دخل في الخدم السلطانية ، فولى أعمالاً ، ثم جعله المقتفي لأمر الله مشرفاً في الخزن ، ثم نقل إلى كتابة ديوان الزمام .

ثم ظهر للمقتفي كفاءته وشهامته ، وأمانته ونصحه ، وقيامه في مهام الملك . فاستدعاه المقتفي سنة أربع وأربعين وخمسة إلى داره ، وقلده الوزارة ، وخلع عليه وخرج في أبهة عظيمة . ومشى أرباب الدولة وأصحاب المناصب كلهم بين يديه ، وهو راكب إلى الإيوان في الديوان . وحضر القراء والشعراء ، وكان يوماً مشهوداً . وقرئ عهده ، وكان تقليداً عظيماً ، بوانع فيه بمدحه والثناء عليه إلى الغاية . وخطب فيه بالوزير العالم العادل ، عون الدين ، جلال الإسلام ، صفي الإمام ، شرف الأنام ، معز الدولة ، مجير الملة ، عماد الأمة ، مصطفى الخلافة ، تاج الملوك والسلطين ، صدر الشرق والغرب ، سيد الوزراء ، ظهير أمير المؤمنين .

وكان الوزير قبل وزارته يلقب جلال الدين ، وقال يوماً : لا تقولوا في ألقابي سيد الوزراء ؛ فإن الله تعالى سمى هارون وزيراً ، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن وزيريه من أهل السماء : جبريل وميكائيل ، ومن أهل الأرض : أبو بكر وعمر ، وجاء عنه أنه قال : « إن الله اختارني ، واختار لي أصحاباً ، فجعلهم وزراء وأنصاراً » ولا يصلح أن يقال عنى : أنى سيد هؤلاء السادة .

قال صاحب سيرته : ركب الوزير إلى داره مجاورة الديوان ، وبين يديه جميع من حضر من أرباب الدولة ، وأصحاب المناصب والأمراء والحجاب ، والصدور والأعيان ، وقد أخذ قوس الخلافة باريها ، واستقرت الوزارة في كفوها وكافيها . فقام فيها قيام من عدله الزمان بثقافه ، وزينه الكمال بأوصافه ، ودبرها

بجوده ونهاه ، وأورد الأمل فيها مناه ، ومد الدين رواقه ، وأمن بدره به محاقه . فأقام سوق الخلافة على ساقها ، وابتدع في انتظام ممالكها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت في حين أوانه وسمها ، وتببع ما أفسدته العين منها بالإصلاح ، واستدرك لها ما أخرجته لها يد الاجتياح ، وداوى كل حال بدوائه ، ورد غائر الماء إلى لجائه ، وأقام الصلاة جماعة ، وافترض المدل سمعاً لله وطاعة ، ورعى لأهل الفضل والمعارف ، وأوامم من بره إلى ظل وارف ، حتى صارت دولته مشرعا للكرم ، ومستراحاً لآمال الأمم ، يرتضع فيه للكارم أخلاف ، وتداريها الأمانى سلاف ، ونفقت فيها أقدار الأعلام ، وتدقت فيها نذر الكلام ، ولاحت بها من العلماء شمس ، وارتاحت فيها للطلبة بالعلوم نفوس ، ولم تخل أيامه ومجالسه من مناظرة ، ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة ، إلا أوقات عطلها من ذلك النظام ، وأوقعها إما على صلاة وصيام ، أو على تصنيف ، وجمع وتأليف ؛ بحيث صنف عدة كتب ، منها : كتاب « الإفصاح عن شرح معانى الصحاح » وهذا الكتاب بمفرده يشتمل على تسعة عشر كتاباً .

ولما ولي الوزير أبو المظفر رحمه الله الوزارة بالغ في تقريب خيار الناس من الفقهاء والمحدثين والصالحين ، واجتهد في إكرامهم وإيصال النفع إليهم ، وارتفع أهل السنة به غاية الارتفاع . ولقد قال مرة في وزارته : والله لقد كنت أسأل الله تعالى الدنيا لأخدم بما يرزقنيه منها العلم وأهله .

وكان سبب هذا : أنه ذكر مرة في مجلسه مفردة للإمام أحمد تفرد بها عن الثلاثة ، فادعى أبو محمد الأشترى المالكي : أنها رواية عن مالك ، ولم يوافقها على ذلك أحد ، وأحضر الوزير كتب مفردات أحمد ، وهي منها ، والمالكي مقيم على دعواه . فقال له الوزير : بهيمة أنت ؟ أما تسمع هؤلاء الأئمة يشهدون بانفراد أحد بها ، والكتب المصنفة ، وأنت تنازع وتفرق المجلس ؟ فلما كان المجلس الثانى ، واجتمع الخلق للسمع أخذ ابن شافى في القراءة ، فمنعه وقال : قد كان

الفقيه أبو محمد جرىء في مسألة أمس على ما لا يليق به عن العدول عن الأدب والانحراف عن نهج النظر ، حتى قلت تلك الكلمة ، وها أنا فليقل لي كما قلت له فلست بخير منكم ، ولا أنا إلا كأحدكم ، فضج المجلس بالبكاء ، وارتفعت الأصوات بالدعاء والثناء ، وأخذ الأشتري يعتذر ، ويقول : أنا المذنب والأولى بالاعتذار من مولانا الوزير ، ويقول : القصاص ، القصاص ، فقال يوسف الدمشقي مدرس النظامية : يا مولانا ، إذا أبي القصاص فالقضاء ، فقال الوزير : له حكمه ، فقال الأشتري : نعمك على كثيرة ، فأى حكم بقي لي ؟ فقال : قد جعل الله لك الحكم علينا بما ألبأتنا به إلى الافتيات عليك ، فقال : على بقية دين منذ كنت بالشام ، فقال الوزير : يعطى مائة دينار لإبراء ذمته وذمتي ، فأحضر له مائة ، فقال له الوزير : عفا الله عنك وعني ، وغفر لك ولي .

وذكر ابن الجوزي أنه قال : يعطى له مائة دينار لإبراء ذمته ، ومائة دينار لإبراء ذمتي . وكان هذا الأشتري من علماء المالكية ، طلبه الوزير من نور الدين محمود بن زنكي ، فأرسل به إليه فأكرمه غاية الإكرام .

قال ابن الجوزي : وكان ابن الوزير إذا استفاد شيئا قال : أفادنيه فلان حتى ، إنه عرض له يوما حديث ، وهو « من فاته حزب من الليل فصلاه قبل الزوال كان كأنه صلى بالليل » فقال : ما أدري معنى هذا ؟ فقلت له : هذا ظاهر في اللغة والفقه .

أما اللغة : فإن العرب تقول : كيف كنت الليلة ، إلى وقت الزوال .
وأما الفقه : فإن أبا حنيفة يصحح الصوم بنية قبل الزوال ، فقد جعل ذلك الوقت في حكم الليل . فأعجبه هذا القول . وكان يقول بين الجمع الكثير : ما كنت أدري معنى هذا الحديث حتى عرفنيه ابن الجوزي ، فكنت أستحي من الجماعة .
قال : وجعل لي مجلسا في داره ، كل جمعة يطلقه ويطلق العوام في الحضور وكان بعض الفقراء يقرأ القرآن في داره كثيرا ، فأعجبه ، فقال لزوجته : أريد أن

أزوجه ابنتي ، فغضبت الأم من ذلك . وكان يقرأ عنده الحديث كل يوم بعد العصر
وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء . وكانت أمواله مبدولة لهم ، ولتدبير الدولة
فكانت السنة تدور عليه وعليه ديون ، وقال : ما وجبت على زكاة قط .

قلت : وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

يقولون : يحيى لآزكاة لاله وكيف يزكى المال من هو باذله ؟

إذا دار حول لا يرى في بيوته من المال إلا ذكره وفضائله

وقال ابن الجوزي : وكان يتحدث بنعم الله تعالى عليه . ويذكر في منصبه

شدة فقره القديم ، فيقول : نزلت يوما إلى دجلة ، وليس معي رغيف أعبر به الحمام .

ثم ذكر طرفا من حلمه وصفحه وعفوه ، فقال : لما جلس في الديوان أول

وزارته أحضر رجلا من غلمان الديوان ، فقال : دخلت يوما إلى هذا الديوان ،

فعدت في مكان ، فجاء هذا ، فقال : قم فليس هذا موضعك ، فأقامني . فأكرمه
وأعطاه .

ودخل عليه يوما تركي ، فقال لحاجبه : أما قلت لك : اعط هذا عشرين

دينارا ، وكذا من الطعام ، وقل له : لا يحضر ههنا ؟ فقال : قد أعطيناها . قال : عند

واعطه ، وقل له : لا يحضر . ثم التفت إلى الجماعة ، وقال : لاشك أنكم ترتابون

بسبب هذا ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هذا كان شحنة في القرى ، فقتل قتيل قريبا من

قريتنا ، فأخذ مشايخ القرى وأخذني مع الجماعة ، وأمشاني مع الفرس ، وبالغ في

أذى وأوثقني ، ثم أخذ من كل واحد شيئا وأطلقه ، ثم قال لي : أي شيء معك ؟

قلت : مامعي شيئا ، فانتهرني ، وقال : اذهب . فأنا لا أريد اليوم أذاه ، وأبغض

رؤيته .

وقد ساق مصنف سيرة الوزير هذه الحكاية بأتم من هذا السياق .

وذكر : أن الوزير قال : ما نعمت عليه إلا أني سألته في الطريق أن يمهني

حسبا أصلى الفرض فما أجابني ، وضر بني على رأسي وهو مكشوف عدة مقارع

حكنت أنم عليه حين رأيت له لأجل الصلاة ، لا لكونه قبض عليّ ؛ فإنه كان مأمورًا .

وذكر : أنه استخدمه في أصلح معاش الأمراء ، واستحلّه من صياحه عليه وقوله : اخرجوه عنى .

قال ابن الجوزى : وكان بعض الأعاجم قد شاركه في زراعة . قال الأمر إلى أن ضرب الأعجمى الوزير وبالغ ، فلما ولي الوزارة أتى به فأكرمه ووهب له وولاه أنبثت عن أحمد بن عبد الدائم المقدسى قال : حكى لنا ابن الجوزى قال : كنا نجلس إلى الوزير ابن هبيرة ، فيملى علينا كتابه «الإفصاح» فبينما نحن كذلك إذ قدم رجل ومعه رجل ادعى عليه أنه قتل أخاه ، فقال له عون الدين : أقتلته ؟ قال : نعم . جرى بينى وبينه كلام فقتلته : فقال الخصم : سلمه إلينا حتى نقتله فقد أقر بالقتل ، فقال عون الدين : أطلقوه ولا تقتلوه ، قالوا : كيف ذلك ، وقد قتل أخانا ؟ قال : فتبيعوني ، فاشتراه منهم بستائة دينار ، وسلم الذهب إليهم وذهبوا ، قال للقاتل : اقم عندنا لا تبرح . قال : فجلس عندهم ، وأعطاه الوزير خمسين دينارًا . قال : فقلنا للوزير : لقد أحسنت إلى هذا وعملت معه أمرًا عظيمًا ، وبالغت في الإحسان إليه ، فقال الوزير : منكم أحد يعلم أن عيني اليمنى لا أبصر بها شيئًا ؟ قلنا : معاذ الله ، فقال : بلى والله . أتدرون ما سبب ذلك ؟ قلنا : لا . قال : هذا الذى خلصته من القتل جاء إلى وأنا فى الدور ومعى كتاب من الفقه أقرأ فيه ، ومعى سلة فاكهة ، فقال : احمل هذه السلة ، قلت له : ما هذا شغلى فاطلب غيرى ، فشا كلنى ، ولسكنى فقلع عيني ، ومضى ولم أره بعد ذلك إلى يومى هذا . فذكرت ما صنع بى ، فأردت أن أقابل إساءته إلى بالإحسان مع القدرة .

قال ابن الجوزى : كان الوزير يجتهد فى اتباع الحق ، ويحذر من الظلم ، ولا يلبس الحرير . وكان مبالغًا فى تحصيل التعظيم للدولة العباسية ، قامعًا للمخالفين بأنواع الخيل ، حسم أمور السلاطين السلجوقية .

وذكر صاحب سيرته : أنه سمعه يذكر : أنه لما استطال السلطان مسعود وأصحابه وأفسدوا ، عزم هو والخليفة على قتاله . قال : ثم إني فكرت في ذلك ، ورأيت أنه ليس بصواب مجاهرته ؛ لقوة شوكته . فدخلت على المقتنى ، فقلت : إني رأيت أن لا وجه في هذا الأمر إلا الالتجاء إلى الله تعالى ، وصديق الاعتماد عليه ، فبادر إلى تصديقي في ذلك ، وقال : ليس إلا هذا . ثم كتبت إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا على رعل وذكوان شهرا ، وينبغي أن ندعو نحن شهرا . فأجابني بالأمر بذلك .

قال الوزير : ثم لازمت الدعاء في كل ليلة وقت السحر أجلس فأدعو الله سبحانه ، فمات مسعود لتمام الشهر ، لم يزد يوما ولم ينقص يوما ، وأجاب الله الدعاء وأزال يد مسعود وأتباعه عن العراق ، وأورثنا أرضهم وديارهم . وهذه القصة تذكر في كرامات الخليفة والوزير . رحمهما الله تعالى .

وكاتب الوزير ابن هبيرة السلطان نور الدين محمود بن زنكي يستحثه على انتزاع مصر من يد العبيديين . فسير إليها أسد الدين شيركوه مرتين ، وفي الثالثة خطب بها للمستنجد ، وجاء الخبر بذلك إلى بغداد سنة تسع وخمسين ، وعمل أبو الفضائل بن تركان حاجب الوزير ابن هبيرة قصيدة يهني بها الوزير بفتح مصر ، ويذكر أن ذلك كان بسبب سعيه وبركة رأيه ، وتكامل انتزاع مصر من بني عبيد ، وإقامة الخطبة لبني العباس بها بعد سبع سنين في خلافة المستضيء . فعظمت حرمة الدولة العباسية في وقته ، وانتشرت إقامة الدعوة لها في البلاد .

قال ابن الجوزي : وكان المقتنى معجبا به ، يقول : ما وزر لبني العباس مثله . قال ابن الجوزي : حدثني الوزير قال : لما رجعت من الحلة - وكان قد خرج لدفع بعض البغاة - دخلت على المقتنى ، فقال لي : ادخل هذا البيت فقير ثيابك ، فدخلت فإذا خادم وفراش ومعهم خلعة حرير ، فقلت : أنا والله ما ألبس هذه . فخرج الخادم فأخبر المقتنى ، فسمعت صوت المقتنى وهو يقول : قد والله قلت : إنه ما يلبس .

وذكر صاحب سيرته هذه الحكاية مبسوطة . قال : فعاد الخادم وعلى يده دست من ثياب الخليفة فأفاضه علىّ ، وقال : قد أخبرت أمير المؤمنين بامتناعك ، فقال : والله لقد حسبت هذا ، وأنه لا يفعل . قال : فقلت حينئذ لنفسي : يا يحيى كيف رأيت طاعة الله تعالى ؟ لو كنت قد لبستها كيف كنت تكون في نفس أمير المؤمنين ؟ وكيف كانت تكون منزلتك عنده ؟ .

قال صاحب سيرته : وكان لا يلبس ثوباً يزيد فيه الإبريسم على القطن ، فإن شك في ذلك سلّ من طاقاته ونظر : هل القطن أكثر أم الإبريسم ؟ فإن استويا لم يلبسه .

قال : ولقد ذكر يوماً في بعض مجالسه ، فقال : له بعض الفقهاء الحنابلة : يا مولانا ، إذا استويا جاز لبسه في أحد الوجهين عن أصحابنا ، فقال : إني لا آخذ إلا بالأحوط .

قال : وذكر يوماً بين يديه : أنه كان للصاحب ابن عباد دست من ديباج فقال الوزير : قبح والله بالصاحب أن يكون له دست من ديباج ؛ فإنه وإن كان زينة فهو معصية وهجنة .

قال ابن الجوزي : ونقله عنه ابن القطيعي سمعت ابن هبيرة الوزير يقول : جاءني مكتوب مختوم من المستنجد في حياة أبيه المقتفى ، فقلت للرسول : ارجع إليه وقل له : إن كان فيه ما تكره أن يعلم به أمير المؤمنين فلا حاجة لك في فتحه ؛ فإنني أعرفه ما فيه ، وإن لم تكن تكره إطلاعه عليه فافتحه ، ثم أعطه الرسول ، فمضى ولم يعد ، وحصل في نفسه من ذلك شيء . فلما توفي المقتفى وولى المستنجد أمر بحضوره للمبايعة .

قال ابن الجوزي : فقال لي الوزير حين جاءه الرسول : إن وصلت إلى أمير المؤمنين نلت ما أريد ، وإن قتلت قبل وصولي إليه فمالي حيلة . فما كان إلا ساعة دخوله عليه حتى عاد فرحاً ، فقلت له : ما الخبر ؟ قال : وصلت إليه وبايعته ، ثم

قلت : يكفى العبد فى صدقه ونصحه أنه حابى مولانا فى أبيه نصحا لأمير المؤمنين وأشرت إلى رد مكتوبه ، فقال : صدقت ، أنت الوزير ، فقلت : إلى متى ؟ فقال : إلى الموت ، فقلت : أحتاج والله إلى اليد الشريفة ، فأحلفته على ما ضمن لى . قال صاحب سيرته : وأخبرنى الخادم مرجان بن عبد الله - أحد خواص خدم الخليفة - قال : سمعت الإمام المستنجد بالله أمير المؤمنين ينشد وزيره عون الدين أبا المظفر بن هبيرة ، وقد مثل الوزير بين يدي سدة فى أثناء مفاوضة جرت بينهما فى كلام يرجع إلى تقرير قواعد الدين ، والنظر فى مصالح الإسلام والمسلمين ، فأعجب الخليفة به ، فأنشده الخليفة - بمدحه - أربعة أبيات : الأخيرين منها لنفسه ، والأولين لابن حيوس ، وهى :

صفت نعمتان خصتاك وعمتا فذكرهما حتى القيامة يذكر
وجودك والدنيا إليك فقيرة وجودك والمعروف فى الناس ينكر
فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ويحيى لكفى عنه يحيى وجعفر
ولم أر من ينوى لك السوء يا أبا المظفر إلا كنت أنت المظفر

وقال ابن الذهب^(١) فى تاريخه : كان عالماً فاضلاً ، عابداً عاملاً ، ذا رأى صائب وسريرة صالحة ، وظهرت منه كفاية تامة ، وقيام بأعباء الملك ، حتى شكره الخاص والعام . وكان مكرماً لأهل العلم ، ويقراً عنده الحديث عليه ، وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره . وكان مقرباً لأهل العلم والدين ، كريماً طيب الخلق .

قال ابن القطيبي : كان ابن هبيرة عفيفاً فى ولايته ، محموداً فى وزارته ، كثير البر والمعروف ، وقراءة القرآن ، والصلاة والصيام ، يحب أهل العلم ، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم ، جميل المذهب ، شديد التظاهر بالسنة .

(١) فى خطبة الإدارة الثقافية « ابن الديبى »

قال : ومن كثرة ميله إلى العمل بالسنة ، اجتاز في سوق بغداد - وهو الوزير - فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

قال صاحب سيرته : ولقد بلغ به من شدة الورع بحيث أحضر له كتاب من وقف المدرسة النظامية ، ليقراً عنده . فقال : قد بلغني أن الواقف شرط في كتاب الوقف : أن لا يخرج شيء من كتب الوقف عن المدرسة ، وأمر برده . فقيل له : إن هذا شيء ما تحققناه . فقال : أليس قد قيل ؟ ولم يمكنهم من قراءته ، وحشهم على إعادته .

قال : وحدثني الفقيه أبو حامد أحمد بن محمد بن عيسى الحنبلي قال : حدثني الوزير عون الدين قال : كان بيني وبين بعض مشايخ القرى معاملة مضيت من أجلها من الدور إلى قرية فلم أجده ، فقعدت لانتظارهم حتى هجم الليل ، فصعدت إلى سطحه للنوم ، فسمعت قوماً يسفهنون بالهجر من الكلام ، فسألت عنهم ؟ فأخبرت أنهم يعصرون بالنهار الخمر ، ويسفهنون في الليل . فقلت : والله لا بت بها فقيل : ولم ؟ فقلت : أخاف أن ينزل بهم عذاب وسخط فأكون معهم ، فإن لم يكن خسفاً حقيقياً كان خسفاً معنوياً ، مما يدخل على القلب من القساوة والفتور عن ذكر الله تعالى بسماع هذا الكلام ، ومضيت ذلك الوقت إلى الدور .

قال الوزير : فلما عدت أنا والمقتني لأمر الله من حصار قلعة تكريت مررنا بتلك القرية ، فسألني المقتني عنها ؟ فقلت : هذه الناحية لاوكلاء أجلهم الله تعالى . فقال : لئن تكون لك ، إذ هي في جوارك أصلح من أن تكون لنا ، فتقدم إلى عمالك بالتصرف فيها . فذكرت له حينئذ حالتى بها ، وقلت له : فمن بركة ذلك الفعل رزقت القرب منك يا أمير المؤمنين ، وتملك الناحية من غير طلب منى لها ، فاستظرف ذلك منى ، وكثر تعجبه منه .

قال : وكان الوزير شديد التواضع ، رافضاً للكبر ، شديد الإيثار لمجالسة أرباب

الدين والفقراء ، بحيث سمعته في بعض الأيام يقول لبعض الفقراء وهو يخاطبه : أنت أخي ، والمسلمون كلهم إخوة .

قال : ولقد كنا يوماً بالمجلس على العادة لسماع الحديث ، إذ دخل حاجبه أبو الفضائل بن تركان . فسار الوزير بشيء لم يسمعه أحد . فقال له الوزير : أدخل الرجل ، فأبطأ عليه . فقال الوزير : أين الرجل ؟ فأبطأ . فقال : أين الرجل ؟ فقال الحاجب : إن معه شملة صوف مكورة . وقد قلت له : أتركها مع أحد الغلمان خارجاً عن الستر وأدخل . قال : لا أدخل إلا وهي معي . فقال له الوزير : دعه يدخل وهي معه ، فخرج وعاد . وإذا معه شيخ طوال من أهل السواد ، وعليه فوطة قطن ، وثوب خام ، وفي رجله جعبان ، فسلم ، وقال للوزير : يا سيدي ، إن أم فلان - يعني : أم ولده - لما علمت أني متوجه إليه . قالت لي : بالله سلم على الشيخ يحيى عني ، وادفع إليه هذه الشملة ؛ فقد خبزتها على اسمه ، فتبسم الوزير إليه وأقبل عليه ، وقال : الهدية لمن حضر ، وأمر بحلها ، فحلت الشملة بين يديه وإذا فيها خبز شعير مشطور بكامخ اكشوت . فأخذ الوزير منه رغيفين ، وقال : هذا نصيبي ، وفرق الباقي على من حضر من صدور الدولة ، والسادة الأجلة ، وسأله عن حوائجه جميعها ؟ وتقدم بقضائها على المكان ، ثم التفت إلى الجماعة وقال : هذا شيخ قد تقدمت صحبتي له قديماً ، واختبرته في زرع بيننا فوجدته أميناً ، ولم يظهر منه تأفف بمقال الشيخ ، ولا تكبر عليه ، ولا أعرض عنه ، بل أحسن لقاءه ، وقضى حوائجه ، وأجزل عطاءه .

ثم حكى : أنه كان بينه وبين هذا الشيخ زرع ، وأنهم خشوا عليه من جيش عظيم نزل عندهم ، فقرأوا على جوانبه القرآن ، فسلم ولم يرع منه سنبلة واحدة . قال : ودخل عليه يوماً نقيب نقباء الطالبين الطاهر بن أحمد بن علي الحسيني فسلم عليه وخدمه ، وسأله رفع رقعة له إلى الخليفة المستنجد ، وأن يتكلم له عند عرضها ولا يهملها ، فتبسم وقال : والله ما أهملت لأحد رقعة قط ، ولا حاجة

حضرني ذكرها ، وذكر حكاية عن الوزير ابن العميد : أنه وعد رجلا النظر في ظلامته ومطله وسوفه وقال ، سننظر فيها : فقال له بعض أصحابه ، هذا كلام من لا يعرف ديب الساعات في انخرام السدول ، فانتبه لها ابن العميد ، والآن يتولى رفع ظلمات المتظلمين .

قال : ودخل عليه يوماً أبو الفرج عبد الخالق بن يوسف المحدث ، وقال في كلامه : المملوك شيخ من حملة القرآن وأهل العلم ورواة الحديث ، وله وعليه حقوق في المال ، فانظر له وعليه ، مقاطعة شيء من الجانب الغربي ، فليس بيده شيء . فتقدم له الوزير بخمسين ديناراً قبضها في مجلسه ، ثم قال له : هذا بعض مالك على بيت المال ، فأدّ بعض ما عليك لبيت المال .

قال : وكنا يوماً عنده والمجلس غاص بولاية الدين والدنيا ، والأعيان الأمائل وابن شافع يقرأ عليه الحديث ، إذ فجأنا من باب الستوراء ظهر الوزير صراخ بشع وصياح يرتفع ، فاضطرب له المجلس ، وارتاع الحاضرون ، والوزير ساكن ساكت ، حتى أنهى ابن شافع قراءة الإسناد ومتمنه . ثم أشار الوزير إلى الجماعة على رسلكم ، ثم قام ودخل إلى الستوراء ولم يلبث أن خرج ، فجلس وتقدم بالقراءة ، فدعا له ابن شافع والحاضرون ، وقالوا : قد أزعجنا ذلك الصياح ، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه ، فقال الوزير : حتى ينتهي المجلس . وعاد ابن شافع إلى القراءة حتى غابت الشمس وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال ، فعاودوه ، فقال : كان لي ابن صغير مات حين سمعتم الصياح ، ولولا تعيين الأمر علي بالأمر بالمعروف في الإنكار عليهم ذلك الصياح لما قمت عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب الحاضرون من صبره .

قال : وحضر يوماً في دار الخلافة بالمرخم من التاج ، فجلس به وحضر أرباب الدولة بأسرهم للصلاة على جنازة الأمير إسماعيل بن المستظهر ، فسقط من السقف أنفى عظيمة المقدار على كتف الوزير ، فما بقي أحد من أرباب الدولة وحواشي

الخدمة إلا خرج أوقام عن موضعه ، إلا الوزير فإنه التفت إلى الأفى وهي تسرح على كفه حتى وقعت على الأرض ، وبادرها الممالك فقتلوا ، ولم يتحرك الوزير عن بقعته ، ولا تغير في هيئته ولا عبارته .

وللوزير رحمه الله تعالى من الكلام الحسن ، والقوائد المستحسنة ، والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جداً .

وله من الحكم والمواعظ والكلام فى أصول السنة وذم من خالفها شيء كثير أيضاً . ونذكر هنا بعض ذلك إن شاء الله تعالى .

قال ابن الجوزى فى المقتبس : سمعت الوزير يقول : الآيات اللواتى فى الأنعام (٦ : ١٥١ قل : تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم) محكمات ، وقد اتفقت عليها الشرائع ، وإنما قال فى الآية الأولى : (لعلكم تعقلون) وفى الثانية : (لعلكم تذكرون) وفى الثالثة : (لعلكم تتقون) ؛ لأن كل آية يليق بها ذلك ، فإنه قال فى الأولى : (أن لا تشركوا به شيئاً) والعقل يشهد أن الخالق لا شريك له ، ويدعو العقل إلى بر الوالدين ، ونهى عن قتل الولد ، وإتيان الفواحش ؛ لأن الإنسان يغار من الفاحشة على ابنته وأخته ، فكذلك هو ، ينبغى أن يجتنبها ، وكذلك قتل النفس ، فلما لاقى هذه الأمور بالعقل ، قال : (لعلكم تعقلون) ولما قال فى الآية الثانية : (ولا تقربوا مال اليتيم) والمعنى : اذكر لو هلكت فصار ولدك يتيماً ، واذكر عند ورثتك ، لو كنت الموروث له ، واذكر كيف تحب العدل لك فى القول ؟ فاعدل فى حق غيرك ، وكما لا تؤثر أن يخان عهدك فلا تخن ، فلاق بهذه الأشياء التذكر ، فقال (لعلكم تذكرون) وقال فى الثالثة : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه) ، فلاق بذلك اتقاء الزلل ، فلذلك قال : (لعلكم تتقون) .

قال : وسمعت يقول فى قوله تعالى : (٣٨ : ٨٠ فإنك من المنظرين) قال :

ليس هذا بإجابة سؤاله ، وإنما سأل الإنظار ، فقيل له : كذا قدر ، لا أنه جواب سؤالك ، لكنه مما فهم .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٩ : ٥١ قل : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) قال : إنما لم يقل : ما كتب علينا ؛ لأنه أمر يتعلق بالمومن ، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له ، إن كان خيراً فهو له في العاجل ، وإن كان شراً فهو ثواب له في الآجل .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (١٧ : ٤٥ حجاباً مستوراً) قال أهل التفسير : يقولون : ساتراً ، والصواب : حمله على ظاهره ، وأن يكون الحجاب مستوراً عن العيون فلا يرى ، وذلك أبلغ .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (١٨ : ٣٩ ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ماشاء الله) قال : ما قال : ماشاء الله كان ولا يكون ، بل أطلق اللفظ ؛ ليعم الماضي والمستقبل والراهن .

قال : وتدبرت قوله تعالى : (لا قوة إلا بالله) فرأيت لها ثلاثة أوجه .

أحدها : أن قائلها يتبرأ من حوله وقوته ، ويسلم الأمر إلى مالكه .

والثاني : أنه يعلم أن لا قوة للمخلوقين إلا بالله ، فلا يخاف منهم ؛ إذ قوام

لا تكون إلا بالله ، وذلك يوجب الخوف من الله وحده .

والثالث : أنه رد على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى في الأشياء

بطبيعتها ، فإن هذه الكلمة بينت أن القوى لا يكون إلا بالله .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (١٨ : ٩٧ فما استطاعوا أن يظهروه

وما استطاعوا له نقباً) قال : «التاء» من حروف الشدة ، تقول في الشيء القريب

الأمر : ما استطعته ، وفي الشديد : ما استطعته ، فالمعنى : ما أطاقوا ظهوره

لضعفهم ، وما قدروا على نقبه لقوته وشدته .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٢٠ : ١٥ إن الساعة آتية أكاد أخفيها)

قال : المعنى إني قد أظهرتها حين أعلمت بكونها ، لكن قاربت أن أخفيها بتكذيب المشرك بها ، وغفلة المؤمن عنها ، فالمشرك لا يصدق كونها ، والمؤمن يهمل الاستعداد لها .

قال : وقرأت عليه ما جمعه من خواطره ، قال : قرأ عندي قارئ ، قال : (٢٠ : ٤ هم أولاء على أثرى) فأفكرت في معنى اشتقاقها ، فنظرت فإذا وضعها للتنبيه ، والله لا يجوز أن يخاطب بهذا ، ولم أر أحداً خاطب الله عز وجل بحرف التنبيه إلا الكفار ، كما قال الله عز وجل (١٦ : ٨٦ قالوا : ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) ، (٧ : ٣٨ ربنا هؤلاء أضلونا) وما رأيت أحداً من الأنبياء خاطب ربه بحرف التنبيه ، والله أعلم .

فأما قوله : (٤٣ : ٨٨ وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) فإنه قد تقدم الخطاب بقوله : يارب ، فبقيت « ها » للتمكين ، ولما خاطب الله عز وجل المنافقين ، قال : (٤ : ١٠٩ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وكرم المؤمنين بإسقاط « ها » ، فقال : (٣ : ١١٩ ها أنتم أولائي تحبونهم) وكان التنبيه للمؤمنين أخف .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٢١ : ١١٠ إنه يعلم الجهر من القول) المعنى : أنه إذا اشتدت الأصوات وتغالبت فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان . والله عز وجل يسمع كلام كل شخص بعينه ، ولا يشغله سمع عن سمع .

قال : وقوله : (٢١ : ١١٣ قال : رب احكم بالحق) قال : المراد منه : كن أنت أيها القائل على الحق ؛ ليمكنك أن تقول : احكم بالحق ، لأن المبطل لا يمكنه أن يقول : احكم بالحق .

وقال في قوله تعالى : (٢٤ : ٥٣ قل : لا تقسموا ، طاعة معروفة) قال : وقع لي فيها ثلاثة أوجه :

أحدها : أن المعنى : لا تقسموا واخرجوا من غير قسم ، فيكون المحرك لكم

إلى الخروج الأمر لا القسم ؛ فإن من خرج لأجل قسمه ليس كمن خرج لأمر ربه
والثانى : أن المعنى نحن نعلم ما فى قلوبكم ، وهل أتم على عزم الموافقة للرسول
فى الخروج ؟ فالقسم ههنا إعلام منكم لنا بما فى قلوبكم . وهذا يدل منكم على
أنكم ما علمتم أن الله يطلع على ما فى القلوب .

والثالث : أنكم ما أقسمتم إلا وأنتم تظنون أنا تهمكم ، ولولا أنكم فى محل
تهمة ماظنتم ذلك فيكم . وبهذا المعنى وقع المتنبي ، فقال :
وفى يمينك ما أنت واعدته مادل أنك فى الميعاد متهم

وسمعه يقول فى قوله تعالى : (٢٥ : ٥ أو يلقى إليه كنزاً أو تكون له جنة)
قال : العجب لجهلهم حين أرادوا أن يلقى إليه كنزاً أو تكون له جنة . ولو فهموا
علموا أن كل الكنوز له وجميع الدنيا ملكه . أو ليس قد قهر أرباب الكنوز ،
وحكم فى جميع الملوك ؟ وكان من تمام معجزته أن الأموال لم تفتح عليه فى
زمنه ؛ لثلا يقول قائل قد جرت العادة بأن إقامة الدول ، وقهر الأعداء بكثرة
الأموال ، فتمت المعجزة بالغلبة والتمه من غير مال ، ولا كثرة أعوان ، ثم فتحت
الدنيا على أصحابه ، ففرقوا ما جمعه الملوك بالشره ، فأخرجوه فيما خلق له ، ولم
يمسكوه إمساك الكافرين ، ليعلموا الناس بإخراج ذلك المال : أن لنا داراً سوى
هذه ، ومقراً غير هذا .

وكان من تمام المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم : أنه لما جاءهم بالهدى فلم
يقبل ، بيلّ السيف على الجاحد ، ليعلمه أن الذى ابتعثنى قاهر بالسيف بعد القهر
بالحجج .

ومما يقوى صدقه أن قيصر وكبار الملوك لم يوقفوا للإيمان به ؛ لثلا يقول
قائل : إنما ظهر لأن فلانا الملك تعصب له فتقوى به ، فبان أن أمره من السماء
لا بنصرة أهل الأرض .

وقال فى قوله تعالى : (٢٥ : ١٩ قد كذبوكم بما تقولون) قال : المعنى :

قد كذبكم أصنامكم بقولكم ؛ لأنكم ادعيتم أنها الآلهة وقد أقررتم أنها لا تنفع
فإقراركم يكذب دعواكم .

وقال في قوله تعالى : (٢٥ : ٢٠) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال : فهو يدل على فضل هداية الخلق
بالعلم ، ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم
كالطيب ، والطيب يكون عند المرضى ، فلو انقطع عنهم هلكتوا .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٢٧ : ١٩) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت عليّ وعلى والدي) قال : هذا من تمام برّ الوالدين . كأن هذا الولد خاف
أن يكون والداه قصرا في شكر الرب عز وجل ، فسأل الله أن يلهمه الشكر على
ما أنعم به عليه وعليهما ؛ ليقوم بما وجب عليهما من الشكر إن كانا قصرا .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٢٨ : ٨٠) وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ،
ثواب الله خير لمن آمن) قال : إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء ، فمن
كان هكذا فهو عالم . ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالم .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٢٨ : ٧١) من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا
تسمعون ؟) وفي الآية التي تليها (٢٨ : ٧٢) أفلا تبصرون) قال : إنما ذكر
السمع عند ذكر الليل والإبصار عند ذكر النهار ؛ لأن الإنسان يدرك سمعه في
الليل أكثر من إدراكه بالنهار ، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل
قال المبرد : سلطان السمع في الليل ، وسلطان البصر في النهار .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٣٥ : ٣) اذكروا نعمة الله عليكم : هل من
خالق غير الله ؟) قال : فطلبت الفكر في المناسبة بين ذكر النعمة وبين قوله تعالى :
(هل من خالق غير الله ؟) فرأيت أن كل نعمة ينالها العبد فالله خالقها ، فقد أنعم
بخلقه لتلك النعمة ، وبسوقها إلى المنعم عليه .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٣٥ : ٤٦) إنما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله

مثنى وفرادى) قال : المعنى : أن يكون قيامكم خالضا لله عز وجل ، لا لغلبة
خصوصكم ، فحينئذ تفوزون بالهدى .

وسمعه يقول في قوله تعالى: (٣٦ : ٢٠ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)
وفي الآية الأخرى (٢٨ : ٢٠ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) فرأيت
الفائدة في تقديم ذكر الرجل وتأخيره : أن ذكر الأوصاف قبل ذكر الموصوف
أبلغ في المدح من تقديم ذكره على وصفه ؛ . فإن الناس يقولون : الرئيس الأجل
فلان ، فنظرت فإذا الذي زيد في مدحه ، وهو صاحب يسن أمر بالمعروف ،
وأعان الرسل ، وصبر على القتل ، والآخرة إنما حذر موسى من القتل ، فسلم موسى
بقبوله مشورته . فالأول هو الأمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر ، والثاني هو
ناصرح الأمر بالمعروف . فاستحق الأول الزيادة . ثم تأملت ذكر أقصى المدينة ،
فإذا الرجلان جاء من بُعد في الأمر بالمعروف ، ولم يتقاعدا لبعد الطريق .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٣٦ : ٢٦ ، ٢٧ يا ليت قومي يعلمون . بما
غفر لي ربي) قال : المعنى : يا ليتهم يعلمون بأى شيء وقع غفرانه . والمعنى : أنه
' غفر لي بشيء يسير فعلته ، لا بأمر عظيم .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٤٤ : ٣٤ - ٣٦ إن هؤلاء ليقولون : إن هي
إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فاثقوا بأبائنا إن كنتم صادقين . أم خير أم قوم
تبع ؟) قال : ربما توهم جاهل أنهم لم يجابوا عما سألوا ، وليس كذلك ؛ فإن الذي
سألوا لا يصلح أن يكون دليلا على البعث ؛ لأنهم لو أجيبوا إلى ما سألوا لم يكن
ذلك حجة على من تقدم ، ولا على من تأخر ، ولم يزد على أن يكون لمن تقدم
وعدا ، ولن تأخر خبرا ، اللهم إلا أن يجيء لكل واحد أبوه ، فتصير هذه الدار
دار البعث . ثم لو جاز وقوع مثل هذه كان إحياء ملك يضرب به الأمثال أولى ،
كتبع ، لا أتم يا أهل مكة ، فإنكم لا تعرفون في بقاع الأرض .

وسمعه يقول في قوله تعالى : (٤٠ : ٧ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)

قال: علمت الملائكة أن الله عز وجل يحب عباده المؤمنين، ففقر بوا إليه بالشفاعة فيهم . وأحسن القرب أن يسأل المحب إكرام حبيبه ، فإنك لو سألت شخصا أن يزيد في إكرام ولده لارتفعت عنده ، حيث تحنه على إكرام محبوبه .

وسمعه يقول في قوله تعالى: (٥٦ : ٦٥ لو نشاء لجعلناه حطاما) ، (٥٦ : ٧٠ لو نشاء جعلناه أجاا) قال : تأملت دخول اللام وخروجها ، فرأيت المعنى : أن اللام تقع للاستقبال ، تقول : لأضربك ، أى فيما بعد ، لافى الحال . والمعنى (٥٦ : ٦٣ - ٦٥ أفرأيتم ما تحرثون ؟ أأنتم تزرعون أم نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعناه حطاما) أى : فى مستقبل الزمان إذا تم فاستحصد ، وذلك أشد العذاب ، لأنها حالة انتهاء تعب الزراع ، واجتماع الدين عليه ، لرجاء القضاء بعد الحصاد ، مع فراغ البيوت من الأقوات .

وأما فى الماء : فقال : (لو نشاء جعلناه أجاا) أى : الآن ؛ لأننا لو أخرنا ذلك لشرب العطشان ، وادخر منه الإنسان .

وسمعه يقول فى قوله تعالى : (٦٠ : ٥ ر بنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) قال : المعنى : لا تبتلينا بأمر يوجب افتتان الكفار بنا ، فإنه إذا خذل المتقى ونصر العاصى فتن الكافر ، وقال : لو كان مذهب هذا صحيحا ما غلب .

قال : وسمعه يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل رمضان سلسلت الشياطين » قال : إن الشياطين للعاصى فى غير رمضان كالعكار يقول : سؤل لى ، وغرنى . فإذا سلسل الشيطان قلّ عذر العاصى .

وسمعه يقول فى حديث عائشة رضى الله عنها « كان أكثر صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان » قال : ما أرى هذا إلا على وجه الرياضة ؛ لأن الإنسان إذا هجم بنفسه على أمر لم يتعوده صعب عليه ، فدرج نفسه بالصوم فى شعبان لأجل رمضان .

وسمعه يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بك من شر مالم أعمل » قال : له معنيان .

أحدهما : أن الإنسان يبلغه أن الرجل قد عمل الشر فيرضى به ، أو يتمنى أن يعمل مثله ، فهذا شر ما لم يعمل .

والثاني : أن الرجل قد لا يشرب الخمر ، فيعجب بنفسه كيف لا يشرب ، فيكون العجب بترك الذنب شر ما لم يعمل .

وذكر صاحب سيرة الوزير قال : سمعته يقول في قوله تعالى : (٢٠ : ١٧ ، ١٨) وما تلك بيمينك يا موسى ؟ قال : (هي عصاى) قال : فى حمل العصا عظة ؛ لأنها من شىء قد كان نامياً فقطع ، فكلمها رآها حاملها تذكر الموت .

قال : ومن هذا قيل لابن سيرين رحمه الله : رجل رأى فى المنام أنه يضرب بطبل ؟ فقال : هذه موعظة ؛ لأن الطبل من خشب قد كان نامياً فقطع ، ومن أغشية كانت جلود حيوان قد ذبح . وهذا أثر الموعظة .

وسمعه يقول فى قوله تعالى : (٢ : ١٠ فى قلوبهم مرض - الآية) قال : المريض يجد الطعوم على خلاف ما هى عليه ، فيرى الحامض حلواً ، والحلو مرراً . وكذلك هؤلاء يرون الحق باطلاً ، والباطل حقاً .

قال : وسمعت الوزير يقول : وقد قرئ عنده « أن رجلاً قال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم قال ذلك ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير . فقال صلى الله عليه وسلم رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها » . فطفقت والجماعة عندى أفكر فى معنى تخصيص هذا العدد من الملائكة ، فنظرت فإذا حروف هذه الكلمات بضع وثلاثون حرفاً إذا فكك المشدد ، ورأيت أنه من عظم ما قد ازدحمت الملائكة عليها ، بلغوا إلى فك المشدد ، فلم يحصل لكل ملك سوى حرف واحد ، فصعد به يتقرب بحمله .

وسمعه يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم : « وجدت على باب الجنة مكتوباً : تسدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر » فتدبرت هذا الحصر ، فإذا الفائدة : أن

الحسنة بعشر أمثالها ، فدرهم الصدقة لا يعود فيكتب به عشر مع ذهابه ، فيكون الحاصل به على الحقيقة تسعة ، والقرض يضاعف على الصدقة ، فيصير ثمانية عشر ؛ لأن تسعة وتسعة ثمانية عشر . والسبب في مضاعفته : أن الصدقة قد تقع في يد غير محتاج ، والقرض لا يقع إلا في يد محتاج .

وسمعه يقول في قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا شربتم فاستثروا » قال : هذا في الشرب خاصة . فأما الأكل فمن السنة : لعق القصعة والأصابع ، وإنما خص الشرب بذلك ؛ لأن التراب والأقذار ترسخ في أسفل الإناء ، فاستقصاء ذلك يوجب شرب ما يؤذي . قال : وكذلك السر في الأمر بالتنفس في الإناء ثلاثاً ؛ لأن التنفس يخرج كرب القلب ، وكدر البدن . فكره الشارع أن يعود في الماء فيؤذي الشارب وسمعه يقول في قوله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تدخل الجنة من أمتي وجوهمهم كالقمر ليلة البدر » قال : إنما لم يقل كالشمس ؛ لأن نور الشمس يؤثر في عيون الناظرين إليها ، فلا يتمكنون من النظر ، والجنة دار لذة وطيب عيش ، فلو أشبهت وجوهمهم نور الشمس لم يتمكن أحد منهم أن ينظر الآخر .

ومن كلامه في السنة : قال أبو الفرج بن الجوزي : سمعت الوزير يقول : تأويل الصفات أقرب إلى الحظ من إثباتها على وجه التشبيه ؛ فإن ذلك كفر . وهذا غاية البدعة .

قال وسمعه ينشد لنفسه :

لا قول عند آية التشابه للراسخين غير (آمنة به)

قال : وسمعه يقول : ما أنزل الله آية إلا والعلماء قد فسروها ، لكنه يكون للآية وجوه محتملات ، فلا يعلم ما المراد من تلك الوجوه المحتملات إلا الله عز وجل .

قال : وسمعه يقول في قوله تعالى : (٧٤ : ٢٥) إن هذا إلا قول البشر) قال : العرب لا تعرف ذا ولا هذا إلا في الإشارة إلى الحاضر . وإنما أشار هذا القائل إلى

هذا المسموع . فمن قال : إن المسموع عبارة عن القديم ، فقد قال : هذا قول البشر .

قال مصنف سيرته : كثيراً ما سمعته يقول : ليس مذهب أحمد إلا الاتباع فقط . فما قاله السلف قاله ، وما سكتوا عنه سكت عنه ؛ فإنه كان يكثر أن يقال : لفظي بالقرآن مخلوق ، أو غير مخلوق ، لأنه لم يقل . وكان يقول في آيات الصفات : تمر كما جاءت .

قال : وسمعته يقول : تفكرت في أخبار الصفات ، فرأيت الصحابة والتابعين سكتوا عن تفسيرها ، مع قوة علمهم ، فنظرت السبب في سكوتهم ، فإذا هو قوة الهيبة للموصوف ، ولأن تفسيرها لا يتأتى إلا بضرب الأمثال لله ، وقد قال عز وجل : (١٦ : ٧٤ فلا تضربوا لله الأمثال) قال : وكان يقول : لا يفسر على الحقيقة ولا على المجاز ؛ لأن حملها على الحقيقة تشبيه ، وعلى المجاز بدعة قال : وسمعته يقول : والله ما نترك أمير المؤمنين على بن أبي طالب مع الرافضة ؛ نحن أحق به منهم ، لأنه منا ونحن منه ، ولا نترك الشافعي مع الأشعرية ؛ فإننا أحق به منهم .

قال : وسمعته يقول : من مكابد الشيطان : تنفيره عباد الله من تدبر القرآن ؛ لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر ، فيقول : هذه مخاطرة ، حق يقول الإنسان : أنا لا أتكلم في القرآن تورعاً .

ومنها : أن يخرج جواب الفتن مخرج التشدد في الدين .

ومنها : أن يقيم أوثاناً في المعنى تعبد من دون الله ، مثل أن يبين الحق ، فيقول : ليس هذا مذهبنا ؛ تقليداً للمعظم عنده ، قد قدمه على الحق .

قال : وسمعته يقول لبعض الناس : لا يحمل والله أن تحسن الظن بمن يرفض ، ولا بمن يخالف الشرع في حال .

ومن كلامه في فنون ، قال ابن الجوزي : وسمعته يقول : يحصل العلم بثلاثة أشياء .

أحدها : العمل به ، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية ، دعاه ذلك إلى حفظ النحو . ومن سأل عن المشكلات ليعمل فيها بمقتضى الشرع تعلم .

والثانى : التعليم ، فإنه إذا علم الناس كان أدرى إلى تعليمه .

والثالث : التصنيف ، فإنه يخرج به إلى البحث ، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غور ذلك العلم الذى صنف فيه .

قال : وسمعت يقول : الحكمة فى اختصاص المرأة بالحيض : أنها تحمل الولد ، والولد مفتقر إلى الغذاء ، فلو شاركها فى غذائها ، لضعفت قواها ، ولكن جعلت له فضلا من فضلاتها ، إن حملت فهى قوته ، وإن لم تحمل اندفعت ، فإذا ولدت توفرت تلك الفضلة على اللبن .

قال : وسمعت يقول لبعض من يأمر بالمعروف : اجتهد أن تستر العصاة ؛ فإن ظهور معاصيهم عيب فى أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب .

وسمعت يقول : الأيام قد ذهبت ، والأعمار قد نهبت ، والنفوس باتباع الهوى قد التهبت ، وما يطلب منها شيء من الخير إلا أبت ، وبيوت التقوى من القلوب قد خربت .

وسمعت يقول : نظر العامل إلى عمله بعين الثقة به فى باب النجاة ، أضر على العصاة من تفریطهم . ، وقال : لولا الظلم الجائر ما حصلت الشهادة للشهيد ، ولولا أهل المعاصى ، ما بانت بلوى الصابر فى الأمر بالمعروف ، ولو كان المجرمون ضعفاء تقهروا ، فلم يحصل ذلك المعنى .

وكان يقول فى قوله تعالى : (٦ : ١٢٣) وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها) إنه على التقديم والتأخير ، أى : جعلنا مجرميها أكابر . وقال : البحر محيط بالأرض ، وخليجانه تتخلل الأرض . والرياح تهب على الماء ، وتمر على الأرض ، فيعتدل النسيم بالرطوبة . ولو كان ماء البحر عذبا لأنتن ؛ لكونه واقفاً ، فكانت الرياح إذا هبت عليه أوقعت الوباء فى الخلق ، ولكنه جعل مالحا ، ليحصل منه نفع الرطوبة ، ولا يقع به فساد .

قال : وسمعتَه يقول : احذروا مصارع العقول ، عند التيهاب الشهوات .
قال : وسمعتَه يقول : العجب ممن يخاصم الأقدار ولا يخاصم نفسه ، فيقول :
قضى علىّ ، وعاقبني ! ويحك ، قل لنا كيف تحب أن يكون الأمر ؟ أنتخار أن
تخلق أعمى لا تنظر إلى المستحسن ؟ قال : لا . قلنا : أفتحب أن تخلق معدوم
الحس ؟ قال : لا . قلنا : أنتخار أن ترد عن المعاصي قهراً ؟ قال : لا . قلنا : أفتؤثر
أن تطلق فيها من غير حجر ؟ فلا تغضب إذاً إن أطلق غيرك في أخواتك
وبناتك . فأما أن تغضب لذلك الفعل من غيرك في حرمك ، وتختار أن تفعله في
حُرْم غيرك فهذا في غاية الجور . فإذا جعل لك الطريق إلى مرادك بكلمة هي عقد
النكاح ، أو عوضت عما منعت عنه من جنسه . ووعدت الأجر على الصبر فهذا غاية
العدل . فإن زلت في معصية فقد جعل لك طريق النجاة بالتوبة .

قال : مصنف سيرة الوزير : سمعته يقول : قفلت في صحبة أمير المؤمنين
المقتدى من الكوفة بعد وداع الحاج ، فشاهدنا في الطريق برداً كبيراً قد وقع
أمامنا . وكان الجماعة يأكلون منه . فلم أستطبه على الريق فلما نزلنا الخيام وأمسينا
وحضر العشاء وأكلنا الطعام ذكرت ذلك البرد وودت أن لو كان الآن منه شيء
وأظن أني دعوت الله عز وجل أن يأتينا منه شيء ، فما كان إلا لحظة والسحاب
همل ، وإذا البرد فيه كثير . وشرع الغلمان وجمعوا منه شيئاً كثيراً ، وجاءوا به ،
فأكلت منه حتى تركته ، وحمدت الله عز وجل على إجابة الدعاء ، وإعطائه لما
خطر في النفس .

قال : وسمعتَه يقول : كنت جالساً في سطحٍ أصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم ، وعيناي مغمضتان ، فرأيت كاتباً يكتب في قرطاس أبيض بمداد أسود ،
ما أذكره ، وكما قلت : اللهم صل على محمد ، كتب الكاتب : اللهم صل على
محمد ، فقلت لنفسي : افتح عينك وانظر بها ، ففتحت عيني ، فخطف عن يميني
حتى نظرت بياض ثوبه ، وهو شديد البياض فيه صقالة .

قال: وسمته يقول: مرضت مرة مرضاً شديداً ، انتهى بي الأمر فيه إلى مقام رفعت فيه إلى أرض ذات ظل ممدود ، ورملة دمثة ، وهو أطيب مستلذ ، وبجانب تلك الرملة ماء على نحو دجلة لا أجراف له ، وأنا أناجى في سرى بما أراه من الله عز وجل ، وفيه عتاب لى على نظرى إلى الخلق وعملى لهم ، ونحو هذا . فشرعت فى الإنكار لذلك ، فأعدم جميع من فى الأرض ، بحيث لم يبق عندى أنه بقى فى الأرض غيرى ، فاستوحشت حينئذ من الحياة ، وودت الموت كل الوداد ، حتى كنت أقول : لو كان الشرع يبيح قتل النفس كان شيئاً طيباً ، ثم عرضت على أعمال الخير كلها ، فلم تخف على كما كانت تخفى على ، فوقر حينئذ فى نفسى أنك إنما كنت تريد الحياة معهم ، وأعمال الخير لتبلغهم ، ونحو هذا ، فاعترفت حينئذ بما كنت قد نكرت عليه ، ثم نوجيت أيضاً بما معناه : إنك قد تخاف من الأشياء ، وإن دواء ذلك كله أن تدخل فى الخوف منه بالإيمان بأن كل مخلوق لا يقدر إلا على ما يقدره الله عز وجل عليه لوقته ، أو نحو هذا .

قال : وسمته يقول : اتباع السنة سبب لكل خير ، فإنى صليت الفريضة يوماً فى مسجدنا ، ثم قلت : يستحب أن تصلى السنة فى غير موضع الفرض ومضيت إلى البيت فصيلتها ، ثم اشتاق قلبى إلى رؤية الله عز وجل ، فقلت : اللهم أرنى نفسك . ففمت تلك الليلة ، فرأيت عز وجل . وأنشد هذه الأبيات ، وقال : كان ابن سمعون كثيراً ما ينشدها :

ركبت بحار الحب جهلاً بقدرها وتلك بحار لا يفيق غريقها
وسرنا على ريح تدل عليكم فبانت قليلاً ثم غاب طريقها
إليكم بكم أرجو النجاة وما أرى لنفسى منها سائقاً فيسوقها

وذكر الوزير فى كتابه « الإفصاح » قال : الصحيح عندى : أن ليلة القدر تنتقل فى أفراد العشر ، فإنه حدثنى من أثق به أنه رآها فى ليلة سبع وعشرين . وحدثنى أمير المؤمنين المقتضى لأمر الله : أنه رآها . فأما أنا فكنت فى ليلة إحدى

وعشرين وكانت ليلة جمعة ، فواصلت انتظارها بذكر الله عز وجل ، ولم أنم تلك الليلة . فلما كان وقت السحر - وأنا قائم على قدمي - رأيت في السماء بابا مفتوحاً مر بعاً عن يمين القبلة ، قدرت أنه على حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبقى على حاله - وأنا أنظر إليه - نحو قراءة مائة آية ، ولم يزل ، حتى التفت عن يساري إلى المشرق لأنظر هل طلع الفجر ؟ فرأيت أول الفجر . فالتفت إلى ذلك الباب فرأيته قد ذهب . وكان ذلك مما صدق عندي ما رأيت . فالظاهر من ذلك : تنقلها في ليالي الأفراد في العشر . فإذا اتفقت ليالي الجمع في الأفراد فأجدر وأخلق بكونها فيها .

وكتاب « الإفصاح » فيه فوائد جلية غريبة .

وقال فيه : الخضر الذي لقيه موسى عليه السلام قيل : كان ملكاً . وقيل : كان بشراً . وهو الصحيح . ثم قيل : إنه عبد صالح ليس بنبي . وقيل : بل نبي . وهو الصحيح .

والصحيح عندنا : أنه حي ، وأنه يجوز أن يقف على باب أحد مستعظيماً له ، وغير ذلك ؛ لما حدثني محمد بن يحيى الزبيدي . وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر ، والاجتماع به .

وقال في حديث عمران بن حصين ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد علمت أن بعضكم خالجنها » . فيه دليل على أنه لا يقرأ للمأموم وراء الإمام . قال : وهذا محمول عندي على غير الفاتحة .

وقال : الحبس غير مشروع إلا في مواضع .
أحدها : إذا سرق فقطعت يمينه ، ثم سرق فقطعت رجله ، ثم سرق : حبس ولم يقطع ، في إحدى الروايتين .

الثاني : أمسك رجل رجلاً لآخر فقتله : حبس المسك حتى يموت ، في إحدى الروايتين أيضاً .

الثالث : ما يراه الإمام كفاً لفساد مفسد ؛ لقوله تعالى (٣٨ : ٣٨) وآخرين مقرنين في الأصفاد) وما يراه أبو حنيفة في قطاع الطريق ، فإنه يحبسهم حتى يتوبوا فأما الحبس على الدين فمن الأمور المحدثه . وأول من حبس فيه شريح القاضى وقضت السنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان : أنه لا يحبس على الدين ، ولكن يتلازم الحصان .

فأما الحبس الذى هو الآن فإنى لا أعرف أنه يجوز عند أحد من المسلمين . وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق عنهم ، غير متمكنين من الوضوء والصلاة ، ويتأذون بذلك بحره و برده . فهذا كله محدث . ولقد حرصت مراراً على فكه ، فحال دونه ما قد اعتاده الناس منه ، وأنا فى إزالته حريص والله الموفق . وقال فى حديث الزبير فى سراج الحرة : فيه جواز أن يكون السقى للأول ، ثم الذى بعده . إلا أن هذا فى النخل خاصة ، وما يجرى مجراه . وأما الزرع وما لا يصبر على العطش أكثر من جمعة ونحو ذلك : فإن الماء يتناصف فيه بالسوية ، كما قال تعالى (٥٤ : ٢٩) ونبثهم أن الماء قسمة بينهم) .

وقال فى سورة الضحى : لما توالى فيها قسمان ، وجوابان مثبتان ، وجوابان نافيان ، فالقسمان : (والضحى والليل إذا سجى) والجوابان النافيان : (ما ودعك ربك وما قلى) ، والجوابان المثبتان : (وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

ثم قرر بنعم ثلاث ، وأتبعهن بوصايا ثلاث : كل واحدة من الوصايا شكر النعمة التى قوبلت بها .

فأحدها : (ألم يجدهك يتيمًا فأوى ؟) وجوابها : (فأما اليتيم فلا تقهر) .
والثانية : (ووجدك ضالًا فهدى ؟) فقابلها بقوله : (وأما السائل فلا تنهر)
وهذا لأن السائل ضال يبنى الهدى .

والثالثة : (ووجدك عائلًا فأغنى ؟) فقابلها بقوله : (وأما بنعمة ربك فحدث)

وإنما قال : (وما قلى) ولم يقل : وما قلاك ؛ لأن القلى بغض بعد حب ، وذلك لا يجوز على الله تعالى . والمعنى : وما قلى أحداً قط ، ثم قال : (وللآخرة خير لك من الأولى) ولم يقل : خير على الإطلاق . وإنما المعنى خير لك ولمن آمن بك . وقوله : (فأوى) ولم يقل : فأواك ، لأنه أراد : آوى بك إلى يوم القيامة . وقال : أما كون صوم يوم عرفة بسنتين ففيه وجهان : أحدهما : لما كان يوم عرفة في شهر حرام بين شهرين حرامين : كفر سنة قبله وسنة بعده .

والثاني : إنما كان لهذه الأمة ، وقد وعدت في العمل بأجرين . قال تعالى : (٥٧ : ٢٨ يؤتكم كفلين من رحمته) .

أما عاشوراء : فقد كانت الأم قبل هذه الأمة تصومه ، ففضل ما خصت به هذه الأمة ، وإنما كفر عاشوراء السنة الماضية ؛ لأنه تبعها وجاء بعدها . والتكفير (بالصوم إنما يكون لما مضى لا لما يأتي . فأما يوم عرفة : فإنه يكفر السنة التي قد مضى أكثرها ، ويزيد لموضع فضله بتكفير ما يأتي .

وقال في حديث تفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد : لما كانت صلاة الفرد مفردة أشبهت العدد المفرد ، فلما جمعت مع غيرها أشبهت ضرب العدد . وكانت خمسا فضربت في خمس ، فصارت خمسا وعشرين ، وهي غاية ما يرتفع إليه ضرب الشيء في نفسه .

فأما رواية « سبع وعشرين » فإن صلاة المفرد وصلاة الإمام أدخلتا مع المضاعفة في الحساب .

وقد ذكر الوزير في كلامه على شرح حديث « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وهو الذي أفرد من كتابه « الإفصاح » فوائد غريبة .

فذكر في أول كلامه : أن اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة

محدثة ، فلا يقال : هذه مساجد أصحاب أحمد ، فيمنع منها أصحاب الشافعي ،
ولا بالعكس ؛ فإن هذا من البدع . وقد قال تعالى في المسجد الحرام : (٢٢ : ٢٥)
سواء العاكف فيه والباد) وهو أفضل المساجد .

وأما المدارس فلم يقل فيها ذلك ، بل قال : لا ينبغي أن يضيق في الاشتراط
على المسلمين فيها ، فإن المسلمين فيها إخوة ، وهي مساجد تبنى لله تعالى ، فينبغي
أن يكون في اشتراطها ما يقع لعباد الله ، فإن امتنعت من دخول مدرسة شرط فيها
شروط لم أجد لها عندي ، ولعل منعت بذلك أن أسأل عن مسألة أحتاج إليها ،
أو أفيد أو أستفيد .

وحكى في مسائل الخلاف رواية عن أحمد : أنه لا يشترط في المسح على
العمامة ولا بحوائل الرأس خاصة لبسها على طهارة . وهذه غريبة جداً ، لا أعلم
أحداً من الأصحاب حكاه غيره .

واختار فيه : استحباب الجمع بين الاستفتاح : « وجهت وجهي » و « سبحانك
اللهم وبحمدك » .

واختار : أنه يستحب أن يزداد في التشهد الأول : اللهم صلى على محمد .
واختار : استحباب التكبير ثلاثاً في أول تكبير العيدين ، وأيام التشريق .
وذكر : أن الفصاد يفطر الصائم كالحجامة ، وأنه مذهب أحمد .
وكان الوزير رحمه الله تعالى أديباً بارعاً ، فصيحاً مفوهاً . وقد أورد له مصنف
سيرته من رسائله إلى الخلفاء والملوك ، والكتب الذي أنشأها بأفصح العبارات ،
وأجزل الألفاظ ما لا يتسع هذا المكان لذكره .

وله شعر كثير حسن في الزهد وغيره .

فما أنشده ابن الجوزي عنه :

يا أيها الناس إني ناصح لكم فعوا كلامي ؛ فإنني ذو تجاريب
لا تلهينكم الدنيا بزهرتها فما تدوم على حسن ولا طيب

قال : وأنشدنا لنفسه :

يلذ بهذا العيش من ليس يعقل ويزهّد فيه الألعى المحصل
وما عجب نفس أن ترى الرأى إنما العجيبة نفس مقتضى الرأى تفعل
إلى الله أشكو همة دنيوية ترى النص إلا أنها تتأول
ينهنها موت النيه فترعوى ويخدعها روح الحياة فتغفل
وفى كل جزء ينقضى من زمانها من الجسم جزء مثله يتحلل
فنفس الفتى فى سهوها وهى تنقضى

وجسم الفتى فى شغله وهو يعمل

قال : وأنشدنا لنفسه :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع
قال : وأنشدنا لنفسه :

الحمد لله هذا العين لا الأثر فما الذى باتباع الحق ينتظر
وقت يفوت وأشغال معوقة وضعف عزم ، ودار شأنها الغير
والناس ركضاً إلى مهوى مصارعهم وليس عندهم من ركضهم خبر
تسعى بهم خادعات من سلامتهم فيبلغون إلى المهوى وما شعروا
والجهل أصل فساد الناس كلهم والجهل أصل عليه يخلق البشر
وإنما العلم عن ذى الرشد يطرحه كما عن الطفل يوماً يطرح السرر
وأصعب الداء داء لا يحس به كالذق يضعف حساً وهو يستعر
وإنما لم يحس المرء موقعها لأن أجزاءه قد عمها الضرر

وقال صاحب سيرته : سمعته يقول : لولا عموم فقراء الناس ما استغنوا ؛ فإن

الإنسان لما افتقر احتال ، فسافر لجلب الثياب والمطاعم والأدوية والخطب ، وغير ذلك ، فانتفع بذلك المقيم فلو أن الناس استغنوا عن الكسب لافتقروا ، لكنهم لما افتقروا تم الفناء .

قال : وأنشدنا لنفسه في المعنى . وقد أنشدها ابن الجوزي عنه أيضا .

جسوم لا يلائمها البقاء
وكون الشيء لا ينفك يفنى
نكب على التكاثر وهو فقر
ونجزع للشدائد وهي نصح
تنافى الناس فانتفوا اضطرارا
وعم الفقر فاستغنوا ، ولولا
قال : وأنشدنا لنفسه :

يلد بذى الدنيا الغنيّ ويطرب
وما عرف الأيام والناس عاقل
إلى الله أشكو همة لعبت بها
فواعجبا من عاقل يعرف الدنا
قال : وأنشدنا لنفسه - مما قاله قديما - :

كل من جاء بدين غريب
وإذا عالم تكلف في القول
قال : وأنشدنا لنفسه :

مالنا قط غير ماشرع الله به
فتمسك بالشرع واعلم بأن الـ
وما يذكر من شعر الوزير رحمه الله :

تمسك بتقوى الله ؛ فالمرء لا يبق
ولا تظلمن الناس ما في يديهم
تعود فعال الخير جمعا فكلما
وذكر ياقوت الحموي في كتابه «معجم الأدباء» بإسناده : أن الوزير عرضت

عليه جارية فائقة الحسن ، وظهر له في المجلس من أدبها وحسن كتابتها وذكائها وظرفها ما أعجبه ، فأمر فاشترت له بمائة وخمسين ديناراً ، وأمر أن يهبها لها منزل وجارية ، وأن يحمل لها من الفرش والآنية والثياب وجميع ما تحتاج إليه ، ثم بعد ثلاثة أيام جاءه الذي باعها ، وشكى إليه ألم فراقها ، فضحك ، وقال له : لعلك تريد ارتجاع الجارية ؟ قال : إى والله يامولانا ، وهذا الثمن بحاله ، لم أتصرف فيه وأبرزه ، فقال له الوزير : ولا نحن تصرفنا في الثمن ، ثم قال للخادمة : ادفع إليه الجارية وما عليها ، وجميع ما في حجرتها ، ودفع إليه الخرقه التي فيها الثمن ، وقال : استعينا به على شأنكما ، فأكثرنا من الدعاء له ، وأخذها وخرج .

وحكى عن الوزير : أنه كان إذا مدّ السماط فأكثر ما يحضره الفقراء والعميان ، فلما كان ذات يوم وأكل الناس وخرجوا بقي رجل ضرير يبكى ، ويقول : سرقوا مداسى ومالى غيره ، والله ما أقدر على ثمن مداس ، وما بى إلا أن أمشى حافياً وأصلى ، فقام الوزير من مجلسه ، ولبس مداسه وجاء إلى الضرير ، فوقف عنده وخلع مداسه والضرير لا يعرفه ، وقال له : البس هذا وأبصره على قدر جلك ، فلبسه ، وقال : نعم ، لا إله إلا الله كأنه مداسى . ومضى الضرير ، ورجع الوزير إلى مجلسه ، وهو يقول : سلمت منه أن يقول : أنت سرقته .

وأخبار الوزير رحمه الله ومناقبه كثيرة جداً . وقد مدحه الشعراء فأكثروا . وقيل : إنه رزق من الشعراء ما لم يرزقه أحد ، ومن أكابره : الحيص بيص وابن بختيار الأبله ، وابن التعاويذى ، والعماد الكاتب ، وأبو على بن أبى قيراط ومنصور النيرى ، وخلق كثير . حتى قيل : إنه جمعت من مدائمه ما يزيد على مائتى ألف قصيدة في مجلدات . فلما بيعت كتبه بعد موته اشتراها بعض الأعداء . ففلسها .

ومن قول الحيص بيص في مدحه رحمه الله تعالى :

يقبل عزب الرزايا وهي باسلة
ويشهد الهول بساماً وقد دمعت
ويتقى مثل ما ترجى فواضله
عاري من العار كاسٍ من مناقبه
سهل المكارم صعب في حفيظته
قالى الدنيا وصبوان العلى كلف
الملك يحيى لذي قول ومعتك
يمضى الأسنة والأقوال ماضية
جواد مجد له في فخره شبه
يصيد وحش المعالي وهي نافرة

وما أنشده أبو الفتح بن الأديب في أول يوم جلس فيه الوزير وقرىء عهده :
إذا قلت : ليث فهو أمضى عزيمة
من القوم ما أبقوا سوى حسن ذكركم
وصية موروث إلى خير وارث
سيحيهم يحيى وما غاب غائب
مناقب تحصى دونها عدد الحصى
ليهن أمير المؤمنين اعتضاده
هو المقتنى أمر الإله وإنه
تمنى وزيراً صالحاً يكتفى به
دعا زكريا النبي كما دعا
فخص بيحيى بعدما خص بعده
وهي طويلة .

وإن قلت : غيث فهو أندى وأجود
وما عمروه بالجميل وشيدوا
إذا سيد منهم خلا قام سيد
إليه أحاديث المكارم تسند
بها يقبض الحر الكريم ويحسد
برأيك والآراء تهدي وترشد
ليصدر عن أمر الإله ويورد
وأفكاره في مثله تتردد
إمام الهدى ، والأمر بالأمر يعضد
بيحيى أمير المؤمنين محمد

ومن قصيدة لأبي علي بن الفلاس الشاعر أولها :

الحب يهجر والطيوف تزور وكأنما أصل الصبابة زور
ظلت الملوك وقصروا عن غاية ما نالها كسرى ولا سابور
وعدلت حتى لم تدع من ظالم يده على المستضعفين تجور
فالأرض مشرقة بمدلك والندى وصباح عدلك ماله ديجور
قد روضت بالمكرمات كأنما كل البلاد خوريق وسدير
ولنصر النميري :

أعلقت من يحيى رجائي لمن تحتمكم الآمال في وفرة
وكان عون الدين أحرى الورى بنصرة الحر على دهره
وزير صدق عم إحسانه فأجمع الناس على شكره
أبهة الملك على وجهه وخشية الرحمن في سره
يربى على الغيث ندى كفه ونائل المرء على قدره

قال ابن الجوزى : كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ، ويندم على

ما دخل فيه . ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة ، ويتعرض بأسبابها .

وكان الوزير ليس به قلبية في يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ستين

وخمسة ، ونام ليلة الأحد في عافية ، فلما كان وقت السحرقاء ، فحضر طبيب

كان يخدمه ، فسقاه شيئاً ، فيقال : إنه سمه فمات ، وسقى الطبيب بعده بنحو ستة

أشهر سما ، فكان يقول : سقيت كما سقيت ، فمات .

قال : وكنت في تلك الليلة رأيت في النوم مع انشقاق الفجر والوزير كأنه في

داره ، ودخل رجل بيده حربة فضربه بها ، فخرج الدم كالقوار فضرب الحائط ،

ورأيت هناك خاتماً من ذهب ملقى . فلما استيقظت أخبرت من معي بالحديث ،

فما استتمته حتى جاء الخبر بموت الوزير ، ونفذ إلى من داره ، فحضرت وأمرني

ولداه أن أغساه فغسلته ، فرفعت يده ليدخل الماء في مغابنه ، فسقط الخاتم من يده

خيث رأيت ذلك الخاتم ، فتعجبت من وجهه ، ورأيت في وقت غسله آثاراً بوجهه وجسده ، تدل على أنه مسموم ، وحملت جنازته يوم الأحد إلى جامع القصر ، وصلى عليه ، ثم حمل إلى مدرسته التي أنشأها بباب البصرة ، فدفن بها . وغلقت يومئذ أسواق بغداد . وخرج جمع لم نره لخلق قط في الأسواق ، وعلى السطوح وشاطئ دجلة ، وكثر البكاء عليه ؛ لما كان يفعله من البر ، ويظهره من العدل .

وذكر مصنف سيرته : أنه كان ثار به بلغم وهو في قصره بالخالص ، ثم خرج مع المستنجد للصيد ، فسقى مسهلاً لأجل البلغم ، فاستأذن الخليفة في الدخول إلى بغداد للتداوى ، فأذن له ، فدخل يوم الجمعة في موكب عظيم . وصلى الجمعة وحضر الناس عنده يوم السبت . فلما كان وقت صلاة الصبح يوم الأحد عاوده البلغم ، فوقع مغشياً عليه ، فصرخ الجوار ، فأفاق فسكتهن : وقيل : له إن أستاذ الدار ابن رئيس الرؤساء ، قد بعث جماعة ليستعلم ما هذا الصياح ؟ فتبسم الوزير على ما هو عليه من تلك الحال ، وأنشد متمثلاً :

وكم شامت بي عند موتي جاهل بظلم يسل السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله من الضرّ بعدى مات قبل مماتي
قلت : وكذا وقع ، فإن البليدى الذى تولى الوزارة بعده لم يبق من الأذى
لبيت رئيس الرؤساء ممكنا .

قال : ثم تناول مشروباً فاستفرغ به ، ثم استدعى بماء فتوضأ للصلاة ، وصلى قاعداً ، فسجد فأبطأ عن القعود من السجود ، فحركه فإذا هو ميت . رحمه الله
ورثاه جماعة من شعرائه - منهم : النميرى - بقصائد . منها قوله :

ألم على جدث حوى تاج الملوك وقل : سلام
واعقر سويد الضمير ، فليس يقنعنى السوام
وتوق أن يثنى حياً دمع عينيك أو ملام
إن التماسك والوقار بمن أصيب به حرام

فإذا ارتوت تلك الجنادل من دموعك والرغام
فأقم صدور اليعملات فبعد يحبي لامقام
ذهب الذي كانت تقيدني مواهبه الجسام
وإذا نظرت إليه لم يخطر على قلبي السام
غاض الثدي الفياض عن راحتيه واشتد الأوام
وتفرقت تلك الجموع وقوضت تلك الخيام
ولقد عهدت أبا المظفر ذا علا لا يستضام
يثب القعود إذا بدا ويقبل الأرض القيام
ماللنفوس من الحمام إذا ألم بها اعتصام
عجباً لمن يغتر بالدنيا وليس لها دوام
عقبى مسرتها الأسمى ، وعقيب صحتها السقام
انظر إلى أبواب عون الدين يعملوها القتام
وكان عون الدين لم يك للزمان به ابتسام
لله ما عدمت به الدنيا وما حوت الرجام
لاغرو أن أدمى الجفون لفقذك الدمع الجسام
إن المكارم بعد موتك ما لفرقتها التثام
ما مت وحدك يوم مت ، وإنما مات الأنام
حيك رقراق النسيم وجاد مثواك الغمام
بأبي لك الإحسان إن أنساك والشيم الكرام
و ببعض حقلك إن حزني فيك ليس له انصرام

وأنشد بعض الشعراء يوم موته :

مات يحبي ولم نجد بعد يحبي ملكا ماجدا به يستعان
وإذا مات من زمان كريم مثل يحبي به يموت الزمان

قال مصنف سيرته : حدثني أبو حامد أحمد بن عيسى الفقيه الحنبلي ابن الشيخ الصالح أبو عبد الله بن زفر ، قال : رأيت في المنام - وأنا بأرض جزيرة ابن عمر - كأن جماعة من الملائكة يقولون لي : قد مات في هذه الليلة ببغداد ولي من أولياء الله تعالى فاستيقظت منزعباً ، فحدثت بالتمام الجماعة الذين كانوا معي ، وأرخنا تلك الليلة فلما قدمت بغداد سألت : من مات في تلك الليلة ؟ فقيل لي : مات بها الوزير عون الدين بن هبيرة .

قال : وحدثني الشيخ الصالح محمود بن النعالى المقرئ الزاهد ، قال : كنت دائماً إذا ذكرت الوزير عون الدين بن هبيرة أقول : اللهم هبه ، واستوهب له . قال : ومضى على ذلك زمان ، فرأيت في النوم كأنني قد دخلت إلى مدرسته لزيارة قبره ، وإذا هو نائم على القبر ، فقال : يا محمود ، إن الله وهنى واستوهب لي . وحدثني الوزير أبو شجاع محمد بن الوزير أبي منصور محمد ابن الوزير أبي شجاع محمد ، قال : كنت كثير الوقوع في الوزير ابن هبيرة ، فرأيت في المنام في بستان لم أر له في الدنيا شبيهاً ، ومعه ملك يجني له من ثماره ، ويترك في فيه ، فهمت بدخول البستان ، فصاح الملك عليّ ، وقال : هذا البستان قد وهبه الله تعالى لهذا بعد أن غفر له ، فلا سبيل لأحد أن يدخله إلا بإذنه . فاستيقظت مرعوباً ، وتبت إلى الله عز وجل من ذكره ، إلا بالرحمة عليه ، والاستغفار له .

قال : وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الواحد المقرئ قال : رأيت الوزير ابن هبيرة في النوم ، فسألته عن حاله ؟ فأجابني بهذين البيتين :
قد سألنا عن حالنا فأجبنا بعد ما حال حالنا وحجبنا
فوجدنا مضاعفاً ما كسبنا ووجدنا محصاً ما اكتسبنا

وهذه الأبيات رواها ابن النجار عن ابن الديلمي عن أبي شجاع محمد بن علي المؤدب ، قال : سمعت أبا القاسم السلاحي ، قال رأيت الوزير في النوم فذكرها . قال صاحب سيرته : ولو استقصيت ما ذكر له من المنامات الصالحة لجمت بمفردها كتاباً ضخماً .

أخبرنا أبو المعالي محمد بن عبد الرازق بن أحمد الشيباني الزاهد - بقراتي عليه
ببغداد سنة تسع وأربعين وسبعمائة - أخبرنا الحافظ أبو عبد الله أحمد بن محمد
الأنجب بن الكسار - سماعا - أخبرنا العلامة أستاذ دار الخلافة أبو محمد يوسف
ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي ، أخبرنا أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو محمد
عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بن الناصر ، أخبرنا أبو علي
الحسن بن المبارك الزبيدي وأخبرناه - عاليا - أبو الفتح محمد بن محمد بن
إبراهيم المصري بها ، أخبرنا سفير الخلافة أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم ، أخبرنا
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحافظ قالا : أخبرنا الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد
ابن هبيرة قال : قرأت على الإمام المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد
ابن المستظهر بالله بن المقتدى ، قلت له : حدثكم أبو البركات أحمد بن عبد الله
الشيبي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الصيرفي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن
المخلص ، حدثنا إسماعيل بن العباس الوراق ، حدثنا حفص بن عمرو الربالي ، أخبرنا
المبارك بن سحيم ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحاً ، ولا تقوم
الساعة إلا على شرار الناس » . وفي هذا الإسناد سلسلة عجيبة بالخلفاء والملوك .

١٢٢ - عبد الله بن عمر بن الحسين بن الهاطر الوزان العطار ، الأزجي ،

أبو العمر .

كان اسمه خريفة ، فغير وسار يكتب عبد الله .

قرأ القرآن بالروايات على أبي الخطاب بن الجراح ، وغيره .

وسمع الحديث من أبي الفضل بن خيرون ، وأبي الحسن بن أيوب ،

وأبي عبد الله بن طلحة بن البطر ، وأبي القاسم الربيعي ، وغيرهم . وتفقه على

أبي الخطاب الكلوذاني ، وحدث .

روى عنه أبو حفص السهروردي في مشيخته ، وغيره .

قال الشريف أبو الحسن الزبيدي الحافظ : كان محباً للرواية صحيح السماع .
قال : وتوفي يوم الإثنين ثامن عشر رجب سنة ستين وخمسمائة ، وصلى عليه
الشيخ عبد القادر من الغد بمدرسته . ودفن بباب حرب .
وكذا أرخه القطيعي في تاريخه .

ووقع في مشيخة السهروردي : أنه توفي يوم الأربعاء تاسع عشر رجب .

١٣٣ - إسماعيل بن أبي طاهر بن الزبير الجيلي ، الفقيه ، أبو المحاسن .

حدث بيسير عن أبي الحسن علي بن سعد الخباز ، وهو حى .

سمع منه بعض الطلبة في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

١٣٤ - عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكى دوست بن أبي عبد الله

ابن عبد الله الجيلي ، ثم البغدادي ، الزاهد .

شيخ العصر ، وقدوة العارفين ، وسلطان المشايخ ، وسيد أهل الطريقة في
وقته ، محي الدين أبو محمد ، صاحب المقامات والكرامات ، والعلوم والمعارف ،
والأحوال المشهورة .

وبعض الناس يذكرون نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فيزيد بعد

أبي عبد الله : ابن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موبى

الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

ولد سنة تسعين وأربعمائة - أو سنة إحدى وتسعين^(١) - بكيلان .

وفد بغداد شاباً ، فسمع بها الحديث من أبي غالب بن الباقلائي ، وجعفر

السراج وأبي بكر بن سوسن ، وابن بيان ، وأبي طالب بن يوسف ، وابن خشيش

وأبي الزيني ، وتفقه على القاضي أبي سعد الخراساني وأبي الخطاب الكلوزاني .

وقيل : إنه قرأ أيضاً على ابن عقيل ، والقاضي أبي الحسين ، وبرع في المذهب

والخلاف والأصول ، وغير ذلك

(١) في خطية الإدارة الثقافية أنه « ولد سنة سبعين وأربعمائة - أو سنة إحدى

وقرأ الأدب على زكريا التبريزي . وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد، ودرس
بمدرسة شيخه الحرمي ، وأقام بها إلى أن مات ، ودفن بها .
قال ابن الجوزي : كانت هذه المدرسة لطيفة ، ففوضت إلى عبد القادر ، فتكلم
على الناس بلسان الوعظ ، وظهر له صيت بالزهد . وكان له سمت وصمت ، وضاعت
المدرسة بالناس .

وكان يجلس عند سور بغداد مستنذا إلى الرباط ، ويتوب عنده في المجلس
خلق كثير ، فعمرت المدرسة ووسعت ، وتعصبت في ذلك العوام . وأقام في
مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفي .

وذكره ابن السمعاني فقال : إمام الحنابلة وشيخهم في عصره ، فقيه صالح ،
دين خير ، كثير الذكر ، دائم الفكر . سريع الدمعة . كتبت عنه . وكان يسكن
بباب الأزج في المدرسة التي بنوا له .

وسمعت أبا الحسين بن التبان الفقيه البغدادي يقول : إن مدرسة عبد القادر
كانت للقاضي الحرمي ، فلما فوضت إلى عبد القادر أراد أن يوسعها ويعمرها .
فكان الرجال والنساء يأتونه بشيء فشيء إلى أن عمرها ، فاتفق أن امرأة مسكينة
جاءت بزوجها ، وكان زوجها من الفعلة الروزجارية ، وقالت لعبد القادر : هذا
زوجي ، ولى عليه من المهر قدر عشرين ديناراً ، ووهبت له النصف بشرط أن
يعمل في مدرستك بالنصف الباقي ، وقد تراضينا على هذا . فقبل الزوج ذلك
وأحضرت المرأة الخط وسلمته إلى عبد القادر . فكان يستعمل الزوج في المدرسة ،
وكان يعطيه يوماً الأجرة ، ويوماً لا يعطيه ؛ لعلمه بأن الرجل محتاج فقير ،
ولا يملك شيئاً ، إلى أن علم أن الزوج عمل بخمسة دنائير ، فأخرج عبد القادر الخط ،
ودفعه إلى الزوج ، وقال : أنت في حل من الباقي .

قلت : ظهر الشيخ عبد القادر للناس ، وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسة
وحطل له القبول التام من الناس ، واعتقدوا ديانته وصلاحه ، وانتفعوا به وبكلامه

ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته
وهابه الملوك فمن دونهم .

قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى : لم أسمع عن أحد يحكى عنه من
الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر ، ولا رأيت أحدا يعظم من
أجل الدين أكثر منه .

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية : أنه لم تتواتر كرامات
أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر ، فإن كراماته نقلت بالتواتر .

قرأت بخط الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلى الدمشقى قال :
حكى شيخنا أبو الحسن بن غريبة الفقيه : أن الوزير ابن هبيرة رحمه الله ، قال له
الخليفة - يريد : المقتفى لأمر الله - قد شكى من الشيخ عبد القادر، وقال : إنه
يستخف بى ، ويذكرنى . وله نخلة فى رباطه ، يتكلم ويقول : يا نخيلة لا تعدى
أقطع رأسك ، وإنما يشير إلى . تمضى إليه وتقول له فى خلوة : ما يحسن بك أن
تعرض بالإمام أصلا وأنت تعرف حرمة الخلافة .

قال الشيخ أبو الحسن فذهبت إليه ، فوجدت بحنده جماعة ، فجلست أنتظر
منه خلوة ، فسمعت يتحدث ، ويقول فى أثناء كلامه : نعم . أقطع رأسها ، فعلمت
أن الإشارة إلى ، قمت وذهبت ، فقال لي الوزير : بلغت ، فأعدت عليه ماجرى ،
فبكى الوزير ، وقال : لا شك فى صلاح الشيخ عبد القادر .

وقرأت بخط ابن الحنبلى أيضاً : أن خاله أبا الحسن بن نجا الواعظ اجتمع بالشيخ
عبد القادر ، وكان يحكى عنه . قال : سبقت يوم العيد إلى المصلى إلى المكان
الذى يصلى فيه الشيخ عبد القادر . قال : فجاء الشيخ عبد القادر ، ومعه خلق
كثير ، والناس يقبلون يده ، فصلى ركعتين قبل الصلاة . فقلت ، فى نفسى :
ما هذه الصلاة ؟ فمن السنة أن لا يتنفل قبلها . قال : فلما سلم التفت إلى
وقال : لها سبب .

ونقلت من خط الإمام صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى .
قال : قرأت بخط الإمام أبى أحمد عبد الصمد بن أحمد بن أبى الجيش . قال :
حدثنى أحمد بن مطيع الباجسرائى . قال : كنت أجيء من مدرسة الوزير
ابن هبيرة من باب البصرة إلى الشيخ عبد القادر ، فجلست فى بعض الأيام ، وهو
كأنه ضجران ، فاتهرنى . وقال : قم ، فمضيت ، فبينما أنا فى بعض الطريق
أنفذ خلفى ، فجلست . فقال : لما حررت عليك ، ومشيت نمت ، فرأيت النبى صلى الله
عليه وسلم ، فقال : أنت معلم الخير لا تضجر . أنت معلم الخير لا تضجر . أنت
معلم الخير لا تضجر - ثلاث مرات - قال : ثم أخذ على ، وأقرأنى .
وكان الشيخ عبد القادر ، رحمه الله فى عصره معظماً ، يعظمه أكثر مشايخ
الوقت من العلماء والزهاد . وله مناقب وكرامات كثيرة .

ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفى المصرى ، فى أخبار الشيخ
عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات ، وكتب فيها الطم والرم ، وكفى بالمرء كذبا
أن يحدث بكل ما سمع .

وقد رأيت بعض هذا الكتاب ، ولا يطيب على قلبى أن أعتمد على شىء
مما فيه ، فأنتقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب ، وذلك
لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين ، وفيه من الشطح ، والطامات ،
والدعاوى ، والكلام الباطل ، ما لا يحصى ، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ
عبد القادر رحمه الله .

ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوى قد ذكر : أن الشطنوفى نفسه كان متهما
فما يحكيه فى هذا الكتاب بعينه .

ومن أحسن ما فى هذا الكتاب : ما ذكره المصنف عن قاضى القضاة أبى عبد الله
محمد بن الشيخ العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسى ، قال : سمعت شيخنا
الشيخ موفق الدين بن قدامة يقول : دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة

فإذا الشيخ عبد القادر من انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً ومالاً واستفتاءً وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره؛ من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصب على المشتغلين، وسعة الصدر. وكان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله.

وذكر فيه أيضاً بإسناده عن موسى بن الشيخ عبد القادر، وقال سمعت :
والذي يقول : خرجت في بعض سياحاتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماء ،
فاشدد بي العطش فأظلمتني سحابة ، ونزل عليّ منها شيء يشبه الندى . فترويت
به . ثم رأيت نورا أضواء به الأفق ، وبدت لي صورة ، ونوديت منها : يا عبد القادر
أنا ربك ، وقد أحللت لك المحرمات - أو قال : ما حرمت على غيرك - فقلت :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . احسأ يا لعين ، فإذا ذلك النور ظلام ، وتلك
الصورة دخان ، ثم خاطبني ، وقال : يا عبد القادر ، نجوت مني بعلمك بحكم ربك
وقهرك في أحوال منازلاتك . ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل
الطريق . فقلت : لربي الفضل والمنة . قال : فقيل له : كيف علمت أنه شيطان .
قال : بقوله : وقد أحللت لك المحرمات . وهذه الحكاية مشهورة عن الشيخ
عبد القادر ، فليس الاعتماد فيها على نقل مصنف هذا الكتاب .

وذكر في هذا الكتاب أيضاً من طريق نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر
عن أبيه ، قال : جاءت فتية من العجم إلى بغداد ، بعد أن عرضت على علماء
العراقيين ، فلم يتضح لأحد فيها جواب شاف .

وصورتها : ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث : أنه
لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها .
فما يفعل من العبادات ؟

قال : فأتى بها إلى والدي ، فكتب عليها على الفور : يأتي مكة ، ويخلى له
المطاف ، ويطوف أسبوعاً وحده ، وتنحل يمينه . قال : فما بات المستفتى ببغداد .

فأما الحكاية المعروفة عن الشيخ عبد القادر أنه قال : قدمى هذه على رقة كل ولى لله ، فقد ساقها هذا المصنف عنه من طرق متعددة .
وأحسن ما قيل فى هذا الكلام : ما ذكره الشيخ أبو حفص السهروردى فى عوارفه : أنه من شطحات الشيوخ التى لا يقتدى بهم فيها ، ولا يقدر فى مقاماتهم ومنازلهم ، فكل أحد يؤخذ عليه من كلامه ويترك ، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ومن ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول ، وطالبهم بطرائقهم ، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصرى وأصحابه مثلاً من العلم العظيم ، والعمل العظيم ، والورع العظيم ، والزهد العظيم ، مع كمال الخوف والخشية ، وإظهار الذل والحزن ، والانكسار ، والازدراء على النفس ، وكتان الأحوال والمعارف ، والمحبة والشوق وبحو ذلك - فلا ريب أنه يزدرى المتأخرين ، ويمقتهم ، ويهضم حقوقهم . فالأولى تنزيل الناس منازلهم ، وتوفيتهم حقوقهم ، ومعرفة مقاديرهم ، وإقامة معاذيرهم . وقد جعل الله لكل شىء قدراً .

ولما كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزى عظيم الخبرة بأحوال السلف ، والصدر الأول ، قل من كان فى زمانه يساويه فى معرفة ذلك . وكان له أيضاً حظ من ذوق أحوالهم ، وقسط من مشاركتهم فى معارفهم . كان لا يعذر المشايخ المتأخرين فى طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين ، ويشتم إنكاره عليهم .

وقد قيل : إنه صنف كتاباً ، ينقم فيه على الشيخ عبد القادر أشياء كثيرة ، ولكن قد قل فى هذا الزمان من له الخبرة التامة بأحوال الصدر الأول ، والتمييز بين صحيح ما يذكر عنهم من سقيمه .

فأما من له مشاركة لهم فى أذواقهم ، فهو نادر النادر . وإنما يلهج أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين ، ولا يميزون بين ما يصح عنهم من ذلك من غيره ، فصاوا ويخبطون خبط عشواء فى ظلمات . والله المستعان .

وللشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كلام حسن في التوحيد ، والصفات والقدر ،
وفي علوم المعرفة موافق للسنة .

وله كتاب « الغنية لطالبي طريق الحق » وهو معروف ، وله كتاب « فتوح
الغيب » وجمع أصحابه من مجالسه في الوعظ كثيراً . وكان متمسكا في مسائل
الصفات ، والقدر ، ونحوهما بالسنة ، بالغاً في الرد على من خالفها .

قال في كتابه « الغنية » المشهور : وهو بجهة العلو ، مستو على العرش ، محتو
على الملك ، محيط علمه بالأشياء (١٠ : ٣٥) إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه) ، (٥ : ٣٢) يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم كان
مقداره ألف سنة مما تعدون) ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال :
إنه في السماء على العرش ، كما قال (٥ : ٢٠) الرحمن على العرش استوى) وذكر
آيات وأحاديث ، إلى أن قال : وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ،
وأنه استواء الذات على العرش .

قال : وكونه على العرش مذکور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ،
بلا كيف . وذكر كلاماً طويلاً ، وذكر نحو هذا في سائر الصفات .

وذكر الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى ، الشاعر المشهور ، عن
شيخه العارف على بن إدريس : أنه سأل الشيخ عبد القادر ، فقال : ياسيدى ،
هل كان لله ولى على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ فقال : ما كان ، ولا يكون .

وقد نظم ذلك الشيخ يحيى في قصيدته . قال الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن
تيمية رحمه الله : حدثني الشيخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروقى ، أنه سمع
الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، صاحب العوارف ، قال : كنت
قد عزمت على أن أقرأ شيئاً من علم الكلام ، وأنا متردد : هل أقرأ الإرشاد
لإمام الحرمين ، أو نهاية الإقدام للشهرستانى ، أو كتاباً آخر ذكره ؟ فذهبت مع
خالى أبى النجيب ، وكان يصلى بجانب الشيخ عبد القادر ، قال : فالتفت الشيخ

عبد القادر ، وقال لي : يا عمر ، ما هو من زادِ القبر ، ما هو من زاد القبر ، فرجعت عن ذلك .

قال الشيخ تقي الدين : ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله . انتهى .

وقال ابن النجار في تاريخه : سمعت عمر بن محمد السهروردي ، شيخ الصوفية يقول : كنت أتفقه في شبابي بالمدرسة النظامية ، فخطر لي أن أقرأ شيئاً من علم الكلام ، وعزمت على ذلك في نفسي من غير أن أتكلم به ، واتفق أني صليت يوم الجمعة مع عمي أبي النجيب في الجامع ، فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلماً ، فسأله عمي الدعاء لي ، وذكر له أنني كمشغل بالفقهِ ، قال : وقت وقلت يده ، فأخذ بيدي ، وقال : تب مما عزمت على الاشتغال به ، فإنك تفلح ، ثم سكت وترك يدي ، قال : ولم يتغير عزمي عن الاشتغال ، حتى تشوشت على جميع أحوالي ، وتكدر وقتي على ، فعلمت أن ذلك لمخالفة الشيخ ، قال : فتبت إلى الله من ذلك اليوم ، ورجعت عنه ، فصلحت حالي ، وطاب قلبي .

ونقلت من خط السيف بن المجد الحافظ : سمعت الشيخ الزاهد علي بن سلمان البغدادي ، المعروف بالخيار بر باطه بالجانب الغربي من بغداد ، يحكي عن الشيخ عبد القادر الجيلي ، وناهيك به ، فإنه صاحب المكاشفات ، والكرامات التي لم تنتقل لأحد من أهل عصره ، أنه قال : لا يكون وليُّ الله تعالى إلا على اعتقاد أحد رضى الله عنه .

قال الحافظ ابن النجار : كتب إلى عبد الله بن أبي الحسن الجبالي ، ونقلته من خطه قال : كان شيخنا عبد القادر الجيلي يقول : الخلق حجابك عن نفسك ، ونفسك حجابك عن ربك . ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك . وقال : ما ثمَّ إلا خلق وخالق ، فإن اخترت الخالق فقل كما قال : (٢٦ : ٧٧ فإنهم عدولي إلا رب العالمين) ثم قال : من ذاقه فقد عرفه ،

فاعترضه سائل ، فقال : ياسيدى ، من غلبت عليه مرارة الصفراء كيف يجد حلاوة الذوق ؟ قال : يتعمد قىء الشهوات من قلبه ، وقال : طالبتنى نفسى يوماً بشهوة من السوق ، فكنت أدافعها ، وأخرج من درب إلى درب ، وأطلب الصحارى . فبينما أنا أمشى إذ رأيت ورقة فأخذتها ، فإذا فيها مكتوب : مال الأقياء والشهوات ؟ إنما هى للضعفاء من عبادى ، ليتقوا بها على طاعتي . فخرجت تلك الشهوة من قلبي قال : وكنت أقتات بخرنوب الشوك ، وقمامة البقل ، وورق الخس من جانب النهر والشط ، وبلغت الضائقة فى غلاء نزل ببغداد إلى أن بقيت أياماً لم آكل فيها طعاماً ، بل كنت أتبع المنبوذات أطعمها ، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلى أجد ورق الخس أو البقل ، أو غير ذلك فأثقت به . فسا ذهبت إلى موضع إلا وغيرى قد سبقنى إليه وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياً ، فرجعت أمشى وسط البلد أدرك منبوزاً إلا وقد سبقت إليه ، حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحيين^(١) ببغداد وقد أجهدتى الضعف ، وعجزت عن التماسك ، فدخلت إليه وقعدت فى جانب منه وقد كدت أصافح الموت ، إذ دخل شاب أعجمى ومعه خبز صافى وشواء ، وجلس يأكل ، فكنت أكاد كلما رفع يده باللحمة أن أفتح فمى من شدة الجوع ، حتى أنكرت ذلك على نفسى : فقلت ما هذا ؟ وقلت : ما ههنا إلا الله ، أو ما قضاء من الموت ، إذ التفت إلى العجمى فرآنى ، فقال : بسم الله يا أخى ، فأبيت ، فأقسم علىّ فبادرت نفسى فخالفتها ، فأقسم أيضاً ، فأجبتة ، فأكلت متقاصراً ، فأخذ يسألنى : ما شغلك ؟ ومن أين أنت ؟ وبمن تعرف ؟ فقلت : أنا متفقه من جيلان . فقال : وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر ، يعرف بسبط أبى عبد الله الصومعى الزاهد ؟ فقلت : أنا هو ، فاضطرب وتغير وجهه ، وقال : والله لقد وصلت إلى بغداد ، ومعى بقية نفقة لى ، فسألت عنك فلم يرشدنى أحد ونفذت نفقتى ، ولى ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتى ، إلا بما كان لك معى ، وقد حلت لى الميتة ،

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « مسجد يانس بسوق الرياحين » .

وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء ، فكل طيباً ، فإنما هو لك ، وأنا ضيفك الآن ، بعد أن كنت ضيفي ، فقلت له : وما ذاك ؟ فقال : أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير ، فاشتريت منها هذا للاضطرار ، فأنا معتذر إليك ، فسكبتة ، وطيبت نفسه ، ودفعت إليه باقى الطعام ، وشيئاً من الذهب برسم النفقة ، فقبله وانصرف قال : وكنت أعامل بقليل كل يوم برغيف وبقل ، فبقى له علىّ ، فضقت ، وما أقدر على ما أوفيه ، فقيل لى : امض إلى المكان الفلانى ، فضيت ، فوجدت قطعة ذهب ، فوفيت بها البقل . فكنت أشتغل بالعلم ، فيطرقنى الحال ، فأخرج إلى الصحارى ، ليلاً أو نهاراً ، فأصرخ ، وأهج على وجهى ، فصرخت ليلة ، فسمعنى العبارون ، ففرزوا ، وجاءوا فعرفونى ، فقالوا : عبدالقادر المجنون ، أفزعتنا ، وكان ربما أغشى علىّ ، فيغسلونى ، ويحسبون أنى مت من الحال التى تطرقنى ، وربما أردت الخروج من بغداد ، فيقال لى : ارجع : فإن للناس فيك منفعة ، وذكر عن ابن الخشاب ، قال : كنت أشتغل بالعربية ، وأسمع بمجلس عبد القادر ، فلا أتفرغ له ، فجئت يوماً فسمعتة ، ثم قلت : ضاع اليوم منى ، فقال على المنبر : ويلك ، تفضل الاشتغال بالنحو على مجالس الذكر ، وتختار ذلك ؟ اصحبنا ، نصيرك سيبويه ، فقلت : إنه يعينى بكلامه ، أو كما قال .

قال ابن النجار : وسمعت أبا محمد الأخفش يقول : كنت أدخل على الشيخ عبد القادر فى وسط الشتاء وقوة برده ، وعليه قميص واحد ، وعلى رأسه طاقية ، والعرق يخرج من جسده ، وحوله من يروحه ، بالمروحة كما يكون فى شدة الحر . وأخبار الشيخ عبد القادر كثيرة . اقتصرنا منها على هذا .

قال ابن الجوزى : توفى الشيخ عبد القادر ، ليلة السبت ثامن - وقال غيره : تاسع - ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسة بعد المغرب . ودفن من وقته بمدرسته . وبلغ تسعين سنة .

وسمعت أنه كان يقول عند موته : رفقارفقاً . ثم يقول : وعليكم السلام ، وعليكم السلام . أجيء إليكم ، أجيء إليكم .

وسمعت من يحكى أنه قال عند موته : أنا شيخ كبير، ما وعدنا بهذا . قال غيره :
صلى عليه ولده عبد الوهاب . وقبره ظاهر يزار بمدرسته ببغداد . رحمه الله تعالى .
ورثاه نصر النيرى - غداة دفنه - بقصيدة أولها :

مشكل الأمر ذا الصباح الجديد	ماله ذاك السننا المهود
ومرامى الأبصار من كل قطر	مظلمات على النواظر سود
مطلع الشمس فيه داج كأن قد	كورت ، أو أتى عليها خمود
أترى حلت المنون بمحي الدين	حقاً ، قالنـوره خمود ؟
ما أرى الأمر غير ذاك ، ولن	يوجد صبر ومثله مفقود
ذو المقام العلى فى الزهد	لا ينكر قول المحب فيه الحسود
والفقيه الذى تعذر أن	يلقى له فى الورى جميعا نديد
تترامى إليه فى العلم بالله	وبالحكم فى الفتاوى الوفود
معرض الطرف والضمير عن	الدنيا تصدى لوصله وتحميد
مخلص فى جميع أعماله لله	ما إن عليه فيها مزيد
لم يزغ عن طريقة السلف	الصالح والمقتنى بهم مسعود
ورع كامل ، وزهد صحيح	وتقى وافر ، وعهد وكيد
وكلام يروق كالدرناطقه	بأعناقها الحسان الغيد
أو كنور الربيع أبداه للإبصار	بالأبرقين روض مجود
تخشع القلب عنده ، ويظل الدمع	يجرى ، وتقشعر الجلود
واعتماد مع غيره ليس يرضى	عملا من عبادة المعبود
يلتقى النجاح ملتقيه ، ويعطى	عنده غاية المراد المرید
حال من دونه الحمام ، فللدين	خمول ، ولله على تبديد
ولعمري لقد مضى ، وهو عند الله	والناس كلهم محمود
طيب الذكر والأحاديث لم يدنس	بلـؤم رداؤه والبرود

شكت المكرمات لما تشكى ومضى إذ مضى التقى والجود
هذه ثكبة تساوى قريب الناس في شرب كأسها والبعيد
بكت الأرض والسماوات فيها أسفاً واعتري النسيم ركود
وقليل إن أضحت عندها الأرض بما فوق منكبها تميد
مات من كانت الأقاليم تسقى الغيث أغوارها به والنجمود
ولو أن النفوس تفدى لما مات ومنا على الثرى موجود
سيد الأولياء في الشرق والغرب وبحر الفضائل المورد
وذكر باقى القصيدة . وله فيه مرثية أخرى .

قرأت على أبى العباس أحمد بن محمد بن سلمان الحنبلى ببغداد : أخبركم
أبو الحسن على بن ثامر بن حصين ، أخبرنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمد القطيعى
صح وقرأت على أبى الفضل محمد بن إسماعيل بن الحموى بدمشق : أخبركم أبو إسحاق
إبراهيم بن على الواسطى ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الفقيه
وأبو طالب بن القطيعى ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح الجبلى ،
أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلانى ، أخبرنا أبو على الحسن بن
أحمد بن شاذان ، أخبرنا أحمد - يعنى ابن سلمان - النجاد ، حدثنا الحسن - يعنى
ابن مكرم - حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا يونس عن الزهرى عن ابن كعب بن
مالك عن أبيه رضى الله عنه ، قال : « قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
إذا أراد سफراً إلا يوم الخميس » .

١٣٥ - أحمد بن عمر بن الحسين بن خاف القطيعى ، الفقيه ، الواعظ ،

أبو العباس .

ولد سنة اثنتى عشرة وخمسةائة تقريباً .

سمع الحديث بنفسه - بعد ما كبر - من عبد الخالق بن يوسف ، والفضل بن

سهل الإسفرايني ، وأبي منصور القزاز ، وابن ناصر الحافظ ، وغيرهم ، وتفقه على القاضي أبي يعلى ابن القاضي أبي خازم ، ولازمه حتى برع في الفقه ، وأفتى وناظر ، ووعظ ، ودرس بمدرسة ابن البل بالريان ، ووعظ بها. أيضاً ، وأشغل الطلبة ، وأفاد .

قال أبو الفضل بن شافع : كان فقيهاً مفتياً ، ذكرها فطرياً ، قد تأدب ، وقرأ التفسير ، ووعظ . وكان اعتقاده جيداً .

وقال ابن النجار : برع في الفقه ، وتكلم في مسائل الخلاف . وكان حسن المناظرة ، جريئاً في الجدل ، ويعظ الناس على المنبر .

توفي يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، ودفن بالحلبة^(١) شرقي بغداد ، وهو والد أبي الحسن القطيعي ، صاحب التاريخ ، ولم يسمع من والده هذا إلا حديثاً واحداً ، وذكر أن له مصنفات كثيرة .
قلت : منها : كتاب « النحول ، في أسباب النزول » .

١٣٦ - هبة الله بن أبي عبد الله بن كامل بن حبيش البغدادي ، الصوفي ،

الفقيه أبو علي .

سمع الحديث من القاضي أبي بكر بن عبد الباقي ، وغيره . وتفقه على أبي يعلى بن القاضي ، وتقدم في رباط بدرزيمان على جماعة المتصوفة . وكان من أهل الدين وتوفي في الحرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة . ودفن بمقبرة أحمد ، قريباً من بشر الحافي .

وذكره ابن الجوزي ، وابن القطيعي .

١٣٧ - عمر الله بن نصر بن سعيد ، المعروف بابن الدجاجي ، وابن

الحيواني ، الفقيه الواعظ المقرئ الصوفي ، الأديب أبو الحسن ، ويلقب بمهذب الدين .

(١) في خطية الإدارة الثقافية « بالجلبة »

ولد في أول رجب ، سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .
وقرأ بالروايات على أبي الخطاب بن الجراح ، وأبي منصور الخياط ، وسمع
منهما ، ومن أبي الخطاب السكوذاني ، وأبي الحسن بن العلاف ، وأبي القاسم
بن بيان ، وابن الطيوري ، وأبي الغنائم النرسي ، وغيرهم . وتفقه على أبي الخطاب
حتى برع .

وقد روى عنه كتابه « الهداية » تصنيفه ، وقصيدته في السنة وغيرها .
وروى عن ابن عقيل كتاب « الانتصار لأهل السنة والحديث » .
قال ابن الخشاب : هو فقيه ، واعظ حسن الطريقة ، سمعت منه .
قال ابن الجوزي : تفقه ، وناظر ، ودرس ، ووعظ . وكان لطيف الكلام ،
حلو الإيراد ، ملازمًا لمطالعة العلم ، إلى أن مات .
وقال ابن نقطة : شيخ فاضل صحيح السماع ، حدثنا عنه جماعة من شيوخنا .
وكان ثقة .

وقال صدقة بن الحسين في تاريخه : كان شيخًا حسنًا ، تفقه على أبي الخطاب
وكان من أصحاب أبي بكر الدينوري . وكان يعظ ، ويقريء القرآن ، ويسمع
الحديث .

قال ابن النجار : كان من أعيان الفقهاء الفضلاء ، وشيوخ الوعاظ النبلاء ،
مليح الوعظ ، حسن الإيراد ، حلو العبارة ، حسن النثر والنظم . وكان يخالط
الصوفية ، ويحضر معهم سماع الغناء . وكان من ظراف المشايخ .
وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي ؟ فقال : كان شيخًا حسنًا ، من
فقهاء أصحابنا ووعاظهم ، صحب أبا الخطاب ، وابن عقيل ، وروى عنهما ،
سمعنا عليه .

قال ابن الجوزي : أنبأنا سعد الله بن نصر ، قال : كنت خائفًا من الخليفة
لجاءت نزل ، فأغفيت ، فرأيت في المنام كأني في غرفة أكتب شيئًا ، فجاء رجل
فوقف بإزائي ، وقال : اكتب ما أملي عليك ، وأنشد :

ادفع بصبرك حادث الأيام وترج لطف الواحد العلام
لا تياسن وإن تضايق كربها ورمك ريب صروفها بسهام
وله تعالى بين ذلك فرجة تخفى عن الأبصار والأوهام
كم من نجا من بين أطراف القنا وفريسة سلمت من الضرغام
قال ابن الجوزي : وسئل في مجلس وعظه - وأنا أسمع - عن أخبار الصفات

فنهى عن التعرض لها ، وأمرنا بالتسليم ، وأنشد :

أبي العاتب الفضبان يانفس أن يرضى وأنت التي صيرت طاعته فرضا
فلا تهجرى من لا تطيقين هجره وإن هم بالهجران خديك والأرضا
قال ابن القطيبي : وأنشدني أحمد بن أبي السرايا ، قال : أنشدني سعد الله
ابن الدجاجي لنفسه :

ملكتم مهجتي بيعاً ومقدرة فأنتم اليوم أغلالى وأغلالى
علوت فخراً ولكنى ضنيت هوى فأنتم اليوم أعلالى وأعلالى
وزاد غير ابن القطيبي في روايته بيتاً ثالثاً :

أوصى لى البين أن أشقى بجمكم فقطع البين أوصالى وأوصالى
ومن شعره أيضاً رحمه الله :

لى لذة فى ذلتى وخضوعى وأحب بين يديك سفك دموعى
وتضرعى فى رأى عينك راحة لى من جوى قد كنّ بين ضلوعى
ما الذل للمحبوب فى حكم الهوى عار ، ولا جور الهوى بيسديع
هبنى أسأت ، فأين عفوك سيدى عن رجلك لقلبه الموجدوع؟
جد بالرضى من عطف لطفك واغنه بجمال وجهك عن سؤال شفيع

قال ابن القطيبي : كان ابن الدجاجي ، قد ناظر ووعظ ، وأفتى وصنف ،

له فضل ودين ، وخاطر بغدادى . بلغنى أنه حضر بالديوان العزيز ، وجماعة من
الفقهاء ، فاستدل شخص بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن البغدادي

الحنفى : هذا الحديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الخصم :
قد أخرجه البخارى ومسلم ، فقال ابن البغدادى : قد طعن فيهما أبو حنيفة ،
فقال ابن الدجاجى : هل كان مع أبى حنيفة ملحمة ؟ .

وقد قرأ بالروايات ، وحدث ، وسمع منه خلق كثير .

وروى عنه ابنه أبو نصر محمد ، وابن الأخضر ، وابن سكينه ، والشيخ موفق
الدين ، وابن عماد الحرانى ، والأنجب الحمى ، وغيرهم .

توفى آخر نهار يوم الإثنين لاثنتى عشرة خلت من شعبان سنة أربع وستين
وخمسمائة ، ودفن من الغد إلى جانب رباط الزوزنى بمقبرة الرباط .

قال ابن الجوزى : دفن هناك إرضاء للصوفية ؛ لأنه أقام عندهم مدة فى حياته
فبقى على ذلك خمسة أيام ، ومازال الحنابلة يلومون ولده على هذا ، يقولون : مثل
هذا الرجل الحنبلى أى شىء يصنع عند الصوفية ؟ فنبشه بعد خمسة أيام بالليل .
قال : وكان أوصى أن يدفن عند والديه . ودفن عليهما بمقبرة الإمام أحمد
رضى الله عنه .

١٣٨ - محمد بن المبارك بن الحسين بن إسماعيل البغدادى ، الفقيه القاضى

أبو بكر بن أبى البركات ، المعروف بابن الحضرى .

ذكره ابن الجوزى ، وقال : صديقنا .

ولد سنة عشر وخمسمائة .

وقرأ القرآن ، وسمع الحديث من أبى عبد الله يحيى بن البنا ، وأبى بكر
ابن عبد الباقي ، وغيرهم . وتفقه على القاضى أبى يعلى ، وناظر . وولى القضاء بقرية
عبد الله من واسط .

وذكر القطيبي : أنه روى عن أبى بكر المزرى ، وأبى الحسن علي بن محمد

الهروى ، وأبى جعفر السمنانى ، وأبى منصور بن خيرون ، وغيرهم .

وسمع منه بعض الطلبة ، وناظر ، ودرس وأفتى .

قال : وجري ذكره يوماً عند الوزير أبي المظفر بن يونس - وعنده الفقهاء والعلماء على اختلاف مذاهبهم - فأثنى عليه خيراً . فاستكثر بعض الحاضرين ذلك الثناء ، فقال الوزير : والله لقد كان أدين مني ؛ فإنه كان يصلي بمسجده ، ثم يقرأ عليه القرآن والفقهاء من بكرة إلى وقت الضحى ، ثم يدخل إلى منزله فيتشغل بالعلم إلى أن يعود إلى مسجده ، دائماً لا يقطع زمانه إلا بطاعة .

توفي رحمه الله تعالى فجأة في شهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الزرادين من باب الأزج .

وقد روى عنه ابن الجوزي مناماً رآه لشيخه ابن ناصر . وقد ذكرناه في ترجمته ١٣٩ - عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي ، الفقيه ، العارف

الزاهد ، أبو عمرو . نزيل الديار المصرية .

سحب شرف الإسلام عبد الوهاب بن الجيلي بدمشق ، وتفقه واستوطن مصر وأقام بها إلى أن مات ، وأفقي بها ودرس وناظر ، وتكلم على المعارف والحقائق . وانتهت إليه تربية المريدين بمصر . وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء ، وأثنى عليه المشايخ ، وحصل له قبول تام من الخاص والعام ، وانتفع بصحبته خلق كثير . وكان يعظم الشيخ عبد القادر ، ويقال : إنه اجتمع به هو وأبو مدين بعرفات ولبسا منه الخرقه ، وسمعا منه جزءاً من مروياته . وسمع الحديث ورواه .

حدث عنه أبو الثناء محمود بن عبد الله بن مطروح المقرئ الجيلي ، وأبو الثناء أحمد بن ميسرة بن أحمد بن موسى بن غنام الغدراني الحنبلي المصري السكاخي . وكانا صالحين . وكان الأول مقرئاً ، حسن التلفظ بالقرآن . وكان الثاني كثير الذكر والتسبيح . حدث عنه المنذرى . قرأ على الأول القرآن . وكان الشيخ أبو عمرو له كرامات ، وأحوال ومقامات ، وكلام حسن على لسان أهل الطريقة .

فن ذلك قوله : الطريق إلى معرفة الله وصفاته : الفكر ، والاعتبار بحكمه . وآياته ، ولا سبيل للألباب إلى معرفة كنه ذاته . ولو تناهت الحكم الإلهية في

حد العقول ، واطمحصرت القدر الربانية في درك العلوم . لكان ذلك تقصيراً في الحكمة ، ونقصاً في القدرة ، لكن احتجبت أسرار الأزل عن العقول ، كما احتجبت سبحات الجلال عن الأبصار . فقد رجع معنى الوصف في الوصف ، وعنى الفهم عن الدرك ، ودار الملك في الملك ، وانتهى الخلق إلى مثله ، واشتد الطلب إلى شكله (٢٠ : ١٠٨) وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) . فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته ، وحجج بالغة على أزليته ، والكون جميعه ألسن ناطقة بوحدانيته ، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه ، المتبصرون على قدر بصائرهم .

ومن كلامه أيضاً : من لم يجد في قلبه زاجراً فهو خراب . ومن عرف نفسه لم يمتربثنا الناس عليه . ومن لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه بصحبة العبيد . ومن انقطعت آماله إلا من مولاه فهو عبد حقيقة . والدعوى من رعونة النفس ، واستلذاذ البلاء تحقق بالرضا ، وحلية العارف الخشية والهيبة . وإياكم ومحاكاة أصحاب الأحوال قبل إحكام الطريق ، وتمكن للأقدام ؛ فإنها تقطع بكم . ودليل تخليطك صحبتك للمخلطين . ودليل وحشتك أنسك بالمستوحشين .

وكان يتمثل بهذه الأبيات :

يا غارس الحب بين القلب والكبد	هتكت بالصّد ستر الصبر والجلد
يا من تقوم مقام الموت فرقته	ومن يحل محل الروح في الجسد
قد جاوز الحب في أعلا مراتبه	فلو طلبت مزيداً منه لم أجد
إذا دعى الناس قلبي عنك مال به	حسن الرجاء ، فلم يصدر ولم يرد
إن ترضني لم أرد مادمت لي بدلا	وإن تغيرت لم أسكن إلى أحد

وحكى عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن مرسيل الضريير ، الفقيه الشافعي الزاهد رحمه الله تعالى ، قال : كان الشيخ أبو عمرو بن مرزوق ، من أوتاد مضر . كان شائع الذكر ، ظاهر الكرامات . زاد النيل سنة زيادة عظيمة ، كادت مصر

تغرق ، وأقام على الأرض ، حتى كاد وقت الزرع يفوت ، فضج الناس بالشيخ أبي عمرو بن مرزوق بسبب ذلك ، فأتى إلى شاطئ النيل ، وتوضأ منه ، فنقص في الحال نحو ذراعين ، ونزل عن الأرض حتى انكشفت ، وزع الناس في اليوم الثاني .

قال : وفي بعض السنين لم يطلع النيل ألبتة ، وفات أكثر وقت زراعته . وغلت الأسعار وظن الهلاك ، وضجوا بالشيخ أبي عمرو بن مرزوق ، فجاء إلى شاطئ النيل ، وتوضأ فيه بإبريق كان مع خادمه ، فزاد النيل في ذلك اليوم . وتعاقبت زيادته إلى أن انتهت إلى حده . وبلغ الله به المنافع ، وبارك في زرع الناس تلك السنة .

قرأت بخط الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي قال : حكى لي الشيخ زين الدين علي بن نجما قال : زرت الشيخ عثمان بن مرزوق - بمصر - فقال : يجيء أسد الدين شيركوه إلى هذه البلاد ويروح ، ولا يحصل له شيء ، ثم يعود يجيء ويروح ، ولا يأخذ البلد ، ثم يجيء فيأخذ - ما أدري قال في الثالثة أو الرابعة ؟ - فيملك مصر ، فجري الأمر كما ذكر .

فقلت له : ياسيدي ، من أين لك هذا ؟ فقال : والله يا ولدي ، ما أعلم الغيب ، وإنما لي عادة : أن أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أراه في بعض الجمع ، فيخبرني ، قلت : لعله أراد في المنام .

قال الناصح : وسمعت خادم الشيخ عثمان بن مرزوق ، وكان يعرف بسيف السنة ، وعليه آثار الصلاح ، وقال له زين الدين بن نجما : أتعرف الأبيات التي أنشدت تلك الليلة بحضرة الشيخ عثمان بن مرزوق ، فسمع وبكى ؟ قال : نعم ، قال : قلها ، فقال :

فديت من واصلني محتفياً في وصله كنا على وعد فما كدره بمطله
وعاد عندي كله مشتغلاً بكه ما خلت أن يصلح مثلي في الهوى لمثله

وإنما جاد عليّ منعاً بفضله ولم أكن أهلاً له لكنه من أهله
وذكر الناصح في ترجمة ولد الشيخ أبي عمرو بن مرزوق سعد - وسنذكره
في موضعه إن شاء الله تعالى - : أن والده - يعني الشيخ : أبا عمرو - كان يذكر عنه
أنه كان يقول في أفعال العباد : إنها غير مخلوقة .

وكذا حكى ابن القطيبي في تاريخه ، قال : حكى لي أبو محمد بن سعيد البزار
التاجر ، قال : كنت بمصر ووقع بها فتنة بين والد الشيخ سعد - يعني عثمان
ابن مرزوق - وبين الكيزاني ، وتلك الفتنة كانت سبب قدوم سعد إلى
بغداد ، فقلت له : ما كانت ؟ فقال : كان عثمان بن مرزوق يقول : أفعال العباد
قديمة ، وكان له بمصر قبول ، وبمصر يومئذ رجل آخر له قبول ، يعرف بابن
الكيزاني ، أبو عبد الله يقول : ليست قديمة ، فثارت الفتن ، فقالوا : طريق الحق
أن تكتب إلى بغداد في ذلك ، فكتبوا إلى علماء بغداد ، فأفتوهم على اختلاف
مذاهبهم بحدثها ، فقال سعد - يعني : ابن الشيخ عثمان بن مرزوق - : الآن قد
شككت في هذا الأمر ، والمكتوب لا يقلد ، ولا يد من المضي إلى بغداد ،
وأسمع مقالة العلماء ، وأعود أخبر أبي بذلك ، فدخل بغداد ، وسمع مقالة العلماء ،
فأت أبوه بمصر وبلغه وفاته ، فأقام ببغداد .

قلت : وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : أن أبا عبد الله
ابن الكيزاني كان يقول : إن أفعال العباد قديمة ، فحينئذ فقد اختلف في نسبة
هذا القول : هل هو إلى ابن الكيزاني ، أو إلى ابن مرزوق ، ولم يثبت لنا من
وجه صحيح عن ابن مرزوق أنه كان يقول ذلك ، وامل ذلك الزمونه به ؛ لقوله :
إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق ، وإن هذا القول يقوله طائفة من أصحابنا ، وربما
نسبوه إلى الإمام أحمد .

والصحيح الصريح عن أحمد : أنه كان يبدع قائل ذلك ، وامله لما التزم هذا
القول الضعيف طرده في سائر الأفعال . والله أعلم بحقيقة الحال .

ثم وجدت لأبي عمرو بن مرزوق مصنفات في أصول الدين ، ورأيته يقول إن الإيمان غير مخلوق ، أقواله وأفعاله ، وإن حركات العباد مخلوقة ، لكن القدي يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد .

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى : وممَّ جماعات منتسبون إلى الشيخ أبي عمرو بن مرزوق ، ويقولون أشياء مخالفة لما كان الشيخ أبو عمرو عليه وهذا الشيخ كان ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد ، وكان من أصحاب الشيخ عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج ، وهؤلاء ينتسبون إلى مذهب الشافعي ، ويقولون أقوالاً مخالفة لمذهب الشافعي وأحمد ، بل ولسائر أئمة المسلمين ، ولشيخهم الشيخ أبي عمرو . وهذا الشيخ أبو عمرو : شيخ من شيوخ أهل العلم والدين ، وله أسوة أمثاله ، وإذا قال قولاً قد علم أن قول أحمد والشافعي بخلافه ، وجب تقديم قول الشافعي وأحمد على قوله ، مع دلالة الكتاب والسنة على قول الأئمة ، فكيف إذا كان القول مخالفاً لقوله ، ولقول الأئمة ، وللكتاب والسنة ؟

وذلك مثل قولهم : لا تقطع ، ولا نقول قطعاً ، ويقولون : نشهد أن محمداً رسول الله ، ولا تقطع ونقول : السماء فوقنا ، والأرض تحتنا ، ولا تقطع بذلك ، ويروون في ذلك أثراً عن عليّ ، أو حديثاً مرفوعاً ، وهو من الكذب المفتري .

قال : وأصل شبههم : أن السلف كانوا يستثنون في الإيمان ، فيقول أحدهم : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ، وعلى ذلك كان أهل الثغر - عسقلان ، وما يقرب منها - فإنه كان قد سكنها محمد بن يوسف الفريابي ، وكان يأمر بذلك ، وكان شديداً على المرجئة ، وعامة هؤلاء القوم جيران عسقلان ، ثم صار كثير منهم يستثنى في الأعمال الصالحة ، فيقول : صليت إن شاء الله ، وهو يخاف أن لا يكون أتى بالصلاة كما أمر ، ولا تقبلت منه ، فيستثنى خوفاً من ذلك .

وصنف في ذلك بعض أهل الثغر مصنفاً ، وشيخهم أبو عمرو بن مرزوق ،

غايته أن يتبع هؤلاء ، ولم يكن الرجل ولا أحد قبله من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا : لما يعلم أنه موجود : هذا موجود قطعاً ، لكن لما مات أحدث بعض أتباعه الاستثناء في كل شيء ، حتى في الإخبار عن الماضي والحاضر .

وقد نقل عن بعض الشيوخ : أنه كان يستثنى في كل شيء ، كأنه - والله أعلم - في الخبر عن الأمور المستقبلية ، لقوله تعالى (٤٨ : ٢٧) لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » وصاروا يمتنعون عن التلفظ بالقطع ، مع أنهم محقون بقلوبهم أن محمداً رسول الله ، ولا يشكون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن يكرهون لفظ القطع . وهذا جهل منهم . والواجب عليهم موافقة جماعة المسلمين .

فإن قول القائل : أقطع بذلك ، مثل قوله : أشهد بذلك وأجزم وأعلم بذلك وأطال الشيخ الكلام في ذلك .

توفي الشيخ أبو عمرو بن مرزوق بمصر سنة أربع وستين وخمسمائة . وقد جاوز السبعين . ودفن بالقرافة ، شرقي قبر الشافعي رضي الله عنه ، وقبره ظاهر يزار ، رحمه الله .

١٤٠ - أحمد بن صالح بن شافع بن صالح بن حاتم بن أبي عبد الله الجبلي ، الحافظ أبو الفضل بن أبي المعالي بن أبي محمد ، مفيد العراق . وقد تقدم ذكر أبيه وجده .

ولد في ثامن عشر ذي القعدة ، سنة عشرين وخمسمائة . وقرأ القرآن بالروايات على أبي محمد سبط الخياط وغيره ، وبكر به أبوه في سماع الحديث ، فأسمعه من أبي غالب بن البناء ، وأبي الحسين بن الفراء ، والقاضي أبي بكر الأنصاري ، وأبي القاسم الحريري ، وأبي البدر الكرخي ، وأبي الحسن ابن عبد السلام ، ووالده صالح بن شافع ، وخلق كثير . وطلب هو بنفسه ، ولازم أبا الفضل بن ناصر الحافظ ، حتى قرأ عليه أكثر

ما كان عنده ، واختص بصحبته وكان يقتنى أثره ، ويسلك مسلكه ، ثم أكثر الأخذ عن أصحاب ابن البطر ، وطراد ، وطبقتهما .

وبالغ في الطلب حتى سمع من أصحاب ابن بيات ، وابن نيهان ، ثم من أصحاب ابن الحصين ، وابن كادش ، وطبقتهما ، ولم يزل مشتغلاً بالطلب والسماع ، إلى أن مات . وكتب بخطه الكثير ، وحصل الأصول الحسان ، ولم يحدث إلا باليسير ؛ لأنه مات قبل أوان الرواية .

قال ابن النجار : كان حافظاً ، متقناً ، ضابطاً محققاً ، حسن القراءة ، صحيح النقل ، ثبتاً حجة ، نبيلاً ورعاً ، متديناً تقياً ، متمسكاً بالسنة على طريقة السلف . وصنف تاريخاً على السنين ، بدأ فيه بالسنة التي توفي فيها أبو بكر الخطيب ، وهي سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، إلى بعد الستين وخمسمائة ، يذكر السنة وحوادثها ، ومن توفي فيها ، ويشرح أحوالهم . ومات ولم يبيضه .

وقد نقلت عنه من هذا الكتاب كثيراً ، يعني ابن النجار بهذا الكتاب : تاريخه المذيل على تاريخ بغداد .

قلت : وأنا فقد نقلت من تاريخ ابن شافع في هذا الكتاب فوائد مما وقع لي منه ، فإنه وقع لي منه عدة أجزاء من منتخبه لابن نقطة .

وقد ذكره ابن نقطة في كتابه « الاستدراك » ونعته بالحافظ . وقال : كان موصوفاً بحسن القراءة للحديث . وكان صالحاً ثقة مأموناً . وقال في موضع آخر منه : هو متقن .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي ؟ فقال : كان حافظاً ثقة يقرأ الحديث قراءة حسنة مبينة صحيحة بصوت رفيع إمام في السنة . وكان شاهداً معداً . بلغني أنه دعى إلى الشهادة للخليفة بما لا يجوز ، فامتنع من الشهادة ، وطرح الطيلسان ، وقال : مالكم عندنا إلا هذا .

قال ابن النجار : أنشدني عبد الوهاب بن علي الأمين أنشدني أبو الفضل

ابن شافع :

في زخرف القول تزيين لباطله والقول قد يعتريه سوء تعبير
يقول : هذا مُجَاج النحل تمدحه وإن تعب قلت : هذا قىء زنبور
مدحاً وذمّاً وما جاوزت وصفهما حسن البيان يرى الظلماء كالنور
توفى يوم الأربعاء بعد الظهر ثالث شعبان سنة خمس وستين وخمسمائة .
وكان مرضه البرسام والسرسام ستة أيام ، وأسكت منها ثلاثة أيام ، وشُدَّ
تابوته بالحبال ، وصلى عليه خلق كثير . ودفن على أبيه في دكة قبر الإمام أحمد
رضى الله عنه .

١٤١ - علي بن بردوان بن زيد بن الحسين^(١) بن سعيد بن عصمة بن
حمير الكندي البغدادي ، النحوي الأديب ، شمس الدين أبو الحسن ، ابن عم
الشيخ تاج الدين أبي اليمين زيد .

سمع ببغداد . وقرأ وكتب الطبايق بخطه على يحيى بن البنا وغيره ويغلب على
ظني : أنى وقفت على قراءته للهداية على الشيخ عبد القادر .
وقرأ النحو واللغة على ابن الجواليقي . ثم قدم دمشق ، وأدرك شرف الإسلام
ابن الحنبلي وصحبه . وكان فاضلاً أديباً ، حسن الخط . كتب بخطه كثيراً من
الأدب . ومن دواوين العرب ، وحظى عند السلطان نور الدين .

قرأت بخط أبي الفرج بن الحنبلي : كان عارفاً بالنحو واللغة . قيل : كان أعلم
بها من ابن عمه أبي اليمين ، ويقول الشعر ، وهو حنبلي من أهل السنة . وكتب من
الدقائق والكلام الوعظي الكثير ، وطلب من شرف الإسلام أن يجلس بمدرسته
للوعظ ، فأذن له في ذلك ، فغلبه الحياء ، فلم يتمكن من الإيراد ، ثم نزل وترك الوعظ
قلت : توفى سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق .

ومن شعره .

هتك الـدمع بصوت هتف كلما أضمرت من سر خفى

(١) في خطية الإدارة الثقافية «على بن ثروان بن زيد بن الحسن»

يا أخلائي على الخيف ، أما تتقون الله في حث المطي
وله أيضاً :

درت عليك غوادي المزن يادار ولا عفت منك آيات وآثار
دعا من لعبت أيدي الغرام به وساعدتها صبايات وتذكار
وقصد بعض الأكارم سره فلم يصادفه ، فكتب على باب داره حفراً بسكين :
خضر الكندي مغناكم فلم يركم من بعد كد وتعب
لو رأيكم لتجلى همه واثني عنكم بحسن المنقلب

١٤٢ - محمد بن حاصر بن حمد بن عبد الواحد بن علي بن أبي مسلم

الأصبهاني ، الواعظ الحنبلي ، أبو سعيد . ويعرف بسر مس
سمع أبا مسعود محمد بن عبد الله السودرجاني ، وأبا مطيع المصري ، والدرني ،
ويحيى بن منده ، وجماعة . وبيغداد أبا القاسم بن السمرقندي .
وكتب بخطه ، وحدث بيغداد وغيرها .
وكان من أعيان الوعاظ . وله القبول التام عند العوام .
توفي في سلخ شعبان سنة ست وستين وخمسمائة . ودفن بمقبرة برديان في
جوار قبر الإمام أبي مسعود الرازي .

١٤٣ - النفيسي بن مسعود بن أبي سعد بن علي ، المعروف بأبي صعوه

السلامي ، الفقيه أبو محمد .

قرأ القرآن . وتفقه على أبي الفتح بن المني ، ووعظ .
واحتضر في شبابه ، فتوفي يوم الثلاثاء تاسع شوال سنة ست وستين وخمسمائة
وصلى عليه عند جامع السلطان بالجانب الشرقي . ودفن بمقبرة الإمام أحمد
رضي الله عنه .

وذكره ابن الجوزي ، وقال المنذري : تفقه على ابن المني ، وتكلم في مسائل

الخلاف وسمع من غير واحد .

قال : و « صَعَوَة » بفتح الصاد والعين المهملتين وبعدها تاء تأنيث - لقب
لجده مسعود .

١٤٤ - فتيان بن مباح بن حمد بن سليمان بن المبارك بن الحسين السلمي
الحراني الضرير ، القرشي الفقيه أبو الكرم .

قال ابن القطيبي في تاريخه : ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة على
ما بلغني .

قلت : وهذا بعيد . ولعله سنة ثلاث عشرة .

قال : وقدم بغداد ، وسمع الحديث من أبي البركات عبد الوهاب الأنماطي ،
وصالح بن شافع ، وأبي زيد الحموي ، وغيرهم . وتفقه بمذهب الإمام أحمد ، وعاد
إلى بلده فأفتى ودرس به إلى أن مات . سمع منه أبو المحاسن القاضي القرشي

قلت : كان بارعاً في علم القراءات . وله مصنف في علم التجويد .

وقال : الشيخ فخر الدين ابن تيمية في أول تفسيره ، وقد ذكر شيوخه في العلم
فأول ما قال : كنت برهة مع شيخنا الإمام الورع أبي الكرم فتيان بن مباح
وكان طویل الباع في علم اللغة والإعراب ، مبسوطاً في الإغراق فيهما ، والإعراب
يشق الغبار في علم القراءات ، ومعاناة المعاني فهماً ، واللغات ، وأحكام فهم الأحكام
والوقوف على موارد الحلال والحرام . وعده أبو الفتح بن عبدوس من شيوخه
وشيوخ حران وفقهائها وعلماؤها

قال ابن القطيبي : حدث فتيان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . ودخلت حران
سنة ست وستين وخمسمائة ، فسألت عنه ؟ فقالوا : توفي عن قريب رحمه الله

قلت : وفيه أيضاً نظر ؛ فإن الشيخ فخر الدين ابن تيمية ذكر أنه لازم
أبا الحسن بن عبدوس بعد موت فتيان هذا . وهذا يشعر بتقديم وفاته على وفاة ابن

عبدوس ، ويمكن أنه أراد أن ملازمته لابن عبدوس كانت بعد ملازمته لفتيان ،
لا بعد موته . والله أعلم .

١٤٥ - عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الحشاش

البغدادي ، اللغوي النحوي ، المحدث ، الإمام أبو محمد بن أبي الكرم
ولد سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ظناً .

وقرأ القرآن بالروايات . وسمع الحديث من أبي القاسم الربيعي ، وأبي الغنائم
النرسي ، ويحيى بن منده . وطلب بنفسه ، وقرأ الكثير على ابن الحصين ، وأبي العز
ابن كادش ، وأبي غالب بن البنا ، وأبي القاسم الحريري ، وأبي بكر بن عبد الباقي
وأبي القاسم بن السمرقندي ، والمزرفي ، وأبي الحسن بن الزاغوني ، وأبي الحسين
ابن الفراء ، وخلق من الطبقة ، ولم يزل يقرأ حتى قرأ على أقرانه .

وقد عده ابن نقطة في أول استدراكه من الحفاظ الذين يعتمد على ضبطهم ،
وقرنه مع السلفي وأبي العلاء ، وابن عساكر . وأخذ اللغة والعربية عن أبي بكر
ابن حوا مرد القطان ، وأبي الحسن الفصيحي ، وأبي الحسن المحوّلي ، وأبي منصور
الجواليقي ، وأبي السعادات بن الشجري .

وقرأ الحساب والهندسة على أبي بكر محمد بن عبد الباقي ، والفرائض على
أبي بكر المزرفي . وشارك في أنواع العلوم ، وبرع في كثير منها .

قال ابن الجوزي : انتهى إليه معرفة النحو واللغة .

وقال الشيخ فخر الدين ابن تيمية : أكثر التردد إلى مجلس شيخنا العلامة
حجة الإسلام أبي محمد بن الحشاش لتحصيل فني النحو واللغة ، وما بلغ أحد من
أبناء عصره فيهما ما بلغه .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسي ؟ فقال : كان إماماً في عصره في علم
العربية ، والنحو واللغة . وكان علماء أهل عصره يستفتونه فيهما ، ويسألونه عن
مشكلاتها . وحضرت كثيراً من مجالسه للقراءة عليه ، ولكن لم يتمكن من الإكثار

عليه ؛ لكثرة الزحام عليه . وكان حسن الكلام في السنة وشرحها .
وقال ابن النجار : كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، حتى يقال : إنه كان في درجة

أبي علي الفارسي .

قال : وكانت له معرفة بالحديث واللغة ، والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة
وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة .

وقال ياقوت الحموي : رأيت قوما من نحاة بغداد يفضلونه على أبي علي الفارسي

قال : وسمع الحديث الكثير ، وتفقه فيه ، وعرف صحيحه من سقيميه ، وبحث

عن أحكامه ، وتبحر في علومه .

وذكره ابن السمعاني في كتابه ، فقال : له معرفة تامة بالحديث ، ويقرأ

الحديث قراءة سريعة ، حسنة صحيحة مفهومة ، ويدم القراءة من غير فتور سمع
الكثير بنفسه وجمع الأصول الحسان من أي وجه اتفق له ، وكان يرضن بها .

قال : وسمعت أبا شجاع البسطامي يقول : قرأ علي ابن الخشاب غريب الحديث

المقتنى قراءة ماسمعت قبلها بمثلها في الصحة والسرعة ، وحضر جماعة من الفضلاء
لسماعها . وكانوا يريدون أن يأخذوا عليه فلتة لسان ، فما قدروا على ذلك .

قال ابن السمعاني : وكتبت عنه جزءا من حديث أبي الحسن بن مخلد كان

يرويه عن الربيع حدثنا بلفظه . وهذا كله وابن السمعاني إنما رآه وله نحو
الأربعين سنة .

قال ابن القطيبي في تاريخه : سمعت ابن الأخضر الحافظ يقول : سمعت أبا محمد

ابن الخشاب يقول : إني متقن في ثمانية علوم ، ما يسألني أحد عن علم منها ، ولا
أجد لها أهلا .

وذكر غيره وعن ابن الأخضر ، قال : دخلت عليه يوما وهو مريض وعلى

صدره كتاب ينظر فيه ، قلت : ما هذا ؟ قال : ذكر ابن جني مسألة في النحو ،
واجتهد أن يستشهد عليها بيت من الشعر فلم يحضره ، وإني لأعرف على هذه
المسألة سبعين بيتا من الشعر ، كل بيت من قصيدة تصلح أن يشهد به عليها .

ووصفه جماعة : بأنه كان عالماً بالتفسير والحديث ، والفرائض والحساب والقراءات .

قال ابن القطيبي : كان الغالب على علومه علم النحو وضروبه وأنواعه ، وما يتعلق به . وانتهى إليه معرفة علوم جمة ، أنهاها وشرح الكثير من علومه . وكان ضنيناً بها مع لطف مخالطة ، وعدم تكبر ، وإطراح تكلف ، مع تشدد في السنة ، وتظاهر بها في محافل علومه ، ومجالس تلاميذه وأصحابه ، ينتحل مذهب الإمام أحمد ، وينتصر له على غيره من المذاهب ، ويصرح ببرايمه وحججه على ذلك .

وذكر ياقوت الحموي قال : كان الحافظ بن ناصر ابن عمه أمّ ابن الخشاب قال ابن الخشاب : قالت لى أمى : يا بنى ، ما أراك تصلى صلاة الرغائب على عادة الناس ، فقلت : يا أمى ، أنا أوتر من الصلوات ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهذه الصلاة لم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، فقالت : لا أسمع ذلك منك ، فاسأل لى ابن عمى : فاتفق أنى لقيته ، فقلت : الوالدة تسلم عليك ، وتساءلك عن صلاة الرغائب : هل وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه ؟ فقال لى : فهل لا أخبرتها بحقيقة ذلك ؟ فقلت : قد أبت إلا أن أخبرها عنك ، فقال : سلم عليها ، وقل لها : أنا أسنّ منها ، فإنها أحدثت في زمنى وعصرى . وقد مضت برهة ولا أرى أحداً يصلّيها . وإنما وردت من الشام ، وتداولها الناس حتى أجروها مجرى ماورد من الصلوات المأثورة . ولابن الخشاب تصانيف ، منها كتاب « المرتجل في شرح الجمل » للزجاجى وقد ترك فيه أبواباً من وسط الكتاب لم يشرحها ، وكتاب « الرد على ابن نادستاد^(١) في شرح الجمل » ، وكتاب « الرد على أبى زكريا التبريزى في تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت » ، وكتاب « أغلاط الحريرى في مقاماته » ،

(١) فى خطية الإدارة الثقافية « ابن شاد »

وشرح اللع لابن جنى إلى باب النداء في ثلاث مجلدات ، وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو في أربع مجلدات . ويقال : إنه وصله عليها بألف دينار . وله جواب المسائل الاسكندرانية في الاشتقاق .

ويقال : إنه كان ضيق العطن في تصانيفه لايتها ، وأن كلامه كان أجود من قلمه .

وكان ابن الخشاب يكتب خطا حسنا ، ويضبط ضبطا متقنا . فكتب كذلك كثيرا من الأدب والحديث وسائر الفنون ، وحصل من الكتب والأصول وغيرها مالا يدخل تحت الحصر ، ومن خطوط الفضلاء وأجزاء الحديث شيئا كثيرا . وذكر ابن النجار : أنه لم يمت أحد من أهل العلم وأصحاب الحديث إلا وكان يشتري كتبه كلها ، فحصلت أصول المشايخ عنده .

وذكر عنه : أنه اشترى يوما كتبا بخمسمائة دينار ولم يكن عنده شيء ، فاستمهلهم ثلاثة أيام ، ثم مضى ونادى على داره ، فبلغت خمسمائة دينار ، فنقد صاحبها وباعه بخمسمائة دينار ، ووفى ثمن الكتب ، وبقيت له الدار . ولما مرض أشهد عليه بوقف كتبه ففترقت وبيع أكثرها ولم يبق إلا عشرها ، فتركت في رباط المأمونية وقفا . وقرأ عليه الخلق الكثير الحديث والأدب ، وانتفعوا به وتخرج به جماعة . وسمع منه كبار الأئمة . وروى عنه خلق من الحفاظ وغيرهم .

وكان الحافظ أبو محمد بن الأخضر يقول في روايته عنه : حدثنا حجة الإسلام أبو محمد بن الخشاب . وكذلك يقول الشيخ موفق الدين المقدسي في تصانيفه حين يروى عن ابن الخشاب . وكان ثقة في الحديث والنقل ، صدوقا حجة نبيلًا .

وذكر ابن الجوزي : أنه كان يذكر عنه نوع تفریط في الدين ، وأنه كان قليل الفقه ، بحيث إنه سئل عن رفع اليدين في الصلاة ماهو ؟ فقال : هو ركن ، فضحك منه . وكان - سبحانه الله - قليل المبالاة بحفظ قاموس العلم والمشيخة بحيث إنه كان يلعب بالشطرنج على قارعة الطريق مع العوام ، ويمازح السفهاء ، ويقف

في الشوارع على حلق المشعبدين وأصحاب اللهو ، واللعايبين بالقرود والدباب من غير مبالاة . وإذا عوتب على ذلك يقول : إنه ينذر منهم نوادر لا يكون أحسن ولا أطف منها ، ومع ذلك فكان لا يخلو كنه من كتب العلم .

وكان رؤساء زمانه ووزراء وقته يودون مجالسته ، ويتمنون محاضرتة فلا يفعل . قال مسعود بن البادر : كنت يوماً بين يدي المستضيء ، فقال لي : كل من نعرفه قد ذكرنا بنفسه ، ووصل إليه برنا ، إلا ابن الحشاب ، فأخبره فاعتذرت عنه بعذر اقتضاه الحال ، ثم خرجت فعرفت ابن الحشاب ذلك ، فكتب إليه هذين البيتين :

ورد الوري سلسال جودك فارتووا فوقفت دون الورد وقفة حاتم
ظمان أطلب خفة من زحمة والورد لايزاد غير تراحم
قال ابن البادر : فأخذتها منه فعرضتها على المستضيء ، فأرسل إليه بمائتي دينار وقال : لو زادنا زدناه . وكان متبذلاً في لباسه ومطعمه ومشربه ، ولم يكن له زوجة ولا جارية .

ويقال : إنه كان بخيلاً مقترماً على نفسه . وكان يعتم العمة ، فتبقى معتمة أشهراً حتى تتسخ أطرافها من عرقه ، فتسود وتتقطع من الوسخ ، وترمي عليها العصافير ذرقها . وكان إذا رفعها عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف اتفق ، فتجىء عذبتها تارة من تلقاء وجهه ، وتارة عن يمينه ، وتارة عن شماله ، فلا يغيرها . فإذا قيل له في ذلك يقول : ما استوت العمة على رأس عاقل قط .

وكان رحمه الله ظريفاً مزاحاً ، ذا نوادر .
فن نوادره : أن بعض أصحابه سأله يوماً ، فقال : القفا يمد أو يقصر ؟ فقال :
يمد ثم يقصر .

ومنها : أنه لما صنف الكمال الأنباري كتاب « الميزان » في النحو عرض عليه ، فقال : احموا هذا الميزان إلى المحتسب ففيه عين .

ومنها : أنه كان يوماً في داره في وقت القيلولة والحرق الشديد وقد نام ، إذ طرق عليه الباب طرقة مزعجاً ، فانتبه فخرج مبادراً ، وإذا رجلان من العامة ، قال : ما خطبكما ؟ فقالا : نحن شاعران ، وقد قال كل واحد منا قصيدة وزعم أنها أجود من قصيدة صاحبه . وقد رضينا بحمكك ، فقال : ليبدأ أحدكما .

قال : فأناشد أحدهما قصيدته وهو مصغ إليه ، حتى فرغ منها ، وهم الآخر بالإشاد ، فقال له ابن الخشاب : على رسلك ، فشعرك أجود . فقال : كيف خبرت شعري ولم تسمعه ؟ فقال : لأنه لا يكون شيء أبخس من شعر هذا .

ومنها : أن بعض المعلمين كان يقرأ عليه شيئاً من الأدب ، فجاء فيه قول العجاج :
أطربا وأنت قنصري وإنما يأتي الصبي الصبي
فقرأ المعلم : وإنما يأتي الصبي الصبي ، فقال ابن الخشاب : هذا عندك في الكتاب وقلقك الله . فأما عندنا فلا ، فاستحى المعلم .

ومنها : ما حكاها ابن الأخضر قال : كنت يوماً عنده - وعنده جماعة من الخنابلة - فسأله مكي القراد : عندك كتاب الخيال ؟ فقال : يا أبله ، ما تراهم حولي ؟ ومنها : أنه كان ببغداد رجل يقال له : العتابي نحوي ، وكان يدعى من علم النحو فوق ما عنده ، فاجتمع ابن الخشاب مرة بابن القصار اللغوي عند قدومه من مصر ، فقال ابن الخشاب : ما رأيت من عجائب مصر ؟ قال : رأيت أشياء ذكرها . ثم قال : ورأيت فيها حماراً عتائياً ، فقال ابن الخشاب : ماذا عجب ؟ فإن عندنا ببغداد عتابي حمار .

ولابن الخشاب شعر كثير حسن ، فمنه ما ألغزه في الكتاب :

وذى أوجه لكنه غير بأخ بسر ، وذو الوجهين للسرم مظهر
تجاجيك بالأسرار أسرار وجهه قسمعها ، نادمت بالعين تنظر
وله لغز في الشمعة :

صفراء لامن سقم مسها كيف وكانت أمها الشافية ؟

عارية . باطنها مكتس . فاعجب لها عارية ككاسية
ومنه - وأنشده ابن القطيبي - في المديح :
تلقاه إما عالماً أو متعلماً يومى حجاج أو عجاج الهبا
فجادل يهدى غويا مشغباً ومجدل يردى كيميا محرباً
وينسب إليه قصيدة طويلة في الألفاظ والعويص في جميع أنواع العلوم
قيل : إنه كتبها إلى بعض فضلاء عصره ممتحناً له ومعجزاً ، وأظنه ابن الدهان
ومما ينسب إليه قصيدة نونية ، منها :

وإذا ذكر إذا قمت يوم العرض منتفضاً من التراب بلا قطن ولا كفن
وجيء بالنار قد مد الصراط على حافاتها تتلظى فمسل مغتبن
وتنشر الصحف فيها كل محتقب من المخازى وما قدمت من حسن
قد كنت تنسى وتلك الصحف محصية ما كنت تأتى ، ولم تظلم ولم تخن
هناك إن كنت قدمت مدخرا تُسقى من الحوض ماء غير ذى أسن
عند الجزاء تعض الكف من ندم على تخطيك فى سر وفى علن
لا تركزن إلى الدنيا ؛ ففي جدث يكون دفنك بين الطين واللبن
واستن بالسلف الماضى وكن رجلاً مبرأ من دواعى الغى والفن
ودع مذاهب قوم أحدثت إثمها فيها خلاف على الآثار والسنن

قال ابن الجوزى : مرض ابن الحشاش نحواً من عشرين يوماً ، فدخلت عليه
قبل موته بيومين ، وقد يئس من نفسه ، فقال لى : عند الله أحسب نفسى .
وتوفى يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة . وصلى عليه على
باب جامع السلطان يوم السبت . ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريباً من بشر الحافي
رضى الله عنهما .

وحدثنى عبد الله الجبائى العبد الصالح قال : رأيت فى النوم بعد موته بأيام ،
ووجهه يضىء ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى قلت : وأدخلك الجنة ؟

قال : وأدخلني الجنة ، إلا أنه أعرض عني ، فقلت له أعرض عنك ؟ فقال : نعم وعن جماعة من العلماء تركوا العمل . سامحه الله وغفر له .

١٤٦ - مكي بن محمد بن هبيرة البغدادي ، الأديب أبو جعفر .

كان فاضلاً عارفاً بالأدب . نظم « مختصر الخرق » وقرئ عليه مرات .

توفي بنوحي الموصل سنة سبع وستين وخمسمائة . ذكره الحافظ الذهبي .

قلت : وأظنه أخا الوزير أبي المظفر . وكان يلقب فخر الدولة . وكان خرج

من بغداد بعد موت الوزير وكان للوزير ولدان .

أحدهما : عز الدين محمد . وكان فاضلاً كبير الشأن ، ناب عن والده في

الوزارة . قبض عليه ، وقتل بعد موت والده سنة إحدى وستين .

والآخر : شرف الدين ظفر ، ناب عن والده في الوزارة أيضاً . وكان أديباً

بارعاً له نظم حسن جداً . قبض عليه ، وقتل في صفر سنة اثنتين وستين .

ومن نظمه :

أخلف الغيث مواعيد الخزامى فقف الأنضاء تستقي الغاما
وأبجني ساعة من عمري نملأُ الدار شكاة وسلاما
وخذ اليمنة من أعلا الحمى تلق بالفور حميا وحماما
أصف الأشواق في تلك الربى وأعاطى الترب سقيا والتثاما

١٤٧ - أحمد بن محمد بن شنيف بن محمد البغدادي الدارقزي ، المقرئ

أبو الفضل .

قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهر بن سوار ، وثابت بن بندار ، وأبي منصور

الخياط ، وغيرهم .

وسمع الحديث منهم ، ومن أبي غالب القزاز ، وعلي بن نبهان ، ويحيى بن

منده الحافظ . وتفقه في المذهب وحصل منه طرفا صالحاً . وأقرأ بالروايات جماعة .

وحدث وطال عمره ، وأضرب في آخر وقته ، وتفرد بعلو الإسناد في القراءات .

قال القطيعي : كان من أهل الدين والصلاح .

وقال ابن النجار : كان شيخاً فاضلاً متديناً ، صدوقاً أميناً .

توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وله ست وتسعون سنة . ودفن بمقبرة باب حرب رحمه الله .

١٤٨ - الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل بن سلمة

ابن عنكل بن حنبل بن إسحاق الهمداني ، المقرئ المحدث ، الحافظ الأديب اللغوي الزاهد أبو العلاء ، المعروف بالعطار شيخ همدان .

ولد بكرة يوم السبت رابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وقرأ القرآن بالروايات على أبي علي الحداد وغيره بأصبهان ، وعلى أبي العز

القلانسي بواسط ، وبيغداد على البارع الدباس ، وأبي بكر المزرفي وغيرهم .

وسمع الحديث من عبد الرحمن الدوني سنة خمس وتسعين ، وهو أول سماعه

ثم سمع بأصبهان من أبي علي الحداد ، وأكثر عنه ولازمه مدة . وسمع بخراسان من أبي عبد الله الفراوي وغيره .

وارتحل إلى بغداد ، فسمع من أبي القاسم بن بيان ، وأبي علي بن نيهان ،

وأبي علي بن المهدي ، وأبي طالب اليوسفي ، وابن الحصين ، وخلق كثير .

ودخل بغداد مرة أخرى فأسمع ابنه ، ثم مرة أخرى بعد الثلاثين وخمسمائة ،

فأكثر بها ، ثم دخلها بعد الأربعين ، وحدث بها ، وأقرأ بها القرآن .

قرأ عليه ابن سكينه وغيره ، ثم عاد إلى همدان ، وعمل داراً للكتب وخزانة

وقف جميع كتبه فيها . وكان قد حصل الأصول الكثيرة ، والكتب الكبار

الحسان بالخطوط المعتبرة ، وانقطع إلى إقراء القرآن ، ورواية الحديث إلى آخر عمره

وحدث بأكثر مسموعاته .

وسمع منه الكبار والأئمة الحفاظ ورووا عنه ، منهم : ابن عساكر ، ومحمد بن محمود الحماني الواعظ ، وأبو المواهب بن صصرى ، وعبد القادر الرهاوى ، ويوسف بن أحمد الشيرازى . وسمع منه خلق كثير .

وآخر من روى عنه ابن القيرورى عنه إجازة .

قال ابن السمعاني فى حقه : حافظ متقن ، ومقرئ فاضل ، حسن السيرة ، مرضى الطريقة ، عزيز النفس ، سخي بما يملك ، مكرم للغرباء ، يعرف القراءات والحديث والأدب معرفة حسنة ، سمعت منه .

وذكره ابن الجوزى فى طبقات الأصحاب التى فى آخر المناقب ، وفى التاريخ ، وقال فيه : كان حافظاً متقناً ، مرضى الطريقة سخياً . وانتهت إليه القراءات والتحديث .

وذكر فى آخر كتابه « التلخيص » : أن أبا العلاء كان هو محدث عصره ومقرئه .

وقال الحافظ عبد القادر الرهاوى : شيخنا الحافظ أبو العلاء أشهر من أن يعرف بل تعذر وجود مثله فى أعصار كثيرة ، على ما بلغنا من سيرة العلماء والمشايخ . أربى على أهل زمانه فى كثرة السماع ، مع تحصيل أصول ما سمع وجودة النسخ ، وإتقان ما كتب بخطه . فإنه ما كان يكتب شيئاً إلا متقناً معرباً .

وبرع على حفاظ عصره فى حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى ، والقصاص والسير ، ولقد كنا يوماً فى مجلسه ، وقد جاءته فتوى فى أمر من أمر عثمان رضى الله عنه ، فأخذ الفتوى وكتب فيها من حفظه - ونحن جلوس - درجا طويلاً يذكر فيه عثمان رضى الله عنه ونسبه ومولده ووفاته وأولاده ، وما قيل فيه من شعر ، وغير ذلك مما يتعلق به .

وله التصانيف الكثيرة فى أنواع من علوم الحديث والزهديات والرقائق

وغير ذلك .

ومن جملة ما صنف « زاد المسافر » نحو من خمسين مجلدة . وكان إماماً في القرآن وعلومه ، وحصل من القراءات المسندة ما أنه صنف العشرة والمفردات . وصنف الوقف والابتداء والتجويد والمئات والعدد ، ومعرفة القراء . وهو نحو من عشرين مجلداً ، واستحسنت تصانيفه . وكتبت ونقلت إلى خوارزم وإلى الشام . وبرز عنده جماعة كثيرة في القراءات . وكان إذا جرى ذكر القراء يقول : فلان مات عام كذا ، وفلان مات في سنة كذا ، وفلان يعلو إسناده على فلان بكذا . وكان إماماً في النحو واللغة . سمعت أن من جملة ما حفظ في اللغة كتاب « الجهرة » وخرج له تلامذة في العربية أئمة يقرأون بهمدان . وبعض أصحابه رأيت . وكان من محفظاته كتاب « الغريبين للهروي » إلى أن قال : وكان عفيفاً من حب المال ، مهيناً له ، باع جميع ما ورثه . وكان من أبناء التجار فأنفقه في طلب العلم حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشياً يحمل كتبه على ظهره . سمعته يقول : كنت أبيت ببغداد في المساجد ، وآكل خبز الدخن . وسمعت أبا الفضل بن نبهان الأديب يقول : رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجله ؛ لأن السراج كانت عالية ، ثم نشر الله تعالى ذكره في الآفاق ، وعظم شأنه في قلوب الملوك وأرباب المناصب الدنيوية والعلمية والعوام ، حتى إنه كان يمر بهمدان ، فلا يبقى أحد رآه إلا قام ، ودعاه حتى الصبيسان واليهود . وربما كان يمضي إلى بلده مشكناً فيصلي بها الجمعة ، فيتلقاه أهلها خارج البلد : المسلمون على حدة ، واليهود على حدة ويدعون له إلى أن يدخل البلد .

وكان يفتح عليه من الدنيا جل فلم يدخرها ، بل ينفقها على تلامذته . وكان عليه رسوم لأقوام . وما كان يبرح عليه ألف دينار همدانية أو أكثر من الدين مع كثرة ما كان يفتح عليه . وكان يطلب لأصحابه من الناس ، ويعز أصحابه ومن يلوذ به ولا يحضر دعوة حتى يحضر جماعة أصحابه ، وكان لا يأكل من أموال الظلمة ،

ولا قبل منهم مدرسة قط ولا رباطا ، وإنما كان يقرئ في داره ونحن في مسجده
سكان ، وكان يقرئ نصف نهاره الحديث ، ونصفه القرآن والعلم .

وكان لا يخشى السلاطين ، ولا تأخذه في الله لومة لأثم ، ولا يمكن أحد
أن يعمل في مجلسه منكرًا ولا سماعًا .

وكان ينزل كل إنسان منزلته ، حتى تألفت القلوب على محبته ، وحسن
الذكر له في الآفاق البعيدة ، حتى أهل خوارزم ، الذين هم معتزلة مع شدته
في الحنبلة .

وكان حسن الصلاة ، لم أر أحداً من مشايخنا أحسن صلاة منه . وكان مشدداً
في أمر الطهارة ، لا يدع أحداً يمس مداسه .

قلت : هذه زلة من عالم .

قال : وكانت ثيابه قصاراً ، وأكمامه قصاراً ، وعمامته نحو من سبعة أذرع ،
وكانت السنة شعاره ووثاره ، اعتقاداً وفعلاً ، بحيث إنه كان إذا دخل مجلسه
رجل ، فقدم رجله اليسرى ، كلفه أن يرجع فيقدم اليمنى ، ولا يمس الأجزاء إلا
على وضوء ، ولا يدع شيئاً قط إلا مستقبل القبلة تعظيماً لها ، إلى أن قال : سمعت
من أثق به يحكى . قال : رأى السلفي طبقة بخط الحافظ ، فقال : هذا خط أهل
الإتقان ، وسمعت يحكى عنه أنه ذكر له ، فقال : قدمه دينه . قال : وسمعت من
أثق به يحكى عن أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ، أنه قال للحافظ
أبي العلاء ، لما دخل نيسابور : ما دخل نيسابور مثلك .

وسمعت الحافظ أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله يقول - وذكر رجلاً من
أصحابه سافر في طلب الحديث - : إن رجوع ولم يلق الحافظ أبا العلاء ضاعت
سفرته .

وقد روى عنه الحافظ أبو القاسم . وقال القاسم بن عساكر الحافظ : سمعت
التاج المسعودي يقول : سمعت أبا العلاء الهمداني يقول لرجل استأذنه في الرحلة :

إن عرفت أجدا أعرف مني ، فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه ، إلا أن تسافر إلى ابن عساكر ، فإنه حافظ كما يجب .

وقرأت بخط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي : أما حرمة الحافظ أبي العلاء ، ومكاته في العامة والخاصة فمشهورة ، وكراماته كذلك .

ومن نوادر الحافظ رحمه الله : أنه كان يمشي في اليوم الواحد ثلاثين فرسخا . حدثني الإمام طلحة بن مظفر العائلي قال : بيعت كتب ابن الجواليقي في بغداد ، فحضرها الحافظ أبو العلاء الهمداني ، فنادوا على قطعة منها : ستين دينارا ، فاشتراها الحافظ أبو العلاء بستين دينارا ، والإِنْظار من يوم الخميس إلى يوم الخميس . فخرج الحافظ ، واستقبل طريق همدان ، فوصل فنادى على دار له ، فبلغت ستين دينارا . فقال : بيعوا . قالوا : تبلغ أكثر من ذلك . قال : بيعوا . فباعوا الدار بستين دينارا فقبضها ، ثم رجع إلى بغداد . فدخلها يوم الخميس ، فوفى ثمن الكتب . ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة .

توفي رحمه الله ليلة الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسة . ذكره الحافظ بن النجار عن الحافظ أبي جعفر بن الحمامي الواعظ .

وذكر مكى وابن الجوزي : أنه توفي ليلة الخميس لتسع عشرة بقيت من جمادى الأولى .

قال ابن الجوزي : وبلغني : أنه رأى في المنام في مدينة جميع جدرانها من الكتب ، وحوله كتب لا تحدد ، وهو مشغول بمطالعتها . فقيل له : ما هذه الكتب ؟ قال : سألت الله تعالى أن يشغلني بما كنت أشتغل به في الدنيا ، فأعطاني .

ورأى له شخص آخر : أن يدين خرجا من محراب مسجده ، فقال : ما هذه اليدان ؟ فقال : هذه يدا آدم بسطهما ليعانق أبا العلاء الحافظ . قال : وإذا بأبي العلاء قد أقبل . قال : فسلمت عليه ، فردّ على السلام . وقال : يا فلان : رأيت

ابن أحمد حين قام على قبري يلتقني . أما سمعتهم يقولون حتى صحت على الملوك
فأقدرا أن يقولوا لي شيئاً ، ورجعوا رضى الله عنه .

١٤٩ - دهبل بن علي بن منصور بن إبراهيم بن عبد الله ، المعروف بابن كاره

البغدادى ، الحرىمى ، الخباز أبو الحسن .

ولد سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

وسمع من الحسين بن علي بن البسرى ، وأبي غالب القزاز ، وأبي علي

ابن المهدي ، وابن بيان ، وابن نيهان وغيرهم .

وذكره ابن السمعاني في كتابه .

وقال الشيخ موفق الدين المقدسى : كان فقيهاً من فقهاء أصحابنا ، وكان

يحضر في حلقة الفقهاء في جامع المنصور يوم الجمعة . وكان شيخاً صالحاً ، أتى بكتاب

« الجراح » ليحيى بن آدم .

وقال أبو المحاسن القرشى : كان فقيهاً حسناً ، فاضلاً زاهداً ، صادقاً ثقةً ،

وذكر غيره : أنه أضر بآخره .

وقال ابن نقطة : هو ثقة صالح .

قال ابن القطيبي : كان فقيهاً حنبلياً ثقة . حدث ، وسمع منه جماعة .

وقال المنذرى : تفقه على مذهب الإمام أحمد ، وسمع من غير واحد ، وحدث .

قلت : روى عنه ابن الأخرى ، وجماعة .

توفى في يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من محرم سنة تسع وستين وخمسمائة ،

ودفن بمقبرة باب حرب .

و « دهبل » بفتح الدال المهملة والباء الموحدة بينهما هاء ساكنة .

١٥٠ - عبد الصمد بن بديل بن الخليل الجبلى القرى ، أبو محمد .

ذكره ابن القطيبي ، فقال : قدم بغداد ، ونزل باب الأزج ، وقرىء عليه

القرآن بالروايات الكثيرة ، ورواها عن أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني .

قلت : وقد سمع من أبي العلاء الحديث .

قال : وكان عالماً ثقة ثبتاً ، فقيهاً مفتياً . وكان اشتغاله بالفقه على والديه رحمه الله . وناظر ودرس وأفتى ، وكتب إلى - وأنا مسافر - كتاباً ذكر فيه ما أحببت ذكره لبركته : الله الله ، كن مقبلاً ، مديماً على شئونك ، مشتغلاً بما أنت بصدده ، ولا تكن مضيعاً ، أنفاساً معدودة ، وأعماراً محسوبة ، واجعل ما لا يعينك دبراً أذنيك ، وانمض عينيك عما ليس من حظها ، واطلب من ريحانة ما حل لك ، ودع ما حرم عليك . وبذلك تغلب شيطانك . وتحوز مطالبك والسلام . توفي رحمه الله سنة تسع وستين وخمسة ودفن بمقبرة الإمام أحمد بالقرب من قبر بشر الحافي .

قال « وبديل » بفتح الباء .

وذكره ابن النجار ، فقال : صحب القاضي أبا يعلى بن أبي خازم ، وتفقه عليه . وكان خصيصاً به قرأ عليه جماعة القرآن . وكان مقرئاً مجوداً ، وقيهاً فاضلاً ، صالحاً متديناً . وأنه توفي يوم السبت سلخ ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسة . كذا نقله عن تميم بن البندنجي .

١٥١ - عبد الرحمن بن النفيس بن الأسعد النياثي ، الفقيه المقرئ

أبو بكر ، ويعرف بالأعز البغدادي .

كان في ابتداء أمره يفتي ، وله صوت حسن ، ثم تاب وحسنت توبته . وقرأ القرآن في زمن بسير ، وتعلم الخط في أيام قلائل ، وحفظ كتاب الخرق وأتقنه . وقرأ مسائل الخلاف على جماعة من الفقهاء . وكان ذكياً جداً ، يحفظ في يوم واحد ما لا يحفظه غيره في شهر .

وسمع من عبد الوهاب الأنماطي ، وسعد الخير الأنصاري ، وعسكر بن أسامة النصيبي . وتكلم في مسائل الخلاف ، وسافر إلى الشام ، وسكن دمشق مدة ،

وَأُمٌّ بِالْحَنَابِلَةِ فِي جَامِعِهَا ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ ، فَاسْتَوَظَنَهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ ، وَحَدَّثَ . وَكَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا ، قَارِئًا مَجُودًا ، مَلِيحَ التَّلَاوَةِ ، طَيِّبَ النِّعْمَةِ . .
قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ اللَّتِيِّ عَنْهُ : كَانَ قَوِيًّا فِي دِينِ اللَّهِ مَتَمَسِكًا بِالْأَثَارِ ، لَا يَرَى مُنْكَرًا ، وَلَا يَسْمَعُ بِهِ إِلَّا غَيْرَهُ ، لَا يَحَابِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ أَحَدًا .

قال : وصحبتُه وسمعتُ عليه ، معتقدًا في السنة ، وقرأتُ عليه أبوابًا من الخرقى .
قال : وخرج من بغداد سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .
وقيل : إنه توفي بمصر بعد سنة ستين وخمسمائة . رحمه الله تعالى .
روى عنه أبو الجود حاتم بن سنان بن إبراهيم الحبلى أناشيد .

١٥٢ - يحيى بن نجاح بن مسعود بن عبد الله اليوسفي ، المؤدب الأديب

الشاعر أبو البركات .

سمع من أبي العز بن كادش وغيره .

قال ابن الجوزي : سمع الحديث الكثير ، ثم قرأ النحو واللغة . وكان غزير الفضل ، يقول الشعر الحسن .
وقال ابن القطيبي : كان من أهل الأدب والعلم ، وفيه فضل ، وله خط حسن ، وشعر رقيق .

سمع منه جماعة من الطلبة . وكان حنبلي المذهب ، حسن الاعتقاد .

قال : وأنشدنا أبو البقاء الفقيه قال : أنشدنا أبو البركات يحيى بن نجاح اليوسفي لنفسه :

أقلا منك ذا الجفا أم دلال	كل يوم يروغني منك حال
أعدول يغريك أم غره المعشوق	أم هكذا يتيه الجمال؟
نظرة كنت يوم ذاك ، فإني	صرت في القلب عثرة لاتقال
أنا عرضت مهجتي يوم سلع	للهوى ، فالغرام داء عضال

عبثاً تقتل النفوس ولا تحسب ، إلا أن الدماء حلال
من عجيب أن لا يطيش لها سهم ولم تدر قط كيف النضال ؟
لى قلب قد استراح من العذل وسمع تككده العذال -
وهى قصيدة طويلة .

توفى رحمه الله يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شوال ، سنة تسع وستين
وخمسة . ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد . كذا ذكره القطيعي .
وقال ابن الجوزي : توفى في أواخر شوال .

و « اليوسفي » نسبة إلى ولاء بيت ابن يوسف . وكان جده مسعود مولى
الشيخ الأجل ، أبي منصور محمد بن عبد الملك بن يوسف ، رحمه الله تعالى .

١٥٣ - حامد بن محمود بن حامد بن محمد بن أبي عمرو الحراني ، الخطيب

الفقيه الزاهد ، أبو الفضل ، المعروف بابن أبي الحجر ، ويلقب تقي الدين ، شيخ
حران وخطيبها ، ومفتيها ومدرسها .

ولد سنة ثلاث عشرة وخمسة بجران ، فيما قرأته بخط الإمام أبي العباس ابن
تيمية ، وذكر أنه نقله من خط أحمد بن سلامة بن النجار الحراني الزاهد .

ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من عبد الوهاب الأنماطي الحافظ ، ويحيى
ابن حبيش الفارقي ، وعمر بن عبد الله بن علي الحربي وغيرهم ، وتفقه بها ، وبرع
وناظر ، ولقي بها الشيخ عبد القادر ، ولازمه ، فرآه الشيخ يوماً يمشي على سجداته ،
على بساط للشيخ ، فقال له الشيخ عبد القادر : كأني بك ، وقد دست على بساط
السلطان . كذا ذكره أبو عبد الله بن حمدان الفقيه .

وقال ناصح الدين بن الحنبلي رضى الله عنه : حدثني ولده إلياس - يعنى :
ولد أبي الفضل حامد - قال : خرج والدي مع الشيخ عبد القادر في زيارة ، وكان
معه جماعة ، وانفرد والدي عنه ، ورفع ثوبه على قصبية ، فقال الشيخ عبد القادر :

من هذا؟ فقالوا: الفقيه حامد الحراني، فقال: هذا يكون له تعلق بالملك، وكان كما قال.

وذكره ابن الجوزي في تاريخه، فقال: صديقنا. قدم بغداد. وتفقه وناظر، وعاد إلى حران، وأفتى، ودرس. وكان ورعاً، به وسوسة في الطهارة.
وذكر ابن القطيبي في تاريخه نحواً من ذلك، وقال: كان تالياً للقرآن، كتبت عنه. وكان ثقة.

وقال الشيخ فخر الدين ابن تيمية في أول تفسيره، وبعد رجوعي إلى حران: كنت كثير المباحثة لشيخنا الإمام البارع أبي الفضل حامد بن محمود بن أبي الحجر رحمه الله في مشكل الآيات، وحل ما فيها من الإشكالات.

وكان رحمه الله إذا شرع في التفسير والتذكير شبيهاً بالجواد المفرط، والجواد القطقط، يوسع المسامع هدير شقاشقه، ويزعزع المسامع زجر رواشقه، هذا مع ما كان قد منحه الله من الرشاقة، وعسولة المنطق واللباقة.

وقال الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي: كان شيخ حران في وقته. بنى نور الدين محمود المدرسة في حران لأجله، ودفن بها إليه، ودرس بها، وتولى عمارة جامع حران، فما قصر فيه، قيل: إنه راح إلى الروم، وتولى نشر الخشب بنفسه. وكان نور الدين محمود، يقبل عليه، وله فيه حسن ظن. وكان عنده وسواس في الطهارة.

ورحل إلى بغداد، ونزل بمدرسة الشيخ عبد القادر، وسمع درسه، وكان من أصحابه. وجاء إلى دمشق في حوائج إلى نور الدين، ونزل عندنا في المدرسة، وأضافه والدي.

وقال ابن حمدان: كان شيخ حران، وخطيبها ومدرسها، ولأجله بنيت المدرسة النورية بحران. وله ديوان خطب. وقيل: إن أكثرها كان يرتجلها إذا صعد إلى المنبر، فلما ولاء السلطان نور الدين الشهيد، قال: بشرط أن تترك للمظالم والضمانات، وتورث ذوي الأرحام، فأجابه إلى ذلك.

وكان والده الفقيه إلياس إذا غاب عن المدرسة يوماً ، لا يعطيه خبزاً ، ويقول : هو كالمستأجر .

قال : ولم يأخذ على نظره في الجامع ، وأوقفه شيئاً ، حتى إن غلامه اشترى تجارة كما اشتراه العوام من تجارة خشب الجامع ، فلم يأكل ماخبز في بيته . وسيرته في الورع والزهد مشهورة بحران بين أهلها .

قلت : أخذ عنه العلم جماعة من أهل حران ، منهم : الخطيب فخر الدين ابن تيمية ، وأبو الفتح نصر الله بن عبدوس ، وغيرهما .

وسمع منه الحديث بحران جماعة من الطلبة والرحالين ، منهم : أبو المحاسن عمر بن علي القرشي الدمشقي ، سنة ثلاث وخمسين ، وأبو الحسن بن القطيعي ، سنة ست وستين .

وروى عنه في تاريخه ، وقال : توفي لسبع خلون من شوال سنة سبعين وخمسة بحران . وكذا ذكر ابن الجوزي : أنه توفي بحران سنة سبعين .

وقرأت بخط الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى ، قال : نقلت من خط الزاهد أحمد بن سلامة بن النجار : توفي الفقيه حامد بن محمود بن أبي الحجر - وكان من أهل العلم والبراعة والفصاحة - سنة تسع وستين وخمسة ، ثم قال الشيخ تقي الدين : عندي في هذا نظر ؛ لأن الشيخ الفخر ذكر أنه كان يذاكره بعد رجوعه إلى حران ، وذكر الشيخ فخر الدين ابن تيمية في كتابه «ترغيب المقاصد» أن شيخه حامد بن أبي الحجر اختار : أن الفاسق تثبت له ولاية الفكاك .

١٥٤ - المبارك بن الحسن بن طراد الباموردي الفرضي ، أبو النجم بن أبي

السعادات ، المعروف بابن المقابلة .

ولد سنة خمس وخمسة تقريباً .

وسمع من طلحة العاقولي سنة عشر ، وهو أقدم سماع وجد له ، ومن القاضي

أبي الحسين بن الفراء ، وأبي منصور القزاز ، والقاضي أبي بكر ، وابن الحصين ،

وأبي الفضل عبد الملك بن يوسف ، وأبي غالب الماوردي وغيرهم .

قال ابن الجوزي : كان عارفاً بعلم الفرائض ، والمواقيت .

وذكره ابن القطيبي ، وقال : كتبت عنه . وكان ثقة .

قال : وكان أعلم أهل زمانه بالفرائض ، والحساب ، والدور ، حسن العلم

بالجبر والمقابلة ، وغامض الوصايا والمناسخات ، حنبلي المذهب ، أماًراً بالمعروف ،

شديداً على أهل البدع ، عارفاً بمواقيت الشمس والقمر .

وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

ودفن بمقبرة الطبري ، بقرية الزاويان ، ظاهر بغداد . رحمه الله تعالى .

١٥٥ - محمد بن عبد الباقي بن هبة الله بن حسين بن شريف الجمعي ،

الموصلى أبو المحاسن .

ذكره ابن القطيبي ، فقال : أحد فقهاء الحنابلة المواصلين . ورد بغداد ، وتفقه

على القاضي أبي يعلى محمد بن محمد بن محمد بن الفراء ، وسمع بها الحديث والأدب ،

وكان تالياً لكتاب الله ، وجمع كتاباً اشتمل على طبقات الفقهاء من أصحاب أحمد

قلت : وله مصنف في شرح غريب ألفاظ الخرق .

قال : وكان بالموصل عمر الملا ، مقدماً في بلده ، فاتهمه بشيء من ماله . وكان

خصيصاً به ، وضربه إلى أن أشفى ، ثم أخرجه إلى بيته وبقى أياماً يسيرة .

وتوفي في رجب - أو شعبان - سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بالموصل

رحمه الله .

وعمر هذا ، كان يظهر الزهد والديانة ، وأظنه كان يميل إلى المبتدعة . وقد

تبين بهذه الحكاية أيضاً : ظلمه وتعديه .

١٥٦ - علي بن عساكر بن المرحب بن العوام ، البطائحي ، المقرئ النحوي

أبو الحسين الضرير .

ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائة - أو سنة تسعين - على الشك منه .
وقرأ بالروايات على أبو العز القلانسي ، وأبي عبدالله الدباس البارع ، وسبط
الخياط ، وأبي بكر المزرفي ، وأبي سعد الطيوري ، وأبي طالب بن يوسف ،
وأبي الحسين بن القراء .

وقرأ الأدب على أبي البركات عمر بن إبراهيم الزيدي بالكوفة .
وسمع الحديث من ابن الحصين ، وأبي الحسين بن الزاغواني ، وأبي بكر بن
عبد الباقي ، وأبي منصور القزاز ، والمزرفي ، وأبي القاسم السمرقندي ، وغيرهم .
وكان من أئمة القراء وصنف في القراءات عدة مفردات ، وكان بارعاً في
العربية ، ثقة جليلاً صالحاً .

قال ابن النجار : كان إماماً كبيراً في معرفة القراءات ، ووجوهاً وعلماً
وطرقها وضبطها وتجويدها ، وحسن الأداء والإتيان والصدق والثقة . وكانت له
معرفة تامة بالنحو . وكان متديناً ، جميل السيرة ، مرضى الطريقة . انتهى
وقال الشيخ موفق الدين المقدسي عنه : كان مقرئاً ببغداد في وقته ، وكان
عالمًا بالعربية ، إماماً في السنة .

قرأ عليه القرآن جماعة من الكبار ، منهم : عبد العزيز بن دلف ، وأبو الحسن
ابن الجري .

وحدث عنه جماعة ، منهم : الحافظ ابن الأخضر ، وعبد الغني المقدسي ،
وعبد القادر الرهاوي ، وأحمد بن البندنجي ، والشيخ موفق الدين ، والشهاب بن
راجح ، وغيرهم .

وروى عنه بالإجازة : الخليفة الناصر العباسي ، وقرأ عليه القرآن أيضاً :
الوزير ابن هبيرة ، وأكرمه ونوه باسمه . وكان الوزير قد قرأ بالروايات على رجل
يقال له : مسعود بن الحسين الحنبلي ، وادعى أنه قرأ على ابن سوار ، وأسند الوزير
القراءات عنه عن ابن سوار في كتاب « الإفصاح » فحضر البطائحي دار الوزير

وابن شافع يقرأ عليه . فلما انتهى إلى قوله : وأما رواية عاصم فإنك قرأت بها على مسعود بن الحسين . قال : قرأت بها على ابن سوار . وكان البطائحي قاعداً في غمار الناس ؛ لأنه لم يكن حينئذ معروفاً ، ولا له ما يتجمل به . فقام وقال : هذا كذب . ورفع صوته ، ثم خرج . وبلغ الوزير الخبر ، فطلبه وطلب مسعوداً وحاققوه . فتبين كذبه ، وأنه لم يدخل بغداد إلا بعد موت ابن سوار بكثير ، وأحضر البطائحي نسخة من المستنير بخط ابن سوار ، فقبل بخطها الخط الذي مع مسعود ، ويدعى أنه خط ابن سوار ، فبان الفرق بينهما .

وقال البطائحي : هو خط مزور بخط أبي رويح الكاتب . وكان خطه شبيهاً بخط ابن سوار . فأهان الوزير مسعوداً ، ومنعه من الصلاة بالناس ، وقال له : لولا أنك شيخ لنكلت بك . ثم قرأ الوزير على البطائحي ، وأسند عنه القراءات ، وعلا قدره . وذكر مضمون هذه الحكاية ابن النجار عن أحمد بن البندنجي ، وكان شاهداً للقصة . وصار للبطائحي بعد ذلك اتصالاً بالدولة ، ويدخل بواطن دار الخلافة . وكان ضريراً يحني شاربته . ووقف كتبه بمدرسة الحنابلة بباب الأزج .

وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد إسماعيل بن الجواليقي بجامع القصر ، ودفن بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى

١٥٧ - مسلم بن ثابت بن القاسم ، بن أحمد بن النحاس البزاز ، البغدادي

المأموني ، الفقيه أبو عبد الله بن أبي البركات . ويعرف بابن جوالق بضم الجيم ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة .

وسمع من أبي علي بن نبهان ، وتفقه على أبي الخطاب الكلوذاني وناظر وتطلس ذكره ابن القطيبي ، وقال : سمع منه جماعة من الطلبة ، وكتبت عنه . وكان صحيح السماع .

قلت : روى عنه ابن الأخضر .

توفي يوم الأحد عشرين ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

١٥٨ - أصحمر بن محمر بن المبارك بن أحمد بن بكروس بن سيف الدينورى

ثم البغدادي ، أبو العباس بن أبي بكر بن أبي العز . ويعرف أيضاً بابن الحماسي .
الفقيه الزاهد العابد .

قرأ بالروايات على جماعة . سمع من ابن كادش وأبي بكر المزرفي . وتفقه على
أبي بكر الدينورى . وكان رفيق ناصح الإسلام أبي الفتح بن المنى فى سماع الدرس
على الدينورى . وله مدرسة بدرب القيار ببغداد بناها . وكان يدرس بها .

تفقه عليه جماعة منهم : الشيخ فخر الدين ابن تيمية ، وحدث . روى عنه
الشيخ موفق الدين .

وقرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي : كان فقيهاً زاهداً ، عابداً مفتياً .
وسمته يتكلم فى حلقة شيخنا ابن المنى ، وعليه من نور العبادة وهدى الصالحين
ما يشهد له .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين ؟ فقال : كان فقيهاً ، صاحب مسجد ومدرسة
يتكلم فيها فى مسائل الخلاف ويدرس . وكان يتزهد . وكان متزوجاً بابنة ابن
الجوزي ، وما علمنا منه إلا الخير .

توفى يوم الثلاثاء خامس صفر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وكان
يومه مشهوداً .

ورأى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام بعد موت أحمد بن بكروس
وهو يقول : مات عابد الناس . وشاع هذا المنام فى الناس . قرأته بخط ابن الحنبلي
وكان أبوه أبو بكر محمد رجلاً صالحاً كثير الحج .

سمع الحديث فى كبره على جماعة .

ولأبي العباس ولد اسمه محمد ، يكنى أبا بكر . سمع من أبيه وعمه على زمن
ابن البطي ، ويحيى بن بندار ، وطبقتهم . وكان فقيهاً صالحاً .
وتوفى شاباً سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

١٥٩ - صرفة بن الحسين بن الحسن بن بختيار بن الحداد البغدادي ،

الفقيه الأديب ، الشاعر المتكلم ، الكاتب المؤرخ أبو الفرج .
ولد سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وقرأ بالروايات . وسمع الحديث من أبي السعادات المتوكلي ، وأبي الوفاء بن عقيل الإمام ، وأبي الحسن الزاغوني ، وأبي علي المبارك ، وغيرهم . وتفقه على ابن عقيل ، ثم من بعده علي ابن الزاغوني ، وبرع في الفقه ، فروعه وأصوله .

وقرأ علم الجدل والكلام ، والمنطق والفلسفة ، والحساب ، ومتعلقاته من الفرائض وغيرها . وكتب خطأ حسناً صحيحاً ، وقال الشعر المليح ، وأفقي وناظر ، وانقطع بمسجده بالبدرية شرقي بغداد ؛ يؤم الناس فيه ، وينسخ ويفتي ، ويتردد إليه الطابة يقرأون عليه فنون العلم ، وبقي على ذلك نحواً من سبعين سنة ، حتى توفي .

ومن قرأ عليه من أصحابنا : الوزير أبو المظفر بن يونس .

وحدث وسمع منه جماعة ، وروى عنه أبو المعالي بن شافع ، والفقيه يعيش ابن مالك بن ريمان . وله مسائل مفردة من أصول الدين ، وجزء سماه « ضوء الساري ، إلى معرفة الباري » .

قال ابن النجار : وله مصنفات حسنة في أصول الدين . وقد جمع تاريخاً على السنين ، بدأ فيه من وقت وفاة شيخه ابن الزاغوني ، سنة سبع وعشرين وخمسة ، مذيلاً به على تاريخ شيخه ، ولم يزل يكتب فيه إلى قريب من وقت وفاته ، يذكر فيه الحوادث ، والوفيات . وقد نسخ بخطه كثيراً للناس من سائر الفنون . وكان قوته من أجره نسخته ، ولم يطلب من أحد شيئاً ، ولا سكن مدرسة ، ولم يزل قليل الحظ ، منكسر الأغراض ، متنقص العيش ، مقترأ عليه أكثر عمره .

وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء ، سأل عن مسألة في الحكمة ؟ فقيل له : إن صدقة الناسخ ، له يد قوية في ذلك ، فأنفذها إليه . فكتب فيها جواباً حسناً شافياً ، استحسنته الوزير ، وسأل عن حاله ؟ فأخبر بفقره ، فأجرى له ما يقوته ، وعلمت الجهة « بنفشا » بحاله - يعنى جهة الخليفة - فصارت تفتقده في بعض الأوقات ، بما يكون بين يديها من الأطعمة الفاخرة والحلوى ، فيعجز عن أكله ، فيعطيه لمن يبيعه له ، فكان ربما شكى حاله لمن يأنس به ، فيشنع عليه من له فيه غرض ، ويقول : هو يعترض على الأقدار ، وينسبه إلى أشياء ، الله أعلم بحقيقتها .

قال : وحكى لى بعض أصحابنا ، قال : دخل بعض الناس على صدقة ، وإلى جانبه ممركن ، وعليه خرقة مبلولة ، قد اجتمع عليها الذباب ، فقال له : ما هذا المركن ؟ قال : فيه حلوى السكر يابسة ، قد نعتتها في الماء لتلين ، وأقدر على أكلها لذهاب أسناني ، وأعجبك أنه لما كانت لى أسنان صحاح قوية لم يقدرنى القدر على التمر ، فلما كبرت ، وذهبت أسناني ، رزقت هذه الحلوى اليابسة ، لأزداد بنظري إليها ، وعجزى عن أكلها حسرة ، فكان الناس ينسبون به هذا الكلام ، وبما كان يعلم من العلوم القديمة إلى أشياء ، لعله برىء منها .

قلت : يشير بذلك ابن النجار إلى الشيخ أبى الفرج بن الجوزي ، فإنه حط عليه في تاريخه خطأ بليغاً ، وذكر له أشعاراً رديئة ، تتضمن الحيرة والشك ، وكلمات تتضمن الاعتراض على الأقدار ، وقال : هذا من جنس اعتراضات ابن الرواندى ، ونسبه أيضاً إلى تعاطى فواحش ، وإلى المسألة من غير حاجة ، وأنه خلف ثلاثمائة دينار .

وقال : لما كثر عثورى على هذا منه ، وعجز تأويلي له ، هجرته سنين ، ولم أصل عليه حين مات ، والشيخ أبو الفرج رحمه الله ثقة فيما ينقل ، وإذا ثبت أو اشتهر عن أحد مثل هذه الأمور ، فهاجره وذامه معيب فيما يفعل .

وقال ابن القطيبي : كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة ، وكل واحد يقول في صاحبه مقالة ، الله أعلم بها .

قال : وسمعت الوزير بن يونس - ومجلسه حفل بالعلماء - يثنى على صدقة ، وينكر على ابن الجوزى قدحه فيه ، بقوله : صليت إلى جانب صدقة ، فما سمعته يقرأ . وقال : الواجب أن يسمع نفسه ، لا من إلى جانبه ، وأين حضور قلب ابن الجوزى من سماع قراءة غيره ؟ ثم من جعل همته إلى تتبع شخص ، إلى هذا الحد في الصلاة ، دل بفعله على عداوته ، والله يغفر لها .

قلت : هذا من أسهل ما أنكره ابن الجوزى عليه ، ثم إنه قال : كنت أتأمله إذا قام إلى الصلاة ، فأكون في أوقات إلى جانبه ، فلا أرى شفتيه تتحرك أصلاً ، لم يقل : لم أسمع يقرأ .

وأما الفتيا التي عرفه الوزير بسببها ، فقد ذكرها ياقوت الحموى في كتابه قال : جرى بين الوزير أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء وزير المستضىء مسألة في العلم : هل هو واحد ، أم أكثر . وكان عنده جماعة من أهل العلم ، كابن الجوزى وغيره ، فسألهم عن ذلك ؟ فكل كتب بخطه : إن العلم واحد ، فلما فرغوا ، قال : ترى ههنا من هو قيم بهذا العلم غير هؤلاء ؟ فقال له بعض الحاضرين : ههنا رجل يعرف بصدقة الناسخ ، يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها ، فنفذ بالفتوى ، وفيها خطوط الفقهاء ، وقال : انظر في هذه ، وقل ما عندك ، فلما وقف عليها فكر طويلاً ، متعجباً من اتفاقهم على ما لا أصل له ، ثم أخذ القلم ، وكتب : العلم علمان : علم غريزي ، وعلم مكتسب .

فأما الغريزي : فهو الذي يدرك على الفور ، من غير فكرة ، كقولنا : واحد وواحد ، فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان .

وعلم مكتسب : وهو ما يدرك بالطلب ، والفكرة والبحث ، أو كلاماً هذا معناه ، وأنفذ الخط إلى الوزير . فلما وقف عليه ، أعجب به ، وقال : أين يكون هذا الرجل ؟ فعرف حاله وفقره ، فاستدعاه إليه ، وتلقاه بالبشر ، وخلع عليه خلعاً حسنة ، وأعطاه أربعين ديناراً ، ففرح فرحاً عظيماً ، وقال : يامولاي ، قد

حضرتى بيتان . قال : أنشدهما ، فقال :

ومن العجائب والعجائب جملة شكر بطيء عن ندى متسرع
ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب فلاشكرن ندى أجاب وما دعى
فاستحسن ذلك ، وما زال يبره إلى أن مات ، سأل الله .

توفى صدقة يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين
وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد برحبة الجامع ، ودفن بباب حرب .
وقيل : إنه توفى يوم الأحد ، رابع عشر .

وذكر ابن الجوزى عن حدثه : أنه رأى له منامات غير صالحة ، وأنه عريان ،
وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه ، وأنه لم يغفر له ، فالله تعالى يسأله
ويتجاوز عنه .

وذكر ابن النجار عن على الفاخرانى الضرير ، قال : رأيت صدقة الناسخ
فى المنام ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بعد شدة ، فسألته عن علم
الأصول ؟ فقال : لا تشتغل به ، فما كان شىء أضر علىّ منه ، وما نفعنى إلا خمس
قصيات - أو قال : تميرات - تصدقت بها على أرملة .

قلت : هذا المنام حق ، وما كانت مصيبتة إلا من علم الكلام . ولقد صدق
القائل : ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح . وبسبب شبه المتكلمين والمتفلسفة ،
كان يقع له أحياناً حيرة وشك ، يذكرها فى أشعاره ، ويقع له من الكلام
والاعتراض ما يقع .

وقد رأيت له مسألة فى القرآن ، قررفيها : أن ما فى المصحف ليس بكلام الله ،
حقيقة ، وإنما هو عبارة عنه ، ودلالة عليه ، وإنما يسمى كلام الله مجازاً .
قال : ولا خلاف بيننا ، وبين المخالفين فى ذلك ، إلا أن عندنا : أن مدلوله
هو كلام الله الذى هو الحروف والأصوات ، وعندهم مدلول الكلام ، الذى
هو المعنى القديم بالذات .

١٦٠ - أحمد بن أبي غالب بن أبي عيسى بن شيخون الأبرودي الحبايني

أبو العباس ، الفقيه الضرير ، كذا نسبه ابن النجار
وقال ابن الجوزي : أحمد بن عيسى بن أبي غالب ، من قرية بدجيل ، يقال
لها : الحبايين .

دخل بغداد في صباه ، وحفظ القرآن ، وقرأه بالروايات على أبي محمد سبط
الخطاط ، وسمع منه الحديث ، ومن سعد الخير الأنصاري ، ومن جماعة دونهما .
وقرأ الفقه على أبي العباس ، أحمد بن بكروس ، وحصل منه طرفاً صالحاً ،
ولمات ابن بكروس ، خلفه في مسجد ومدرسته . وكان صالحاً . متديناً . ومات
شاباً ، لم يرو شيئاً . ذكر ذلك ابن النجار .

وقال ابن الجوزي : قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقه وناظر ، وكان فيه دين .
قال ابن النجار : قرأت في كتاب أبي بكر عبيد الله بن علي المارستاني بخطه
قال : دخلت على أحمد الحبايني عائداً ، فأنشدني ممثلاً :

سبكي على باكي العين بعد موته ويبكي على باكي البكاء إلى الحشر
فنفسي أعدى فضل زاد من التقى فإنك في الدنيا ورجلاك في القبر

توفي يوم الجمعة عاشر رجب سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه يومئذ
بجامع القصر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد عن نيف وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

١٦١ - المظفر بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء

أبو منصور ابن القاضي أبي يعلى ابن القاضي أبي خازم ابن القاضي الكبير أبي يعلى .
ولد سنة ست وثلاثين وخمسمائة .
وسمع الحديث ، واشتغل بالفقه أصولاً وفروعاً . وبرع وناظر وتأدب ، وقال
الشعر الجيد .

ومن شعره :

لست أنسى من سليمي قولها يوم جسد البين ، نبي وبكت

قطع الله يد الدهر لقد
فجرى دمعى لما سمعت
يا لها من قولة عن ناظرى
قرطست إذ بالنوى شملى رمت
ووعت أذناى منها ماوعت
نومة طول حياى قد نفت

ومن شعره أيضا :

ياربة الطرف الكحيل الذى
وربة الخد الأسيل الذى
هو يتكم والقلب ذو صحة
كان خلياً فارغاً فانتى
عوفيتم من سقم حل بي
لا تقتلوا عبداً أسيراً غدا
والله لو جئت ومن دونكم
وقلتم : طأها ، ووطئ لها
يرى منى الأكباد بالنبل
يفعل فعل الصارم المجلى
واليوم قد أصبح ذا خيل
بكم عن العالم فى شغل
ولا رأتكم مقلتى مثلى
وهو لكم أطوع من نعل
نار ثوت تعمل فى الجزل
يرضيكم أقحمتها رجلى

توفى رحمه الله فى عنقوان شبابه ، يوم الجمعة لخمس عشرة خلت من شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب .

١٦٢ - محمد بن أبى غالب بن أحمد بن مرزوق بن أحمد الباقدارى ،

البغدادى الضرير المحدث ، الحافظ أبو بكر .

ولد بباقدار ، قرية من قرى بغداد . وقدم بغداد فى صباه ، فتلا على جماعة . وسمع الحديث من أبى محمد سبط الخياط ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وابن الطلاية وأبى الوقت ، وابن ناصر الحافظ ، وطبقتهم . وأكثر السماع عليهم ، "وعلى من بعدهم وحدث ، وسمع منه أبو الحسن على بن عمر الزيدى الحافظ ، وغيره .

وذكره ابن الديبى الحافظ ، فقال : انتهى إليه معرفة رجال الحديث وحفظه . وعليه كان المعتمد فيه .

وقال أبو الفتح نصر بن الحصرى الحافظ : كان آخر من بقى من حفاظ الحديث الأئمة .

قال الديبى : سمعت غير واحد من شيوخنا يذكر أن أبا بكر الباقدارى ، ويصفونه بالحفظ ومعرفة الرجال والمتون ، مع كونه ضريراً مقصوراً ، إلا أنه كان حفظة ، حسن الفهم . بلغنى : أن ابن ناصر كان يراجعه فى أشياء ، ويصير إلى قوله وقال الحافظ عبد العظيم المنذرى : كان أحد حفاظ بغداد ، المشهورين بمعرفة الرجال ، والمتقدم مع ضرره ، حدث وخرج .

قال الحافظ أبو بكر الباقدارى : روى أبو بكر بن أبى داود عدة أحاديث ، يقول فيها : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا سعد حدثنا الأعمش ، بأسانيد متصلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فكنت لا أدري من إسحاق بن إبراهيم ، ولا سعد ؟ فأمنت النظر ، وأجدت التفتيش ، فلم أجده إلا فيما قرئ على المبارك ابن أبى نصر البرزاز - وأنا أسمع - قيل له : حدثكم عبد الله بن أحمد حدثنا أحمد ابن على الحافظ ، قال : حدثنا ذكر إسحاق بن إبراهيم الشيرازى : أخبرنا أحمد بن عبد الله بن الحسين الحاملى - إملاء - حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف . حدثنا أحمد بن إبراهيم البردعى ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الشيرازى ، حدثنا جدى سعد بن الصلت ، حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر من غير خوف ولا مطر . فقيل لابن عباس : لِمَ فعل ذلك ؟ قال : كى لا يخرج أمته » . وجمع أبو بكر فى هذا جزءاً .

قلت : إسحاق هذا يعرف بشاذان ، وهو إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله النهشلى الفارسى ، وهو ابن بنت سعد بن الصلت قاضى فارس . روى عن جده أبى أمه سعد بن الصلت ، وأبى داود الطيالسى ، والأسود بن عامر . قال ابن أبى حاتم : كتب إلى أبى ، وإلى ، وهو صدوق .

توفي أبو بكر الباقداري نحس بقين من ذى الحجة سنة خمس وسبعين وخمسة ، وهو في سن الكهولة . ودفن بالشونيزية ، بترية مقبرة أبي القاسم الجنيد ، وهو والد عجيبة مسندة العراق .

١٦٣ - المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد الطباخ البغدادي ،

نزيل مكة المكرمة ، وإمام الحنابلة بالحرم ، المحدث الحافظ أبو محمد .
سمع الكثير ببغداد من أبي سعد بن الطيوري ، وأبي العز بن كادش ، وابن الحصين ، وأبي بكر المزرفي ، وابن غالب بن البنا ، والقاضي أبي الحسين بن الفراء ، وأبي منصور القزاز ، وأبي القاسم بن السمرقندي ، وأبي الحسين بن الزاغوني ، وبهرام بن بهرام بن فارس البتيع ، وأبي بكر اللفتواني الأصبهاني ، وغيرهم وعنى بالطلب . وسمع الكثير . وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه . وكان صالحاً ديناً ثقة ، وهو كان حافظ الحديث بمكة في زمانه ، والمشار إليه بالعلم بها .

وحدث ، وسمع منه خلق من القدماء ، منهم : ابن السمعاني ، وسمع منه جماعة من أصحابنا ، منهم : أبو القاسم عبيد الله بن الفراء ، وأبو العباس أحمد بن محمد ابن الفراء ، وأبو الفتح بن عبدوس الحراني ، والوزير بن يونس ، وأبو عبد الله الأرتاحي ، وغيرهم .

وتوفي في ثامن شوال سنة خمس وسبعين وخمسة بمكة . وكان يوم جنازته مشهوداً رحمه الله .

١٦٤ - إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن

محمد بن الجواليقي الأديب ابن الأديب ، أبو محمد بن أبي منصور .
ولد في شعبان سنة اثني عشرة وخمسة .

وسمع من أبي القاسم بن الحصين ، وأبي بكر الأنصاري ، وأبي الحسين بن الفراء ، وأبي العز بن كادش ، وأبي غالب بن البنا ، وأبي القاسم بن السمرقندي وغيرهم .

وقرأ القرآن والأدب على أبيه ، وكان عالماً باللغة والعريضة والأدب . وله سمت حسن . وقام مقام أبيه في دار الخلافة .

قال ابن القطيبي : سمعت ابن الجوزي يقول : ما رأينا ولدأ أشبه أباه مثله حتى في مشيه وأفعاله .

وتوفي يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بجامع القصر . ودفن بمقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه .

وقال المنذرى : هو أحد الفضلاء النساك ، سمع من غير واحد ، وحدث .

وقال الديلمي : شيخ فاضل ، له معرفة بالأدب ، وقور ، حسن الطريقة واختص بخدمة الخلفاء في أيام المستضيء .

سمع منه عمر القرشي ، والمبارك بن أبي شتكين ، وخلق كثير .

وقال ابن النجار : كان من أعيان العلماء بالأدب ، صحيح النقل ، كثير

المحفوظ ، حجة ثقة نبيلاً ، مليح الخط . قرأ الأدب على أبيه حتى برع فيه . وكانت

له حلقة بجامع القصر الشريف ، يقرئ فيها الأدب كل جمعة . وكان يكتب

أولاد الخلفاء ، ويقرئهم الأدب ، وكان على منهاج أبيه في حسن السمات ، والديانة

والزاهة والعفة ، وقلة الكلام ، والرواية .

روى لنا عنه ابن الأخضر ، وأثنى عليه ثناء كثيراً :

١٦٥ - أحمد بن أبي الوفاء ، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الصمد

ابن محمد بن الصائغ البغدادي ، الفقيه الإمام أبو الفتح ، نزيل حران .

ولد ببغداد سنة تسعين وأربعمائة . قاله ابن القطيبي عنه .

وقال أبو المحاسن القرشي عنه : سنة سبعين .

ولزم أبا الخطاب الكلوذاني ، وخدمه وتفقّه عليه . وسمع منه ، ومن أبي القاسم

ابن بيان ، وسافر إلى حلب وسكنها . ثم استوطن حران إلى حين وفاته . وكان

هو المفتي والمدرس بها .

وقرأ عليه الفقه جماعة ، منهم : الشيخ فخر الدين ابن تيمية . وحدث بحلب وبمجران .

سمع منه جماعة من أصحابنا ومن غيرهم ، منهم : أبو الفتح بن عبدوس ، والشيخ العماد المقدسي ، والبهاء عبد الرحمن المقدسي ، ومحمود بن الصقال ، وأبو الحسن بن الصقال ، وأبو الحسن بن القطيعي . وروى عنه في تاريخه .

قال : وأنشدني أبو الخطاب الكلوزاني لنفسه :

أنا شيخ وللمشايع بالآداب علم يخفى على الشبان

فإذا ما ذكرتني فتأدب فهو قرض يرد بالميزان

وروى عنه ابن صصري في معجمه ، وابن الأستاذ ، وغيرهما .

توفي رحمه الله بمجران سنة ست وسبعين وخمسمائة ، فيما ذكره ابن القطيعي .

وذكر الذهبي في تاريخه : أنه مات سنة خمس وسبعين .

١٦٦ - علي بن محمد بن المبارك بن أحمد بن بكروس ، البغدادي ، الفقيه ،

أبو الحسن ، أخو أبي العباس أحمد السابق ذكره .

ولد يوم الإثنين ثالث رجب سنة أربع وخمسمائة .

وسمع الحديث من ابن الحصين ، والمزرفي ، وأبي القاسم بن السمرقندي ،

وأبي غالب الماوردي ، وأبي الحسن علي بن محمد الهروي ، وزاهر بن طاهر

الشحامي ، وغيرهم .

وثفقه في المذهب ، وبرع ، وأفتى وناظر ، ودرس بمدرسة أخيه آخراً ،

وصنف في المذهب ، وله كتاب « رموس المسائل » ، وكتاب « الأعلام » .

وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم : أبو الحسن بن القطيعي . وروى عنه في

تاريخه .

ولزم بيته في آخر عمره لمرض حصل له ، إلى أن توفي يوم الإثنين ثالث

ذي الحجة ، سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ، رضي الله عنه .

١٦٧ - علي بن أبي المعالي المبارك - وقيل : أحمد بن أبي الفضل بن

أبي القاسم بن الأحذب الوراق الدارقزى ، ثم المحول ، الفقيه أبو الحسن ، المعروف
بابن غريبة .

وقال ابن النجار : رأيت نسبه بخط ابن مشق علي بن محمد بن أحمد بن
أبي القاسم ، أبو الحسن بن أبي المعالي بن أبي الفضل .

ولد في منتصف رمضان سنة ست وخمسة .

وسمع الكثير من أبي القاسم بن الحصين ، سمع منه المسند بكامله ، ومن
القاضي أبي بكر الأنصارى ، والقاضي أبي الحسين بن الفراء ، وأبي غالب بن
الفراء ، وأبي القاسم بن السمرقندى .

وسمع بمزور من الخطيب أبي الفتح الكشميهني ، وغيرهم .

وتفقه في المذهب علي أبي القاسم بن قنمى ، وأبي الفضل بن سيف ، وقرأ
الفرائض علي القاضي أبي بكر . وكان ثقة ، صحيح السماع ، ذا عقل وتجربة ،
ولاه الوزير ابن هبيرة المظالم ، يرفعها إليه . وانقطع في آخر عمره بالمحول ، إلى أن
مات ، وأفلج قبل موته بشهر ، وحدث ، وسمع منه جماعة .

قال ابن النجار : كان فقيها ، فاضلا ، حسن الكلام في مسائل الخلاف .

وكان يكتب خطأ رديثاً .

وسمع منه من أصحابنا : أبو الفرح عبد الرحمن بن الحنبلى ، وابن القطيعى ،

وابن الغزال ، وروى عنه ابن الجوزى حكايات عدة .

وتوفى يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسة

بالمحول ، وحمل على أعناق الرجال ، فدفن بمقبرة الإمام أحمد ، رضى الله عنه

بباب حرب .

١٦٨ - دلف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن البتان الأزجي ،
الفقيه أبو الخير .

سمع من ابن ناصر ، وسعد الخير الأنصاري ، وعبد الصبور الهروي ،
وأبي حفص الحربي وغيرهم . وصحب الشيخ عبد القادر ، وتفقه عليه ، ثم خرج
من بغداد ، ودخل خراسان ، وأقام بنيسابور ، فقرأ على محمد بن يحيى الفقيه ،
وسمع بها من أبي البركات عبد الله بن محمد الفزاري .

ودخل خوارزم ، ومضى إلى سمرقند ، وسمع بها من أبي المعالي محمد بن نصر
المديني ، وأبي القاسم محمود بن علي النسفي ، وحدث هناك .
وروى عنه أبو سعد بن السمعاني في ذيله حكايات ، وروى عنه أبو المظفر
ابن السمعاني في مشيخته ، وأبو بكر الفرغاني خطيب سمرقند ، وذكر أنه سمع منا
في صفر سنة سبع وسبعين وخمسة .

١٦٩ - كرم بن مختيار بن علي البغدادي ، الرصافي الزاهد أبو الخير .
وقيل : أبو علي .

ولد في حدود سنة أربع وتسعين وأربعمائة .
وسمع من أبي القاسم بن الحصين . وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم :
ابن القطيعي .

وقال الناصح بن الحنبلي : سمعت منه جزءاً بقراءة الشيخ طلحة العثمي :
قال : وزرته يوماً ، وهو مضطجع على جنبه ، والفقيه ابن فضلان - يعني : شيخ
الشافعية - عنده يزوره ، فأخذ بيد الشيخ كرم يقبلها تبركاً . وكان زاهداً .
منقطعاً بالرصافة .

وقال القطيعي : كان زاهداً ، ورعاً ، سريع الدمعة ، كثير العبادة . وفي
بعض الأوقات تصدر منه كلمات على خاطر الحاضر عنده .

وقال الديلمي : كان أحد الشيوخ الموصوفين بالصلاح .
وتوفي يوم الأربعاء سادس ذي الحجة سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، ودفن
بمقبرة الإمام أحمد ، في دكة بشر الحافي . وكان حنبلياً .

١٧٠ - إسماعيل بن نباته الفقيه ، الملقب وجيه الدين .

قال ناصح الدين بن الحنبلي : سمع درس عمي الإمام بهاء الدين عبد الملك
ابن شرف الإسلام لما قدم من خراسان ، وعلق عنه من تعليق أبي الفضل
السكرماني ، ثم سمع درس والدي ، وحفظ « الهداية » لأبي الخطاب ، حفظاً
متقناً ، وحفظ أصول الفقه للبستي ، وحفظ كثيراً من مسائل التعليق . وكان
يدرس القرآن كثيراً ، ويقوم به من نصف الليل . وكان يصلي الفجر على نهر
بردي بحضرة القلعة ، ويصلي العصر على عين بعلبك ، وبالعكس ، وربما قرأ في
طريقه القرآن - أو كتاب « الهداية » - الشك مني .

قال : ولما قدمت من بغداد سنة ست وسبعين ، وتكلمت في المسألة فرح بي .
ومات قبل الثمانين وخمسمائة ، ودفن بالجبل ، جوار دير الحوراني . رحمه الله .

١٧١ - عبد الله بن علي بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف

ابن الفراء ، القاضي أبو القاسم ابن القاضي أبي الفرج ابن القاضي أبي خازم ،
ابن القاضي أبي يعلى .

ولد ليلة الإثنين رابع عشر ذي الحجة سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وأسمعه أبوه الكثير في صباه من أبي منصور القزاز ، وأبي منصور بن
خيرون ، وعبد الخالق بن البدن ، وأبي سعد الزوزني ، وأبي البدر السرخي ،
وأبي الحسن بن عبد السلام ، وأبي الفضل الأرموي ، وأبي محمد سبط الخياط .

وسمع هو بنفسه من ابن ناصر الحافظ ، وأبي بكر بن الزاغوني ، وسعيد
ابن البناء ، وخلق من أصحاب القاضي ، وابن البطر ، وطراد ، وطبقتهم .

وبالغ في السماع والإكثار ، حتى سمع من جماعة من المتأخرين .
وكتب بخطه ، وحصل الكتب ، والأصول الحسان الكبيرة ، وتفقه ،
وكتب في الفتاوى مع أئمة عصره ، وشهد عند أبي الحسن بن الدامغانى من سنة
خمس وخمسين . وكانت داره مجماً لأهل العلم ، يحضرها المشايخ ، ويقرأ عليهم
وتحضر الناس منزله للسمع ، وينفق عليهم بسخاء نفس ، وسعة صدر .
وحدث باليسير .

سمع منه ابن عمه أبو العباس أحمد ، وأبو الحسن الزيدى ، وابن الأخضر .
وروى عنه . وكان يصفه كثيراً بالسخاء وسعة النفس ، والبذل والعطاء . وحسن
الخلق ، ولطف المعاشرة .

وروى عنه ابن القطيبي في تاريخه . وأجاز للخليفة الناصر ، وخرجوا له عنه في
كتاب « روح العارفين » .

وقرأت بخط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلى ، قال : سمعت عليه كتاب
« صحيح الترمذى » بسماعه من الكروخى ، بقراءة الشيخ طلحة العلى ، وأجزاء
آخر . وكان جميلاً جليلاً ، محترماً وفاضلاً ، ومن أعيان العدول ببغداد .
ومن تصانيفه « الروض النضر فى حياة أبى العباس الخضر » وكانت عنده
كتب جليلة أصيلة على مذهب الإمام أحمد . وخط الإمام أحمد كان أيضاً عنده .
حكاه الشيخ طلحة فى غالب ظنى . وكان فى سنة ثلاث وسبعين قد علاه الشيب
الكثير . وكنت لا أشبع من النظر إلى جمال وجهه ، وحسن أطرافه ، وسكينة
عليه . ولزمه دين كثير . وحمل منه هم الغزير .

وقال ابن القطيبي : جمع بين حسن الرأى والسمت ، وعارف بأحكام الشريعة ،
من الشهادة والقضاء ، مهيب المجلس ، لم يزل منزله محلاً لقراءة الحديث وتدريس
الفرقه بمحضرة الشيوخ ، وجماعة أصحاب الحديث ، معروف بالكرم والإفضال .
وله الأصول الحسنة والفوائد الجمة .

وسمع الحديث عاليا ونازلا ، وجمع وصنف أنواعا من العلوم.. وحمله بذل يده ، وكرم طبعه على أنه استدان مالا يمكنه الوفاء ، فغلبه الأمر حتى باع معظم كتبه ، وخرج عن يده أكثر أملاكه ، واختفى في بيته لما فدعه من الديون . وبلغ به الحال إلى أن اغتيل في شهادة على امرأة بتعريف بعض الحاضرين ، وأنكرت المرأة المشهود عليها ذلك الإشهاد . وكان ذلك سببا لعزله عن الشهادة ، فهو عدل في روايته ، ضعيف في شهادته .

وتوفي رحمه الله يوم الجمعة يوم عيد الأضحى سنة ثمانين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد عند آبائه . وأبوه القاضي أبو الفرج علي ابن القاضي أبي خازم . حدث بإجازته من العاصمي ، وأبي الفضل بن خيرون ، وابن الطيوري ، وغيرهم وسمع منه ابنه هذا ، وأبو العباس القطيعي الفقيه ، والحسين بن مهجبل وغيرهم ، وتوفي في ليلة الأحد ثاني عشر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة .

ووم ابن السمعاني في نسبه ، فقال : هو علي بن عبيد الله بن محمد بن الحسين وذكره في موضع آخر على الصواب ، وقال : سمع الحسين بن طلحة ، فمن دونه . كتبت عنه أحاديث . وعمه القاضي أبو محمد عبد الرحيم ابن القاضي أبي خازم . سمع من القاضي أبيه ، وعمه أبي الحسين ، وأبي الحصين ، وأبي العز بن كادش ، وأسعد بن صاعد النيسابوري ، وغيرهم ، وحدث .

كتب عنه ابن القطيعي ، وقال : سألته عن مولده ؟ فقال : سنة تسع وخمسمائة وتوفي ليلة الجمعة عشرين ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . ودفن عند آبائه ، وله عدة أولاد سمعوا الحديث أيضا .

١٧٢ - عبد الرحمن بن جامع بن غنيمة بن البنا البغدادي ، الأزجي

الميداني ، الفقيه الزاهد أبو الفناهم . ويسمى أيضا غنيمة . ولد سنة خمسمائة تقريبا .

وسمع الحديث من ابن أبي طالب اليوسفي ، وابن الحصين ، سمع عليه المسند كله ، والقاضي أبي بكر بن عبد الباقي ، وأبي السعادات المتوكلي ، والحسين بن

عبد الملك الخلال وغيرهم . وتفقه على أبي بكر الدينورى . وقرأ الخلاف على أسعد المنهني وغيره . وبرع وأفتى وناظر ودرس بمسجده . وكان عارفاً بالمذهب صالحاً تقياً قال ابن الديثي : كان شيخاً صالحاً ، فقيهاً مناظراً على مذهب الإمام أحمد وقال ابن النجار : كان فقيهاً فاضلاً ، ورعاً زاهداً ، مليح المناظرة ، حسن المعرفة بالمذهب والخلاف .

وقال الشيخ موفق الدين عنه : كان فقيهاً من أصحابنا ، وتولى مدرسة ابن بكروس بعد موته . ومضينا إليه مع الشيخ أبي الفتح - يعنى ابن المنى - على عادة فقهاء بغداد ، وتكلمت يومئذ في مسألة قتل المسلم بالذمى . وكان يسكن بالميدان من باب الأزج : ولذلك قيل في نسبه ، الميدانى :
سمع منه عمر بن على القرشى ، وابن الديثي ، وابن القطيعي .

وحدث عنه الشيخ موفق الدين ، والبهاء عبد الرحمن المقدسيان ، والموفق بن صديق ، وعمر بن شخانه الحرائيان ، وابن الأخضر ، وأحمد بن البندنيجي ، وابن الغزال الواعظ . وأجاز للخليفة الناصر .

وتوفى ليلة الإثنين ثامن شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . ودفن من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله تعالى .

١٧٣ - علي بن عكبر بن عبد الله ، أبو الحسين الضرير المقرئ الأزجى الفقيه

قرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير من ابن ناصر ، وابن البطي ، وغيرهما . وتفقه على أبي حكيم النهروانى . وقرأ عليه القرآن جماعة ، وكان يحفظ طرفاً من المذهب . وكان من أهل الدين والصلاح . ذكره ابن النجار عن أبي العباس بن الفراء ، وأنه قال : توفى ليلة الأربعاء عاشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة . ودفن بباب حرب إلى جانب شيخه أبي حكيم . رحمه الله تعالى .

١٧٤ - عبد المغيث بن زهير بن علوى الحربى ، المحدث الزاهد ، أبو العز

ابن أبي حرب .

ولد سنة خمسمائة تقريباً .

وسمع من أبي القاسم بن الحسين ، وأبي العز بن كادش ، وأبي غالب وأبي عبد الله بن أبي علي بن البناء ، وأبي الحسين بن الفراء ، والمزرفي ، والقاضي أبي بكر الأنصاري ، وهبة الله الجريري ، وأبي القاسم السمرقندي ، وأبي منصور القزاز ، وعبد الوهاب الأنماطي ، وزاهر الشحامي ، وخلق كثير ، وعنى بهذا الشأن وقرأ بنفسه على المشايخ ، وكتب بخطه ، وحصل الأصول ، ولم يزل يسمع حتى سمع من أقرانه . وتفقه على القاضي أبي الحسين بن الفراء

وكان صالحاً متديناً ، صدوقاً أميناً ، حسن الطريقة ، جميل السيرة ، حميد الأخلاق مجتهداً في اتباع السنة والآثار ، منظوراً إليه بعين الديانة والأمانة . وجمع وصنف وحدث ، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته ، وبورك له حتى حدث بجميع مروياته وسمع منه الكبار .

قال الديلمي : عني بطلب الحديث وسماعه ، وجمعه من مظانه . فسمع الكثير وقرأ عليه الشيوخ . وكتب وحصل الأصول ، وخرج وصنف . وكان ثقة صالحاً . صاحب طريقة حميدة . وحدث بالكثير وأفاد الطلبة . سمعنا منه ، وكتبنا عنه . ونعم الشيخ كان .

وروى عنه ابن السمعاني في كتابه شعرا ، وقال عنه : رفيقنا .

وروى عنه الشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغني ، والبيهاق عبد الرحمن المقدسيون .

وقدم دمشق ، وحدث بها سنة ثمان وثلاثين .

قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي : سمعت من عبد المغيث طبقات أصحاب الإمام أحمد لأبي الحسين ابن القاضي بسماعه منه ، بقراءة طلحة العلي ببغداد . وكان - يعني عبد المغيث - حافظاً زاهداً ورعاً . كنت إذا رأيت خُيِّل إلى أنه أحمد ابن حنبل ، غير أنه كان قصيراً .

وقال الحافظ المنذري عنه : اجتهد في طلب الحديث ، وجمعه ، وصنف وأفاد ،

وحدث بالكثير . حدثنا عنه الفقيه أبو عبد الله حمد بن صديق بحران .
وقال ابن القطيبي : كان أحد المحدثين مع صلابته في الدين ، واشتهاره
بالسنة ، وقراءة القرآن . وجرت بينه وبين صاحب المنتظم - يعني : أبا الفرج بن
الجوزي - نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية . وكان عبد المغيث يمنع
من سبه . وصنف في ذلك كتابا ، وأسمعه . وصنف الآخر كتابا سماه
« الرد على المتعصب العنيد ، المانع من ذم يزيد » وقرأته عليه . ومات عبد المغيث
وهما متهاجران .

قلت : هذه المسألة وقع بين عبد المغيث وابن الجوزي بسببها فتنة ،
ويقال : إن عبد المغيث تتبع أبا الحسن بن البنا ، فقيل : إنه صنف في منع ذم يزيد
ولعنه ، وابن الجوزي صنف في جواز ذلك . وحكى فيه : أن القاضي أبا الحسن صنف
كتابا فيمن يستحق اللعن ، وذكر منهم يزيد ، وذكر كلام أحمد في ذلك .
وكلام أحمد إنما فيه لعن الظالمين جملة ، ليس فيه تصريح بجواز لعن يزيد معينا .
وقد ذكر القاضي في المعتمد : نصوص الإمام أحمد في هذه المسألة ، وأشار
إلى أن فيها خلافا عنه .

وقرأت بخط يحيى بن الصيرفي الفقيه الحراني ، قال : حكى لي : أنه كان
يوماً في زيارة قبر الإمام أحمد - يعني الشيخ عبد المغيث - وأن الخليفة الناصر ،
وافاه في ذلك اليوم عند قبر الإمام أحمد ، فقال له : أنت عبد المغيث الذي صنف
مناقب يزيد ؟ فقال : معاذ الله أن أقول : إن له مناقب ، ولكن من مذهبي : أن
الذي هو خليفة المسلمين إذا طرأ عليه فسق لا يوجب خلعه . فقال : أحسنت يا حنبلي ،
واستحسن منه هذا الكلام ، وأعجبه غاية الإعجاب .

قال ابن الصيرفي : واقد حكى لي شيخنا محب الدين أبو البقاء : أن الشيخ
جمال الدين بن الجوزي كان يقول : إني لأرجو من الله سبحانه أن أجتمع أنا
وعبد المغيث في الجنة . قال : وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبد المغيث
من عباد الله الصالحين ، فرحمة الله عليهما .

قلت : ووقع أيضاً تنازع بين عبد المغيث ، وابن الجوزى فى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فنصف عبد المغيث تصنيفين فى إثبات ذلك ، تبعاً لأبى على البردائى .

ورد عليه ابن الجوزى فى كتاب سماه « آفة أصحاب الحديث ، والرد على عبد المغيث » . وكان عبد المغيث قد حفر لنفسه قبراً خلف هدف الإمام أحمد الذى هو مدفون فيه .

فقال ابن الجوزى : لا يجوز ذلك ؛ لأنها بقعة مسبلة ، فلا يجوز تحجيرها ، ولأن تلك البقعة لا تخلو من دفين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كسر عظم الميت ككسره حياً » .

فقال عبد المغيث : حفرت فلم أجد عظماً .

فقال ابن الجوزى : تلك بليت ، وبقى رضاها المحترم ، ولا يجوز نبشها . قال : ولأنك إذا وضعت فى هذا القبر تكون رجلاك عند رأس أحمد ؛ إذ ليس بينهما إلا الهدف ، وهذا سوء أدب . أما علمت أن المروذى قال : ادفنوني بين يديه ، كما كنت أجلس بين يديه ؟ .

قال : فلم يلتفت إلى ما قلت ، ومر مع هواه .

قلت : إذا بلى الميت ، فلم يبق له عظم ولا أثر ، فظاهر المذهب : جواز نبش قبره والدفن فيه ، خلاف ما قاله ابن الجوزى .

وصنف عبد المغيث : « الانتصار لمسند الإمام أحمد » أظنه ذكر فيه : أن أحاديث المسند كلها صحيحة . وقد صنف فى ذلك قبله أبو موسى . وبذلك أفتى أبو العلاء الهمداني ، وخالفهم الشيخ أبو الفرج بن الجوزى .

وللشيخ عبد المغيث مصنف فى حياة الخضر فى خمسة أجزاء . وله كتاب « الدليل الواضح فى النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح » يشتمل على تحريم الغناء وآلات اللهو . وذكر فيه : تحريم الدَّفِّ بكل حال ، فى العرس وغيره .

وأجاب عن حديث « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف » بأن معناه :
أعلنوه إعلاناً يبلغ ما يبلغ صوت الدف لو ضرب به ؛ لتمحوا سنة الجاهلية من نكاح
البغايا المستتر به .

وأجاب عن حديث الجاريتين اللتين كانتا تُغنيان في بيت عائشة ، بأنهما
لم يكونا مكلفتين لصغرهما .

قال : وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على تسميته « مزمار الشيطان »
وربما أشار إلى أنه منسوخ . وهذا مذهب ضعيف .

ولاشيخ عبد المغيث قصيدة في السنة رواها عنه ابن الديلمي ، يقول فيها :

أفق أخا اللب من سكر الحياة فقد آن الرحيل وداعى الموت قد حضرا

هل أنت إلا كآحاد الذين مضوا بحسرة الفوت لما استيقن الخبرا

وأنت تمحصر فيما أنت تاركه إن كنت تعقل يوما حقق النظرا

أيام عمرك كنز لا شبيه له وأنت تشرى الحصباء والمدرا

توفي رحمه الله ليلة الأحد ثالث عشر محرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة
وصلى عليه الخلق الكثير من الغد بالحربية . ودفن بدكة قبر الإمام أحمد مع
الشيوخ الكبار . رحمهم الله تعالى .

وذكر ابن النجار في ترجمة داود بن أحمد الضرير الظاهري : أنه سمعه يقول :
سمعت يعقوب بن يوسف الحرابي يقول : رأيت عبد المغيث بن زهير الحرابي في
المنام بعد موته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

العلم يحيي أناساً في قبورهم والجهل يلحق أحياء بأموات

١٧٥ - نصر بن فتبان بن مطر النهرواني ، ثم البغدادي ، أبو الفتح الفقيه

الزاهد ، المعروف بابن المتى ، ناصح الإسلام ، وأحد الأعلام ، وفقه العراق على
الإطلاق .

قال ابن القطيبي : ورأيت في أكثر مسموعاته : يكتب له أبو الفتح عبد الله بن هبة الله ، المعروف بفتيان بن مطر .

قال : وسألته عن مولده ؟ فقال : سنة إحدى وخمسمائة . وهذا أصح مما قاله المنذرى : أنه ولد - ظنا - قبل سنة خمسمائة .

وسمع الحديث من أبي بكر بن الدنف سنة إحدى عشرة ، ومن القاضي أبي بكر بن عبد الباقي ، وعبد الوهاب الأنماطي ، وأبي الحسن بن الزاغواني ، وأبي منصور القزاز ، وأبي القاسم بن الحصين ، وأبي نصر اليونارتى ، وأبي غالب ابن البنا ، وأبي عبد الله البارع ، والحسين بن عبد الملك الخلال ، والأرموى ، وابن ناصر ، وأبي الوقت ، وغيرهم .

وتفقه على أبي بكر الدينورى ، ولازمه حتى برع في الفقه ، وتقدم على أصحابه ، وأعاد له الدرس . وصرف همهته طول عمره إلى الفقه ، أصولا وفروعا ، مذهباً وخلافاً ، واشتغالاً وإشغالاً ، ومناظرة . وتصدر للتدريس والاشتغال والإفادة ، وطال عمره ، وبعُدَ صيته ، وقصده الطلبة من البلاد ، وشدت إليه الرحال في طلب الفقه ، وتخرج به أئمة كثيرون .

قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلى وقد ذكر شيخه بن المنى ، فقال : رحلت إليه فوجدت مسجده بالفقهاء والقراء معمورا ، وكل فقيه عنده من فضله وإفضاله معمورا ، فأنخت راحلتى بربعه ، وحططت زاملة بغيتى على شرعه ، فوجدت الفضل العزيز ، والدين القويم المنير ، والفخر المستطيل المستطير ، والعالم الخبير ، فتلقاني بصدر بالأنوار قد شرح ، ومنطق بالأذكار قد ذكر ومدح ، وبياب إلى كل باب من الخيرات قد شرع وفتح . فتح الله عليه . حفظ القرآن العظيم وهو في حداثة من سنه . ولاحت عليه أعلام المشيخة ، فرجع منه على كل فن بفضل الله ومنه .

قال لى المهذب بن قيداس : كنا نسمى شيخك شيخ صبي - يعنى فى صباه -

لعقله ووقاره ، وتركه اللعب . ثم قال : لم ينقل عنه : أنه لعب ولا لها ، ولا طرق باب طرب ، ولا مشى إلى لذة ومشتهى .

حدثني شيخنا الإمام ناصح الإسلام بن المنى قال : حصل لي من ميراث والدي عشرون ديناراً ، فاشتريت بها شيئاً وبعته فأربحت ، فحقت أن تحلوا لي التجارة فأشغل بها ، فنويت الحج فحججت ، وتجردت للعلم ، فسمعت درس الشيخ أبي بكر الدينوري صاحب الشيخ أبي الخطاب الكلوذاني ، قال : فتفقه به ، ومال الفقهاء من أصحاب شيخه إلى الاشتغال عليه . ودرس بعد موت شيخه ، قال لي : تقدمت في زمن أقوام ما كنت أصلح أن أقدم مداسهم . وقال لي رحمه الله : ما أذكر أحداً قرأ على القرآن إلا حفظه ، ولا سمع درسي الفقه إلا انتفع . ثم قال : هذا حظي من الدنيا .

قال ابن الخبلي : أفتى ودرس نحواً من سبعين سنة ، مات زوّج ولا تسرى ، ولا ركب بغلة ولا فرساً ، ولا ملك مملوكاً ، ولا لبس الثياب الفاخر إلا لباس التقوى . وكان أكثر طعامه يشرب له في قدح ماء الباقلاً . وكان إذا فتح عليه بشيء فرقه بين أصحابه . وكان لا يتكلم في الأصول . ويكره من يتكلم فيه ، سليم الاعتقاد ، صحيح الانتقاد في الأدلة الفروعية . وكنا نزرور معه في بعض السنين قبر الإمام أحمد .

وسمعت الشيخ الإمام جمال الدين بن الجوزي وقد رآه يقول له : أنت شيخنا . وأضرّ بعد الأربعين سنة ، وثقل سمعه . وكان تعليقه الخلاف على ذهنه ، ووقفاء الحنابلة اليوم في سائر البلاد يرجعون إليه ، وإلى أصحابه .

قلت : وإلى يومنا هذا الأمر على ذلك . فإن أهل زماننا إنما يرجعون في الفقه من جهة الشيوخ والكتب إلى الشيخين : موفق الدين المقدسي ، ومجد الدين ابن تيمية الحراني .

فأما الشيخ موفق الدين : فهو تلميذ ابن المنى . وعنه أخذ الفقه .

وأما ابن تيمية : فهو تلميذ تلميذه أبي بكر محمد بن الحلاوى . وقد جمع بعض فضلاء أصحابه له سيرة طويلة . وهو أبو محمد عبد الرحمن بن عيسى البزورى الواعظ . وقفت على بعضها مما ذكره فيها .

قال : وكان رحمه الله كثير الذكر والتلاوة للقرآن لاسيما فى الليل ، مُكْرِمًا للصالحين ، مُحِبًّا لهم ، ليس فيه تيه الفقهاء ، ولا عجب العلماء . إن مرض أحد من تلامذته ومعارفه عاده ، أو كانت لهم جنازة شيئا غير ركب ، على كبر السن ، وضعف البنية . زاهدا فى الدنيا ، يفتن منها بالبلغة ، وإذا جاءه فتوح أو جائزة من بيت المال وزعها بين أصحابه ، وإن ناله منها شيء أعاده عليهم فى غضون الأيام .

قال : ولقد حدثنى من أتق به من أصحابنا : أنه جاءته صلة من بعض الصدور نحو أر بعين دينارًا ، أفقرقها فى يومه بين أهله وأصحابه ، وما أخذ منها شيئًا . فلما كان آخر النهار قال لى : يا فلان ، لو كنا عزلنا من ذلك الذهب قيراطين للحمام ؟ وكان قوته كل يوم قرصين ، وربما لم يغنهما .

وقال لى بعض أصحابه : إنه يستفضل منهما بعض الأيام ما يدفعه إلى السقا . وكان معظم إدامه : أن يشتري له برغيف ماء الباقلا . وما رأيتته جعل عليه دهنا قط . راضيا بذلك مع قدرته .

وكان يخدم نفسه بنفسه ، لا ينقل على أحد من أصحابه ، ولا يكلفهم شيئًا . اللهم إلا أن يعتمد على يد أحدهم فى الطريق . ولقد كنا عنده يوما جماعة من أصحابه ، فأوذن بالصلاة ، فنهض بنفسه فاستقى الماء للتطهير ، وما ترك أحدا منا ينوبه فى ذلك ، ولقد قدمت له نعله يوما ، فشق عليه ، وجعل يقول : إيش هذا ؟ إيش هذا ؟ مثلك لانساحه فى هذا .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين المقدسى ؟ فقال : شيخنا أبو الفتح كان رجلا صالحا ، حسن النية والتعليم . وكانت له بركة فى التعليم . قلَّ مَنْ قرأ عليه

إلا انتفع، وخرج من أصحابه فقهاء كثيرون، منهم من ساد . وكان يقنع بالقليل ، وربما يكتب في بعض قرصة ، ولم يتزوج . وقرأت عليه القرآن . وكان يحبنا ويحبر قلوبنا ، ويظهر منه البشر إذا سمع كلامنا في المسائل . ولما انقطع الحافظ عبد الغنى عن الدرس لاشتغاله بالحديث ، جاء إلينا ، وظن أن الحافظ انقطع لضيق صدره . وذكر ابن الجوزي في المنتظم : أن المستضىء في أول خلافته جعل للشيخ أبي الفتح حلقة بالجامع ، ثم بعد مدة أمر ببناء دكة له في جامع القصر ، وجلس فيها للمناظرة سنة أربع وسبعين . وله تعليقة في الخلاف كبيرة معروفة . وقرأ عليه الفقه خاق كثير . قد ذكر أعيانهم ابن البزوري في سيرته على حروف المعجم .

فمن أكابرهم وأعلامهم من الشاميين : الشيخ موفق الدين المقدسى ، ورحل إليه إلى بغداد ، والحافظ عبد الغنى ، وأخوه الشيخ العماد ، والبهاء عبد الرحمن ، والشهاب بن راجح ، وناصر الدين بن الحنبلى .

ومن أكابر البغداديين : أبو بكر بن الخلاوى ، والفخر إسماعيل ، وقاضى القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ، وأبو محمد عبد المنعم بن أبي نصر الباجسرائى ، وابن أخيه أبو عبد الله محمد بن مقبل بن المنى .

ومن الحرائيين : الشيخ فخر الدين ابن تيمية ، والموفق بن صديق ، ونجم الدين ابن الصيقل .

ومن قرأ عليه : السيف الأمدى الأصولى ، ثم تحول شافعيًا . وحدث ، وسمع منه جماعة .

وروى عنه الشيخ موفق الدين ، وبهاء الدين عبد الرحمن المقدسيان ، وابن القطيبي في تاريخه .

قال جامع سيرته : دخلت عليه يوم الأحد خامس ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ، فقال لى : رأيت فى المنام منذ أيام كأن حلقة كبيرة فى وسط الرحبة ، فيها أولاد المحتشمين . وكان فى وسطها رجل يقول :

واعلموا أن النوى قد كدرت صفو الليالى ، فاحذروا أن تندموا
قال : فالتفت إلى بعض أصحاب الشيخ ، وقلت له : هذا المنام كأنه ينهى إلى
الشيخ نفسه ، فعاش الشيخ بعد ذلك تمام ثلاثة - أو أربعة - أشهر كما هو ظاهر .
قال : وابتدأ به المرض بعد نصف شعبان . وكان مرضه الإسهال . وذلك
من تمام السعادة ؛ لأن مرض البطن شهادة . ولما ازداد مرضه أقبل الناس إلى
عيادته من الأكابر والعلماء ، والتلامذة والأصحاب .

فحدثني صاحبه أبو محمد إسحاق بن علي الفقيه ، وهو الذي تولى تمريره
قال : قال لي الشيخ يوم الخميس ثاني رمضان : أي فخر ، آخر تعبك معي يوم
الأحد ؟ قال : وهكذا كان . فإنه توفي يوم السبت رابع شهر رمضان ، ودفناه
يوم الأحد - يعني خامس رمضان - سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

قال : ونودي في الناس بموته ، فانتال من الخلائق والأمم عدد يفوت
الإحصاء . فازدحم الناس ، وخيف من الفتن ، فنفذ الولاة الأجناد والأتراك
بالسلاح ، وفتح له جامع القصر ، وازدحم الناس ازدحاما هائلا ، وحمله
أصحابه وغلمانه .

وحكى لي بعضهم : أنهم في حال حمل سريره لم يبق في رجل أحد منهم
مداس إلا وشد ؛ فرط الزحام . فلما فرغوا من دفنه أعيدت إليهم لم يفقدوا منها
شيئا . وقدم الشيخ الصالح سعد بن عثمان بن مرزوق المصري إماما في الصلاة
عليه ، بعد ما اجتهد الماليك والأتراك والأجناد في إيصاله إلى عند نعشه . وكان الناس
قد ازدحموا على الشيخ سعد أيضا يتبركون به ، حتى خيف عليه الهلاك . وكانت
جنازته قد قدمت إلى عند المنبر والشباك .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن طنطاش البزار قال : لما وصل الشيخ سعد إلى
جنازة الشيخ أمسك عن التكبير ، وأطال الوقوف حتى سكن الناس وسكتوا ،
فأقبل

فلما صلى عليه عاد الزحام والخصام والاحتشاد في أبواب الجامع ، على وجه ماشوهد مثله إلا ماشاء الله .

وذكروا : أنه كان أوصى أن يدفن في دار بعض أهله جنب مسجده ، فحمل إلى الموضع ، ودفن فيه ، وفتح موضع في المسجد إلى قبره لزيارة الناس .
وقال ابن القطيبي : حضر جنازته قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانى ، ودفن بداره الملاصقة لمسجده ، ثم قطع موضع قبره من الدار ، وأدخل إلى مسجده بالمأمونية رأس درب السيدة . رحمه الله تعالى .

وذكر جامع سيرته ، قال : حدثني المحافظ أبو بكر محمد بن عثمان الخازمي ، وكتبه لي بخطه ، قال : رأيت الشيخ الإمام الفقيه أبا الفتح بن المنى في المنام بعد موته ، وكأنه في موضع كبير واسع ، وهو فرحان مسرور ، وعليه ثياب بيض شديدة البياض ، وعلى رأسه طرحة ، فجعلت أسلم عليه وأكلمه . وكان بيننا ثم ستر كبير . وكلام هذا معناه لم أحفظه .

قال صاحب سيرته : ورأيت أنه أنا في المنام ، فسلمت عليه ، فالتفت إلى كالمعتب وكأنه يقول لي : استبشر بقدومي . وما زالوا من صلاة المغرب يضر بون بالصّوالى . ولو رأيت الجمع الذي كان . وكلاماً آخر لم أفهمه . رضى الله عنه .
قال : ورثاه رفيقنا النجم عبد النعم بن على بن الصقال الحراني ، أحد أصحابه ، وأملاه على من لفظه :

إلام يشجيك ذكر الربيع والطلل	ويستخف بهاك الفنج في المقل
فإن دعاك دَدِدٌ لبيت دعوته	مدلهاً غير منقاد إلى العذل
ذر الهوى فعطاياها معاطبه	وجوده بالنى شر من البخل
ولا تُصِخْ لقريض بعدها أبداً	وإن توحد في مدح وفي غزل
ما لم تَرُثَ قوافيه التي جمعت	صفاته الغريبين : العلم والعمل
ومن غدا ناصر الإسلام يحرسه	بهمة لم يقصر عن سما زحل

وطال ما خدم الرحمن معتكفا
إن روق الليل جافى الخبر مضجعه
أو أتخف الجوا أنوار الضياء ابن
وإن بدا مشكل في الشرع متعلق
وأها لما حاز من علم وكم قدمت
فيشهد الفضل مبدولا لطالبه
فما اثني عمره المحروس عن زلل
حتى أفاد صحابا كلهم بطل
إن تاته تلق ليثا في عرينته
يريك قس أياد من فصاحته
يفرقون جموع الخصم في دعة
على العبادة لا ينصاغ للكسل
يتلو بدمع غزير واكف هطل
ذكا غدا لتدريس علم واسع جلل
أتى به ظاهراً حقاً على عجل
إلى خصائصه بهما من رجل
ويدرك الفضل في أحلى من العسل
واعتناقه الخير عن قول وعن عمل
يوم الجدال عريق الأصل في الجدل
ذا همة غير نزاع إلى الفشل
ويحسن القول في الأحكام والعلل
تفريق شمل جموع الكفر سيف علي

أخبرنا أحمد بن عبد الكريم البعلبي ، حدثنا عبد الخالق بن علوان ، حدثنا أبو محمد بن قدامة قال : قرأت على شيخنا أبي الفتح نصر بن فتيان ، أخبركم الإمام أبو الحسن بن الزاغوني ، أخبرنا أبو القاسم بن البسري ، أنبأنا الإمام أبو عبد الله ابن بطة ، حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، حدثنا موسى بن عبد الرحمن ابن العلاء ، حدثنا عطاء بن مسلم عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مریم ، قال : « رأيت على علي بن أبي طالب برداً خلقاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : تطرح هذا البرد وتلبس غيره ، فبعد وطرح البرد على وجهه ، وجعل يبكي ، فقلت : لو علمت أن قولي يبلغ هذا منك ما قلته . فقال : إن هذا البرد كسانيه خليلي . قلت : ومن خليلك ؟ قال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . إن عمر ناصح الله تعالى فنصحه » اجتمع في هذا الإسناد خمسة من أئمة الحنابلة : أبو بكر بن أبي داود ، وابن بطة ، وابن الزاغوني ، وابن المني ، والشيخ موفق الدين . رضي الله عنهم أجمعين .

١٧٦ - علي بن محمد بن علي بن الزيتوني ، الفقيه أبو الحسن البغدادي .

المعروف بالبراندسي . و « براندس » قرية من قرى بغداد .

قال ابن القطيبي : سألته عن مولده ؟ فقال : ما أعلم ، ولكنني ختمت القرآن سنة ثمان وخمسة .

قال : وسمع من ابن الحصين . وذكر عبد المغيث : أنه سمع جميع مسند الإمام أحمد منه ، وسمع من القاضي أبي الحسين بن الفراء وغيرها . وتفقه وناظر ، وأفتى ودرس .

قلت : ولما بنى الوزير ابن هبيرة مدرسته بباب البصرة وآلاه تدريسها ، فكان يدرس بها . وحدث ، وسمع منه غير واحد .

قال ابن القطيبي : كتبت عنه . وكان قليل الرواية ، ثقة صالحا .

قال : وسمعته يقول : استيقظت من منامي وأنا أنشد هذين البيتين ، ولا أعلم قد قبلا قبلي ، أو أنشدتهما لنفسى ، إلا أنى لم أسمعهما من أحد ، وهما هذان :

ليت السباع لنا كانت مجاورة وليتنا لا يرى ممن نرى أحدا
إن السباع تهدي في مواطنها والناس ليس بهاد شرم أبدا

قال ابن القطيبي : وهذان البيتان في العزلة للخطابي ، بإسناده عن الربيع عن الشافعي أنه أنشدهما . ولفظه « ليت الكلاب » .

وأنشدهما أبو بكر بن المرزبان عن أبي بكر العنبري « إن السباع ، وإننا لا نرى » وزادها ثالثا :

فأهرب بنفسك واستأنس بتحدثها تلقى السعود إذا ما كنت منفرداً

قلت : وهذه في العزلة لابن أبي الدنيا .

قال ابن القطيبي . وفي سنة اثنين وسبعين ، عملت دعوة للصوفية والعلماء على اختلاف مذاهبهم ، فمنهم من أكل وانصرف ، ومنهم من حضر السماع ،

وكان البراندسى ممن عجز عن الخروج مع من أكل وانصرف ، فأقام وأغلق الباب دونه ، وحضر السماع ، فحيث علم أهل باب البصرة تخلفه دون جميع أصحابه كابن الجوزى ، وابن عبد القادر ، قالوا فيه الشعر . وهجره جماعة من عوامهم فأنشدنى الشيخ أبو عبد الله الخيارى لنفسه فيه .

أيها الشيخ ، من ينافق خلوة يظهر الله ذلك الفعل جلوة
كنت تفتى أن السماع حرام كيف حل السماع يوم الدعوة ؟
عشت ماعشت بين زهد ونسك وتسميت فى الشريعة قدوة
ثم خلعت العذار فى اللهو والرقص وبين البلى وبينك خطوة
كنت حقاً لورقص الطفل حوقلت وأنكرت بارتعادٍ وسطوة
كيف جاز الجلوس بين حُداة لم يفت فى سماعهم غير قهوة ؟
لا تبهرج فليس عندك عذر يلزم القوم ما أتوا بك عنوة
إنما أنت حين خبرت أن الرقص من بعده صحاح وكسوة
ودجاج وبط حثك البخل فلا تعتذر بقولك شقوة
ودع الآن شغلك بالفقه وخذ فى لباس دلق وركوة

قال : وسمعت ابن الجوزى يقول : دخل البراندسى الدعوة وأكل . وأراد الانصراف معنا ، فأغلق الباب دونه ، وما علم حقيقة مايجرى ، وحصل هناك ، لأنه اختار هذا .

وتوفى يوم الثلاثاء لست عشرة خلت من ربيع الأول ، سنة ست وثمانين وخمسة ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب . رحمه الله تعالى .

وقد ذكره المنذرى الحافظ فى وفياته ، فىمن توفى سنة ست وثمانين ، فقال : وفى السادس عشر من شهر ربيع الأول توفى الفقيه الإمام أبو الحسن على ابن محمد بن على المقرئ الضرير ، ودفن عند قبلة جامع المنصور . ومولده سنة ثمانين وأربعمائة ، تفقه على مذهب الإمام أحمد ، وسمع من ابن الحصين ،

وإسماعيل بن السمرقندي ، وأبي غالب بن البنا ، وغيرهم وحدث ، وأقرأ ، فخالف ما ذكره ابن القطيبي في مدقنه ، فأنه تعالى أعلم بالصحيح من ذلك .

وأما قوله : إن مولده سنة ثمانين وأربعمائة فغلط محض ؛ فإنه على قوله يكون قد جاوز المائة بست سنين ، فأين آثار ذلك من تفرده عن أقرانه بالسماع من الشيوخ . ثم قد سبق أن القطيبي سأله عن مولده ؟ فذكر ما يدل على أنه قبل الخمسمائة بنحو سنتين . وهذا هو الصحيح . ووصفه بأنه ضريير ، ولم يصفه القطيبي بذلك .

١٧٧ - نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي

الأصل ، الدمشقي الأنصاري ، الشيخ نجم الدين أبو العلاء بن شرف الإسلام ابن الشيخ أبي الفرج ، شيخ الحنابلة بالشام في وقته .

قرأت بخط ولده ناصح الدين عبد الرحمن : أنه ولد سنة ثمان وتسعين وأربعمائة . وأفتى ودرس وهو ابن نيف وعشرين سنة ، إلى أن مات ، وعاش هنياً مرفهاً ، لم يَلِ ولاية من جهة سلطان ، وما زال محترماً معظماً ، ممتعاً قوياً .

قال لي قبل أن يموت بسنة : رأيت الحق عز وجل في منامي ، فقال لي : يا نجم أما علمت وكنت جاهلاً ؟ قلت : بلى يارب ، قال : أما أغنيتك وكنت فقيراً ؟ قلت : بلى يارب ، قال : أما أمت سواك وأحييتك ؟ وجعل يعدد النعم ، ثم قال : قد أعطيتك ما أعطيت موسى بن عمران .

ولما مرض مرض الموت ، رأيته وقد بكيت ، فقال : إيش بك ؟ فقلت : خير ، فقال : لا تحزن عليّ ؛ أنا ماتوليت قضاء ، ولا شحفكية ، ولا حبست ، ولا ضربت ، ولا دخلت بين الناس ، ولا ظلمت أحداً ، فإن كان لي ذنوب ، فبيني وبين الله عز وجل . ولي ستون سنة أفتى الناس ، والله ما حايت في دين الله تعالى .

وكان يقول قبل موته بسنين : سَدَتِي سنة ست وثمانين ، إلى أن دخلت سنة ست وثلاثين ، فقال : هذه سنتي ، فقلنا : كيف تقول هذا ؟ قال : هي سنة أبي وجدى لأن أباه مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وجده مات سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وكان الأمر كما قال .

قال : وكان الشيخ الموفق وأخوه أبو عمر ، إذا أشكل عليهما شيء سألا والدي . قال : وخرج له أبو الحسين سلامة بن إبراهيم الحداد شيخه ، وسمعناها عليه بقراءته .

وذكر الحافظ المنذرى في وفياته : أن له إجازة من أبي الحسن بن الزاغوني وغيره .

قال : وتوفي ثاني عشر ربيع الآخر ، سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

وقال غيره : شيعه خلائق . وقد سبق ذكر أخيه بهاء الدين عبد الملك . وكان له أيضاً عدة إخوة .

منهم : الشيخ سديد الدين عبد الكافي بن شرف الإسلام . قال ناصح الدين : كان فقيهاً متطهراً ، ووعظ في شبابه ، وكان يذكر الدرس في الحلقة ، مستنداً إلى خزانة أبيه ، وكان صيتاً ، وربما خطب في الإملكات المتبرة .

وكان شجاعاً شديداً ، مات بعد الثمانين والخمسمائة ، وقبره تحت مغارة الدم ومنهم : الشيخ شمس الدين عبد الحق بن شرف الإسلام . قال الناصح : كان فقيهاً عاقلاً ، عفيفاً ، حسن العشرة ، كثير الصدقة ، رحيم القلب . سافر في طلب العلم ، وقرأ كتاب «الهداية» على الشيخ أحمد الحراني الحنبلي ، ودخل بلاد المعجم ، ورأى أئمة خراسان ، وعاد إلى دمشق ، وصحب أخاه ، والذي يسمع درسه ، ويعيد له ، وهو بين يديه كالحاجب . ومات ودفن بسفح قاسيون .

ومنهم : الشيخ شرف الدين محمد بن شرف الإسلام .
كان قتيها ، فرضياً ، يعرف الغزوات ، ويعبر المنامات ، ويتجر ، ولا يدخل الملك
وتوفى ودفن بالبواب الصغير .

ومنهم : الشيخ عز الدين عبد الهادي بن شرف الإسلام .
كان قتيها واعظاً ، شجاعاً ، حسن الصوت بالقرآن ، شديداً في السنة ،
شديد القوى ، يحكى له حكايات عجيبة ، في شدة قوته .

منها : أنه بارز فارساً من الإفرنج ، فضر به بدبوس فقطع ظهره وظهر القرمص
فوقها جميعاً ، وكان في صحبة أسد الدين شيركوه إلى مصر ، وشاهده جماعة رفع
الحجر الذي على بئر جامع دمشق ، فشى به خطوات ثم رده إلى مكانه ، وله
أخبار في هذا الباب غريبة ، وبني مدرسة بمصر ، ومات قبل تمامها ، وتوفى بمصر .
ومما وقفت عليه من فتاوى نجم الدين بن عبد الوهاب بن الخنيلي : أن من أراد
أن يحلف بالطلاق ، فقال لامرأته : على الطلاق ثلاث بتات ، وأراد أن يقول :
إن لم أنحول من الدار ، ثم تفكر في ضرر التحويل ، فسكت على قوله بتات ،
إعراضاً عن اليمين بالكلية ، لا أراد لوقوع الطلاق : أنه إذا لم يقصد بذلك
الإيقاع ، بل قصد التعليق ، ثم سكت عقيب ذكر الطلاق ، لا قاصداً له ، بل
أراد إبطال اليمين ، فإنه يدين في ذلك فيما بينه وبين الله ، ولا يلزمه الطلاق
في الباطن .

وبمثل هذا صرح صاحب المحرر فيه ، وهو قول مالك والليث بن سعد . وحكى
عن الشافعي أيضاً ، ولا أعلم في ذلك نصاً لأحمد ، ولا لأحد من متقدمي
أصحابنا .

وقياس نصوص أحمد وأصوله : أنه لا يدين في ذلك ، بحيث أنه يمتنع وقوع
الطلاق به . ولو وجد شرطه الذي أراد تعليقه عليه ، فإن المنصوص عن أحمد ، في
مواضع متعددة من كلامه : أن الحلف بالطلاق ليس بيمين ، وليس حكمه حكم سائر

الأيمان ، وإنما هو طلاق معلق بشرط ، ولو قصد بتعليقه الحض والمنع ، وحينئذ فينبغي أن يكون حكم هذا حكم من طلق ، وقال : نويت تعليق الطلاق بشرط . والمذهب في ذلك عند القاضي ومن اتبعه من أصحابنا : أنه يدين في ذلك ، ولا يقع به الطلاق في الباطن إلا بوجود الشرط . وهل يقبل منه في الحكم ؟ خرجوه على روايتين .

ونص أحمد في رواية مهنا : على أنه لا يدين ، كقول أبي حنيفة وأصحابه ، وتأوله القاضي على أنه أراد أنه لا يقبل منه في الحكم . وهو تأويل بعيد .

فعلى ظاهر رواية مهنا : يقع الطلاق في الحال ، وإن أراد الحلف به ، ثم تركه . وعلى المذهب عند القاضي وأصحابه : ينبغي أن لا يقع الطلاق حتى يوجد الشرط الذي أراد أن يحلف عليه ، كما لو أراد تعليق الطلاق بشرط يأتي لا محالة ، ثم بدا له أن يترك تعليقه ، فإن هذا التعليق يمين على أشهر الوجهين للأصحاب ، بل أوماً إليه أحمد . وقد حكى عنه صريحاً . فيكون تعليق الطلاق عنده كله يسمى يمينا ، وحكمه حكم الطلاق ، لا حكم الأيمان ، فيلزم من قال بالشرط : أنه إذا أراد اليمين بالطلاق ، فتلفظ بالطلاق ، ثم قطع بقية كلامه : أنه لا تطلق امرأته بذلك ، ولو وجد الشرط أن يقول ههنا في التعليق بما يأتي : لا محالة كذلك . وهو في غاية البعد .

وقد استوفينا الكلام على هذا في كتابنا المسمى « بالكشف والبيان عن مقاصد النذور والأيمان » والله للتوفيق .

١٧٨ - عبد الله بن عمر بن أبي بكر المقدسي ، الفقيه الإمام أبو القاسم

سيف الدين .

ولد سنة سبع وخمسين وخمسة بقاسيون

ورحل إلى بغداد ، وسمع بها من جماعة . وتفقه وبرع في معرفة المذهب

والخلاف والمناظرة . وقرأ النحو على أبي البقاء ، وحفظ الإيضاح لأبي علي ، وقرأ العروض . وله فيه تصنيف .

قال الحافظ الضياء : اشتغل بالفقه والخلاف والفرائض والنحو ، وصار إماماً عالمًا ، ذكياً فطنا ، فصيحاً مليح الإيراد ، حتى إنى سمعت بعض الناس يقول عن بعض الفقهاء أنه قال : ما اعترض السيف على مستدل إلا ثلم دليله . وكان يتكلم في المسألة غير مستعجل بكلام فصيح ، من غير توقف ولا تتعنت .

وكان رحمه الله حسن الخلق وأخلق ، أنكر منكراً ببغداد ، فضربه الذي أنكر عليه ، وكسر ثنيته . ثم إنه مكن من ذلك الرجل ، فلم يقتص منه . قال : وسافرت معه إلى بيت المقدس ، فرأيت منه من ورعه وحسن خلقه ما تعجبت منه .

قال : وشهدنا غزاة مع صلاح الدين ، فجاء ثلاثة فقهاء ، فدخلوا خيمة أصحابنا فشرعوا في المناظرة ، وكان الشيخ موفق الدين والبهاء حاضرين ، فارتفع كلام أولئك الفقهاء ، ولم يكن السيف حاضراً ، ثم حضر فشرع في المناظرة ، فما كان بأسرع من أن انقطعوا من كلامه .

وسمعت البهاء عبد الرحمن يقول : كان أبو القاسم عبد الله بن عمر فيه من الذكاء والفطنة ما يدهش أهل بغداد . وكان يحفظ درس الشيخ إذا ألقى عليه مرة أو مرتين . وكنت أنا أتعجب حتى أحفظه . وكان مبرزاً في علم الخلاف . وكان ورعاً ، يتعلم من العماد ، ويسلك طريقه .

وسئل عنه الشيخ موفق الدين ؟ فقال : سافر إلى بغداد صغيراً ، وسمع بها كثيراً ، وتفقه بها وصار فقيهاً حسناً . حسن الكلام في المناظرة ، فصيح اللسان ، حسن الخط . وقرأ في العربية . وشرع هو والمحب أبو البقاء في تصنيف كتاب فيها ثم قدم الشام ، وخرج إلى الغزاة معنا ، ثم سافر إلى حران ، وتوفى بها شاباً رحمه الله تعالى في حياة أبيه .

توفى بجران في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة .

ورثاه سليمان بن النجيب . بقوله :
على مثل عبد الله يفترض الحزن
عليه بكى الدين الحنيفة واكتفا
وتسفع آماق ولم يفتمض جفن
كما قد بكاه الفقه والذهن والحسن
وهى طويلة .

ورثاه جبريل المصيبي المصري بقوله :
صبرى لفقدك عبد الله مفقود
ووجد قلبي عليك الدهر موجود
عدمت صبرى لما قيل إنك فى
قبر بحران سيف الدين مفقود
نبكى عليك بشجو بالدماء كما
تبكى التعاليق حقا والمسائيد
وللمشايع تعديل عليك كما
للطير فى الدوح تغريد وتعديد
وذكر باقيا . وهى ستة وعشرون بيتا .

١٧٩ - يحيى بن مقبل بن أحمد بن بركة بن عبيد الملك بن عبد السلام بن

الحسين بن محمد بن على بن عبد الواحد بن ثابت بن عمرو بن عامر بن داود بن
إبراهيم بن محمد السجاد بن طلحة بن عبد الله التيمى القرشى البغدادي الحرى ،
أبو طاهر بن أبى القاسم بن أبى نصر ، المعروف بابن الصدر . وهو لقب عبد الواحد
المذكور فى نسبه . ويعرف أيضا بابن الأبيض .

ولد فى شعبان سنة سبع عشرة وخمسةائة .

وسمع من ابن الحصين ، وأبى بكر الأنصارى ، وأبى منصور القزاز ، وغيرهم .
وتفقه فى المذهب ، وناظر فى حلق الفقهاء ، وحدث .

قال ابن القطيبي : كتبت عنه . وكان ثقة .

قال : وتوفى يوم الإثنين فى شهر شوال سنة سبع وثمانين وخمسةائة . ودفن
بمقبرة الإمام أحمد بباب حرب .

وقال المنذرى : توفى فى العشر الأخير من ذى القعدة .

قال ابن الجوزى فى كتاب « الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد »
حدثنى أبو طاهر بن الصدر الفقيه : أن هذا الشيخ - يعنى عبد المغيث الحربى -
زوج رجلاً ، فقال له : زوجتك بحق وكالتى بنت أخى فلان .
قال الفقيه : فلقيت المتزوج ؟ فقلت له : ما انعقد لك عقد ، ولا يجل لك
قربان المرأة ؛ لأن أبا هذه المرأة له أربع بنات . وهذا العاقد ماسى المزوجة .
فعجب الناس من عدم فهمه للفقه .

١٨٠ - نصر بن منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن ثمال
ابن وزر بن عطاف بن بشر بن جندل بن عبيد الراعى بن الحصين بن معاوية
ابن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبدالله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة
ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن
غيلان بن مضر بن نزار النيمرى ، الأديب الشاعر ، أبو المرهب ، وأبو الفتح أيضاً
كذا نقلت نسبه من خط القطيعى . وقال : أملاه على وقال لى : ولدت يوم
الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسة بالرافقة بقرب رقة الشام .
كان النيمرى من أولاد أمراء العرب . نشأ بالشام ، وخالط أهل الأدب ،
وقال الشعر الفائق وهو مراهق . وأصابه جدري وله أربع عشرة سنة ، فضعف
بصره ، حتى كان لا يرى إلا ما قرب منه . ثم قدم ببغداد لمعالجة بصره ، فأيسه
الأطباء منه ، فعسى . وأقام ببغداد ، وسكن بباب الأزج ، فحفظ القرآن العظيم .
وسمع الحديث من ابن الحصين ، والقاضى أبى بكر ، وعبد الوهاب الأنماطى
وأبى الحسن بن الزاغونى ، وأبى منصور القزاز ، ويحيى بن حبيس الفارقى ، وابن ناصر
وغيرهم . وبالكوفة : من أبى الحسن بن غيره ، وتفقه فى مذهب الإمام أحمد .
وقرأ العربية والأدب على أبى منصور بن الجوالقى ، وصحب العلماء والصالحين .
كالشيخ عبد القادر ، وغيره ، ومدح الخلفاء والوزراء .
وله ديوان شعر حدث به . وكان فصيح القول حسن المعان ، ذا دين وصلاح
وتصلب فى السنة .

قال ابن القطيبي : منع الوزير ابن هبيرة الشعراء من إنشاد الشعر بمجلسه ، فكتب إليه النميري قصيدة سمعتها من لفظ النميري . فكتب الوزير على رأسها بخطه : لو كان الشعراء كلهم مثله في دينه وقوله لم يمنعوا ، وإنما يقولون مالا يحل الإقرار عليه ، وهو فالصديق وما يذكر يوقف عليه ، ورسومه تزداد ولا تنقص ، والسلام .

وقد حدث النميري بحديثه وشعره ، وسمع منه القطيبي ، وغيره

وروى عنه عثمان بن مقبل الياسري ، وبهاء الدين عبد الرحمن المقدسي ، وابن الديبثي ، ويوسف بن خليل وغيرهم .

وتوفي يوم الثلاثاء عشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ودفن من الغد بمقبرة الإمام أحمد عند الشهداء رحمه الله .

ومن شعره ، وقد سئل عن مذهبه واعتقاده ؟ فأشدد :

أحب علياً والبتول وولدها ولا أجحد الشيخين حق التقدم
وأبرأ ممن نال عثمان بالأذى كما أبرأ من ولاء ابن ملجم
ويعجبني أهل الحديث لصدقهم فلست إلى قوم سواهم بمنتمى
وقد روى البيت الثالث على وجه آخر .

ومن شعره وقرأته بخط السيف بن المجد الحافظ :

سبرت شرائع العلماء طراً فلم أر كاعتقاد الحنبلي
فكن من أهله سراً وجهراً تكن أبداً على النهج السوي
هم أهل الحديث وما عرفنا سوى القرآن والنص الجلي
ومما أنشده عنه ابن القطيبي ، وقال : أنشدني لنفسه :

وكفى مؤذناً باقتراب الأجل شباب تولى وشيب نزل

وموت اللذات ، وهل بعده بقاء يؤمله من عقل ؟

إذا ارتحلت قرناء الفتى على حكم ريب المنون ارتحل

هو الموت لا يمتحنى للنفوس من خطبه بالرق والحيل

إذا صال كان سواء عليه من عز من كل حي وذل

فياويح نفسي أما ترعوى وقد ذهب العمر إلا الأقل
ومن شعره أيضاً :

أذاعت بأسراري الأدمع جزعت لما أعز من بينهم
تولوا فما قرّ لي بعدهم وأقسم لاحلت عن عهدهم
أحبابنا هل لعصر مضى كان على كبدى بعدهم
ولى مقلة منذ فارقتكم يثورقنى كل برق - أراه
وكم لي من عاذل فيكم وقال : ومن شعره في الغزل :

ولما رأى ورداً بخديه يجتنى وأقام عليه حارساً من جفونه
ويقطف أحياناً بغير اختياره ومن شعره أيضاً :

يزهدنى في جميع الأنام وهل عرف الناس ذونبهة
فأمسى له فيهم مرغب هم الناس مالم تجربهم
وطلس الذباب إذا جربوا وليتك تسلم عند البعاد
منهم ، فكيف إذا يقربوا ؟

١٨١ - أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد البغدادي ، المقرئ أبو العباس ،

المعروف بالعراق ، نزيل دمشق .

قرأ القرآن على أبي محمد سبط الخياط ، وسمع الحديث من محمد بن عبد الله بن
سهلون ، وأبي الفتح الكروخي ، وسعد الخير الأندلسي ، ومهر في علم القراءات .
يلقى المهذب بن منير الشاعر بحلب ، وروى عنه .

وقدم دمشق سنة أربعين ، فسكنها إلى أن مات وتصدر للإقراء تحت النسر بالجامع ، فحتم عليه جماعة ، وأمّ بمسجد الخشابين ، وأقام به سنين .
قال الشيخ موفق الدين : كان إماماً في السنة ، داعياً إليها ، إماماً في القراءة . وكان ديناً ، يقول شعراً حسناً ، وشرح عبادات الخرقى بالشعر .
وقال ابن النجار : كان شيخنا فاضلاً متقناً ، طيب المحاضرة .
قلت : وكان متشدداً في السنة .

ويقال : إنه منع الحافظ عبد الغنى من الاجتماع بابن عساكر الحافظ والسماع منه ، وندم الحافظ على ذلك . وكان يقول : كان عندنا في الحربية قوم من المتشددين يسمون : السبعة ، لا يسمون على من سلم إلى شيعة على مبتدع . ورأيت له جزءاً في الرد على من يعير الحنابلة بالفقر وقلة المناصب .

وروى عنه الشيخ موفق الدين ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن خليل .
وتوفي في شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بدمشق ، وقد جاوز السبعين .
وقال الضياء : مات في جمادى الأولى سنة ست وسبعين . وهو وهم ؛ فإن ناصح الدين بن الحنبلي : ذكر أنه زار معه القدس سنة سبع وثمانين - أو سنة ثمان - الشك منه . وذكر : أنه قرأ عليه ، وسمع منه .
قال : وقال لي : قدمت من بغداد لأجل زيارة القدس ، ولم يتفق لي زيارته إلى هذه المدة .

١٨٢ - عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سلامة السبتي البغدادي الوراق

المحدث المقرئ ، الزاهد أبو جعفر بن أبي المعالي بن السمين . نزيل الموصل .
ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

وسمع الكثير من هبة الله الحريري ، وأبي بكر بن عبد الباقي ، وأبي منصور القزاز ، وعلي بن هبة الله بن عبد السلام ، وأبي الفضل الأرموي ، وأبي الفتح الكرخي ، وأبي الحسين بن الزاغوني ، وأخيه أبي بكر ، وابن الطلاية ، وغيرهم .

وكتب بخطه الكثير لنفسه وللناس . وخرج البخاري . وحدث بالكثير ببغداد والموصل . وكان صالحاً ثقة ، ديناً صدوقاً من أهل التقشف والصلاح والنسك يأكل من كسب يده .

توفي في العشر الأخير من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بالموصل . ودفن بقل توبة رحمه الله تعالى .

١٨٣ - علي بن مكي بن جراح بن علي بن ورخز البغدادي ، الفقيه

الزاهد أبو الحسن .

تفقه على أبي الفتح بن المنى ، وأبي يعلى بن أبي خازم ، وبرع في الفقه ، وأفتى وناظر . وكان زاهداً عابداً .

توفي يوم حادي عشرين صفر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة باب حرب .

١٨٤ - علي بن أبي العز بن أبي عبد الله الباجسراي ، الفقيه الزاهد

أبو الحسن .

كان يسكن بمدرسة الشيخ عبد القادر . وسمع الكثير من أبي الوقت ، وابن البطي ، وغيرها . وحدث باليسير .

سمع منه جماعة من الفقهاء . وكان صالحاً ورعاً ، متديناً ذا عبادة وزهد . جمع كتاباً في تفسير القرآن الكريم في أربع مجلدات .

توفي ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . وصلى عليه بالمصلى بباب الحلبة . ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

١٨٥ - طغرى بن ختلغ بن عبد الله الأميري المسترشدي - نسبة إلى ولاء

بعض الأمراء من ولد المسترشد - البغدادي المقرئ الفرضي ، أبو محمد المحدث . يسمى عبد الحسين أيضاً . نزيل دمشق .

ولد سنة أربع وثلاثين وخمسة .
وقرأ القرآن بالروايات العشرة على أبي الحسن البطائني . وكان ربيبه ،
فأحسن تربيته ، وأسمعه من الأرموي ، وابن ناصر الحافظ ، وأبي بكر بن الزاغوني ،
وأبي العباس أحمد بن محمد بن المكي ، وسعيد بن البنا ، وأبي الوقت ، وأبي القاسم
هبة الله بن الحاسب ، وغيرهم .

وصحب أبا الفضل بن ناصر الحافظ ، وأخذ عنه علم الحديث ، وأصول السنة .
وقرأ الفرائض على أبي النجم بن القابلة ، وبرع فيها حتى صار فيها إماما
متوحدا ، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها إلى حين وفاته .

وحدث ببغداد وحران ودمشق . وقرأ عليه الشيخ أبو عمر صحيح البخاري .
روى عنه ابن خليل الحافظ .

قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي في حقه : المحدث الحافظ الفرضي الزاهد .
كان قيا بمعرفة البخاري ، برجاله وألفاظ غريبه ، وشرح معانيه . قرأته عليه ،
وسمع بقراءتي جماعة كثيرة . وكان قيا بأصول السنة ، ومقالة أصحاب الإمام أحمد
وكان متعبدا معتزلا للناس . حضر معي فتح البيت المقدس . وقرأ عليه جماعة من
أولاد الدمشقيين الحاسب والفرائض . وكان لا يفارقتني إلى أن حججت سنة
تسع وثمانين ، ورجعت من الحج فوجدته قد مات رحمه الله . ودفن في تربة عمي
عبد الحق بالجبل .

قلت : وذكر المنذري : أنه توفي في المحرم سنة تسع وثمانين . وكذا ذكره
الديلمي أنه بلغهم وفاته .

وذكر القطيعي : أنه بلغهم ببغداد حين موته في ربيع الأول سنة تسع وثمانين
فيكون قول ابن الحنبلي : حججت سنة تسع فيه تسامح . ومراده : أنه رجع من
الحج إلى دمشق سنة تسع ، فوجده قد مات . لكنه ذكر في أول كتابه : أن
أول سنة حج سنة تسع وثمانين .

١٨٦ - بدر بن أبي طاهر بن شيرد شهر بن حاكاه بن عبد الله بن محمد

الجيلي ، الفقيه المقرئ أبو محمد . نزيل بغداد .

قرأ القرآن بالروايات على أبي العلاء الهمداني .

وسمع من أبي الفتح محمد بن الحسن الصيدلاني ، وغيره . وسمع من محمد بن

محمد بن عبد الرحمن الخطيب الكشميهني المروزي .

وتفقه ببغداد على ابن بكروس ، وأقرأ الناس

قرأ عليه بالروايات الكثيرة أبو عبد الله محمد

وغيره . وسمع منه القاضي أبو العباس بن الفراء ،

وتوفي يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة

رحمه الله تعالى .

الملك الأصبهاني

١٨٧ - محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن

من أهل أصبهان

الجورتاني بن الحمصي ، العابد الأديب ، مصلح الدير

و «جورتان» من قراها .

ولد سنة خمسمائة في رجب . وقيل : سنة ٤٠٠

نبري ، وسعيد

وسمع من أبي علي الحداد ، وأبي نهشل

ابن أبي الرجاء .

وأكثر أدباء

قال ابن النجار : وكان قعيها فاضلا ، كامل

أصبهان من تلامذته . وكان متدينا ، حسن الطرييا

محمد بن أحمد

سمعت أبا عبد الله الخليلي بأصبهان يقول :

في يومين . فلما

الحنبلي المعروف بالمصلح قبل عقد الثمانين من عم

تذكر وتفكر .

جاوز الثمانين كان يحتم كل يوم القرآن . وكانت قر

نا - وكان من

قال أبو عبد الله : وسمعت محمد بن محمد الخلي

أهل الخير والصلاح ، تلاء للقران ، ملازما للمسجد في أكثر أوقاته ، لم تكن تفوته صلاة الجماعة إلا نادرا يقول - : لما بلغ مصلح الدين عقد الثمانين قال : أسأل الله أن يمهلى إلى التسعين ، وأن يوقني كل يوم نختمة ، فاستجيب دعوته ، فكان يحتم كل يوم ختمة .

قال أبو عبد الله : وسمعت الحسين بن محمد بن أحمد الحمصي الحنبلي يقول : قام عمي - يعني : محمد بن أحمد المصلح - ليلة لورده قبل الوقت الذي كان يقوم فيه لورده في سائر لياليه . قال : فسمعت صوتا من السماء - وأنا بين النائم واليقظان - أيها المصلح ، ما أسرع ماقت الليلة .

حدث المصلح بأصبهان وبغداد حين قدمها حاجا . وسمع منه أبو المحاسن القرشي ، ومات قبله لخمس عشرة سنة ، والشريف الزيدى على بن أحمد .

وروى عنه من أهل بغداد أحمد البندنجي ، ويوسف بن سعيد المقرئ وغيرها قال ابن النجار : سمعت أبا البركات بن الرويدشتي بأصبهان يقول : توفي محمد بن أحمد بن الحنبلي - يعرف بالحمي - أستاذ الأئمة في يوم الأربعاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة تسعين وخمسمائة .

قال : وذكر لنا سبطه : أنه دفن بداره ، ثم نقل إلى باب درية رحمه الله تعالى . وقال المنذرى : ليلة الحادى عشر . وكذا ذكره ابن نقطة ، وقال : ليلة الثلاثاء حادى عشر .

قال المنذرى : وتوفى قبله بيسير ولده أبو بكر أحمد . وكان سمع سعيد ابن أبي رجاء وغيره .

قلت : وكان يلقب أمين الدين .

١٨٨ - محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طلحة نصر بن أحمد

ابن محمد بن جعفر البرمكى المروى الإشكيدباني ، المحدث أبو عبد الله ، ويقال : أبو الفتح . نزيل مكة ، وإمام حطيم الحنابلة بها .

ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

وسمع بهمدان من أبي الوقت ، وأبي الفضل أحمد بن سعد بن حمدان ،
وأبي المحاسن هبة الله بن أحمد بن محمد بن السماك : وبيغداد من أبي المعالي بن
النحاس ، وأبي المعمر بن الهاطر ، وابن البطي ، وخلق كثير وبمصر من أبي الظاهر
إسماعيل بن قاسم الزيات . وبالإسكندرية من الحافظ السلفي . وحدث بمكة ،
ومصر والإسكندرية ، وأقام بمكة في آخر عمره ، وأمَّ بها في موضع الحنابلة سنين .
وحدث عنه أبو البناء حامد بن أحمد الأرتاحي .

قال ناصح الدين بن الحنبلي : كان رجلاً صالحاً ، سمعت منه بقراءته جزءاً
بمكة . وكان في عزمي أنني أدخل اليمن ، وقد هيات هدية لصاحبها من طرف
دمشق ، فاستشرته ، فقال : أنت أعلم . ثم قال : قرأنا ههنا جزءاً من أيام ، ف جاء
فيه عن بعض السلف علامة قبول الحج : أن الإنسان ينصرف عن مكة غير طالب
للدنيا ، فزهدت في اليمن ، ورجعت عن ذلك العزم . قال : وذلك سنة تسع وثمانين .
قال المنذري : سمع منه والدي سنة تسعين . فإما أنه توفي في هذه السنة ،
أو بعدها بيسير .

قال و «الإشكيذباني» بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الكاف
وسكون الياء آخر الحروف وفتح الذال المعجمة وبعدها باء موحدة مفتوحة
وبعد الألف نون .

وذكره الفارسي في تاريخه ، وقال : كان رجلاً صالحاً : توفي سنة إحدى
وتسعين بمكة .

وذكر المنذري إيماناً توفي سنة تسعين : الشيخ الأجل إمام الحرم مكى بن ثابت -
بالنون - بن زهرة الحنبلي الفزارى بمصر ليلة السابع من شهر ربيع الآخر ، ولم
يزد على ذلك .

١٨٩ - إسماعيل بن أبي سعد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن شاه شاه البنا

الأصبهاني ، المحدث أبو الحسن ، يعرف بظاهر يته .

سمع الكثير ، وحصل الأصول . حدث ببغداد ، قدمها حاجاً عن فاطمة

الجوزدانية ، وفاطمة بنت محمد بن أحمد البغدادي

سمع منه أبو الفتوح بن المصري ، وأحمد بن طارق ، وعبد الرحمن بن الغزال

وكان شيخاً صالحاً صدوقاً

توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وخمسمائة . رحمه الله تعالى

١٩٠ - عبد المؤمن بن عبد الغالب بن محمد بن طاهر بن خليفة بن محمد بن

حمدان الشيباني البغدادي الوراق ، الفقيه أبو محمد

ولد في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة ، ذكره القطيعي عنه .

وسمع ببغداد من القاضي أبي بكر بن عبد الباقي ، وأبي القاسم بن السمرة قندي

وابن الطلاية ، وأبي الحسن ، وأبي بكر بن الزاغوني ، والأرموي .

وسمع بهمدان من أبي الخير الباغبان ، وغيره ، وحدث .

وسمع منه ابن القطيعي ، وقال : كان له صلاح ودين وافر .

وروى عنه ابن الديلمي ، وابن خليل الحافظ ، فقال : أنبأنا الإمام أبو محمد

عبد المؤمن الفقيه الحنبلي ، وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الديبة .

قال ابن القطيعي : توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة .

قال : وكتب إلى ابن شريك : أنه توفي ليلة العيد ، سنة إحدى وتسعين .

قلت : وكذا ذكر المنذري : أنه توفي يوم عرفة ، سنة إحدى وتسعين .

وذكر ابن النجار عن ابن الديلمي : أنه توفي يوم الإثنين ثامن ذي الحجة ،

سنة إحدى وتسعين ، وعن غيره : أنه دفن بباب حرب .

١٩١ - علي بن هلول بن خميس الواسطي الفاخراي الضري ، الفقيه

أبو الحسن ، ويلقب بمعين الدين .

ذكره المنذري ، فقال : تفقه على مذهب الإمام أحمد ، وسمع من أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق ، وأبي الفتح صدقة بن الحسين الناسخ ، وخديجة بنت أحمد النهرواني ، وغيرهم ، وحدث .

وهو منسوب إلى « الفاخراية » : قرية من سواد واسط .

توفي في حادي عشر ذي الحجة ، سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، ودفن بباب حرب . رحمه الله تعالى .

١٩٢ - مامر بن محمد بن حامد الصقار الأصبهاني ، الفقيه المحدث ، الإمام

محب الدين أبو عبد الله .

سمع أباه أبا جعفر محمد ، وأبا طاهر محمد بن أبي نصر الهروي بهاجر ، وأبا الخير الباغبان ، ومسمود النقي والرستمي ، وعبد الجليل كوتاه ، وجماعة بأصبهان وبهمدان أبا زرعة المقدسي ، وأبا العلاء العطار .

وقدم بغداد حاجا سنة ثمان وثمانين ، وسمع بها من جماعة . وقرأ على ابن الجوزي مناقب الإمام أحمد له ، وحدث باليسير .

كتب عنه أبو عبد الله محمد بن النفيس الرزاز .

ذكره ابن النجار ، وقال : كان فقيها ، حنبليا فاضلا ، وله معرفة بالحديث

والأدب .

وذكر أبو الفرج بن الحنبلي : أنه لقيه بأصبهان ، وقال : كان فقيها على

مذهب الإمام أحمد ، عارفا بالمذهب والخلاف ، محدثا ، ووصفه بالروية التامة .

١٩٣ - سمر بن عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلام القرشي ، المصري

المولد البغدادي الدار ، الفقيه الزاهد أبو الحسين ابن الشيخ أبي عمرو المتقدم ذكره .
خرج من مصر قديماً ، واستوطن بغداد . وقد سبق في ترجمة أبيه سبب
قدومه إلى بغداد ، وتفقه بها في المذهب على أبي الفتح بن المنى ، ولازم درسه .
وسمع من أبي محمد بن الحشاش وغيره ، وحصل له القبول التام من الخاص والعام ،
وكان ورعاً زاهداً عابداً .

قرأت بخط ناصح الدين بن الحنبلي في حقه : كان مشتغلاً بحفظ كتاب
الوجهين والروايتين ، تصنيف القاضي أبي يعلى . وكان من الزهد ، والصلاح ،
والتطهير ، والتورع في المأكول على صفة تعجز كثيراً من المجتهدين في العبادة .
وكان يمشی مطرق الرأس ، يلتقط الأوراق المكتوبة ، حتى اجتمع عنده
من ذلك شيء كثير ، فيحمله بحمال إلى الشاطيء فيتولى غسله ، ويرسله مع الماء .
وكان لا يستقضي أحداً حاجة إلا أعطاه أجره ، ولو أشعل له سراجاً .
وذاكرته في خلوة في القول بخلق أعمال العباد ، فأقر به ، ولم يكن علي
ما ذكره من مذهب والده في ذلك ، فسرت بذلك .

ورآى رجل في بغداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول : لولا الشيخ سعد
نزل بكم بلاء ، أو كما قال .
ثم سعى الشيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام ، فانعكف الناس به
يتبركون به وازدحوا ، فرموه مرات ، وكان منادياً ينادى في قلوب الناس ، وهو
يقول : أعوذ بالله من الفتنة ، إيش بي ؟ إيش بالناس ؟ حتى ضرب الناس عنه
وخلص منهم .

وقال القادسي : هو أحد الزهاد الأبدال الأوتاد ، ومن تشدد إليه الرجال ،
ومن كان لله عليه إقبال الصائم في النهار ، القائم في الظلام .
قدم بغداد . وسكن برباط الشيخ عبدالقادر ، وما كان يقبل من أحد شيئاً ،
ولا يفشى باب أحد من السلاطين . كان ينفذ له في كل عام شيء من ملك له
بمصر يكفيه طول سنته .

حكى لى والدى ، قال : كنت أتردد إليه كثيراً ، فأتيته يوماً ، فمجس في نفسى أن لى مدة أتردد إليه ، وما حلف علىّ قط ، ولا قدم لى شيئاً ، فما استتممت كلامى حتى قال لى : أى أحمد ، والله ما أرضى لك طعامى ، لأنه طعام شقى ، قال : وأخذنى من الوجد شىء عظيم ، ثم دخل ليخرج لى من الزاد . فقلت : لو أخرج إلى رغيف فضله ، لأتغيب به لأقوام ، فقال عجلاً من داخل البيت : أى : شيخ أحمد ، بل رغيفان . قال : فزاد تحيرى ودهشتى . وكان الشيخ سعد كثير البكاء والخشوع .

قال ابن النجار : كان عبداً صالحاً ، مشهوراً بالعبادة والمجاهدة والورع ، والتقشف ، والقناعة ، والتعفف ، وكان خشن العيش ، مخشوشنا ، كثير الانقطاع عن الناس . وكان على غاية من الوسوسة ، والمبالغة في الطهارة .

قال ابن النجار : حدثنى سعيد بن يوسف بن سعيد المقرئ ، قال : سمعت سعد المصرى الزاهد يقول : تجشأت مرة ، فصعد إلى حلقى شىء من الجشأ ، ففسلت حلقى ثلاث مرات ، وابتلعتة ، ثم غسلت فى ثلاث مرات آخر وأبصقه . قلت : سامحه الله تعالى ، هذه زلة فاحشة .

قال المنذرى : كان يحمل إليه ما يقتات به من مصر من جهة كانت له بها . وقيل : إن شيخه ابن المتى لما احتضر أوصى أن يصلى عليه الشيخ سعد ، وقد تقدم أنه صلى عليه يومئذ ، وأن الناس ازدحموا عليه للتبرك به ، حتى كاد يهلك . قال المنذرى : توفى فى سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ساجداً فى صلاته ، ودفن من القد .

وذكر القطيعى : أنه توفى يوم الثلاثاء ، وأنه دفن بمقبرة باب الدير بالقرب من معروف الكرخى ، رحمة الله عليه .

وذكر القادسى : أنه توفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر ، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ساجداً ، وصلى عليه بمدرسة عبد القادر ، ثم مراراً عدة بظاهر

الخلبة ، ثم حمل إلى باب حرب ليدفن به . وكان قد حفر له به قبر ، فأقبل خدام أم الخليفة ، واستخلصوه من العامة ، وردوه إلى مقابر معروف ، إلى التل المقابل لباب تربة أم الخليفة . وكان يوم موته مشهوداً ، وتابوته بالحبال مشدوداً ، رحمه الله .

وذكر ابن النجار : أنه كان قد قرأ في الصلاة التي توفي فيها (٥٦ : ٨٨ ، ٨٩) فأما إن كان من المقرَّبين ، فروح وريحان وجنة نعيم) .

١٩٤ - إلياس بن هاجر بن محمود بن حامد بن محمد بن أبي الحجر الحراني ، الفقيه المحدث تقي الدين أبو الفضل ابن الإمام أبي الفضل . وقد سبق ذكر أبيه . سمع إلياس ببغداد من أبي هاشم عيسى بن أحمد الروشابي ، وشهدة ، وغيرهما . قال ناصح الدين بن الجنبلي : وكان رفيقاً في درس شيخنا ابن النبي . وسكن الموصل إلى أن توفي . وولى مشيخة دار الحديث بها . وكان حسن الطريقة ، وحدث . سمع منه بدل التبريزي .

توفي في سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسة مائة بالموصل . كذا ذكره غير واحد .

قال المنذرى : وقيل : بل سنة ثلاث وتسعين .

١٩٥ - مكي بن أبي القاسم عبد الله بن معالي بن عبد الباقي بن العراد البغدادي المأموني ، الفقيه المحدث أبو إسحاق . ويقال : أبو الحرم أيضاً . ولد سنة تسع وعشرين وخمسة مائة .

وسمع من ابن ناصر ، والأزموي ، والسكرودي ، وابن البطي ، وهبة الله الشبلي ، وسعد بن البنا ، وأبي بكر بن الزاغوني ، وأبي الوقت ، وخلق كثير . واعتنى بهذا الشأن . قرأ على الشيوخ ، وكتب بخطه . ولم يزل يقرأ ويسمع إلى آخر عمره . وهو ثقة .

وكان له مسجد كبير بالأمونية يؤم فيه ، ويقرأ الحديث على المشايخ . وكان يقرأ أيضاً بجامع القصر . وهو ثقة صحيح السماع . وقد نسبة القطيعي إلى التساهل والتسامح .

وذكر عن عبد الرزاق : أنه وجد بخطه طبقة أنكرها . ووثقه ابن نقطة ، وقال : إنما تكلم فيه شيخنا ابن الحضري ، لأنه قال : كان يكتب سماع أقوام كانوا يتحدثون إلى جانب حلقتهم . فأما سماعه فصحيح .

وقال الفارسي : كان صالحاً خيراً ديناً . وقد تكلم فيه أصحاب الحديث . وقد روى عنه ابن خليل ، وقال : أنبأنا أبو الحرم مكى بن أبي القاسم الفقيه الحنبلي وقرأت بخط أبي الحسن علي بن أحمد الزيدى الحافظ الزاهد . وقد سمع منه جزءاً الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو إسحاق مكى .

وروى عنه البلداني . وأجاز لابن أبي الدينة . وتوفي ليلة الجمعة سادس محرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . ودفن من القدر بباب حرب مجاوراً قبر بشر . رحمه الله تعالى .

١٩٦ - عبد الوهاب بن عبد القادر بن أبي صالح الجبلي ، ثم البغدادي

الأزجي ، الفقيه الواعظ ، سيف الدين أبو عبد الله ابن القدوة الزاهد أبي محمد . وقد سبق ذكر والده .

وأما هو : فولد في ثاني شعبان سنة اثنين وعشرين وخمسمائة . وذكر أبو شامة : أنه سمع من ابن الحصين ، وابن السمرقندي وسنه يحتمل السماع من ابن السمرقندي ، والحضور من ابن الحصين . لكن لم أر أحداً من أهل بلده ذكروا ذلك ، وهم أعلم بحاله . ولو كان ذلك صحيحاً لقدموا هذين على بقية شيوخه . ولكن ذكر ابن القادسي : أنه سمع من ابن الحصين ، وابن الزاغوني ، وأبي غالب بن البنا ، وغيرهم .

وأسمعه والده في صباه من أبي غالب بن البنا ، وأبي منصور القزاز ،

وأبى الفضل الأرموى، وأبى الحسن بن صرما، وسعيد بن البنا، وأبى الوقت وعيرهم
وقرأ الفقه على والده حتى برع فيه ، ودرس نيابة عن والده بمدرسته وهو
حى ، وقد نيف على العشرين من عمره . ثم استقل بالتدريس بها بعده ، ثم
نزعت منه لابن الجوزى؛ لأجل عبد السلام بن عبد الوهاب ، ثم ردت إليه بعد
قبض ابن يونس .

قال ابن القادسى : كان فقيهاً مجوداً ، زاهداً واعظاً ، وله قبول حسن . وتولى
المظالم للناصر سنة ثلاث وثمانين . وكان كيساً ظريفاً من ظرفاء أهل بغداد متاجناً .
ولم يكن فى أولاد أبيه أقره منه . كان فقيهاً فاضلاً ، حسن الكلام فى مسائل
الخلاف . له لسان فصيح فى الوعظ ، وإيراد مليح مع عذوبة ألفاظ ، وحدة خاطر ،
وكان ظريفاً لطيفاً ، مليح النادرة ، ذا مزح ودعابة وكياسة . وكانت له مروءة
وسخاوة . وجعله الخليفة الناصر على المظالم . وكان يوصل إليه حوائج الناس .
ذكر ذلك ابن النجار .

وذكر غيره : أنه يرسل به من الديوان إلى الشام ، وأن الخليفة الناصر
بنى رباط الخلاطية له . وكان له القبول التام عند العامة أيضاً .
قال ناصح الدين بن الحنبلى : قال الشيخ طلحة - يعنى العلى - : قلته سيدى .
فى الفتوى .

قال أبو شامة : قيل له يوماً فى مجلس وعظه : ما تقول فى أهل البيت ؟
قال : قد أعمونى . وكان أعمش . أجاب عن بيت نفسه . وقيل له يوماً : بأى شىء
تعرف الحق من المبطل ؟ قال : بليمونة . أراد : من تخضب يزول خضابه بليمونة .
وقال ابن البزورى : وعظ يوماً ، فقال له شخص : ماسمعنا بمثل هذا . فقال :
لا شك يكون هذيان . وكان له نوادر كثيرة .

وحدث ، وسمع منه جماعة ، منهم : ابن القطيعى .
وروى عنه ابن الديدبى ، وعبد الرحمن بن الغزال الواعظ ، وابن خليل ،

وأجاز لمحمد بن يعقوب بن أبي الدينة . وتوفي ليلة الأربعاء الخامس عشر من شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . وصلى عليه من الغد بمدرسة والده . وحضر خلق كثير . ودفن بمقبرة الجلبة عند عبد الدائم الواعظ الذي تنسب المقبرة إليه . رحمه الله تعالى .

١٩٧ — طلحة بن مظفر بن غانم بن محمد العثمي ، الفقيه الخطيب المحدث

الفرضي النضار ، المفسر الزاهد ، الورع العارف ، تقي الدين أبو محمد . نقلت هذه الترجمة له من خط الشيخ ناصح الدين بن الحنبلي . قال : نشأ في العث ، وهي قرية من قرى بغداد . وحفظ الكتاب العزيز . وقرأ على عليّ البطائحي ، والبرهان بن الحصري ، وغيرهما . وقرأ الفقه على ناصح الإسلام أبي الفتح بن المتي ، فصار معيداً على وعلى غيره . يعني : أنه كان يعيد لهم دروس الشيخ .

قال : وانتفعنا به كثيرا . وسمع الحديث الكثير . وقرأ صحيح مسلم في ثلاث مجالس . وكان يقرأ كتاب «الجمهرة» على ابن القصار ، فمن سرعة قراءته وفصاحتها قال ابن القصار : هذا طلحة يحفظ هذا الكتاب . قالوا : لا . وكان يقرأ الحديث فيبكي . ويتلو القرآن في الصلاة ويبكي . وكان متواضعا لطيفا ، أديبا في مناظراته ، لا يسفه على أحد ، فقيرا مجردا ، ويرحم الفقراء ، ولا يخالط الأغنياء .

حدثني الشيخ : أن ناصح الإسلام بن المتي ، زار رجلا من أرباب الدنيا قال : وكنت معه يعتمد على يدي ، فرأيت في زاوية الدار صحن حلواء ، فاشتتهته نفسي ، وخرجنا ولم يقدمه لنا . فممت تلك الليلة ، فرأيت في منامي حلواء حضرت إلى ، فأكلت منها حتى شبعت ، فأصبحت ونفسي لا تطلب الحلواء .

قال : وكان يقرأ عليه القرآن والفقه والحديث في جامع العث .

وقال الحافظ المنذري : تفقه ببغداد على أبي الفتح بن المتي ، وأبي الفرج بن

الجوزى . وسمع بها من أبى الفتح محمد بن عبد الباقي ، ويحيى بن ثابت بن بندار ، وأحمد بن المبارك المرقعاتي ، وعبد الحق بن عبد الخالق ، وشهدة ، وتجنى الوهبانية وجماعة كثيرة .

وقرأ بلفظه على الشيوخ . وكان حسن القراءة . وانقطع في آخر عمره إلى العبادة ، وتعليم العلم .

قلت : وسمع على أحمد بن المقرب الكرخي أيضاً . وعنى بالحديث ، ولازم أبا الفرج بن الجوزى . وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه ، فكان أديباً شاعراً فصيحاً ، واشتهر اسمه ، ورزق القبول من الخلق ، وكثر أتباعه ، وانتفع به الناس .

وروى عنه يوسف بن يوسف بن خليل ، وغيره .

وروى عنه ابن الجوزى في تاريخه حكاية ، وقال : حدثني طلحة بن مظفر الفقيه : أنه ولد عندهم بالعلث مولود لسته أشهر ، فخرج له أربعة أضراس . قال المنذرى : توفي في ثالث عشر ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بزاويته بالعلث . ودفن هناك رحمه الله .

« والعلث » : ناحية قريبة من الحضيرة من نواحي دجيل . وهي بفتح العين المهملة وسكون اللام وبعدها ثاء مثلثة .

وخلف الشيخ ثلاثة أولاد ، وهم أبو الفرج عبد الرحمن . وكان قدوة صالحاً عالماً . ومنكارم ، ومظفر . وكلهم سمعوا الحديث وحدثوا .

١٩٨ - محمود بن أحمد بن ناصر البغدادي الحرمي ، الحذاء أبو البركات .

ويقال : أبو الثناء .

سمع من ابن الطلاية ، وعبد الخالق بن يوسف ، وغيرهما . وتفقه في المذهب . وأقرأ الفقه ، وحدث .

توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ببغداد . رحمه الله .

١٩٩ - عبد الله بن يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البغدادي

الأزجي ، الفقيه الفرضي الأصولي المتكلم الوزير ، وزير الخليفة الناصر جلال الدين أبو المظفر بن أبي منصور بن أبي المعالي .

كان والده وكيلا لأم الخليفة الناصر . وكان ذا صدقات وإفضال على العلماء سمع من ابن الحصين ، وأبي منصور القزاز ، وحدث . وحج في آخر عمره ، فتمتع عملا بالمذهب . وعاد ولزم بيته . ونابه ولده هذا .

وتوفي في محرم سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . وشيعه الأعيان . ودفن بالمدائن إلى جانب قبر حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

وأما ولده هذا أبو المظفر : فإنه اشتغل بالعلم ، ورحل في طلبه إلى همدان ، وقرأ بها ببعض الروايات على الحافظ أبي العلاء .

وسمع الحديث من المتأخرين ، مثل أبي الوقت ، وأبي بكر بن الزاغوني ونصر العكبري ، وابن البطي ، وغيرهم .

وتفقه في المذهب على أبي حكيم النهرواني ، ثم على صدقة بن الحسين . وقرأ عليهما القرآن ، وعلى صدقة الأصول والكلام . واختلف إلى جماعة من العلماء في طلب فنون جمة من العلوم ، وبرع في علم الفرائض والحساب والأصلين والهندسة . وصنف كتابا في أوهام أبي الخطاب الكلوزاني في الفرائض والوصايا ، وكتابا في أصول الدين والمقالات . وحدث به في ولايته الأخيرة . وسمعه منه الفضلاء . ولم يتم سماعه .

وسمع منه الحديث عبد العزيز بن دلف ، وأبو الحسن بن القطيعي ، وبلغ في مدحه والثناء عليه .

وقال جمع : فيه خصال ، الخصلة منهن تكون في الرجل ، فيكون من الكاملين ؛ إذ كان الله رزقه حفظ القرآن ، والعلم بالحلال والحرام ، والفرائض والكتاب والحساب ، والعلم بالنحو ، والسنة والأخبار ، وأعطاه من شرف

الأخلاق ، وكرم الأعراق ، والمجد المؤثل ، والرأى المحصل ، والفضل والنجابة ، والفهم والإصابة ، والقريحة الصافية ، والمعرفة بكل فضل وفضيلة ، والسمو إلى كل درجة رفيعة نبيلة من محمود الخصال ، والفضل والسكال ما يطول شرحه .
ثم ذكر تنقله في الولايات حتى ولاء الخليفة الوزارة في شوال سنة ثلاث وثمانين وجلس الخليفة له وخواص الدولة لخلعته . ثم ركب إلى الديوان وبين يديه جميع أرباب الدولة : قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى ، والنقيبان ، وجميع الأمراء . وذكر غيره : أنه كان يوما وعثا ذا وجل ، وهم مشاة بين يديه . وكان قاضى القضاة قد توقف في قبول شهادة ابن يونس ، فلم يقبلها إلا بكرهه . حتى صار من شهوده . فكان يمشى في ذلك اليوم ويعثر ، ويقول : لعن الله طول العمر . ومات القاضى رحمه الله في آخر تلك السنة .

وفي سنة أربع وثمانين أرسل الخليفة الناصر الوزير ابن يونس مع عسكر عظيم لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان ، فلقبهم طغرل بقرب همدان ، ففرق عسكر الوزير ، وثبت وبيده سيف مشهور ومصحف ، فلم يقدموا عليه ، حتى أخذ بعض خواص السلطان بعنان دابته وقادها إلى خيمته ، ثم أنزله وأجلسه ، فجاء إليه السلطان في خواصه ووزيره ، فلزم معهم قانون الوزارة ، ولم يتم لهم فمحبوا من فعله . وكلمهم بكلام خشن ، وقال لهم : أمير المؤمنين لما بلغه عبثكم في البلاد ، وخروجكم عن الأوامر الشرعية أمر بمجاهدكم ، فاحترموا وأكرموا ، وبقى عندهم مدة . وكان في تلك المدة يسرد الصيام ، ويديم التهجد والتلاوة ، ويحافظ على الجماعات في الفرائض . ثم نقلوه معهم إلى بعض بلاد أذربيجان فتلطف في التخلص منهم ، حتى خلص . وسار إلى الموصل . وكان الخليفة قد استوزر في هذه المدة غيره . وكان هذا الوزير الجديد قد بعث إلى أقطار البلاد في إهلاك ابن يونس . فلما وصل إلى الموصل ، خرج أميرها وسأله المقام ليقبض عليه ، فانفلت منه ، ونزل في سفينة وبعض حواشيه ، وانحدروا ليلا إلى تكريت ،

ف فعل به من في قلعتها كما فعل صاحب الموصل ، فتفلفت منهم أيضا ، ووصل إلى بغداد ، فانتقل إلى بعض سفنها ، وتنكر ، ووصل إلى بيته بباب الأزج . ثم شاع خبره ، فطلبه الخليفة إلى داره . ولم يزل في هذه المدة يدرس القرآن ، ويدارس الفقه ويتحفظ ما كان نسيه من أنواع العلوم . ثم ولاء الخليفة سنة خمس وثمانين أمر المخزن والديوان ، ثم جعله أستاذ الدار سنة سبع وثمانين .

وفي ولايته هذه عقد المجلس لقاضي القضاة العباسي ، وأحضر القضاة والعلماء ، أفتوا وأثبتوا فسقه لقضية كان قد حكم فيها ، وعزله ، وبقي على ولايته إلى رجب سنة تسعين ، فعزل وقبض عليه . وذلك في ولاية ابن القصاب الوزارة .

وكان ابن القصاب رافضيا خبيثا . وكان الناصر يميل إلى الشيعة ، فسعى في القبض على ابن يونس ، ونفى الشيخ أبا الفرج إلى واسط ، وبقي ابن يونس معتقلا إلى سنة ثلاث وتسعين ، فأخرج في سابع عشر صفر ميتا . ودفن بالسرداب رحمه الله وسامحه .

وقد ذكر ابن النجار : أنه لم يكن في ولايته محموداً . وقد علمت أن الناس لا يجتمعون على حمد شخص ولا ذمه .

وأما أبو شامة فبالغ في ذمه والخط عليه بأمور لم يقم عليها حجة . وإنما قال : ويقال : إنه فعل كذا . ومثل هذا القدر لا يكفي في مستنده . ويقال كذا . وكذلك ابن القادسي في تاريخه يذمه كثيرا . وقد ذكر : أنه إذا آباه فصار ذا غرض معه .

وأما ابن الديلمي فقال : كان فيه فضل ، وحسن سمت ووقار . وذكر : أنه لما عزل في المرة الأخيرة أقام بمنزله .

وذكر ابن القادسي : أنه لما قبض عليه استفتى عليه أنه كان تسبب إلى كسر عسكر الخليفة ، وقتلهم ونهبهم ، وأظهر موت الخليفة وهو حي . فكتب ابن فضالان كلاما مضمونه : إباحة دم من فعل هذا . وكتب ابن الجوزي : أنه يلزمه غرامة

ماخان فيه ، وتقام عليه السياسة الرادعة . وذكر : أنه بعد القبض عليه في داره نقل إلى محبس ضنك وعر بالتاج . وقيل : إنه ضيق عليه وقيد .

قال : وكان فقيهاً أصولياً جدّلياً ، عالماً بالحساب والفرائض ، والهندسة والجبر والمقابلة . وصنف كتاباً في الأصول . وكان يقرأ عليه كل أسبوع ، ويحضره جماعة من العلماء ، إلا أنه شأن أفعاله بسوء أعماله بأغراضه الفاسدة ، والحسد الذي كان معه ، والطرائق التي كانت غير مرضية ، فأبغضه الناس وسبّوه . وكان فيه سودنة وجنون .

قال : وتوفي في يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين . ودفن بالسرداب بدار الخلافة .

٢٠٠ - الحسن بن مسلم بن الحسن . ويقال أبي الحسن بن أبي الجود

الفارسي ، ثم الحوري ، الزاهد أبو علي ، زاهد وقته . أصله من « حوراء » : قرية من قرى دجيل من سواد بغداد ، ثم انتقل منها إلى قرية يقال لها : الفارسية من نهر عيسى . وكان يكتب في الإجازة : الفارسي ، ثم الحوري .

ولد سنة أربع وخمسة .

وقرأ القرآن وتفقه في المذهب . وسمع الحديث من أبي البدر الكرخي وغيره . وصحب الشيخ عبد القادر ، ثم اشتغل بالعبادة والانتقطاع إلى الله عز وجل وكان كثير البكاء ، دائم العبادة على منهاج السلف ، ذا كرامات . ويقال : إنه كان يحتم كل يوم وليلة ختمة .

ذكره ابن الديلمي ، فقال : كان رجلاً صالحاً كثير العبادة ، منقطعاً إلى الاشتغال بالخير . قد قرأ القرآن ، وتفقه . وسمع الحديث ، ولم يزل على طريقة حميدة . روى عن الكرخي ، ونعم الرجل كان .

وقرأت بخط أبي الفرج بن الحنبلي الدمشقي قال : سمعت الشيخ طلحة - يعني العثي - يقول للشيخ : حسن هذا عشرون سنة مارئي نأماً أو مضطجماً .

قال : وكان مشهورا ، تزوره العامة والخاصة ، وزرناه في قريته الفارسية ، وبتنا عنده ، وتحدث معنا ، وفرح بنا . وقال - وقد خضنا في أخبار الصنات - : قال بعض مشايخنا : أخبار الصفات صناديق مقلدة ، مفاتيحها بيد الرحمن .

وذكره أبو شامة ، فقال : كان من الأبدال ، لازما لطريق السلف . أقام أربعين سنة لم يكلم أحدا . كذا قال . وهو بعيد جداً من حاله . وذكر من بعض كراماته من تسخير السباع له . وليس تحته كبير أمر .

قال : وسمع قاضي المارستان ، وابن الحصين ، وابن الطيوري ، وغيرهم . كذا قال . ولم يذكر هذا ابن نقطة ، ولا الديبثي ، ولا القطيعي ، ولا المنذري . فما أدري من أين له هذا ؟ نعم كان في زمنه رجل يقال له : الحسن بن عبد الرحمن ابن الحسن الفارسي الصوفي ، من صوفية رباط الزوزني ، روى عن القاضي أبي بكر وغيره ، فاعله اشتبه عليه وهذا توفي بعد الحسن بن مسلم بسنتين ، سنة ست وتسعين . ثم رأيت ابن القادسي ذكر : أن الحسن هذا سمع من قاضي المارستان . قال : وكان أحد الزهاد الأوتاد ، والأبدال العباد ، الموصوفين بالتقى والسداد ، يصوم النهار ويقوم الليل ، بقي أربعين سنة لم يكلم فيها أحدا ، كثير الاجتهاد في العبادة ، كثير البكاء ، غزير الدمعة ، رقيق القلب ، له الفراسة الصائبة .

حدثني والدي قال : كنت عنده وعندده شخص وهما يتحادثان في الزراعة ، فقلت في نفسي : هذا زاهد ، وهو يتكلم في حديث الدنيا؟! فالتفت إلي عابجا ، وقال : أي أحمد ، ما نصل إلى الآخرة إلا بالدنيا . وهذه الحكاية تردُّ قوله : إنه كان لا يتكلم أربعين سنة .

وحدث الحسن بن مسلم ، وسمع منه جماعة ، وروى عنه ابن خليل وغيره . وتوفي في يوم الأحد حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة بالقادسية . ودفن من الغد برباط له بها .

وقيل : توفي يوم عاشوراء . وقيل : يوم ثاني عشر المحرم . والأول الأصح .

وهو الذى ذكره ابن نقطة والدينى والقادسى والمنذرى .

٢٠١ - سلامة بن إبراهيم بن سلامة الحداد القبانى الدمشقى ، المحدث

أبو الخير . ويلقب تقى الدين .

سمع من أبى المكارم عبد الواحد بن هلال ، وابن الموازىنى ، وغيرهما من مشايخ دمشق . وعنى بالحديث ، وكتب بخطه ، وقرأ وخرج التعاريج للشيخ ، وأمّ بحلقة الحنابلة بجامع دمشق . وكان ثقة صالحا فاضلا . وابن نقطة الحافظ يعتمد على خطه ، وينقل عنه فى استدراكه .

قرأت بخط أبى الفرج بن الحنبلى عنه : كان حسن السمى ، يحفّ شاربه ، ويقصر ثوبه ، ويأكل من كسب يده ، يعمل القبابىن ، ويعتمد عليه فى تصحيحها إلى أن مات .

قال : قال لى القاضى ابن الزكى : تعجبنى طريقة أبى الخير - يعنى : سلامة روى عنه ابن خليل فى معجمه ، فقال : أخبرنا الإمام أبو الخير قراءة عليه من لفظه .

وتوفى فى سابع عشرين ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . ودفن بسفح قاسيون . رحمه الله تعالى .

٢٠٢ - محمد بن عبد الملك بن إسماعيل بن عبد الملك بن إسماعيل بن علي

الأصبهانى ، الواعظ أبو عبد الله .

ولد سنة إحدى - أو اثنتين - وثلاثين وخمسمائة .

وسمع من إسماعيل بن علي الحمصى ، والحسن الرستمى ، وعبد الجليل بن محمد

الحافظ ، وأبو الخير الباغبان ، ومسعود الثقفى .

وسمع ببغداد من أحمد بن محمد العباسى ، وهبة الله بن الشبكى . وكان له

قبول كثير عند أهل بلده . وقدم بغداد غير مرة ، وأملى بجامع القصر عشر مجالس ، كتبت عنه .

سمع منه ابن القطيبي ، وابن النجار ، وقال : كان شيخا فاضلا ، متدينا صدوقا .

قال : وأخبرني ولده عبد المعز الواعظ بأصبهان : أن أباه توفي ليلة الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين وخمسمائة بأصبهان . رحمه الله .

٢٠٣ - عبد العزيز بن مهابت بن طاهر البغدادي المأموني الشمعي الخياط ،

المقرئ ، الفقيه الزاهد أبو منصور . ويلقب تاج الدين .

قرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير من أبي المكارم البادراني ، وأبي الحسن ابن يوسف ، وابن الخشاب ، وشهدة ، وأكثر عن المتأخرين بعدم .

وقرأ الفقه على الشيخ أبي الفتح بن المتى . وكتب بخطه الكثير من الحديث وغيره . وكان يقرئ الناس القرآن ، ويؤم بمسجده بالشمعية : محلة ببغداد .

قرأ عليه خلق كثير ، وحدث باليسير من رواياته ؛ لأنه مات في أول سن الكهولة .

قال ابن النجار : كان صالحا ورعا ، متدينا كثير العبادة ، آثار الصلاح لأئمة على وجهه .

وقال أبو الفرج بن الحنبلي : كان رفيقنا في سماع درس ابن المتى ، وبلغ من الزهد والعبادة إلى حد يقال به تمسك بغداد . وكان لطيفاً في صحبته ؛ خرجنا نزور قبر الإمام أحمد . ثم عدلنا إلى الشط ، فنزل الفقهاء يسبحون في الشط ، فقالوا للشيخ أبي منصور : انزل معنا ، فنزع ثوبه ، ونزل يسبح معهم ، ولعبوا في الماء ، فعمل مثلهم ، فقال له بعض الفقهاء : أين الشيخ محمود النعال يبصرك ؟ فقال : يا مسكين ، الحق تعالى يبصرنا . فطاب بعض الجماعة بقوله .

قال ابن النجار : توفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين وخمسمائة . ودفن بباب حرب . رحمه الله .

٢٠٤ - نجم بن أحمد بن أحمد بن كرم بن غالب بن قتيل البنديجي ، ثم
البغدادى الأزجى ، المقيد أبو القاسم بن أبي بكر بن أبي السعادات .
ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة تقريباً . قانه ابن القطيعى .
وقال المنذرى : سنة أربع أو خمس .
وقال ابن النجار : قرأت بخطه قال : ولدت فى رجب سنة أربع وأربعين
وخمسمائة .

وسمع الكثير من أبي بكر بن الزاغونى ، وأبى الوقت ، وأبى حكيم النهروانى
والشيخ عبد القادر ، والوزير ابن هبيرة ، والقاضى أبى يعلى بن أبى خازم بن الفراء
وأبى محمد بن المساح ، والمبارك بن خضير ، وأحمد بن المقرب ، وابن البطى ،
والكروخى وخلق كثير من هذه الطبقة ، ومن بعدهم .
وكتب بخطه كثيراً لنفسه وللناس ، وأفاد أهل البلد ، ومواليدهم ، والغرباء
كثيراً .

وكان يعتنى بحفظ أسماء الشيوخ ، ومعرفة مروياتهم ، ومواليدهم ووفياتهم .
وحدث باليسير ؛ لأنه مات قبل الشيخوخة .
سمع منه ابن النجار ، وتكلم فيه هو وشيخه ابن الأخضر ، وأجاز للحافظ
المنذرى .

توفى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ودفن
من الغد بمقبرة باب حرب . رحمه الله .

٢٠٥ - عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله

ابن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم
ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق
رضى الله عنه القرشى التيمى البكرى البغدادى ، الحافظ المفسر ، الفقيه الواعظ ،
الأديب جمال الدين أبو الفرج ، المعروف بابن الجوزى ، شيخ وقته ، وإمام عصره .

واختلف في هذه النسبة ، فقيل : إن جده جعفر نسب إلى فرضه من فرض البصرة ، يقال لها : جوزة .

وفرضة النهر : ثلمته التي يستقى منها ، وفرضة البحر : محط السفن . ذكر هذا غير واحد .

قال المنذرى : هو نسبة إلى موضع يقال له : فرضة الجوز .

وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش : أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز .

وقيل : بل كانت بداره في واسط جوزة ، لم يكن بواسط جوزة سواها .

واختلف أيضاً في مولده ، فقيل : سنة ثمان وخسمائة .

وقال القادسي : ذكره الشيخ عن أخيه أبي محمد : أنه أخبره بذلك .

وقيل : سنة تسع . وقيل : سنة عشر .

ووجد بخطه : لا أحقق مولدى ، غير أنه مات والدى في سنة أربع عشرة ،

وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين . فعلى هذا : يكون مولده سنة

إحدى عشرة ، أو اثني عشرة .

وقال ابن القطيبي : سألته عن مولده ؟ فقال : ما أحق الوقت ، إلا أننى أعلم أنى

احتلمت في سنة وفاة شيخنا ابن الزاغونى : وكان توفى سنة سبع وعشرين .

قلت : وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة .

ووجد بخطه تصنيف له في الوعظ ، ذكر : أنه صنف سنة ثمان وعشرين

وخمسمائة ، وقال : ولى من العمر سبع عشرة سنة .

قال ابن القطيبي : وحكى لى أنه كان يسمى المبارك إلى سنة عشرين وخمسمائة

وقال : سماني وأخوای شيخنا بن ناصر : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد الرازق .

وإنما كنا نعرف بالكنى .

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب . فلما توفى والده - وهو صغير - كفلته

أمه وعمته . وكان أهله تجارا في النحاس ، فلمذا يوجد في بعض سماعاته القديمة :
ابن الجوزي الصفار . ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر ،
فاعتنى به وأسمعه الحديث . وقد قيل : إن أول سماعته سنة ست عشرة وخمسمائة .
وحفظ القرآن وقراه على جماعة من أئمة القراء . وقد قرأ بالروايات في كبره
بواسطة علي ابن الباقلاني . وسمع بنفسه الكثير ، وقرأ وعنى بالطلب .

قال في أول مشيخته : حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصفر ، وأسمعتني
العوالي ، وأثبت سماعاتي كلها بخطه ، وأخذ لي إجازات منهم . فلما فهمت الطلب
كنت ألزم من الشيوخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت
همتي تجويد العدد لا تكثير العدد . ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على
كبار مشايخي ذكرت عن كل واحد منهم حديثا . ثم ذكر في هذه المشيخة له
سبعة وثمانين شيخا .

وقد سمع من جماعة غيرهم ، لكنه اقتصر على أكابر الشيوخ ومواليهم ، فمنهم
ابن الحصين ، والقاضي أبو بكر الأنصاري ، وأبو بكر المزرفي ، وأبو القاسم
الحريري ، وعلي بن عبد الواحد الدينوري ، وأبو السعادات المتوكلي ، وأبو غالب
ابن البنا ، وأخوه يحيى ، وأبو عبد الله البارع ، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحد ،
وأبو غالب الماوردي ، وأبو الحسن بن الزاغوني ، وأبو منصور بن خيرون ،
وأبو القاسم السمرقندي ، وعبد الوهاب الأنماطي ، وعبد الملك الكروخي ،
وأبو القاسم عبد الله بن محمد الأصبهاني خطيبها ، وأبو سعد الزوزني ، وأبو سعد
البغدادي ، ويحيى بن الطراح ، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن ، وأبو القاسم علي
ابن معلى العلوي الهروي الواعظ ، وأبو منصور القزاز ، وعبد الجبار بن إبراهيم بن
عبد الوهاب بن مندة . وتفرد بالرواية عن طائفة منهم ، كالمثوكل والدينوري .

وسمع السكتب الكبار ، كالمسند ، وجامع الترمذي ، وتاريخ الخطيب .

وله فيه فوات جزء واحد .

وسمع صحيح البخارى على أبي الوقت ، وصحيح مسلم بنزول ، ومالا يحصى من الأجزاء ، وتصنيف ابن أبي الدنيا وغيرها . ووعظ وهو صغير جداً .

قال : حملني ابن ناصر إلى أبي القاسم العلوي الهروي في سنة عشرين ، فلقنتي كلمات من الوعظ ، وجلس لوداع أهل بغداد مستقنناً إلى الرباط الذي عند السور في الحلبه ، ورقاني يومئذ المنبر ، فقلت الكلمات ، وحرز الجمع بخمسين ألفاً . ثم صحب أبا الحسن بن الزاغوني ، ولازمه ، وعلق عنه الفقه والوعظ .

وذكر القادسي : أنه تفقه على أبي حكيم ، وأبي يعلى بن الفراء . وكذا ذكر ابن النجار : أنه بعد وفاة ابن الزاغوني قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري ، والقاضي أبي يعلى الصغير ، وأبي حكيم النهرواني . وصار مفيد المدرسة

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي . ولما توفي ابن الزاغوني في سنة سبع وعشرين طلب حلقتة ، فلم يعطها لصنره ؛ فإنه كان في ذلك العام قد احتلم كما تقدم فحضر بين يدي الوزير ، وأورد فصلاً في المواعظ ، فأذن له في الجلوس في جامع المنصور .

قال : فتكلمت فيه ، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء ، منهم عبد الواحد بن سيف ، وأبو علي بن القاضي ، وأبو بكر بن عيسى وابن قناني ، وغيرهم . ثم تكلمت في مسجد معروف ، وفي باب البصرة له وبنهر المعلي ، فاتصلت المجالس ، وقوى الزحام ، وقوى اشتغالي بفنون العلوم . وسمعت على أبي بكر الدينوري الفقه ، وعلى أبي منصور بن الجواليقي اللغة . وتتبعت مشايخ الحديث ، وانقطعت مجالس أبي علي الراذاني - يعني الذي أخذ حلقة شيخه ابن الزاغوني - واتصلت مجالسي ؛ لكثرة اشتغالي بالعلم .

واشتهر أمر الشيخ أبو الفرج من ذلك الوقت ، وأخذ في التصنيف والجمع وقد كان بدأ بالتصنيف من قبل ذلك .

وذكر : أنه سرد الصوم مدة ، واتبع الزهاد ، ثم رأى أن العلم أفضل من كل نافلة فأنجم عليه ، ونظر في جميع الفنون ، وألف فيها . وكانت أكثر علومه يستفيدها من الكتب ، ولم يحكم ممارسة أهلها فيها ، وعظم شأن الشيخ في ولاية الوزير ابن هبيرة . وكان يتكلم عنده في داره كل جمعة . ولما ولي المستنجد الخلافة خلع عليه خلعة مع الشيخ عبد القادر ، وغيره من الأكابر ، وأذن له في الجلوس بجامع القصر قال : فتكلمت . وكان يحزر جمع مجلسي على الدوام بعشرة آلاف ، وخمسة عشر ألفاً .

قال : وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب ، فأعاني الله سبحانه وتعالى عليهم . وكانت كلمتنا هي العليا . وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة ، والإمام أحمد وأصحابه ، ويذم من يخالفهم ، ويصرح بمذاهبهم في مسائل الأصول ، لاسيما في مسألة القرآن . وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً .

وقال يوماً على المنبر : أهل البدع يقولون : ما في السماء أحد ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، ثلاث عورات لكم .

وقدم مرة إلى بغداد واعظ . يقال له : البروي ، فتمصّب في كلامه على الحنابلة كثيراً ، فلم تطل مدته حتى هلك . وكان في تلك الأيام قد غدا ساع أسود للشيعه ، وخرجوا للقائه ، فانبط ووقع ميتاً ، فضاعت صدورهم لذلك ، فجلس الشيخ عقيب ذلك ، وقال في أثناء كلامه : كم أبرق مبتدع بأصحاب أحد وأرعد فحظي يوماً له وهو بالعيش الأرغد ، وأما أنت يا أبعده ، فإن أردت أن تموت ، وإن أردت أن تحرد . مات البروي وانبط الأسود .

ومن كلامه في بعض المجالس : من مبلغ أحمد بن حنبل ، إن زرع كيف أقول ما لم يقل سنبل ؟ .

وقيل له مرة : قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن ، فأنشد :

أتوب إليك يا رحمن مما جنيت ، فقد تعاضمت الذنوب
وأما من هوى ليلي وتركي زيارتها ، فإني لا أتوب
وقال له قائل : ما فيك عيب إلا أنك حنبلي ، فأنشد :

وعيرني الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
ثم قال : أهذا عيبي ، ولا عيب في وجه نقط صحنه بالخال ؟ وأنشد .

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وكتب إليه رجل في رقعة : والله ، ما أستطيع أراك ، فقالى أعمش وشمس ،
كيف يراها ؟ ثم قال : إذا خلوت في البيت غرست الدرّ في أرض القراطيس ،
وإذا جلست للناس دفعت بدرياق العلم سموم الهوى ؛ أحميكم عن طعام البدع ،
وتأبون إلا التخليط ، والطيب مبغوض .

وكان الشيخ أبو الفرج معيداً عند الشيخ أبي حكيم النهرواني . وكان
قد قرأ عليه الفقه أيضاً والفرائض بالمدرسة التي بناها ابن السمحل بالمأمونية .
وكان لأبي حكيم مدرسة بباب الأزج . فلما احتضر أسندها إلى أبي الفرج ،
فأخذها جميعاً بعده .

وفي خلافة المستضيء قوى اتصال الشيخ أبي الفرج ، وصنف له الكتاب
الذي سماه « المصباح المضيء في دولة المستضيء » وصنف كتاباً آخر لما خطب
للمستضيء بمصر ، وانقطع أثر العبيديين عنها ، سماه : « النصر على مصر » وعرضه
عليه ، وحضر عنده ، ثم أذن له في سنة ثمان وستين أن يجلس للوعظ في باب بدر
بمحضرة الخليفة ، وأعطاه مالا .

قال الشيخ : فأخذ الناس أما كن من وقت الضحى للمجلس بعد العصر وكانت
هناك دكاك فأكرت ، حتى إن الرجل كان يكثرى موضعاً لنفسه بقراطين وثلاثة .

قال : وكنت أتكلم أسبوعاً ، وأبو الخير القزويني أسبوعاً ، وجمعي عظيم
وعنده عدد يسير . ثم شاع أن أمير المؤمنين لا يحضر إلا مجلسي ، وذلك في الأشهر
الثلاثة .

قال : ثم تقدم إلىّ بالجلوس بباب بدر يوم عرفة ، فحضر الناس من وقت الضحى . وكان الحرّ شديداً ، والناس صيام .

قال : ومن أعجب ما جرى أن حمالا حمل على رأسه داربونة من وقت الظهر إلى وقت العصر ظلل بها من الشمس عشرة أنفس ، فأعطوه خمس قراريط ، واشترت مراوح كثيرة بضعف ثمنها ، وصاح رجل يومئذ : قد سرق مني الآن مائة دينار في هذه الزحمة ، فوقع له أمير المؤمنين بمائة دينار .

قال : وفي هذه السنة عقدت المجلس بجامع المنصور يوم عاشوراء ، وحضر من الجمع ما حرز بمائة ألف ، وجرى في سنة تسع مثل ذلك أيضاً .

قال : وسألني أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة . فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول - يعني سنة تسع - وانقلبت بغداد ، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة ، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب ، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة ، وصحبني منها خلق عظيم فلما خرجت من باب البصرة رأيت أهل الحربية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها ، فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة ، فحزرت بألف شمعة . ومارأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء . وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون وكان الزحام في البرية كالزحام بسوق الثلاثاء ، فدخلت الحربية وقد امتلأ الشارع وأكريت الرواشين من وقت الضحى . ولو قيل : إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ، ما أبعد القائل .

قال : وفي هذا الشهر ختن الوزير ابن رئيس الرؤساء أولاده ، وعمل الدعوة العظيمة وأنفذ إلى أشياء كثيرة ، وقال : هذا نصيبك ؛ لأنني علمت أنك لا تحضر مكاناً يغني فيه . ثم إن الشيخ أبا الفرج بنى مدرسة بدرب دينار ، ودرس بها سنة سبعين . وذكر أول يوم تدرسه بها أربعة عشر درسا من فنون العلم .

قال : وفي هذه السنة انتهى تفسيري في القرآن في المجلس على المنبر ، إلى

أن تم ، فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ما عرفت أن واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن ، ثم ابتدأت في ختمة أنسرها على الترتيب والله قادر على الإنعام والإتمام ، والزيادة من فضله .

قال : وتقدم إلى بالجلوس تحت المنظرة في رجب ، فتكلمت يوم الخميس خامس رجب بعد العصر ، وحضر السلطان ، وأخذ الناس أما كنهم من بعد صلاة الفجر ، وأكريت دكاكين ، فكان موضع كل رجل بقيراط ، حتى إنه أكرى دكاناً لثمانية عشر رجلاً بثمانية عشر قيراطاً ، ثم جاء رجل فأعطاهم ستة قراريط حتى جلس معهم . وكان الناس يقفون يوم مجلسي من باب بدر إلى باب النوبى كأنه العيد ، ينظر بعضهم بعضاً ، وينظرون قطع المجلس .

قال : وفي شعبان سلمت إلى المدرسة التي للجهة « بنفشاً » وكانت قد سلمتها إلى أبي جعفر بن الصباغ ، فبقى المفتاح معه أياماً ، ثم استعادت منه المفتاح ، وسلمته إلى من غير طلب كان منى ، وكتبت في كتاب الوقف : إنها وقف على أصحاب أحمد ، وأسندتها إلى ، ثم كتبت على حائطها : اسم الإمام أحمد ، وأنها مفوضة إلى ناصر السنة ابن الجوزى . وتقدم إلى بذكر الدرس فيها . وحضر قاضى القضاة وحاجب الباب ، وفقهاء بغداد وخلعت على خلعة ، وخرج الدعاة بين يدي والخدم ، ووقف أهل بغداد من باب النوبى إلى باب المدرسة كما يكون في العيد وأكثر . وكان على باب المدرسة ألوف ، وأقيمت يومئذ دروساً كثيرة من الأصول والفروع وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله ، ودخل على قلوب أهل المذاهب غم عظيم . وتقدم ببناء دكة لنا في جامع القصر . فانزعج لهذا جماعة من الأكابر ، وقالوا : ماجرت عادة الحنابلة بدكة ، فبنيت ، فجلست فيها يوم الجمعة ثالث رمضان .

وذكر بعض أصحاب أبي حنيفة في الإفطار بالأكل - يعنى ناسياً - واعترضت عليه يومئذ ، وازدحمت العوام حتى امتلأ صحن الجامع ، ولم يمكن الأكثرين حصول النظر إلينا ، وحفظ الناس بالرجالة ، خوفاً من فتنة ، وما زال

الزحام على حلقتنا كل جمعة . ثم ذكر مجالسه سنة إحدى وسبعين بباب بدر ، وحضور الخليفة عنده غير مرة ، وازدحام الناس من نصف الليل . وكان يعظ هو وأبو الخير القزويني .

قال : وبعث إلى بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين : والله ، ما أحضر أنا ولا أمير المؤمنين غير مجلسك ، وإنما تلمحنا مجلس غيرك يوماً وبعض يوم آخر

قال : حدثني بعض خدم الخليفة : أن الخليفة حضر يوماً المجلس متحاملاً ؛ لمرض حصل له ، ولولا شدة محبتك لما حضر ، لما كان اعتراه من الألم .
وحدثني صاحب المخزن ، قال : كتب إلى أمير المؤمنين في كلام كنت ذكرته : هل وقع ما ذكره فلان بالفرض ؟ فكتب أمير المؤمنين : ما على ما ذكره فلان مزيد .

قال : وكان الرفض في هذه الأيام قد كثر ، فكتب صاحب المخزن إلى الخليفة : إن لم تُقَوِّ يدَ ابن الجوزي لم يطق دفع البدع . فكتب الخليفة بتقوية يدي ، فأخبرت الناس ذلك على المنبر ، وقلت : إن أمير المؤمنين ، قد بلغه كثرة الرفض ، وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع ، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبروني حتى أنقض داره ، وأخلده الحبس ، فإن كان من الوعاظ حذرته إلى المثال ، فأنكف الناس .

قال : وتكلمت يوم عرفة بباب بدر ، فكان مجلساً عظيماً ، تاب فيه خلق كثير ، وقطعت شعور كثيرة ، وكان السلطان حاضراً ، ثم في يوم عاشوراء سنة اثنين وسبعين ، تكلمت بباب بدر ، وامتلاء المكان من السحر ، وطاع الفجر وليس لأحد طريق ، فرجع الناس وامتلاّت الطرق بالناس قياماً ، يتأسفون على فوت الحضور ، وقام من يتكلم في المجلس ، فيبث أمير المؤمنين فكتبت ظلامته .
قال : وفي جمادى الآخرة ، عبرت إلى جامع المنصور ، فوعظت فيه بعد

العصر ، واجتمع الناس ، فخرز الجمع مائة ألف ، ورجعنا إلى نهر معلى والناس
ممتدون من باب البصرة كالشراك إلى الجسر . وكان يوماً مشهوداً . ثم ذكر
مجالسه في هذه السنة ، قريباً مما تقدم بياب بدر .

قال : وكان يوم المجلس تطلق أبواب المسكن بعد الظهر لشدة الزحام ،
فإذا جئت بعد العصر فتح لي ، وزاحم معي من يمكنه أن يزاحم .

قال : وفي رمضان ، تقدم إلى بالجلوس في دار ظهير الدين صاحب المخزن ،
وحضر أمير المؤمنين ، وأذن للعوام في الدخول ، وتكلمت فأعجبهم ، حتى قال
ظهير الدين : قد قال أمير المؤمنين : ما كان هذا الرجل آدمي ؛ لما يقدر عليه من
الكلام ، وذكّر مجالسه سنة ثلاث وسنة أربع بنحو ما تقدم .

قال : وتكلمت يوم عاشوراء ، سنة أربع تحت منظره باب بدر ، وأمير
المؤمنين حاضر ، فقلت : لو أني مثلت بين يدي السيدة الشريفة ، لقلت :
يا أمير المؤمنين : كن لله سبحانه مع حاجتك إليه ، كما كان لك مع غناه عنك ،
إنه لم يجعل أحداً فوقك ، فلا ترضى أن يكون أحد أشكر له منك . فتصدق
أمير المؤمنين يومئذ بصدقات ، وأطلق محبوسين .

قال : وتقدم أمير المؤمنين في هذه السنة بعمل لوح ينصب على قبر الإمام
أحمد ، ونقضت السترة جميعها ، وبنيت بأجر مقطوع جديد ، وبنى لها جانبان ،
وبنى اللوح الجديد ، وفي رأسه مكتوب : هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا أمير
المؤمنين الإمام المستضيء بالله . وفي وسطه مكتوب : هذا قبر تاج السنة ، وحيد
الأمة ، العالی الهمة ، العالم العابد ، الفقيه الزاهد . زاد القطيعي : الورع المجاهد ،
العامل بكتاب الله ، وسنة رسول الله .

قال : واستعظم كثير من الناس أمره بكتابة الإمام أحمد على لوحة ، فإن عادة
الخلفاء لا يقال لغير الخليفة : إمام الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل
الشبباني رحمه الله . وكتب تاريخ وفاته ، وآية الكرسي .

قال : وتكلمت في جامع المنصور هذه الأيام . فبات ليلته في الجامع خلق كثير . وختمت الخطبات . واجتمع الناس بكثرة . فحرز الجمع بمائة ألف . وتاب خلق كثير . وقطعت شعورهم ، ثم نزلت فضيت إلى قبر أحمد . فتبعني خلق كثير حرزوا بمخمسة آلاف .

قال : وبنى للشيخ أبي الفتح بن المنى دكة في موضع جلوسه في الجامع . فتأثر أهل المذاهب من ذلك ، وجعل الناس يقولون لي : هذا بسببك ، فإنه ما ارتفع هذا المذهب عند السلطان حتى مال إلى الحنابلة إلا بسمع كلامك ، فشكرت الله تعالى على ذلك . ولقد قال لي صاحب المخزن : ما يخرج إلى شيء من عند السلطان فيه ذكرك ، إلا ويثني عليك ، وقال له يوماً بختاج الخادم : أنت تتعصب لفلان ؟ فقال له : والله ما يتعصب له سيدك إلا بقدر ما تتعصب له خمسين مرة ، وما يعجبه كلام غيره .

وكان الوزير ابن رئيس الرؤساء يقول : ما دخلت قط على الخليفة إلا أجرى ذكر فلان ، يعنيني .

قال الشيخ : وصار لي اليوم خمس مدارس ، ومائة وخمسين مصنفاً في كل فن وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف ، وقطعت أكثر من عشرة آلاف طائفة ، ولم ير واعظ مثل جمعي ، فقد حضر مجلسي الخليفة والوزير ، وصاحب المخزن ، وكبار العلماء ، والحمد لله على نعمه .

وذكر في هذه السنة : أنه تكلم يوماً بحضرة الخليفة ، وحكى له موعظة شيبان للرشيد ، قال : وقلت له في كلامي : يا أمير المؤمنين ، إن تكلمت خفت منك ، وإن سكت خفت عليك ، وأنا أقدم خوفاً عليك على خوفاً منك .

قال ابن القطيعي : سمعت من أثق به . قال : لما سمع أمير المؤمنين المستضيء ابن الجوزي ينشد تحت داره :

ستنقلك المنايا عن ديارك وَيُبْدِلُكَ الردي داراً بدارك

وتترك ما عنيت به زماناً وتنقل من غناك إلى افتقارك
فدود القبر في عينيك يرمى وترعى عين غيرك في ديارك !
فجعل المستضىء يمشى في قصره ويقول : أى والله : وترعى عين غيرك في
ديارك ! ويكررها ويبيكى حتى الليل .

وحاصل الأمر : أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ، ولم يسمع بمثلمها .
وكانت عظيمة النفع ، يتذكر بها الغافلون ، ويعلم منها الجاهلون ، ويتوب فيها
المذنبون ، ويسلم فيها المشركون . وقد ذكر في تاريخه : أنه تكلم مرة ، فتاب
في المجلس على يده نحو مائتي رجل ، وقطعت شعور مائة وعشرين منهم .
وقال في آخر كتاب القصاص ، والمذكرين له : ما زلت أعظ الناس
وأحرضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب
أكثر من مائة ألف رجل : وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهين أكثر من
عشرة آلاف طائفة . وأسلم على يدي أكثر من مائة ألف .

قال : ولا يكاد يُذكر لى حديث إلا ويمكننى أن أقول : صحيح ، أو حسن
أو محال . ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ ، وربما قرئت
عندى في المجلس خمسة عشرة آية ، فأتى على كل آية بخطبة تناسبها في الحال .
وقال سبطه أبو المظفر : أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف ، وربما
حضر عنده مائة ألف ، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة . وكان زاهداً في
الدنيا ، متقللاً منها ، وسمعتة يقول على المنبر في آخر عمره : كتبت بإصبعي هاتين
ألني مجلدة ، وتاب على يدي مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودى
ونصرانى .

قال : وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام ، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع
للجمعة والمجلس . وما مازح أحداً قط ، ولا لعب مع صبي ، ولا أكل من جهة
لا يتيقن حِلِّها . وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى .

وقال ابن القطيبي : انتفع الناس بكلامه ، فكان يتوب في المجلس الواحد مائة وأكثر في بعض الأيام . وكان يجلس بجامع المنصور يوماً أو يومين في السنة . فتغلق المحال ، ويحمرز الجمع بمائة ألف .

قرأت بخط الإمام ناصح الدين بن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج : اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره . وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد ، ونظاف الناس ، وحسن الكلمات المسجعة والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة ، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة ، والنغمات المطربة ، وصيحات الواجدين ، ودمعات الخاشعين ، وإنابة النادمين ، وذل التائبين ، والإحسان بما يفاض على المستمعين ، من رحمة أرحم الراحمين . ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات ، ولم يشغله عن الاشتغال بالعلم شاغل ، ولالعب ولا لها ، ولا سافر إلا إلى مكة . ولقد كان فيه جمال لأهل بغداد خاصة ، وللمسلمين عامة ، ولمذهب أحمد منه ما لصخرة بيت المقدس من المقدس . حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء ، ومجالسه بدر بدينار في مدرسته ومجالسه بباب الأزج على شاطئ دجلة ، وسمعت عليه مناقب الإمام أحمد ، وبعثت إليه من دمشق ، فنقل سماعي بخطه وسيره إلى ، و حضرت معه في دعوتين . فكان طيب النفس على الطعام . وكانت مجالسه أكثر فائدة من مجالسته .

وذكره الحافظ ابن الديلمي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني ، فقال : شيخنا الإمام جمال الدين بن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم : من التفاسير ، والفقهاء ، والحديث ، والوعظ ، والرقائق ، والتواريخ ، وغير ذلك . وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه . والوقوف على صحيحه من سقيمه . وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال . ومعرفة ما يحتاج به في أبواب الأحكام والفقهاء ، وما لا يحتاج به من الأحاديث الواهية الموضوعية . والاتقطاع والاتصال . وله في الوعظ العبارة الرائقة . والإشارات الفائقة . والمعاني الدقيقة . والاستعارة الرشيقة .

وكان من أحسن الناس كلاماً . وأتمهم نظاماً ، وأعذبهم لساناً ، وأجودهم بياناً . وبورك له في عمره وعمله . فروى الكثير ، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة ، وحدث بمصنفاته مراراً .

قال : وأنشدني بواسط لنفسه :

ياساكن الدنيا تاهب وانتظر يوم الفراق
وأعدّ زاداً للرحيل فسوف يحدى بالرفاق
وابك الذنوب بأدمع تنهل من سحب المآقي
يا من أضاع زمانه أرضيت ما يقنى بياق

قال : وأنشدني :

إذارضيت بميسور من القوت أصبحت في الناس حراً غير ممقوت
ياقوت نفسي إذامادر خلقك لي فلست آسى على درّ وياقوت

وقال الموفق عبد اللطيف : كان ابن الجوزي لطيف الصورة ، حلو الشمائل رخيماً النعمة ، موزون الحركات والنغمت ، لذيد المفاكمة . يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون . لا يضيع من زمانه شيئاً ، يكتب في اليوم أربعة كراريس ، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين .

وله في كل علم مشاركة ، لكنه كان في التفسير من الأعيان ، وفي الحديث من الحفاظ ، وفي التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كافٍ . وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية ، إن ارتجل أجاد ، وإن روى أبدع .

وله في الطب كتاب « اللقط » مجلدان . وكان يراعى حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة ، وذهنه حدة . جُلّ غذائه الفراريج والمزاوير . ويمتناع عن الفاكمة بالأشربة والمعجونات . ولباسه أفضل لباس : الأبيض الناعم الطيب . ونشأ يتيماً على العفاف والصلاح . وله ذهن وقاد ، وجواب حاضر ، ومجون لطيفة ، ومداعبات حلوة ، لا ينفك من جارية حسناء .

وذكر غير واحد : أن الشيخ أبا الفرج تشرب حب البلاد ، فسقطت لحيته ، فكانت قصيرة جداً . وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات . وصنف في جواز الخضاب بالسواد مجلداً .

وذكره ابن البزوري في تاريخه ، وأطنب في وصفه ، وقال : أصبح في مذهبه إماماً يشار إليه ، ويعقد الخنصر في وقته عليه . ودرس بعدة مدارس ، وبني لنفسه مدرسة بدرب دینار ، ووقف عليها كتبه . وبرع في العلوم ، وتفرد بالمشور والمنظوم وفاق على أدباء عصره ، وعلا على فضلاء دهره . وله التصانيف العديدة . سئل عن عددها ؟ فقال : زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً . منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس واحد . ولم يترك فناً من الفنون إلا وله فيه مصنفاً . كان أوحده زمانه ، وما أظن الزمان يسمح بمثله .

قال : وكان إذا وعظ اختلس القلوب ، وتشققت النفوس دون الجيوب .

وذكره العماد الكاتب في الخريدة ، وابن خلكان والحموي ، وابن النجار ، وأبو شامة وغيرهم ، وأثنوا عليه مع أن اشتهاره بالعلوم والفضائل يعني عن الإطناب في ذكره ، والإسهاب في أمره . فلقد بلغ ذكره مبلغ الليل ، وسارت بتصانيفه الركبان إلى أقطار الأرض ، وانتفع الناس بها انتفاعاً بيّناً .

قال ابن النجار - بعد ذكره نبذة من أسماء مصنفاًته - : من تأمل ما جمعه بان له حفظه وإتقانه ، ومقداره في العلم . وكان رحمه الله مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أوراد وتأله ، وله نصيب من الأذواق الصحيحة ، وحظ من شرب حلاوة المناجاة . وقد أشار هو إلى ذلك . ولا ريب أن كلامه في الوعظ والمعارف ليس بكلام ناقل أجنبي مجرد عن الذوق ، بل كلام مشارك فيه .

وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه : أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار . وله معاملات . ويزور الصالحين إذا جن الليل ، ولا يكاد يفتر إذا جن الليل ،

ولا يكاد يفتر عن ذكر الله . وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن^(١)
كذا قال . وهذا بعيد جداً . مع اشتغاله بالتصانيف .
قال: ورأى رب العزة في منامه ثلاث مرات . ومع هذا فللناس فيه - رحمه الله -
كلام من وجوه .

منها : كثرة أغلاطه في تصانيفه . وعذره في هذا واضح ، وهو أنه كان مكثراً
من التصانيف ، فيصنف الكتاب ولا يعتبره ، بل يشتغل بغيره . وربما كتب في
الوقت الواحد في تصانيف عديدة . ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة .
ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك
العلوم ، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ
والبحث ، ولهذا نقل عنه أنه قال : أنا مُرتب ، ولست بمصنف .
ومنها : ما يوجد في كلامه من الثناء ، والترفع والتعظيم ، وكثرة الدعاوى .
ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف ، والله يسامحه .

ومنها - وهو الذي من أجله تجم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من
المقادسة والعلميين - من ميله إلى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكرهم عليه في
ذلك . ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وإن كان مطلعاً على
الأحاديث والآثار في هذا الباب ، فلم يكن خبيراً بحل شبهة المتكلمين ، وبيان
فسادها . وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل ، يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه ،
وإن كان قد ورد عليه في بعض المسائل . وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام ،
ولم يكن تام الخيرة بالحديث والآثار . فلهذا يضطرب في هذا الباب ، وتتلون فيه
آراؤه . وأبو الفرج تابع له في هذا التلون .

قال الشيخ موفق الدين المقدسي : كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في

الوعظ ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة . وكان صاحب قبول . وكان

(١) وتقدم قريباً : أن سبطه أبا المظفر قال : وكان يختم القرآن في كل أسبوع .

وهذا يبطل ما ذكره ابن القادسي في تاريخه .

يدرس الفقه ويصنف فيه . وكان حافظا للحديث . وصنف فيه ، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ، ولا طريقته فيها . انتهى .

وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفا وأعجبه صنف مثله في الحال ، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل ؛ لقوة فهمه ، وحِدَّة ذهنه ، فر بما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه . وقد كان شيخه ابن ناصر يثني عليه كثيرا . ولما صنف أبو الفرج كتابه المسمى بـ « التلخيص » وله إذ ذاك نحو الثلاثين من عمره ، عرضه على ابن ناصر ، فكتب عليه : قرأ عليّ هذا الكتاب جامعاً للشيخ الإمام العالم الزاهد أبو الفرج ، فوجدته قد أجاد تصنيفه ، وأحسن تأليفه ، وجمعه ولم يسبق إلى مثل هذا الجمع ؛ فقد طالع كتباً كثيرة ، وأخذ أحسن ما فيها من الياقوت واللؤلؤ ، فنظمه عقداً زان به التصانيف ، التي تجمعت من التواريخ ، ومعرفة الصحابة وأسمائهم وكنام وأعمارهم ، وأبان عن فهم وعلم غزير مع اختصار يحض على الحفظ والعمل بالعلم ، فنفعه الله بعلمه ، ونفع به ، وبلغه غاية العمر ؛ لينفع المسلمين ، وينصر السنة وأهلها ، ويدحض البدع وحزبها .

قال الشيخ أبو الفرج : ولقد كنت أُرِدُّ أشياء على شيخنا أبي الفضل بن ناصر ، فيقبلها مني .

وحدثني أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر عن شيخنا أنه كان يقول عنى : إذا قرأ عليّ فلان استفدت بقرائه ، وأذكرني ما قد نسيت .

وأما تصانيفه فكثيرة جداً . وقد تقدم عنه أنه ذكر أنها مائة وأربعون ، أو مائة وخمسون وزيادة على ثلاثمائة وأربعين . وقد قيل : أكثر من ذلك .

قال الإمام أبو العباس ابن تيمية في أجوبته المصرية : كان الشيخ أبو الفرج مفتياً كثير التصنيف والتأليف . وله مصنفات في أمور كثيرة ، حتى عدتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف . ورأيت بعد ذلك له ما لم أراه .

قال : وله من التصانيف في الحديث وفنونه ما لم يصنف مثله . قد انتفع الناس به . وهو كان من أجود فنونه : وله في الوعظ وفنونه ما لم يصنف مثله .
ومن أحسن تصانيفه : ما يجمعه من أخبار الأولين ، مثل « المناقب » التي صنفها ، فإنه ثقة ، كثير الاطلاع على مصنفات الناس ، حسن الترتيب والتبويب قادر على الجمع والكتابة . وكان من أحسن المصنفين في هذه الأبواب تميزاً ؛ فإن كثيراً من المصنفين فيه لا يميز الصدق فيه من الكذب .

وكان الشيخ أبو الفرج فيه من التمييز ما ليس في غيره . وأبو نعيم له تمييز وخبرة ، لكن يذكر في الحلية أحاديث كثيرة موضوعة . فهذه المجموعات التي يجمعها الناس في أخبار المتقدمين من أخبار الزهاد ومناقبهم ، وأيام السلف وأحوالهم ، مصنفات أبي الفرج أسلم فيها من مصنفات هؤلاء ، ومصنفات أبي بكر البيهقي أكثر تحريراً لحق ذلك من باطله من مصنفات أبي الفرج ؛ فإن هذين كان لهما معرفة بالفقه والحديث ، والبيهقي أعلم بالحديث ، وأبو الفرج أكثر علوماً وفنوناً .

قال ابن القطيبي في تاريخه : ناولني ابن الجوزي كتاباً بخطه فيه فهرست التصانيف لي ، وأظن ابن القطيبي زاد فيها أشياء آخر .

قال أبو الفرج : أول ما صنفت وألفت - ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة - : « ثبت التصانيف المتعلقة بالقرآن وعلومه » ، كتاب « المغنى » في التفسير ، أحد وثمانون جزءاً ، كتاب « زاد المسير في علم التفسير » أربع مجلدات ، كتاب « تيسير البيان في تفسير القرآن » مجلد ، كتاب « تذكرة الأريب في تفسير الغريب » مجلد ، و « غريب الغريب » جزء ، كتاب « نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر » مجلد . واختصرت من هذا الكتاب كتاباً يسمى بالوجوه النواظر في الوجوه والنظائر » مجلد ، كتاب « الإشارة إلى القراءة المختارة » أربعة

أجزاء ، كتاب « تذكرة المنتبه في عيون المشتبه » جزء ، كتاب « فنون الأفنان في عيون علوم القرآن » مجلد ، كتاب « ورد الأغصان في فنون الأفنان » جزء ، كتاب « عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ » خمسة أجزاء « المصفا بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ » جزء ، « ثبت التصانيف في أصول الدين » ، كتاب « منتقد المعتقد » جزء ، كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول خمسة أجزاء ، كتاب « بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد » جزء ، « غوامض الإلهيات » جزء ، « مسلك العقل » جزء ، « منهاج أهل الإصابة » ، « السرّ المصون » مجلد ، « دفع شبه التشبيه » أربعة أجزاء « الرد على المتعصب العنيد » ، « ثبت التصانيف في علم الحديث والزهديات » ، كتاب « جامع المسانيد بألخص الأسانيد » ، كتاب « الحدائق » أربعة وثلاثون جزءاً ، كتاب « نفى النقل » خمسة أجزاء ، كتاب « المجتبي » مجلد ، كتاب « الزهدة » جزآن ، كتاب « عيون الحكايات » مجلد ، كتاب « ملتقط الحكايات » ثلاثة عشر جزءاً ، كتاب « إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين » مجلد ، كتاب « روضة الناقل » جزء ، كتاب « غرر الأثر » ثلاثون جزءاً كتاب « التحقيق في أحاديث التعليق » مجلدان ، كتاب « المديح » سبعة أجزاء ، كتاب « الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » مجلدان ، كتاب « العطل المتناهية في الأحاديث الواهية » مجلدان ، كتاب « الكشف لمشكل الصحيحين » أربع مجلدات ، كتاب « الضعفاء والمتروكين » مجلد ، كتاب « إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه » مجلد ، كتاب « أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث » جزء ، كتاب « السهم المصيب » جزآن « أخاير الذخائر » ثلاثة أجزاء « الفوائد عن الشيوخ » ستون جزءاً ، « مناقب أصحاب الحديث » مجلد ، « موت الخضر » مجلد « مختصرة » جزء ، « المشيخة » جزء ، « المسلسلات » جزء ، « المحتسب في النسب » مجلد ، « تحفة الطلاب » ثلاثة

أجزاء ، « تنوير مدلهم الشرف » جزء ، « الألقاب » جزء . إلى هنا .
زاده ابن القطيبي : كتاب « فضائل عمر بن الخطاب » مجلد « فضائل عمر
ابن عبد العزيز » مجلد ، « فضائل سعيد بن المسيب » مجلد ، « فضائل الحسن
البصرى » مجلد ، « مناقب الفضيل بن عياض » أربعة أجزاء ، « مناقب بشر
الحافي » سبعة أجزاء ، « مناقب إبراهيم بن أدهم » ستة أجزاء ، « مناقب
سفيان الثوري » مجلد ، « مناقب أحمد بن حنبل » مجلد ، « مناقب معروف
الكرخي » جزآن . « مناقب رابعة العدوية » جزء ، « مشير العزم الساكن إلى
أشرف الأماكن » مجلد ، « صفوة الصفوة » خمس مجلدات ، « منهاج القاصدين »
أربع مجلدات « المختار من أخبار الأخيار » مجلد ، « القاطع لمحال الاحجاج بمجال
الحجاج » جزء ، « عجملة المنتظر ، لشرح حال الخضر » جزء . كتاب « النساء
وما يتعلق بآدابهن » مجلد ، كتاب « علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أم
الرسول » جزء ، كتاب « الجواهر » ، كتاب « المغلق » ، « ثبت ما يتعلق بالتواريخ »
« تلقيح فهم أهل الأثر ، في عيون التواريخ والسير » مجلد ، كتاب « المنتظم ،
في تاريخ الملوك والأمم » عشر مجلدات ، كتاب « شذور العقود ، في تاريخ المعهود »
مجلد ، كتاب « طرائف الظرائف ، في تاريخ السوائف » جزء ، « مناقب بغداد »
مجلد ، « ثبت المصنفات في الفقه » ، « الإنصاف في مسائل الخلاف » كتاب
« جنة النظر ، وجنة النظر » وهي التعليقة الوسطى ، كتاب « معتصر المختصر في
مسائل النظر » وهي دون تلك ، كتاب « عمد الدلائل ، في مشتهر المسائل » وهي
التعليقة الصغرى ، كتاب « المذهب في المذهب » ، « مسبوكة الذهب » مجلد ،
كتاب « النبذة » جزء ، كتاب « العبادات الخمس » جزء ، كتاب « أسباب
الهداية لأرباب البداية » مجلد ، كتاب « كشف الظلمة عن الضياع ، في رد
دعوى » ، كتاب « رد اللوم والضميم ، في صوم يوم الغيم » جزء ، « ثبت المصنفات
في علوم الوعظ » ، كتاب « اليواقيت في الخطب » مجلد ، « المنتخب في التوب »

مجلد ، « منتخب المنتخب » مجلد ، « مصنفاته في الوعظ » أكثر من مائة مجلدة
قاله ابن القادسي ، « منتخب المنتخب » مجلد ، « نسيم الرياض » مجلد ، « اللؤلؤ »
مجلد ، « كنز المذكر » مجلد ، كتاب « الأزج » مجلد ، كتاب « اللطائف »
مجلد ، كتاب « كنوز الرموز » مجلد ، كتاب « المقتبس » مجلد ، « زين
القصص » مجلد ، « موافق المرافق » مجلد ، « شاهد ومشهود » مجلد ، « واسطات
العقود من شاهد ومشهود » مجلد ، « الذهب » جزآن ، « المدهش » مجلدان ،
« صبا نجد » جزء ، « محادثة العقل » جزء ، « لقط الجمان » جزء ، « معاني المعاني »
جزء ، « فتوح الفتوح » مجلد ، « التمازي الملوكية » جزء ، « العقد المقيم » جزء
كتاب « إيقاظ الوسنان من الرقعات بأحوال الحيوان والنبات » جزآن ، « نكت
المجالس البدرية » جزآن ، « نزهة الأديب » جزآن ، « متعنى المنتهى » مجلد
« تبصرة المبتدئ » عشرون جزءاً ، كتاب « الياقوتة » جزآن ، كتاب « تحفة
الوعاظ » مجلد ، « ثبت تصانيف في فنون ذم الهوى » مجلدان ، « صيد الخاطر »
خمس وستون جزءاً ، كتاب « أحكام الإشعار ، بأحكام الإشعار » عشرون
جزءاً ، كتاب « القصاص ، والمذكرين » كتاب ، « تقويم اللسان » مجلد كتاب
« الأذكياء » مجلد ، « الحق » مجلد ، « تلبيس إبليس » مجلدان ، « لقط المنافع
في الطب » مجلدان ، « الشيب والخضاب » مجلد ، « أعمار الأعيان » جزء ،
« الثبات عند المات » جزآن ، « تنوير العيش ، في فضل السود والحيش » مجلد ،
« الحث على حفظ العلم ، وذكر كبار الحفاظ » جزء ، « إشراف الموالى » جزآن
كتاب « إعلام الأحياء ، بأغلاط الأحياء » ، كتاب « تحريم المحل المكروه »
جزء ، كتاب « المصباح المضيء لدعوة الإمام المستضيء » مجلد . كتاب « عطفت
العلماء على الأمراء ، والأهراء على العلماء » جزء ، كتاب « النصر على مصر »
جزء ، « المجد العضدي » مجلد ، « القجر النوري » مجلد ، « مناقب الستر
الرفيع » جزء ، « ما قلته من الأشعار » جزء ، « المقامات » مجلد ، « من
رسائل » جزء ، « الطب الروحاني » جزء .

فهذا ما نقله ابن القطيبي من خطه ، وقرأه عليه ، وزاد فيه . ومع هذا ،
فلا تبي الفرج تصانيف كثيرة غير ما ذكر في هذا القهرست ، كأنه صنفا بعد ذلك
فمنها : كتاب « بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب » ستة عشر
جزءاً ، كتاب « الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب » وهو تعليقه في
الفقه كبير ، كتاب « الوفا بفضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم » مجلدان ،
كتاب « النور في فضائل الأيام والشهور » مجلد ، « تقريب الطريق الأبعد ،
في فضائل مقبرة أحمد » ، كتاب « مناقب الإمام الشافعي » ، كتاب « العزلة »
كتاب « الرياضة » كتاب « منهاج الإصابة في محبة الصحابة » ، « فنون الألباب » ،
« الظرفاء والمتحايين » ، « تقويم اللسان » « مناقب أبي بكر » مجلد « مناقب علي »
مجلد ، « فضائل العرب » مجلد ، « درة الإكليل في التاريخ » أربع مجلدات .
ذكره سبطه ، « الأمثال » مجلد ، « المنفعة في المذاهب الأربعة » مجلدان ،
« المختار من الأشعار » عشر مجلدات ، « رءوس القوارير » مجلدان ، « المرتجل في
الوعظ » مجلد كبير ، « نسيم الرياض » مجلد ، « ذخيرة الواعظ » أجزاء ، « الزجر
الخوف » ، « الأنس والمحبة » « المطرب الملهم » « الزند الوري في الوعظ
الناصرى » جزآن ، « الفاخر في أيام الإمام الناصر » مجلد ، « المجد الصلاحى »
مجلد ، « لغة الفقه » جزآن . وقيل : إن له غيره ، عقد الخناصر في « ذم الخليفة
الناصر » وكتاب في ذم عبد القادر ، « غريب الحديث » مجلد ، « ملح الأحاديث »
جزآن « الفصول الوعظية على حروف المعجم » ، « سلوة الأحران » عشر مجلدات
« المعشوق في الوعظ » ، « المجالس اليوسفية في الوعظ » كتبها لابنه يوسف ،
« الوعظ المقبرى » جزء ، « قيام الليل » ثلاثة أجزاء ، « المحادثة » جزء ،
« المناجاة » جزء ، « زاهر الجواهر في الوعظ » أربعة أجزاء ، « كنز المذكر »
« النجاة الخواتيم » جزآن ، « المرتقى لمن اتقى » وتصانيف آخر غير هذه .
وسمعت أن له حواشى على صحاح الجوهرى ، وما أخذ عليها . واختصر

فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلداً .

قال الحافظ الذهبي : ما علمت أن أحداً من العلماء ، صنف ما صنف هذا الرجل .
ومن لفظ كلامه الحسن في المجالس ، قال : قال يوماً وقد طرب أهل مجلسه :
فهمت ؟ فهمتم ؟ وقام إليه سائل ، فقال : كيف أصادق من ذا وقته ؟ فقال :
ماذا وقته .

وقال يوماً : شهوات الدنيا أنموذج ، والأنموذج يعرض ولا يقبض .
وقال مرة : من وقف على صراط الاستقامة ، وييده ميزان المراقبة ، ومحك
الورع يستعرض أعمال النفس ، ويرد البهرج إلى كبر التوبة ، سلم من زد الناقد
يوم التنقيض .

وقال يوماً : بقايا الشهوات ، في سوق الهوى متبهرجات ، يسكن ثياب
الطبع ، فإن خرج الزاهد من بيت عزلته خاطر بذنوبه .
وسأله رجل يوماً : أيما أفضل ، أسبِّحُ ، أم أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ
أحوج إلى الصابون من البخور .

وقال في حديث « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين » : إنما طالت أعمار
الأوائل لطول البادية ، فلما شارف الركب بلد الإقامة . قيل : حُتوا المطي .
ومن كلامه الحسن : من قنع طاب عيشه . ومن طامع طال طيشه .
وقال لصاحب له : أنت في أوسع العذر من المتأخر عنى لتقتى بك ، وفي
أضيقه من شوقى إليك .

وسأله سائل فأجاب ، فقال السائل : ما فهمت ، فأنشد :

على نصب المعاني في مناصبها فإن كبت دونها الأفهام لم ألم
وسئل : كيف ضرب عمر بالدرّة الأرض ؟ فقال : الخائن خائف ، والبريء جرى .
وذكر الوفاء ، فقال : ما أعرف الوفاء . وما في .

وتاب على يده يوماً بعض الخدم ، فقال : لما عدم آلة الشهوة صلح لصحبة

المملك . فخرج الخادم على وجهه ، فقال : من يعطيه قصة يوصلها ؟ وقال : الدنيا دار الإله ، والمتصرف فى الدار بغير أمر صاحبها لئى .

وقيل له : إن فلاناً وصى عند موته . فقال : يا مفرطين ماتطينون سطوحكم إلا فى كانون .

وسأله سائل : أيجوز أن أفسح لنفسي فى مباح الملاهى ؟ فقال : عند نفسك من الغفلة ما يكفيها . فلا تشغلها بالملاهى ملاهى .

قال يوماً فى قول فرعون : (٤٣ : ٥١ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي) : ويحه . افتخر بنهر ما أجراه ، ما أجراه ..

وقرىء بين يديه (٣٢ : ١٦ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) فقال : لا تحلوا ، ززمة رفيعة ، فما عندنا مشترى .

وسئل يوماً : ما تقول فى الغناء ؟ فقال : أقسم بالله هو لهو لهو . وقال : ما عز يوسف إلا بترك ما ذل به ما عز .

وقال : ما نفشت غم العيون النواظر فى زروع الوجوه النواضر إلا وأغير على السرح .

وقال : المتعرض للنبله أبله .

وقرىء بين يديه يوماً (٥٥ : ٢٦ كَلْ مِنْ عَلَيْنَا فَاَنْ) فقال : والله هذا توقيع بخراب البيوت .

وقال يوماً فى مناجاته : إلهى لا تعذب لساننا بخبر عنك ، ولا عيننا تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدماً تمشى إلى خدمتك ، ولا يداً تكتب حديث رسولك . فبمرتك لا تدخلنى النار ؛ فقد علم أهلها أنى كنت أذب عن دينك .

ومنه : ارحم عبدة ترقرق على ما فاتها منك . وكبدأ تحترق على بعدها عنك . إلهى ، على بفضلك بطمعنى فيك ، ويقينى بسطوتك يؤيسنى منك ، وكلمارفت

ستر الشوق إليك ، أمسكه الحياء منك . إلهي ، لك أذل ، وبك أذل ، وعليك
أذل ، وأنشد :

أحيى بذكرك ساعة وأموت لولا التعلل بالمتى لفنيت
وللشيخ أبي الفرج أشعار حسنة كثيرة . قال أبو شامة : قيل : إنها عشر
مجلدات ، فما أنشده عنه القطيبي :

ولما رأيت ديار الصفا
سعيت إلى سد باب الوداد
فلما اصطحبنا وعاشرتكم
قال : وأنشدنا لنفسه :

يا صاحبي ، هذى رياح أرضهم
نسيمهم سحيري الريح
ماللصبا مولعة بذي الصبا
ما للهوى العذرى في ديارنا
لا تطلبوا ثاراتنا يا قومنا
لله در العيش في ظلالهم
واطربى إذا رأيت أرضهم
يادرة الشيخ سقيت أدمعي
مهلك عن زهو وميل عن أسي
قال : وأنشدنا لنفسه :

سلام على الدار التي لا تزورها
إذا ما ذكرنا طيب أيامنا بها
رحلنا وفي سر الفؤاد ضامر
سحت بعدكم تلك العيون دموعها
أتسنى رياض الروض بعد فراقها
على أن هذا القلب فيها أسيرها
توقد في نفس الذكور سعيرها
إذا هب نجدى الصبا يستثيرها
فهل من عيون بعدها تستعيرها ؟
وقد أخذ الميثاق منك غدیرها

يفازله كر الصببا ومرورها
وشيوخ بوادي الأثل أرض تسيرها
رسالة محزون حواه سطورها
على صفحة الذكرى محاه زفيرها
أم الوجد يذكي ناره ويثيرها؟
شنى النفس أمر ثم عاد يضيرها
وحيث خلت حلت وجا مريرها
تضوع رباها وفاح عيرها

فقد أخذ الشوق منا يمينا
فإن سمعت أو شكت أن تبينا
وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وهيئات أموا طريقا شطونا
وخل الضلوع على ما طوينا
ألدار تبيكي أم الظاعينا؟
وإن كان أورث داء دفينا
رويدا رويدا بنا قد بلينا
فلو قد تبعت دفعت الأنينا
تعبت وأتعبت لو تعلمينا

وصار قلبي لهم
فلا يقال : ظلموا
أو قطعوا فهم هم
وإن ساء الذى قد حكموا

يحمده من الشمال وتارة
ألا هل إلى شم الخزامى وعرعر
ألا أيها الركب العراقى بلغوا
إذا كتبت أنفاسه بعض وجدها
ترفق رفيقى، هل بدت نار أرضهم
أعد ذكرهم فهو الشفا وربما
ألا أين أيام الوصال التى خلت
سقى الله أياما مضت ولياليا
قال : وأنشدنا لنفسه :

إذا جزت بالفور عرج يمينا
وسلم على بانه الواديين
ومل نحو غصن بأرض النقى
وصح فى مغانيهم : أين هم؟
ورق ترى أرضهم بالدموع
أراك يشوقك وادى الأراك
سقى الله مرتعنا بالحى
وعاذله فوق داء الحب
لمن تعذلين أما تعذرين
إذا غلب الحب ضاع العتاب
وما ينسب إليه من الشعر :

تملكوا واحتكموا
تصرفوا فى ملكهم
إن واصلوا محبهم
أصبر لما شاءوا

يا أرض سلع خبرى وحـدثيني عنهم
يا ليت شعري إذ حدوا أنجدوا أم اتهموا
تشتاقهم أرض منى وتشـكـيهم زمزم
أخبرنا أبو الفتح الميذومي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحرائي - سماعا -
قال : قرئ على الإمام أبي الفرج ابن الجوزي - وأنا أسمع - لنفسه .
يا نادبا أطلال كل نادى وبأكيا في إثر كل حادى
مستلب القلب بحب غادة غدت فإن البين بالفؤادى
مهلا فما اللذات إلا خدع كأنها طيف خيال غادى
أين المحب الحبيب بعدا وانذرا من بعد بالبعاد
فكل جمع فإلى تفرق وكل باق فإلى نفاذ
مواظ بليغة فيا لها مواظ وارية الزناد

قرأ على الشيخ أبي الفرج العلم جماعة ، منهم طلحة العلى ومنهم أبو عبد الله
ابن تيمية خطيب حران . وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه « زاد المسير »
في التفسير قراءة بحث ومراجعة .

وسمع الحديث وغيره من تصانيفه منه خلق لا يحصون كثرة من الأئمة والحفاظ
والفقهاء وغيرهم .

وروى عنه خلق ، منهم ولده الصاحب محي الدين ، وسبطه أبو المظفر الواعظ
والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغنى وابن الديبى ، وابن القطيعى ، وابن
النجار ، وابن خليل ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف الحرائي . وهو خاتمة
أصحابه بالسماع .

وروى عنه آخرون بالإجازة . آخرهم الفخر على بن البخارى . وقد نالته محنة
في آخر عمره رحمه الله . وحديثها يطول .

وملخصها : أن الوزير ابن يونس الحنبلى الذى قدمنا ترجمته كان فى ولايته

قد عقد مجلساً للركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي ، وأحرقت كتبه . وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورأى الأوائل شيء كثير ، وذلك بمحضر من ابن الجوزي وغيره من العلماء ، وانتزع الوزير منه مدرسة جده ، وسلمها إلى ابن الجوزي .

فلما ولي الوزارة ابن القصاب - وكان رافضيا خبيثا - سعى في القبض على ابن يونس ، وتتبع أصحابه ، فقال له الركن : أين أنت عن ابن الجوزي فإنه ناصبي ، ومن أولاد أبي بكر ، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس ، وأعطاه مدرسة جدى ، وأحرقت كتبى بمشورته ؟ فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر وكان الناصر له ميل إلى الشيعة ولم يكن له ميل إلى الشيخ أبي الفرج ، بل قد قيل : إنه كان يقصد أذاه ، وقيل : إن الشيخ ربما كان يعرض في مجالسه بدم الناصر ، فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام ، فجاء إلى دار الشيخ وشمته ، وأغلظ عليه وختم على كتبه وداره ، وشتت عياله .

فلما كان في أول الليل حمل في سفينة وليس معه إلا عدوه الركن ، وعلى الشيخ غلالة بلا سراويل ، وعلى رأسه تخفيفة ، فأحدر إلى واسط . وكان ناظرها شيعيا . فقال له الركن : مكنى من عدوى لأرميه في المطورة ، فزبره ، فقال يا زنديق ، ارميه بقولك ، هات خط الخليفة ، والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روجي . ومالى في خدمته ، فعاد الركن إلى بغداد .

قال ابن القادسي : لما حضروا واسط جمع الناس ، وادعى ابن عبد القادر على الشيخ : أنه تصرف في وقف المدرسة ، واقتطع من مالها كذا وكذا ، وكذب فيما ادعاه ، وأنكر الشيخ ، وصدق وبر ، وأفرد للشيخ دار بدرب الديوان ، وأفرد له من يخدمه ، وبقي الشيخ محبوبا بواسط في دار بدرب الديوان ، وعلى بابها بواب . وكان بعض الناس يدخلون عليه ، ويستمعون منه ، ويعلم عليهم . وكان يرسل أشعارا كثيرة إلى بغداد . وأقام بها خمس سنين يخدم نفسه بنفسه ، ويفسل ثوبه ويطببخ ، ويستقى الماء من البئر ، ولا يتمكن من خروج إلى حمام

ولا غيره وقد قارب الثمانين . ويقال : إنه بقى خمسة أيام في السفينة حتى وصل إلى واسط لم يأكل فيها طعاما .

وذكر عنه أنه قال : قرأت بواسطة مدة مقامى بها كل يوم ختمة ، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزنى على ولدى يوسف .

والذى ذكره أبو الفرج بن الحنبلى عن طلحة العلى : أن الشيخ كان يقرأ في تلك المدة ما بين المغرب والعشاء ثلاثة أجزاء أو أربعة من القرآن . وبقى على ذلك من سنة تسعين إلى سنة خمس وتسعين ، فأفرج عنه ، وقدم إلى بغداد وخرج خلق كثير يوم دخوله لتلقيه ، وفرح به أهل بغداد فرحاً زائداً ، ونودى له بالجلوس يوم السبت ، فصلى الناس الجمعة ، وعبروا يأخذون مكانات موضع المجلس عند تربة أم الخليفة . فوقع تلك الليلة مطر كثير ملاً الطرقات ، فأحضر في الليل فراشون وروزجارية ، فنظفوا موضع الجلوس وفرشوا فيه دفاق الجص والبوارى ، ومضى الناس وقت المطر إلى قبر معروف تحت الساباط ، حتى سكن المطر ، ثم جلس الشيخ بكرة السبت وعبر الخلق ، وحضر أرباب المدارس والصوفية ومشايخ الربط ، وامتلات البرية حتى ما كان يصل صوت الشيخ إلى آخرهم .

وكان السبب في الإفراج عن الشيخ : أن ولده محيى الدين يوسف ترعرع وأنجب ، وقرأ الوعظ ووعظ ، وتوصل وساعدته أم الخليفة ، وكانت تتمصب للشيخ أبى الفرج فشغمت فيه عند ابنها الناصر ، حتى أمر بإعادة الشيخ ، فعاد إلى بغداد ، وخلع عليه ، وجلس عند تربة أم الخليفة للوعظ ، وأنشد :

شقيننا بالنوى زمنا فلما	تلاقيننا كأننا ما شقيننا
سخطنا عند ما جنت الليالى	فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم شقيننا	بكاسات الصدود وكم فنينا
فن لم يحى بعد الموت يوماً	فإنا بعد ما متنا حيننا

ولم يزل الشيخ على عادته الأولى في الوعظ ، ونشر العلم وكتابته إلى أن مات .

قال سبطه أبو المظفر : جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان - يعنى سنة سبع وتسعين وخمسمائة - تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخى . وكنت حاضرا ، فأنشد أبيانا قطع عليها المجلس ، وهي هذه :

الله أسأل أن يطول مدتى وأناال بالإنعام ما فى نيتى
لى همة فى العلم ما من مثلها وهى التى جنت النحول هى التى
حلقت من الفلق العظيم إلى المنى دعيت إلى نيل الكمال فأبّيت
كم كان لى من مجلس لو شبهت حالاته لتشبهت بالجنة
اشتاقه لما مضت أيامه عللا وتعذر ناقة إن حنت
يا هل لليلات بجمع عودة أم هل إلى وادى منى من نظرة ؟
قد كان أحلى من تصاريف الصبى ومن الحمام مغنيا فى الأيكة
فيه البدييات التى ما نالها خلق بغير مخمر ومبيت
برجاجة وفصاحة وملاحة تقضى لها عدنان بالعربية
وبلاغة وبراعة ویراعة ظن النباتى أنها لم تنبت
وإشارة تبكى الجنيد وصحبه فى رقة ما نالها ذو الرمة

قال أبو شامة : هذه الأبيات أظنها كان نظمها فى أيام محنته ، إذ كان محبوسا بواسط ؛ فمعانيها دالة على ذلك . والله أعلم .

ثم قال أبو المظفر : ثم نزل عن المنبر ، فرض خمسة أيام ، وتوفى ليلة الجمعة بين العشائين فى داره يقطتفنا .

قال : وحكت لى والدتى أنها سمعته يقول قبل موته : إيش أعمل بطواويس ؟ يرددها . قد جئتم لى هذه الطواويس . وحضر غسله شيخنا ضياء الدين بن سكينه وضياء الدين بن الجبير وقت السحر . واجتمع أهل بغداد ، وغلقت الأسواق ، وجاء أهل المحال ، وشددنا التابوت بالحبال ، وسلمناه إليهم ، فذهبوا به إلى تحت التربة مكان جلوسه ، فصلى عليه ابنه أبو القاسم على اتفاقا ؛ لأن الأعيان لم يقدرُوا على

الوصول إليه ، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور ، فصلوا عليه ، وضاق بالناس . وكان يوماً مشهوداً ، لم يصل إلى حفرة عند قبر الإمام أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة . وكان في تموز ، وأفطر خلق كثير ممن صحبه ، رموا أنفسهم في خندق الطاهرية في الماء ، وما وصل إلى حفرة من الكفن إلا القليل ، ونزل في الحفرة والمؤذن يقول : الله أكبر ، وحزن الناس عليه حزناً شديداً ، وبكوا عليه بكاء كثيراً ، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشموع والجماعات . قال : ورآه تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحرني على منبر من ياقوت مُرَّصَع بالجواهر ، والملائكة جلوس بين يديه ، والحق تعالى حاضر يسمع كلامه . قلت : وأنبأني أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش عن أبيه قال : قال عفيف الدين معتوق القليوبي : رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول :

لعمرك قد أودى وعطل منبر وأعبي على المستفهمين جواب
قال : فانتبهت من نومي ، فقلت : ترى أي شيء قد جرى ؟ فجاءنا الخبر
وقت العصر بموت الشيخ ابن الجوزي ، فقلت :

ولم يبق من يرجي لإيضاح مشكل وأصبح ربع العلم وهو خراب
ثم قال أبو المظفر : أصبحنا عملنا عزاه ، وتكلمت فيه ، وحضر خلق عظيم ،
وأنشد القادري العلوي :

الدهر عن طمع يفرّ ويخدع وزخارف الدنيا الدنية تطمع
وأعنة الآمال يطلقها الرجى طمعا وأسياف المنية تقطع
والموت آتٍ ، والحياة مريرة والناس بعضهم لبعض يتبع
واعلم بأنك عن قليل صائر خيرا فكن خيراً بخير يسمع
لعلّ أبي الفرج الذي بعد التقى والعلم يوم حواه هذا الجمع
خبرٌ ، عليه الشرع أصبح وإيها ذا مقلة حرا عليه تدمع
من للفتاوى المشكلات وحلّها من ذا لخرق الشرع يوماً يرفع ؟

من للمنابر أن يقوم خطيبها ولرد مسألة يقول فيسمع ؟
من للجدال إذا الشفاه تقلصت وتأخر القوم الهزبر المصقع ؟
من للدياجى قائما ديجورها يتلو الكتاب بمقلة لا تهجع
أجمال دين محمد ، مات التقى والعلم بعدك ، واستحم الجمع
يا قبره جادتك كل غمامة هطالة ركانة لا تطلع
قيل الصلاة مع الصلاة فتة به وانظر به يارمل ماذا يصنع
يا أحمد ، أخذ أحمد الثانى الذى ما زال عنك مدافعا لا يرجع
أقسمت لو كشف الفطا لرأيتم وقد الملائك حوله تتسرع
ومحمد يبكي عليه وآله خير البرية والبطين الأزرع
وذكر تمام القصيدة .

قال : ومن العجائب : أنا كنا جلوسا عند قبره بعد انقضاء العزاء ، وإذا
بخالى محي الدين يوسف قد صعد من الشط ، وخلفه تابوت ، فعجبنا وقلنا :
ترى من مات فى الدار ؟ وإذا بها خاتون أم ولد جدى ، والدة محي الدين ،
وعهدى بها فى ليلة الجمعة التى مات فيها جدى فى عافية ، قائمة ليس بها مرض ،
فكان بين موتها وموته يوم وليلة ، وعدّ الناس ذلك من كراماته ؛ لأنه كان
مغرى بها فى حال حياته ، وأوصى جدى أن يكتب على قبره :
يا كثير العفو عن كثير الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

فرحمه الله تعالى وغفر له ، ورحم سائر علماء المسلمين .

قال أبو المظفر : وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة ، أولهم :

أبو بكر عبد العزيز . وهو أكبر أولاده ، تفقه على مذهب أحمد . وسمع

أبا الوقت ، وابن ناصر ، والأرموى ، وجماعة من مشايخ والده .

وسافر إلى الموصل ، ووعظ ، وحصل له القبول التام ، فيقال : إن بنى الشهرزورى حسدوه ، فدثوا إليه من سقاء السم ، فمات بالموصل سنة أربع وخمسين في حياة والده .

والثانى : أبو القاسم على . كتب الكثير . وسمع من ابن البطى وغيره . وكانت طريقته غير مرضية ، وهجره أبوه سنين . توفي سنة ثلاثين وستمائة . وله ثمانون سنة . وأبو محمد يوسف . أستاذ دار المستعصم . وسند كره إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب .

ومما يذكر من مناقب الشيخ أبى الفرج : ما ذكره هو في تاريخه في ترجمة مرجان الخادم . وكان قد قرأ القرآن وشيئا من الفقه ، وتزهد . وله مكانة عند الخليفة ، إلا أنه كان يتمصب على الخنابلة فوق الحد ، حتى إن الوزير ابن هبيرة عمل بمكة حظيا يصلى فيه إمام الخنابلة ، فمضى مرجان وقلعه من غير إذن الخليفة قال أبو الفرج : وناصرى دون الكل ، وبلغنى : أنه كان يقول : مقصودى قلع المذهب . فلما مات الوزير ابن هبيرة سعى إلى الخليفة ، فقال : عنده كتب من كتب الوزير ، فقال الخليفة : هذا محال ؛ فإن فلانا كان عند أحد عشر دينارا لأبى حكيم ، وكان حشريا ، فما فعل فيها شيئا ، حتى طالعنا . قال : فنصرنى الله عليه ودفع شره .

قال : وحدثنى سعد الله البصرى - وكان رجلا صالحا . وكان مرجان حينئذ فى عافية - قال : رأيت مرجان فى المنام ومعه اثنان ، كل واحد قد أخذ بيد ، فقلت إلى أين ؟ قال : إلى النار ، قلت : لماذا ؟ قال : كان يبغض ابن الجوزى . قال : ولما قويت عصبته لجأت إلى الله تعالى ليكفينى شره ، فما مضت إلا أيام حتى أخذه السلال ، فمات فى ذى القعدة سنة ستين بعد ابن هبيرة بأشهر .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميذوى - بفسطاط مصر - أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، أخبرنا أبو الفرج بن الجوزى الحافظ ، أخبرنا

القاضي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله الأصبهاني سنة عشرين وخمسمائة ،
أخبرنا عبد الرزاق عن موسى بن شمة سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، أخبرنا أبو بكر
محمد بن إبراهيم بن المقرئ ، أخبرنا أبو يعلى الموصلي ، وعبد الله بن محمد بن عبد العزيز
قالا : حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا شعبة وهشيم وحماد بن سلمة عن عبد العزيز بن
صهيب عن أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء
قال : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » .

أخرجه البخاري عن آدم عن شعبة ، ومسلم عن يحيى عن هشيم ، كلاهما عن
عبد العزيز . وبه قال ابن الجوزي .

وأنا أبو الحسن علي بن عبد الواحد الدينوري ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر
القزويني ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، حدثنا أبو القاسم البغوي
حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة ، حدثني أبو حمزة ، سمعت
ابن عباس يقول : « إن وفد عبد القيس ، لما قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، أمرهم بالإيمان بالله ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا : الله ورسوله
أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ،
وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم » .

أخرجه البخاري عن علي بن الجعد ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن
غندر ، كلاهما عن شعبة .

ذكر شيء من فتاويه وفوائده :

ذكر : أنه استفتى في زمن المستضيء في إقامة الجمعة بجامع ابن المطلب ببغداد ،
قال : فلم أرَ جوازه ؛ لأن الجمعة إنما جعلت لتكون علماً للإسلام بكثرة
الجموع ، وإظهار ما يكبت المشركين ، فإذا كان في كل محل جمعة ، صارت
كصلاة الظهر .

قال : وأجاز ذلك بعض من ينسب إلى الفقه ، وحلل بأن كل محلة نصارت منقطعة عن غيرها للخراب الذي استولى على الأرض ، فأشبهت القرى ، قال : ولا أرتضى هذا التعليل .

قلت : وهذا يقتضى اتفاقهم على أنه مع اتصال العمارة لا يجوز ذلك ، لكن هذا مع عدم الحاجة .

وذكر أنه استفتى في رجل من الفقهاء ، قال : إن عائشة قتلت علياً رضي الله عنهما . نصارت من البغاة . وكان قد خرج توقيع المستضى بشتريره .

قال : فقلت - بعد ما قال الفقهاء عليه - هذا رجل ليس له علم بالقل ، وقد سمع أنه قد جرى قتال ، ولعمري أنه قد جرى قتال ، ولكن ما قصدته عائشة ولا علي ، وإنما أثار الحرب سفهاء الفريقين ، ولولا علمنا بالسير ؛ لقلنا مثل ما قال وتقرير مثل هذا أن يقر بالخطأ بين الجماعة ، فيصفح عنه .

قال : فكتب إلى الخليفة بذلك ، فوقع : إذا كان قد أقر بالخطأ فيشترط عليه أن لا يعاود ، ثم أطلق .

وذكر في كتابه « تلبيس إبليس » إنسكالا الذكر بالليل على المآذن ، ونحوها ، فإنه قال : قد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة ، فيعظ وينذرك ، ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع ، فيمنع الناس من نومهم ، ويخطب على المهجدين قراءتهم ، وكل ذلك من المنكرات .

٢٠٦ - هبة الله بن عبد الله بن هبة الله بن محمد السامري ، ثم البغدادي

الحرابي ، ثم الأزجي ، الفقيه الواعظ أبو غالب بن أبي الفتح .

سمع من أبي البدر السكرخي ، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . ومن سعد الخير الأنصاري ، ويوسف بن عمر الحرابي . وتفقه في المذهب ، وأفتى ، وتكلم في المسائل ، ووعظ . وكان مقياً بمدرسة أبي حكيم ، ولازم أبا الفرج بن الجوزي .

قال القادسي : كان فقيهاً مجوداً ، واعظاً ، خيراً ، ديناً ، وحدث . وسمع منه ابن القطيعي ، وروى عنه ابن خليل في معجمه .
وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر محرم ، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، ودفن من القد بمقبرة الإمام أحمد ، قريباً من بشر الحافي ، رضى الله عنهم أجمعين .
٢٠٧ - حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضل الفضيلي الحراني التاجر السفار

المحدث المؤرخ أبو الثناء .

ولد في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وخمسمائة بخران .
وسمع ببغداد من أبي القاسم بن السمرقندي ، وأبي بكر بن الزاغوني ، وسعيد ابن اللبنا ، وجماعة .

وبهراة من مسعود بن محمد بن غانم ، وعبد السلام بن أحمد بكيرة . وبمصر من ابن رفاعة السعدي ، وبالإسكندرية من الحافظ السلفي ، وغيرهم .
وجمع تاريخاً لخران ، وحدث به فيما ذكره ابن الديلمي .
وقيل : إنه لم يكمله ، وجمع جزءاً فيمن اسمه حماد ، وله شعر جيد ، وحدث ببغداد ومصر والإسكندرية وخران .

روى عنه الشيخ موفق الدين ، وعبد القادر الرهاوي ، والعلم السخاوي المقرئ ، والحافظ الضياء ، وابن عبد الدائم ، والنجيب الحراني ، وغيرهم .
وتوفي يوم الأربعاء ، ثاني عشرين ذي الحجة ، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بخران ، ودفن بها . رحمه الله .

أخبرنا أبو الفتح الميدومي - بمصر - أخبرنا أبو الفرج الحراني ، أخبرنا حماد ابن هبة الله بخران ، أخبرنا إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ ، أخبرنا محمد ابن هبة الله الطبري ، أخبرنا هلال الحفصار ، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا محمد بن أحمد بن البراء ، حدثني محمد بن محمد بن سليمان صاحب البصري ، حدثني أبو عمران السلمي ، قال : أنشدني أبو نواس :

ألا رُبَّ وجهٍ في التراب عتيق الأرب رآى في التراب رفيق
أرى كل حنى هالكاً وابن هالك وذو حسب في المالكين عريق
قل لمقيم الدار : إنك ظاعن إلى سفر نأى المحل سحيق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

٢٠٨ - محمد بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن عبد الباقي بن المكبري

البغدادي الطفري ، الفقيه المحدث ، الواعظ أبو عبد الله .

ذكره ابن النجار ، وقال : جارنا بالطفرية .

حفظ القرآن في صباه ، وقراه بالروايات على أبي بكر بن الباقلاني الواسطي ، وعلى عبد الله بن بكران الداھري . وتفقه على مذهب أحمد بن حنبل ، وقرأ العربية على أبي البركات الأنباري ، وأبي محمد بن الخشاب ، وصحب شيخنا أبا الفرج ابن الجوزي ، وقرأ عليه شيئاً من مصنفاته في الوعظ وغيره .

وسمع الحديث من أبي العباس أحمد بن محمد المرقصاتي ، وعبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف ، وشهادة السكاتية ، ومن خلق كثير دونهم ، وكتب بخطه كثيراً من الكتب والأجزاء ، وكان يعقد مجلس الوعظ بجامع ابن بهليقا في كل جمعة ، فبقي على ذلك مدة طويلة ، ثم انقطع في بيته ، لا يخرج منه إلا إلى الجمعة والجماعة ، وكان يكثر الجلوس في المقابر ، سمعت منه . وكان يسمع بقراءتي على مشايخنا ، وكان صدوقاً متديناً عفيفاً ، قليل المخالطة للناس ، محباً للخلوة والازواء ، فقيهاً فاضلاً ، كثير المحفوظ للأحاديث ، وحكايات السلف ويعرف طرفاً صالحاً من الحديث ، وقد جمع معجماً لشيوخه الذين سمع منهم في خمسة أجزاء ، ثم روى عنه حديثاً عن شهادة ، ثم قال : ذكر أن مولده في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

وتوفي ليلة الإثنين ثامن عشر جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة

وصلينا عليه من الغد ، ودفن بالجديدة من باب أبرز ، رحمه الله تعالى .

قرئ على أبي الفتح الميمني بمصر ، وأنا أسمع - أخبركم أبو الفرج
الحراني ، قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عثمان بن عبد الله العكبري الواعظ ،
من لفظه وحفظه ، قال : أنشدني شيخني ابن الباقلاني المقرئ الواسطي :
كتبي لأهل العلم مبدولة أيديهم مثل يدي فيها
متي أرادوها بلا منة عارية فليستعبروها
حاشاي أن أكتمها عنهموا بخلاً كما غيري يخفيها
أعارنا أشيائنا كتبهم وسنة الأشياخ نجيبها
وقد روى هذه الأبيات ابن السمعاني عن ابن الباقلاني ، قال : أنشدني
خميس الجوزي لنفسه .

٢٠٩ - علي بن إبراهيم بن نجاة بن غنائم الأنصاري الدمشقي ، الفقيه الواعظ
المفسر زين الدين أبو الحسن بن رضي الدين أبي طاهر ، المعروف بابن نجية .
نزىل مصر ، سبط الشيخ أبي الفرج الشيرازي الحنبلي .
ولد بدمشق سنة ثمان وخمسمائة ، فيما ذكره ابن نقطة والمنذري وغيرها .
وقال ناصح الدين بن الحنبلي : إنه ولد سنة عشر .
وسمع بدمشق من أبي الحسن علي بن أحمد بن قيس . وسمع درس خاله شرف
الإسلام عبد الوهاب . وتفقه به ، وسمع التفسير منه ، وأحب الوعظ وغلب عليه ،
فاشتهل به .

قال ناصح الدين : قال لي : حفظني خالي مجلس وعظ ، وعمرى يومئذ عشرين
ثم نصبت لي كرسيًا في داره ، وأحضر لي جماعته ، وقال : تكلم ، فتكلمت ، فيكي :
قال : وكان ذلك المجلس يذكر بعضه وهو ابن تسعين ، وكان بطيء النسيان .
وكان أسماء الفصول الذي يحفظ مجلدة . وكان لا يخطب في مجلسه ، وإنما يدعو
عقيب للقراء ، ثم يقرأ مقرئ آيات من القرآن فيفسرها ، ويوسع في ذكره ،
ثم يذكر فصولا وعنده من كلام العرب والمعجم ، فيلقن من الفصول ما يختار .

وبعثه نور الدين محمود بن زنكي رسولا إلى بغداد سنة أربع وستين وخمسمائة
وخلع عليه هناك أهبة سوداء ، فكانت عنده يلبسها في الأعياد . وسمع هناك
الحديث من سعد الخير بن محمد الأنصاري كثيراً . وصاهره على ابنته فاطمة ، ونقلها
معه إلى مصر ، وانتقلت كتب سعد الخير إليه . ومن عبد الصبور بن عبد السلام
المهروي وعبد الخالق بن يوسف وغيرهم . واجتمع هناك بالشيخ عبد القادر وغيره
من الأكابر ، ووعظ بجامع المنصور .

قال ناصح الدين : سمعته يقول : أول مجلس جلسته في بغداد في جامع
المنصور ، فنزات سحراً إلى الجامع متنكراً ، حتى أرى هيئة المجلس وأسمع ما يقال ،
وإذا رجل أعمى قد جلس على درج المنبر ، فذكر من الفصول من كلام التيمي
وابن عقيل وغيرها جميع ما قد حررته للمجلس ، وتعبت عليه . قال : فأصابني همٌّ ،
وما بقي لي زمن أحفظ غير ذلك ، فاستخرت الله تعالى ، ثم جلست وتكلمت ،
وذكرت حكاية طاب بها المجلس .

قال : وسمعته يقول : أول ما دخلت بغداد جاءني الشيخ أبو الفضل بن شافع
وتعصب لي ، فدخل عليّ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي مهتماً بالسلامة ، وتحدثنا ،
فقال لي : تحفظ شيئاً من شعر ابن السكيزاني ؟ فأشددته له :

رأيتني خاضباً شيبى فسمتني أبا العيب

فظهر الغيظ في وجهه ، ثم قام فذهب . فقال ابن شافع : إيش عملت ؟ هذا
أول من جاءك من الحنابلة لقيته بما يكره ، فقلت : كيف ؟ قال : هو يخضب ،
فقلت : والله ما علمت ، ولا حضرنى من شعر ابن السكيزاني إلا هذا . ثم عاد ابن نجية
وانتقل إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين ، وأقام بها إلى أن مات . وكان يعظ بها
بجامع القرافة مدة طويلة . وله فيها وجاهة عظيمة عند الملوك .

وقال ناصح الدين : كان ذا رأى صائب : وكان صلاح الدين — يعنى
ابن يوسف بن أيوب — يسميه عمرو بن العاص ، ويعمل برأيه .

وقال أبو شامة : كان صلاح الدين يكتبه ، ويحضر مجلسه هو وأولاده :
العزیز ، وغيره . وكان له جاه عظیم ، وحرمة زائدة .

وقال ناصح الدين : كان أهل السنة بمصر لا يخرجون عما يراه لم زين الدين
- يعنى ابن نجية - وكثير من أرباب الدولة . وقال له الملك العزيز عثمان بن
صلاح الدين : إذا رأيت مصلحة في شيء فآكتب إلى بها ، فأنا ما أعمل
إلا برأيك .

وقضيته مع عمارة اليمنى ومن واقفه على السعى من إعادة دولة العبيديين
معروفة . وم : عبد الصمد الكاتب ، وهبة الله بن كامل القاضي ، وابن عبد القوي
داعى الدعاة ، وعمارة الشاعر ، وغيرهم من الجند والأعيان . وكانوا قد عينوا خليفة
ووزيراً ، وتقاسموا الدور ، واتفقوا على استدعاء الفرنج إلى مصر ، ليشتغل بهم
صلاح الدين ، ويخلو لهم الوقت ليتم أمرهم ومكرهم ، فأدخلوا في الشورى معهم
زين الدين ابن نجية ، فأظهر لهم أنه معهم ، ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره ، وطلب
منه ما لابن كامل من الحواصل والمقار ، فبذله له ، وأمره بمخالطتهم ، وتعريف
شأنهم ، فصار يعلمه بكل متجدد .

ويقال : إن القاضي الفاضل استراب من بعض أولئك الجماعة ، فأحضر ابن نجية
الواعظ ، وأخبره الحال . فطلب منه كشف الأمر ، فأخبره بأمرهم ، فبعثه إلى
صلاح الدين ، فأوضح له الأمر . فطلب صلاح الدين الجماعة وقرهم ، فأقروا ،
فصلبهم بين القصرين .

ولما كان السلطان صلاح الدين في الشام سنة ثمانين كتب إليه الشيخ
زين الدين كتاباً يشوقه إلى مصر ، ويصف محاسنها . فسكتب إليه السلطان
كتاباً بإنشاء العماد الكاتب ، يتضمن تفضيل الشام على مصر . وفي آخره :
ونحن لا ننجفوا الوطن كما جفوته . وحب الوطن من الإيمان .

ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه ، وتسكلم أول جمعة أقيمت فيه على
كرسى الوعظ . وكان يوماً مشهوداً .

وذكر أبو شامة : أن الشهاب الطوسي لما دخل مصر كان يجرى بينه وبين زين الدين العجائب من السباب ونحوه ، فإن الطوسي كان أشمرياً ، وهذا حنبلي . وكلاهما واعظ .

قال : وجلس ابن نجية يوماً في القرافة بالجامع ، فوقع عليه وعلى جماعة ممن عنده السقف ، فعمل الطوسي خطبة ، وذكر فيها قوله تعالى (١٦ : ٢٦) قَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) . وجاء يوماً كلب يشق الصفوف ، فقال ابن نجية : هذا من هناك ، وأشار إلى مكان الطوسي .

وذكر ناصح الدين بن الحنبلي : أن ابن نجا نشأ له ولد حسن الصورة . فلما بلغ أخذ في سبيل اللهو ، فدعا عليه ، فمات . فحضر الناس والدولة لأجله ، فلما وضعوا سريره في المصلى نصبوا للشيخ كرسيًا إلى جانبه ، فصعد عليه ، وحمد الله تعالى ، وقال : اللهم إن هذا ولدي بلغ من العمر تسع عشرة سنة ، لم يجر عليه فيها قلم إلا بعد خمس عشرة سنة ، بقي له ثلاث سنين ، نصفها نوم ، بقي عليه سنة ونصف ، قد أساء فيها إلى وإليك . فأما جنايته على فقد وهبتها له . بقي الذي لك فبه لي . فصاح الناس بالبكاء . ونزل فصلى عليه .

قال : وكان زين الدين كريماً . وله سماط يؤكل عنده ، وتوسعة في النفقة . وقال ابن المظفر سبط ابن الجوزي : كان ابن نجية قد اقتنى أموالاً عظيمة ، وتعم تنعماً زائداً ، بحيث أنه كان في داره عشرون جارية للفراش ، كل جارية تساوي ألف دينار . وأما الأطمعة فكان يعمل في داره مالا يعمل في دور الملوك . وتعطيه الملوك والخلفاء أموالاً عظيمة كثيرة . قال : ومع هذا مات فقيراً ، كفته بعض أصحابه .

والذي ذكره ناصح الدين بن الحنبلي : أن ابن نجا ضاق صدره في آخر عمره من دين عليه ، وأن الملك العزيز عثمان لما عرف ذلك أعطاه ما يزيد على أربعة آلاف دينار مصرية

قال: وقال لي: ما احتجت في عمري إلا مرتين.

قال ناصح الدين: قال لي: والذي زين الدين سعد بدعاء والدته، كانت صالحة حافظاً، تعرف التفسير.

قال زين الدين: كنا نسمع من خالي التفسير، ثم أجيء إليها، فتقول: إيش فسر أخى اليوم؟ فأقول: سورة كذا وكذا، فتقول: ذكر قول فلان، وذكر الشيء الفلاني؟ فأقول: لا، فتقول: ترك هذا، وسمعت والذي يقول: كانت تحفظ كتاب «الجواهر» وهو ثلاثون مجلدة، تأليف والدها الشيخ أبي الفرج، وأقعدت أربعين سنة في محرابها.

حدث الشيخ أبو الحسن بن نجما ببغداد، ودمشق، ومصر، والإسكندرية وغيرها، وسمع منه خلق كثير، وحكى عنه الحافظ السلفي في معجم شيوخ بغداد. وروى عنه الحافظ عبد الغنى، وابن خليل، والضياء المقدسي، وأبو سليمان ابن الحافظ عبد الغنى، وعبد الغنى بن سليمان، وخطيب مردا، وجماعة، وأجاز للمندري، وأحمد بن أبي الخير سلامة، ومحمد بن أبي الدية.

وتوفى في شهر رمضان - قال المندري: في سابعه، وقال ابن نقطة: في ثامنه - سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالشارع، ظاهر القاهرة، ودفن من الغد بسفح المقطم. وقال ناصح الدين بن الحنبلي: مات بعد الستائة. وهو وهم؛ فإنه كان يكتب هذه التواريخ من حفظه. وقد بعد عهده بها.

قال: ودفن بترية سارية، بجوار عز الدين ابن خاله، عن وصية منه. وكان يوم دفنه مشهوداً لكثرة الخلق. وذكر: أنه سمع منه كثيراً.

٢١٠ - إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الصقال الطيبي، ثم البغدادي الأزجي

الفقيه الإمام أبو إسحاق، مفتي العراق، ويلقب بموفق الدين.

ولد في خامس عشر شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة، كذا ذكره

الطيبي عنه

وقال المنذرى : فى نصف شوال .

وسمع من ابن الطلاية ، وابن ناصر ، وأبى بكر بن الزاغونى ، وأبى الوقت وأحمد بن عبد الله بن مرزوق ، وأبى على بن شاتيل ، وأبى المعمر الأنصارى ، وسعيد بن البنا ، وعبد الخالق بن يوسف ، وأحمد بن محمد العباسى النقيب ، وغيرهم وسمع من أبى عبد الله الحسنى بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجوزقانى الهمدانى . قدم عليهم بغداد سنة ثلاث وأربعين خمسمائة ، وكتابا جمعه وسماه « الترغيب » .

وقرأ الفقه على القاضى أبى يعلى بن أبى خازم ، وأبى حكيم النهروانى ، ويقال : إنه قرأ على أبى الفتح بن المتى أيضا ، وبرع فى الفقه مذهبا وخلافا وجدالا ، وأتقن علم الفرائض ، والحساب ، وشدا طرفا من العربية ، وكتب خطا حسنا ، ودرس ، وأفتى وناظر . وكان من أكابر العدول ، وشهود الحضرة ، وأعيان المفتين المعتمد على فتاويهم وأقوالهم فى المجالس والمحافل ، متين الديانة حسن المعاشرة ، طيب المفاكحة .

قال القادسى : كان خيرا صالحا ، حسن الطريقة ، جميل السيرة ، بعيد المثال ، وإياه غنى الصرصرى بقوله فى قصيدته اللامية المعروفة ، فى مدح الإمام أحمد وأصحابه :

ومن يتبع المتى أوحده وقته أبا الفتح والصقال فى الفقه ينبل

حدث ، وسمع منه ابن القطيعى ، وروى عنه ابن الديبى ، والحافظ الضياع ، وابن النجار .

توفى آخر يوم الإثنين ، ثانى ذى الحجة ، سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وصلى عليه من الغد عند المنطرة بباب الأزج ، وحمل على الروس ، ودفن بباب حرب ، وشيعه خلق عظيم . رحمه الله .

وقيل : كانت وفاته فى مستهل ذى الحجة .

و « الطيبي » منسوب إلى بلدة قديمة بين واسط ، والأهواز تسمى الطيب .
٢١١ - محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي ،
الزاهد أبو بكر ، ويلقب جمال الدين ، ابن أخو البهاء عبد الرحمن ، الآتي ذكره
إن شاء الله تعالى .

ولد سنة ثلاث وستين وخمسة .

وسمع الحديث بدمشق : ودخل مع أخيه بغداد ، وأقام بها مدة ، واشتغل
وحصل فنونا من العلم ، ثم عاد .

وكان فقيها زاهداً ، ورعا ، كثير الخشية والخوف من الله تعالى ، حتى كان
يعرف بالزاهد ، وكان يبالغ في الطهارة ، وأمّ بدمشق بمسجد دار البطيخ ، وهو
مسجد السلالين .

حدث مدة ، وحج في آخر عمره ، ثم توجه إلى القدس ، فأدركه أجله
بنابلس سنة سبع وتسعين وخمسة . رحمه الله تعالى .

٢١٢ - عبيد الله بن علي بن نصر بن حُمرة بن علي بن عبيد الله البغدادي

التيمنى المعروف بابن المارستانية ، الأديب ، الفقيه المحدث ، المؤرخ أبو بكر .
ويلقب فخر الدين .

كان يذكر أنه من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ويذكر شيئاً
متصلاً إليه . وقد قرأت بخطه في نسبه : الحمدي ، ولا أدري إلى ماهذه النسبة ؟
ذكر أنه ولد في سنة إحدى وأربعين وخمسة .

وسمع الحديث من أبي المظفر بن الشبلي ، وابن البطي ، ويحيى بن ثابت
ابن بندار ، وعبد الحق بن عبد الخالق ، وشهدة ، وأبي الفتح بن شاتيل .

وقرأ كثيراً على المشايخ المتأخرين بعدهم ، وكتب بخطه ، وحصل الأصول

وعنى بهذا الفن ، وطلب العلم في صباه ، فتفقه في المذهب .
وقرأ الأدب . وكان أديباً ، فاضلاً فصيحاً ، مليح العبارة ، بليغاً ، حسن
التصنيف ، ذكر ذلك ابن النجار وغيره .

وقال أبو المظفر سبط بن الجوزي : أحد الفضلاء المعروفين بجمع الحديث
والطب ، والنجوم ، وعلوم الأوائل ، وأيام الناس . وصنف كتاباً سماه « ديوان
الإسلام ، في تاريخ دار السلام » قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، إلا أنه لم يشتهر ،
وصنف سيرة الوزير ابن هبيرة .

وقال ابن النجار : كان قد قرأ كثيراً من علم الطب ، والمنطق والفلسفة .
وكانت بينه وبين عبيد الله بن يونس صداقة ومصاحبة ، فلما أفضت إليه الوزارة
اختص به ، وقوى جاهه ، وبنى داراً بدرب الشاكرية ، وسماها : دار العلم ، وجعل
فيها خزانة كتب ، ووقفها على طلاب العلم . وكانت له حلقة بجامع القصر ، يقرأ
فيها الحديث يوم الجمعة ، ويحضر عنده الناس ، فيسمعون منه ، ورتب ناظراً على
أوقاف المارستان العضدي ، فلم تحمد سيرته ، فقبض عليه وسجن في المارستان
مدة مع المجانين مسلسلاً ، وبيعت دار العلم بما فيها من الكتب مع سائر أمواله
وقبضت ، وبقي معتقلاً مدة ، ثم أطلق ، فصار يطب الناس ، ويدور على المرضى
في منازلهم ، وصادف قبولاً في ذلك ، فأثرى ، وعاد إلى حالة حسنة ، وحصل
كتباً كثيرة ، ثم إنه انتدب للتوجه في رسالة من الديوان ، فخلع عليه خلعة سوداء :
قيص وعمامة ، وطرحة ، وأعطى سيفاً وأركب مركوباً جميلاً ، وتوجه إلى تفليس
في صفر سنة تسع وتسعين إلى الأمير أبي بكر بن إيلدكزين البهلوان ، زعيم
تلك البلاد ، فأدركه أجله هناك .

قلت : القبض عليه إنما كان بعد عزل ابن يونس والقبض عليه ، وتبع أصحابه ،
وفي تلك الفتنة كانت محنة ابن الجوزي أيضاً كما تقدم . وبالغ ابن النجار في
الخط عليه بسبب ادعائه النسب إلى أبي بكر الصديق ، وبسبب أنه روى عن

مشايخ لم يدركهم ، كأبي الفضل الأرموى .

قال : واخترت طباقاً على الكتب بخطوط مجهولة ، تشهد بكذبه وبزوره ،
وجمع مجموعات في فنون من التواريخ وأخبار الناس ، من نظر فيها ظهر له من كذبه
وقبحه وتهوره ما كان مخفياً عنه ، وبان له تركيبه الأسانيد على الحكايات
والأشعار والأخبار ، إلى أن قال : وقد حدث بكثير مما اخترته ، وعن جماعة لم يلقيهم
سمع منه الغرباء ، ومن لا يعرف طريقة الحديث . ورأيت كثيراً ، ولم أكتب
عنه شيئاً .

قال : وقد نقلت في هذا الكتاب من خطه وقوله وروايته أشياء ، العهدة عليه
في صحتها ؛ فإنني لا أطمئن إلى صحتها ، ولا أشهد بحقيقة بطلانها . ثم قال : قرأت
على أبي عبد الله الحنبلي بأصبهان عن معمر بن عبد الواحد بن الفاخر القرشي ،
ونقائه من خطه . قال : أنشدني أبو بكر عبيد الله بن علي بن علي بن نصر بن حمزة
التميمي لنفسه :

أفردتني بالهموم ذات دل ونعيم
أودعت قلبي سقاماً والحشا نار الجحيم
ليس لي شغل سواها من خليل وحميم
هي داء للمعافي ودواء للسقيم
شغلت قلبي بأمر مقعد فيها مقيم

قلت : العجب أنه تبرأ وتنزه عن الرواية عنه نفسه ، ثم روى عن اثنين عنه .
ولقد بالغ في الخط عليه ، وزاد في ذلك اعترافه بأنه نقل عنه في هذا الكتاب
أشياء ، ولعله لا يبين في بعضها أو كثير منها أنها من جهته . وقد وقفت على
كتابه الذبح جمعه في سيرة ابن هبيرة ، فلم أجد فيه ما ينكر ، بل غالب ما نقل
فيه من الحكايات عن الوزير من كلامه قد نقله ابن الجوزي وغيره .

وكذلك بالغ ابن الديلمي في تاريخه في الخط عليه ، وقال : إنه ادعى الحفظ
وسعة الرواية عن لم يلقه ولم يوجد بعد . وتابعه على ذلك المنذرى . وهذا غير
صحيح ؛ فإن أقدم من ادعى السماع منه الأرموى . وهو كان موجوداً في حياته ،
وسمعه منه ممكن . نعم ينبغي أن يقال : لم يصح سماعه منه ، أو لم يعرف ، ونحو ذلك .
ومن مبالغته في الخط قال أبو شامة : هذا غلوٌّ من قائله . وهو كما قال .
ولا ريب أنه مطعون فيه من جهتين :

من جهة ادعائه النسب إلى أبي بكر ؛ فإن هذا أنكره الناس كلهم عليه ، واشتهر
إنكاره ، حتى قال بعضهم :

دع الأنساب لا تعرض لتيمم فأن الهجن من ولد الضميم
لقد أصبحت من تيمم دعيًا كدعوى حيص بيص إلى تميم

ومن جهة ادعائه سماع ما لم يسمع ؛ فإن هذا صحيح عنه .
قال ابن نقطة : سألت أبا الفتوح الحصرى عنه بمكة ؟ فقال : سمعه الله .
كان صديقي . وكان يكرمنى . وكان غير ثقة .

حدثني علي بن أحمد الشريف الزيدى أنه استعار منه مغازى الأرموى
فردها إليه وقد طبق عليها السماع على كل جزء ، ولم يسمعها .

قال ابن نقطة : وكان شيخنا ابن الأخضر الحافظ ينهى أن يقرأ أحد على
شيخ بطبقة تكون بخطه ، أو بخط أبي بكر بن سوار . وذكر حكائيتين عن
أبي الحسين عبد الحقى بن عبد الخالق أنه كذبه ، وقال : إنه سمع لنفسه منه أجزاء
لم يقرأها عليه .

وأما ما نسبوه إليه من تركيب الأسانيد ، وتصرفه بالكذب في تصانيفه ، حتى
إن ابن الديلمي قال : لو تم كتابه « ديوان الإسلام » لظاهرت فضائحه . فهذا أمر
لم يثبت عنه :

وقد ذكر ابن نقطة : أنه رأى بعض تاريخه ، ولم يذكر فيه طعنًا . والله أعلم .

وقال ابن القادسي عنه : كان خطيباً ، بليغاً شاعراً ، حافظاً محدثاً ، فصيحاً .
سافر ، وسمع الحديث من أمم لا تحصى واستشهدهم . وصنف عدة مصنفات في
التواريخ وغيرها . وله « تاريخ مدينة السلام » على وضع كتاب الخطيب . وهو
كتاب نفيس ، وقد ذكر فيه أقواماً ، ذكر أنهم لا يعرفون . وقد عظمهم هو
ووصفهم .

وقد طعن أصحاب الحديث عليه وجرحوه ، منهم شيخنا ابن الجوزي ،
وعبد العزيز بن الأخضر .

وحدث ببغداد . وروى عن أبي الوقت ، وقرأ على أبي محمد بن الخشاب .
قال أبو المظفر السبط : كان ابن المارستانية هو الذي قرأ كتب عبد السلام
ابن عبد الوهاب بن عبد القادر يوم أحرقته . كان يقرأ الكتاب ، ويقول :
يا عامة ، هذا عبد السلام يقول : من بحر زحل بكذا وكذا . وقال : يا إلهي يا آلة
العلل ، نال ما أراد ، فيلعنه الناس ويضجون بذلك . فلما خلع على ابن المارستانية ،
وأرسل إلى تغليس ، خرج من دار الوزير و بين يديه الحجاب ، وأرباب الدولة
فوقف له عبد السلام وتقدم إليه ، وقال له سرّاً فيما بينهما : الساعة من بحر زحل
أنا أو أنت ؟ فقال : أنا .

وتوفي ابن المارستانية في رجوعه من تغليس بموضع يعرف بخرج بند ليلة الأحد
غرة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ودفن هناك . سماحه الله .
وقال القادسي : توفي بخرختيد في سلخ ذي القعدة . وقيل : توفي في صفر .
وهو وهم .

و « سُحْرَه » في نسبه بضم الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الراء المهملة . كذلك
قيده ابن النجار ، وابن نقطة ، والمنذرى وغيرهم .
ورأيت بخطه « حمزة » وفوق الزاي نقطة . ولا يلتفت إلى ذلك .
وقيل له : ابن المارستانية ، لأن أبويه كانا قيسى المارستان القنسى ببغداد .

٢١٣ - نصر الله بن عبد العزيز بن صالح بن محمد عبد عثمان بن عبدوس

الحرائي ، الفقيه الزاهد ، شمس الدين أبو الفتح . أحد شيوخ حران وفتحها .
أخذ العلم بها عن جماعة ، كأبي الحسن بن عبدوس ، وأبي الفضل حامد بن
أبي الحجر ، وأبي الكرم فتيان بن مياح .

ورحل إلى بغداد ، وسمع درس أبي الفتح بن المنى . وسمع بها الحديث من
أبي الفتح بن البطي ، وأبي الفضل بن شافع ، وفوارس بن موهوب بن الشباكية ،
والمبرد بن الطباخ ، وغيرهم . ثم عاد إلى حران

قال أبو الفرج بن الحنبلي : لقيته بدمشق وحران . وكان فقيهاً صالحاً ، ينقل
المذهب جيداً . وكان ينكر المنكر . ضربه مظفر بن زين الدين علي الإنكار ،
ثم ندم واستغفر منه ، وأحسن القاضي الفاضل ظنه به .

وكان أبيض قصيراً جداً . وشعر لحيته أحمر . وحكى لي . أنه يأخذ اللحمه
من المقل ، فيضعها في فيه ، ولا يتضرر بذلك .

وقال أبو عبد الله بن حمدان : كان رجلاً صالحاً ، فقيهاً فاضلاً . وهو شيخ
شيخنا ناصح الدين عبد القادر بن أبي الفهم .

أنكر مرة على مظفر الدين صاحب أربل لما كانت له حران ، وأراق له
خمرأ ، فأحضره ، وقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، بالظلم والفسق ، أو معنى ذلك . فهم
بضربه ، فأشير عليه : أن لا يفعل ؛ لأجل العامة وميلهم إليه .

وله كتاب « تعليم العموم ما السنة في السلام ؟ » وسبب تصنيفه له : أنه لما
قدم أبو المعالي بن المنجنا قاضياً على حران أمر المؤذنين بالجهر بالتسليمتين في الصلاة
وكانوا إنما يجهرون بالأولى خاصة . فرد عليه أبو الفتح في هذا الكتاب ، وبين
أن المذهب إنما هو الجهر بالأولى خاصة . وذكر نصوص أحمد وأصحابه في ذلك ،
والأحاديث والآثار الدالة عليه ، وبالغ في الإنكار عليه ، وحدث به غير مرة
بحران ، وسمعه منه ابن أبي الفهم وغيره .

وسمع منه الحديث أحمد بن سلامة النجار ، وغيره .
قال ابن الخنيلي : مات ابن عبدوس قبل الستائة بآمد . رحمه الله .

آخر الجزء الأول

ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني ، وأوله : ترجمة الشيخ الإمام العالم الحافظ
تقي الدين أبو محمد ، حافظ الوقت عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي . رحمه الله .
ووجد بالأصل المخطوط :

وكان الفراغ من كتابته ضحى يوم الأحد الثاني عشر من ربيع الأول
سنة ثلاث وأربعين بعد الثلاثمائة وألف ، على يد أحقر الكتاب ، راجي غفران
الذنوب والمساوي : محمد عبده بن المرحوم محمد الحفراوي . كان الله له ،
ورحم سلفه آمين .

تم بحمد الله طبع الجزء الأول من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، للإمام
شيخ الإسلام أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي
تغمده الله برحمته .

وذلك بمطبعة السنة المحمدية ، في غرة ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ الموافق
١٩ من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٢ م .
وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله المصطفى ، ورسوله المجتبي ، محمد ، وعلى
آله أجمعين .

فهرس

الجزء الأول من كتاب التديل على طبقات الحنابلة

٤٤	عبد الله بن عطاء المروى	٥	المقدمة
٤٥	أحمد بن علي بن عبد الله البغدادي	٧	وفيات المائة الخامسة :
٤٨	أحمد بن مرزوق الزعفراني	٧	علي بن أبي طالب بن زبيبا البغدادي
٤٩	شافع بن صالح بن حاتم الجبلي	٧	علي بن الحسن القرميسيني
٤٩	عبد الله بن نصر الحجازي	٨	عبد الله بن عبد الله العكبري
٥٠	محمد بن علي بن الحسين الحنبلي	٨	عبد الله البرداني .
٥٠	عبد الله بن محمد المروى	٨	علي بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي
٦٨	عبد الواحد بن محمد الشيرازي	٩	محمد بن عمر بن الوليد الباجسراتي
٧٣	يعقوب بن إبراهيم البرزبيني	١٠	محمد بن علي بن محمد البغدادي
٧٧	عبد الوهاب بن طالب التميمي	١١	علي بن الحسين العكبري
٧٧	رزق الله بن عبد الوهاب	١٢	عبيد الله بن محمد بن القاضي أبي يعلى
٨٥	عبد الوهاب بن رزق الله التميمي	١٣	محمد بن أحمد بن محمد البرداني
٨٥	عبد الواحد بن رزق الله التميمي	١٥	عبد الخالق بن عيسى العباسي
٨٦	علي بن عمرو بن علي الحراني	٢٦	عبد الرحمن بن محمد الأصهباني
٨٧	علي بن المبارك الكرخي	٣١	أحمد بن محمد بن أحمد الرزاز
٨٧	علي بن جابر بن أبي الحسن	٣٢	الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي
٨٩	زياد بن علي بن هارون	٣٧	حمزة بن الكيال البغدادي
٨٩	إسماعيل بن أحمد البزار الهمداني	٣٧	أبو بكر بن عمر الطحان
٨٩	محمد بن علي بن جدا العكبري	٣٧	عبد الباقي بن جعفر بن شهلي
٩٠	عبد الباقي بن حمزة الحداد	٣٧	علي بن محمد بن الفرغ البزاز
٩٠	محمد بن الحسن بن جعفر الراذاني	٣٨	طاهر بن الحسين بن أحمد البغدادي
٩٣	أبو الحسن بن زفر العكبري	٤٢	عبد الوهاب بن أحمد بن جلبة

- | | | | |
|-----|---|-----|---|
| ١٢٦ | مسألة في البيع بتخيير الثمن
والوضيعة منه . | ٩٣ | محمد بن الحسن البرداني |
| ١٢٦ | مسألة في وقف المريض داره
على ابنه وابنته ، ولا يملك سواها | ٩٤ | محمد بن عبد الله بن كادش العكبري |
| ١٢٦ | مسألة في الوصايا : فيما إذا ترك
ابنين ، ووصى لرجل بجميع ماله
وحكم الإجازة والرد . | ٩٤ | أحمد بن محمد البرداني |
| ١٢٦ | مسألة في باب الإقرار بمشارك
في الميراث | ٩٥ | محمد بن أحمد الشيرازي |
| ١٢٧ | مسألة في الوصية بسهم من سهام
الورثة | ١٠٠ | جعفر بن أحمد السراج |
| ١٢٧ | مسألة في عدّه جهات ذوى
الأرحام | ١٠٠ | <u>وفيات المائة السادسة</u> |
| ١٢٧ | يحيى بن عبد الوهاب الأصبهاني | ١٠٤ | رجب بن قحطان الأنصاي |
| ١٣٧ | محمد بن علي بن طالب بن زبيبا الخرقى | ١٠٤ | أحمد بن علي بن أحمد العائى |
| ١٣٨ | طلحة بن أحمد الكندى | ١٠٦ | محمد بن علي بن محمد الحلوانى |
| ١٤١ | يحيى بن عثمان الأزجى | ١٠٧ | المعمر بن علي البغدادي |
| ١٤١ | أحمد بن نصر الحمذاني | ١١٠ | جعفر بن الحسن الدرّزى بجاني |
| ١٤٢ | علي بن عقيل البغدادي وله ولدان : | ١١٠ | علي بن محمد بن علي الأنباري |
| ١٦٣ | أبو الحسن عقيل | ١١١ | إسماعيل بن محمد الأصبهاني |
| ١٦٥ | أبو منصور هبة الله | ١١٢ | إسماعيل بن المبارك البغدادي |
| ١٦٦ | المبارك بن علي الخرمي | ١١٢ | أحمد بن الحسن الخلّطى |
| ١٧١ | محمد بن أحمد بن محمد البديسى | ١١٣ | محمد بن سعد بن سعيد العسال |
| ١٧١ | الحسن بن محمد العكبري | ١١٤ | هبة الله بن المبارك السقطى |
| | | ١١٥ | محمد بن الحسن بن أحمد البغدادي |
| | | ١١٦ | محمّد بن أحمد أبو الخطاب
الكلوذاني |
| | | ١٢٦ | فصل في الإشارة إلى ما صنفه الوزير
ابن يونس في أوهام أبي الخطاب |
| | | ١٢٦ | مسائل لأبي الخطاب متفرقة .
يقال : إنها وهم وغلط ، منها : |

٢٠١	عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي	١٧٢	أبو علي بن شهاب العكبرى
٢٠٤	محمد بن علي بن صدقة الصائغ	١٧٢	عبد الوهاب بن حمزة البغدادي
٢٠٤	موهوب بن أحمد الجواليقي	١٧٢	محمد بن علي بن الدنف البغدادي
٢٠٧	نصر بن الحسين بن حامد الحراني	١٧٣	محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني
٢٠٧	نجيب بن عبد الله السمرقندي	١٧٣	علي بن المبارك بن الفاعوس البغدادي
٢٠٨	الحسين بن الهمداني	١٧٦	موسى بن أحمد النشادري
٢٠٨	المبارك بن عهد الملك البغدادي	١٧٦	محمد بن محمد بن القاضي أبي يعلى
٢٠٩	عبد الله بن علي البغدادي	١٧٨	علي بن الحسن الدواحي
٢١٢	دعوان بن علي الجبائي	١٧٨	محمد بن الحسين بن علي الشيباني
٢١٣	صالح بن شافع الجبلي	١٨٠	علي بن عبيد الله بن نصر
٢١٤	المبارك بن كامل البغدادي	١٨٤	محمد بن محمد بن القاضي أبي يعلى
٢١٥	عبد الله بن الحسين الحريمي	١٨٥	عبد الله بن المبارك العكبرى
٢١٦	عبد الله بن عبد الباقي الواسطي	١٨٥	عبد الواحد بن شنيف الديلمي
٢١٦	الجنيد بن يعقوب الجبلي	١٨٦	ثابت بن منصور بن المبارك الـكـيـلـي
٢١٩	عبيد الملك بن عبيد الوهاب الأنصاري	١٨٨	علي بن أبي القاسم الطبري
٢١٩	عبد الله بن هبة الله السامري	١٨٨	أحمد بن علي بن عبد الله البغدادي
٢١٩	أيوب بن أحمد بن تيموه	١٨٩	يحيى بن الحسن بن أحمد
٢٢٠	الحسن بن محمد الرازاني	١٩٠	أحمد بن محمد بن أحمد الدينوري
٢٢١	عبد الرحمن بن محمد الحلواني	١٩١	محمد بن محفوظ بن أحمد الكلوذاني
٢٢٢	محمود بن الحسين بن بندر	١٩٢	محمد بن عبد الباقي الأنصاري
١٢٣	أحمد بن عبد الرحمن الأزجي	١٩٨	عبد الوهاب بن عبيد الواحد الشيرازي
٢٢٤	أحمد بن أبي غالب بن الطلاية الحرابي		

- ٢٩٠ إسماعيل بن أبي طاهر الجبلي
٢٩٠ عبد القادر بن أبي صالح الجبلي
٣٠١ أحمد بن عمر بن الحسين القطيعي
٣٠٢ هبة الله بن أبي عبد الله البغدادي
٣٠٢ سعد الله بن نصر بن سعيد
٣٠٥ محمد بن المبارك بن الحسين
البغدادي
٣٠٦ عثمان بن مرزوق القرشي
٣١١ أحمد بن صالح بن شافع الجبلي
٣١٣ هلي بن بردوان الكندي
٣١٤ محمد بن حامد بن حمد الأصبهاني
٣١٤ النفيس بن مسعود السلامي
٣١٥ فتيان بن مياح الحراي
٣١٦ عبد الله بن أحمد البغدادي
٣٢٣ مكى بن محمد بن هبيرة البغداي
٣٢٣ أحمد بن محمد بن شنيف
الدارقزي
٣٢٤ الحسن بن أحمد الهمداني
٣٢٩ دهبيل بن علي بن منصور
البغدادي
٣٢٩ عبد الصمد بن بديل الجبلي
٣٣٠ عبد الرحمن بن النفيس النياتي
٣٣١ يحيى بن نجاح بن مسعود اليوسفي
٣٣٢ حامد بن محمود بن حامد الحراي

- ٢٢٥ محمد بن ناصر السلامي
٢٢٩ عبد الملك بن محمد اليعقوبي
٢٣٠ أحمد بن الفرج بن راشد الوراق
٢٣٠ محمد بن أحمد الأزجي
٢٣١ محمد بن خداداد بن سلامة العراقي
٢٣٢ سالم بن عبد الله بن عبد الملك
الشيبياني
٢٣٢ أحمد بن معالي بن بركة الحربي
٢٣٣ الحسين بن جعفر العباسي
٢٣٦ محمد بن أحمد بن علي البغدادي
٢٣٦ أحمد بن مهلهل البراداني
٢٣٧ سعيد بن الحسين الديلمي
٢٣٨ أحمد بن أبي غالب الحربي
٢٣٨ محمد بن أحمد بن هلي البرمكي
٢٣٨ علوي الإسكافي
٢٣٩ إبراهيم بن دينار الرزاز
٢٤١ علي بن عمر بن أحمد الحراي
٢٤٤ محمد بن محمد بن محمد بن الحسين
ابن القراء
٢٥٠ محمد بن عبد الله بن العباس
الأزجي
٢٥١ يحيى بن محمد بن هبيرة
٢٨٩ عبد الله بن سعد بن الحسين
الأزجي

٣٦٦ علي بن محمد بن علي البغدادي
٣٦٨ نجم بن عبد الوهاب الشيرازي
٣٧١ عبد الله بن عمر المقدسي
٣٧٣ يحيى بن مقبل التميمي
٣٧٤ نصر بن منصور النخعي
٣٧٦ أحمد بن الحسين البغدادي
٣٧٧ عبد الله بن أحمد البغدادي
٣٧٨ علي بن مكى بن جراح البغدادي
٣٧٨ علي بن أبي العز الجاسراني
٣٧٨ طغدي بن ختلع
٣٨٠ بدل بن أبي طاهر الجيلي
٣٨٠ محمد بن أحمد بن علي الأصبهاني
٣٨١ محمد بن عبد الله الإشكيزباني
٣٨٣ إسماعيل بن أبي سعد الأصبهاني
٣٨٣ عبد المؤمن بن عبد الغالب البغدادي
٣٨٤ علي بن هلال بن خيس الواسطي
٣٨٤ حامد بن محمد الأصبهاني
٣٨٤ سعد بن عثمان بن مرزوق
٣٨٧ إلياس بن حامد الحراني
٣٨٧ مكى بن أبي القاسم البغدادي
٣٨٨ عبد الوهاب بن عبد القادر
الجيلي

٣٣٤ المبارك بن الحسن بن طراد
٣٣٥ محمد بن عبد الباقي الموصلی
٣٣٥ علي بن عساكر البطائحي
٣٣٧ مسلم بن ثابت بن القاسم البزاز
٣٣٨ أحمد بن محمد بن المبارك الدينوري
٣٣٩ صدقة بن الحسين البغدادي
٣٤٣ أحمد بن أبي غالب الحبائبي
٣٤٣ المظفر بن محمد
٣٤٤ محمد بن أبي غالب البغدادي
٣٤٦ المبارك بن علي البغدادي
٣٤٦ إسماعيل بن موهوب الجواليقي
٣٤٧ أحمد بن أبي الوفاء البغدادي
٣٤٨ علي بن محمد بن المبارك البغدادي
٣٤٩ علي بن أبي المعالي المبارك
٣٥٠ دلف بن عبد الله الأزجي
٣٥٠ كرم بن بختيار البغدادي
٣٥١ إسماعيل بن نياته
٣٥١ عبد الله بن علي
٣٥٣ عبد الرحمن بن جامع البغدادي
٣٥٤ علي بن عكبر الأزجي
٣٥٤ عبد المغيث بن زهير الحرابي
٣٥٨ نصر بن فتيان النهرواني

- | | | | |
|-----|--------------------------------|-----|--------------------------------|
| ٤٣٢ | ذكر شيء من فتاويه وفوائده | ٣٩٠ | ظلمة بن مظفر العثي |
| ٤٣٣ | هبة الله بن عبد الله السامري | ٣٩١ | محمود بن أحمد بن ناصر البغدادي |
| ٤٣٤ | حماد بن هبة الله الحراني | ٣٩٢ | عبد الله بن يونس البغدادي |
| ٤٣٥ | محمد بن عثمان الطفري | ٣٩٥ | الحسن بن مسلم الفارسي |
| ٤٣٦ | علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري | ٣٩٧ | سلامة بن إبراهيم الدمشقي |
| ٤٤٠ | إبراهيم بن محمد الأزجي | ٣٩٧ | محمد بن غيد الملك الأصبهاني |
| ٤٤٢ | محمد بن إبراهيم المقدسي | ٣٩٨ | عبد العزيز بن ثابت البغدادي |
| ٤٤٢ | عبيد الله بن علي البغدادي | ٣٩٩ | تميم بن أحمد الأزجي |
| ٤٤٧ | نصر الله بن عبد العزيز الحراني | ٣٩٩ | عبد الرحمن بن علي البغدادي |